



جامعة حضرموت  
نيابة الدراسات العليا



ISSN: 2707-8655

EISSN: 2707-8663

# مجلة المهرة للعلوم الإنسانية

تصدرها كلية التربية - المهرة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

- شعر الصبا حيات عند ابن زمرك الغرناطي
- الحكمة في كليلة ودمنة باب (ابن الملك وأصحابه)
- منهج التأليف الصرفي عند (أحمد فارس الشدياق) في كتابه (غنية الطالب ومُنية الراغب)
- صورة الإعاقة والمعاق في المدونات الشعبية لسالم مرزوق أبو جابر بلحاف
- البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان
- اختيارات العلامة عبد الله بن محفوظ الحداد في باب الصيام
- المجتمع المدني .. الوظيفة والرهان.
- درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات لصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية.
- المؤسسات التربوية في العصر العباسي ودورها في نشر العلم.
- التنظيم القانوني لقبول الكمبيالة بالتدخل
- حركة المواد الأرضية ومخاطرها الجيومورفولوجية على أسطح المنحدرات الجبلية المطلة على طريق نقييل سُمارة أب- اليمن

مجلة  
**المهرة**  
للعلوم الإنسانية



# مجلة المهرة للعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية  
تصدر عن كلية التربية - المهرة  
تهتم بنشر الأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية  
العدد الحادي عشر - ديسمبر - ٢٠٢١ م



حقوق الطبع محفوظة لـمجلة المهرة للعلوم الإنسانية

المشرف العام

د. عادل كرامة معيلي

رئيس التحرير

أ.د. محمد علي جبران

مدير التحرير

أ.د. أمين عبد الله اليزيدي

سكرتير التحرير

د. هلال محمد علي السفيني

التدقيق اللغوي

أ.د. عبد الكريم حسين علي رعدان



## الهيئة العلمية والاستشارية للمجلة

| م  | الاسم                        | البلد                      | التخصص        |
|----|------------------------------|----------------------------|---------------|
| ١  | أ.د. عبدالقادر الرباعي       | الأردن                     | أدب ونقد      |
| ٢  | أ.د. عبد الحميد أحمد الحسامي | السعودية - الملك خالد      | أدب ونقد حديث |
| ٣  | أ.د. هادي سالم الصبان        | اليمن - حضرموت             | تربية رياضية  |
| ٤  | أ.د. عامر فائل محمد          | اليمن - مركز اللغة المهرية | لغة ونحو      |
| ٥  | أ.د. هيثم عبد الحميد خزنة    | تركيا - ماردين             | فقه وأصوله    |
| ٦  | أ.د. رياض فرج عبدات          | اليمن - سيئون              | فقه مقارنة    |
| ٧  | أ.د. الخضر عبد الله حنشل     | اليمن عدن                  | حقوق          |
| ٨  | أ.د. أحمد صالح قطران         | السعودية - الملك خالد      | أصول فقه      |
| ٩  | أ.د. عبد الكريم حسين رعدان   | اليمن - حضرموت             | بلاغة ونقد    |
| ١٠ | أ.د. شرف أحمد الشهاري        | اليمن - الأندلس            | أصول التربية  |
| ١١ | أ.د. محمد أحمد غالب العامري  | اليمن - سبأ                | أدب ونقد قديم |
| ١٢ | أ.د. عبد الكريم مصلح البجلة  | اليمن - ذمار               | لسانيات عربية |
| ١٣ | أ.د. حسن عبيد الفضلي         | اليمن - حضرموت             | لغة إنجليزية  |

الترقيم الدولي:

ISSN:2707-8655

EISSN: 2707-8663

الرقم المحلي للمجلة:

١٥٦٤ للعام ٢٠٢٠ م

إيميل: almahrajh@gmail.com

## قواعد النشر

- تصدر مجلة (المهرة) للعلوم الإنسانية عن كلية التربية- المهرة- وفقاً للقواعد الآتية:
- تطبع البحوث المرسلّة وتقدم للنشر على برنامج (Microsoft Word) ويتم تنسيق الورقة على قياس (A4)، بأبعاد ٢.٥ من جميع الاتجاهات، وفقاً للآتي:
١. في البحوث المكتوبة باللغة العربية: خط (Arabic Transparent) بحجم (١٤) للمتن، و(١٢) للهوامش، وحجم (١٦) للعناوين الرئيسة و(١٤) للعناوين الفرعية بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن (١.٥)، وحجم الخط (١٢) عادي للجداول والأشكال وحجم (١٠) عادي للملخص والهوامش.
  ٢. في البحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية: خط (Times New Roman) حجم (١٢) للمتن وبحجم (١٠) للهوامش، والعناوين الرئيسة بحجم (١٤) بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن (١.٥)، وحجم الخط (١١) عادي للجداول والأشكال التوضيحية وحجم (٩) عادي للملخص والهوامش.
  ٣. يسلم الباحث ملخصين للبحث: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تتجاوز كلمات كل واحد منهما عن (٢٠٠) كلمة، ويحتوي على كلمات مفتاحية لا تزيد عن ست كلمات، كما يحتوي على فحوى النتائج التي توصل إليها البحث.
  ٤. تنشر المجلة مجاناً لأعضاء هيئة التدريس بالكلية، ويدفع الباحثون من أعضاء هيئة التدريس بجامعة حضرموت (١٥٠٠٠) ريالاً، فيما يدفع اليمينيون من داخل اليمن (٢٥٠٠٠) ريالاً، ويدفع الباحثون من خارج اليمن (٥٠) دولاراً أمريكياً.

٥. يفضل ألا تزيد عدد صفحات البحث عن (٢٥) صفحة، وفي حالة الزيادة يدفع ألف ريال يعني عن كل صفحة زائدة.
٦. تسدد الرسوم على حساب المجلة رقم (٢٥٤١٢٦٥١٥) في صرافة العمقي.

### التوثيق:

يشار إلى المصادر والمراجع على هيئة هوامش مرقمة أسفل الصفحة، تعتمد فيها الأصول المتعارف عليها، وترتب المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع ألف بائياً في القائمة حسب اسم المؤلف وفقاً للآتي:

١. البحوث والمقالات المنشورة في الدوريات والمجلات: يكتب اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، "عنوان البحث"، اسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

٢. الكتب: اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، عنوان الكتاب، اسم الناشر، سنة النشر.

٣. الرسائل العلمية: اسم صاحب الرسالة بدءاً باسم العائلة، "عنوان الرسالة"، يذكر رسالة ماجستير أو دكتوراه، اسم الجامعة، السنة.

٤. النشرات والإحصائيات الصادرة عن جهة رسمية: اسم الجهة، عنوان التقرير، المدينة، أرقام الصفحات، سنة النشر.

٥. إذا كان المرجع موقِعاً إلكترونياً: اسم المؤلف بدءاً باسم العائلة، عنوان الموضوع، سنة النشر، الرابط الإلكتروني و تاريخ آخر زيارة للرابط.

٦. المستلات: اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، "عنوان البحث"، اسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

٧. وقائع المؤتمرات: اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، عنوان البحث، اسم المؤتمر، رقم المجلد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

٨. في حالة أن يكون التوثيق في المتن فيكون على النحو الآتي: (اللقب، عام النشر، الصفحة)

٩. ترفق قائمة بالمصادر مرتبة هجائياً متضمنة المعلومات الأساسية: المؤلف، المرجع، تاريخ النشر، بلد النشر، رقم الطبعة.

يمنح الباحث نسخة من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح كاتبو المناقشات والمراجعات والتقارير وملخصات الجامعة نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركتهم.

### المرفقات المطلوبة مع البحث:

١. رسالة موجهة من الباحث إلى رئيس هيئة التحرير تتضمن رغبته في نشر بحثه في المجلة ويحدّد فيها التخصص الدقيق للبحث.
٢. تعهد خطي من الباحث بأن بحثه لم ينشر، أو لم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءاً من كتاب منشور.
٣. نسخة من البحث بصيغة وورد وأخرى بصيغة بي دي إف.
٤. سيرة ذاتية مختصرة للباحث تتضمن: اسمه الرباعي، ومكان عمله، ودرجته الأكاديمية، وتخصصه الدقيق، إضافة إلى بريده الإلكتروني ورقم هاتفه الثابت والنقال ورقم هاتف الواتس اب.
٥. نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها)، إذا لم تكن قد وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.

## قائمة المحتويات

- ١١..... كلمة المشرف  
كلمة العدد
- من الاستشراق إلى الاستغراب: تفكيك كتاب مُجَّد والغصن الذهبي
- ١٢..... أ.د. عبد القادر الرباعي  
شعر الصباحيات عند ابن زمرك الغرناطي
- ١٦..... د. خالد عمر مُجَّد باوزير، د. فتيحة مُجَّد أمين العربي  
الحكمة في كلية ودمنة باب (ابن الملك وأصحابه) دراسة نصّية تربوية
- ٦٦..... د. مُجَّد عبد الله الطاهر باعبود  
منهج التأليف الصرفي عند (أحمد فارس الشدياق) في كتابه (غنيّة الطالب ومُنيّة الراغب)
- ٩٦..... د. مُجَّد علوي أحمد بن يحيى، د. أحمد عبد اللاه عوض البحيح  
صورة الإعاقة والمعاق في المدونات الشعبية لسالم مرزوق بلحاف أبو جابر
- ١٢٨..... أ.د. أمين عبد الله مُجَّد اليزيدي  
البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان
- ١٥٨..... عصام مقام

اختيارات العلامة عبد الله بن محفوظ الحداد في باب الصيام

د: صالح مبارك دعكيك ..... ١٩٠

المجتمع المدني .. الوظيفة والرهان

أ.م.د. مُجَدِّدُ الكامل ..... ٢٣٩

درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية

أ.م.د. عمر عبود سعيد عقيلان ..... ٢٧٠

المؤسسات التربوية في العصر العباسي ودورها في نشر العلم

د. أحمد المهدي مُجَدِّدُ مُجَدِّدُ أحمد ..... ٣٠٦

التنظيم القانوني لقبول الكمبيالة بالتدخل (دراسة مقارنة)

د. مكسيم معاون السباعي، د. مُجَدِّدُ علي الجوهي ..... ٣٣٥

حركة المواد الأرضية ومخاطرها الجيومورفولوجية على أسطح المنحدرات الجبلية المطلة على

طريق نقييل سُمارة إب- اليمن د. عادل حمود لطف ناجي ..... ٣٦٠

## كلمة المشرف

إطاللتنا لهذا العدد بأحد عشر موضوعاً متنوعاً خمسة منها في الأدب واللغة وواحد في علم الاجتماع وآخر في الاقتصاد وثالث في الفقه وبمبحث في المناهج وطرق التدريس، وآخر في أصول التربية، ثم مسك الختام بمبحث في الجغرافيا الجيولوجية.

تتنوع الاهتمامات البحثية وتتسع المدارك باتساع لا محدود، وأنى للعلم أن يكون له حدٌ يحده، أو سقف يقف عنده.

هذا هو إصدارنا الحادي عشر من المجلة، وهو الإصدار الرابع بعد اعتمادها علمية محكمة.. وبقدر سعادتنا لتواتر الإصدارات بانتظام؛ فإنه لمن المحزن أن نرى ما يحل ببلادنا اليمن والبلدان العربية الإسلامية، وكأنها هجمة استعمارية في أثواب متعددة، تقودها أطراف خفية وجلية، ويبقى العلم، والعمل العلمي المنظم هما أساس الخروج مما تعيشه الأمة.

تشرفنا في هذا العدد بتكرم الأستاذ الدكتور عبدالقادر الرباعي بكتابة كلمة العدد وكانت عن الاستشراق في عرض موجز لآخر إصداراته بعنوان: ( من الاستشراق إلى الاستغراب: تفكيك كتاب مُجدِّ والغصن الذهبي) ختاماً أجدد الدعوة للباحثين بالتواصل العلمي والنشر الأكاديمي الرصين.

وأسأله تعالى أن يلطف بالبلاد والعباد.



## كلمة العدد

### من الاستشراق إلى الاستغراب: تفكيك كتاب مُجَّد والغصن الذهبي

أ.د. عبد القادر الرباعي

نعلم أن الاستشراق هو دراسة الغرب للشرق بما فيه الشرق العربي عموماً، ومراً تاريخ الاستشراق بمرحلتين:

**الأولى:** مرحلة تقليدية قديمة كان فيها أكثر المستشرقين قد ارتبطوا بالدول الاستعمارية في غزوها للشرق عامة وديار الإسلام خاصة. لقد مد المستشرقون أولئك المستعمرين بالمعرفة الدقيقة التي اكتسبوها من خلال رحلاتهم إلى الشرق، وتعرفهم على بلاد الإسلام وثقافة أهلها، ومعتقداتهم، وآدابهم، وأساطيرهم. ينقل بوزويرت وشاخت في كتابهما عن تراث الإسلام أن المستشرق مكسيم رودنسون قال: "حين كان الغربيون يذهبون إلى الشرق كانت تلك الصورة التي يبحثون عنها، فينتقون ما يرونه بعناية، وبتجاهلون كل مالا ينسجم مع الصورة التي كونوها سابقاً". أما اشتيفان فيلد فيذكر أن جماعة المستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه، في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين. وهذا واقع مؤلم لا بد أن يعترف المستشرقون به.

**الثانية:** المرحلة الجديدة التي اختلف التوجه العام فيها عن توجه المستشرقين اللاهوتيين القدامى. ويظن أنه كان لمقال أنور عبد الملك بعنوان (الاستشراق في أزمة) المنشور باللغة الفرنسية، وكتاب إدوارد سعيد بعنوان: الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء. المنشور باللغة الإنجليزية ٢٠٠٥م، كان لهما التأثير المباشر على المنظومة الاستشراقية برمتها؛ ذلك أن المستشرقين قبلهما لم يكن يعينهم الرد على من يهاجم منظومتهم. أما بعد نشر مقال عبد الملك الاستفزازي بالفرنسية والذي قد أصاب

مقتلاً من الاستشراق حتى كاد يجرده من كل مقصد علمي نزيه " ، وكتاب إدوارد سعيد، الذي تلا ذلك فأذكى الخصومة من جديد. فالرجلان يمتلكان منهجاً علمياً راقياً ومتطوراً ويمتلكان أهلية منهجية نديّة لأحدهما من البيئة العلمية نفسها.

لقد هب المستشرقون يدافعون عن مهمتهم العلمية التي لا يشك بمقصديتها حسب ظنهم، وكان هذه المادة الجديدة المنشورة إزاء عملهم كانت صوتاً صارخاً أيقظهم من سبات طويل عميق. ومع أن ردود بعضهم كانت غاضبة جارحة، لكن بعضهم الآخر استيقظ فيهم الإحساس بمرارة الاستشراق القديم وجنوحه عن جادة الحقيقة، فراح يسئل نفسه منه، ويتبرأ من جنوحه، ويؤكد علميته الخاصة المنزهة عن كل شائبة. يقول شاعر النجار : " لقد حاول الكتاب المتأخرون أن يتخلصوا من الخيالات والأوهام التي كانت تسيطر على الكتاب الأوائل حين يكتبون عن الشرق، وأن يكونوا أكثر موضوعية وإيجابية".

وإذا كان هذا التحول حقيقة فلا بد أن يكون فيه استثناءات. ومنها المستشرق ياروسلاف استتكيفتش في كتابه ( Muhammad and the Golden Bough- Reconstructing Arabian Myth ) **مُجد والعصن الذهبي** ، إعادة ترميم الأسطورة العربية، المثير للغرابة. لقد شغلت بتفكيك هذا الكتاب، مقتدياً بنظرية التفكيك التي اجترحها جاك دريدا وأقامها على مبدأ التشكيك في مسارات الخطابات الثابتة، وخلخلة أعمدتها تمهيداً لاستوائها وإعادة تركيب نصوصها من جديد، وفق رؤية إنتاجية أكثر إقناعاً.

فالكتاب مليء بالأفكار الاستشراقية المستفزة. ومن باب تخفيف الوطاء المؤكد لدى كل عربي ومسلم يدرك الأبعاد الأبتمولوجية، والحفرية في الأعماق التي يغوص فيها ، فقد أشفق مترجمه الأستاذ سعيد الغانمي من ردة الفعل تلك؛ فترجم العنوان في طبعته الأولى إلى عنوان آخر هو ( **العرب والعصن الذهبي**). ولم تعجب هذه الترجمة استتكيفتش وإنما أصر في استهلاله الترجمة بكلمة موجهة

للمتلقي العربي المسلم، أنه لا يقبل إلا الترجمة الصحيحة للعنوان وهي ( مُجَدِّ والغصن الذهبي)!. وها أنا ذا أعتد ما أُرَاد اعتماده .

لقد انحرف الكتاب عن نهج الحقيقة، وانزاح بتصميم متعمد عن الصواب في اختياره للنصوص، وبناءه للأفكار. لقد صيغت تلك الأفكار محبوكة بمهارة عالية وماكرة ، لكنها حين تنكشف على حقيقتها تظهر ما فيها من مراوغات، وتشابكات مضللة. لقد حُفها النقص من كل جوانبها. ومن أجل ذلك كله أصبح الكتاب بحاجة إلى محاورة علمية صريحة حذرة، ووقفات حرجة مستبطنة في الآن نفسه. إن الغاية من ذلك الحذر الصريح والحرص المستبطن، هي الوصول بالحجاج إلى منطق في القول ينفي الزائف، ويضيئ الرؤيا على الحقائق، ويبلور كل شأن غامض، وذلك اعتماداً على المرجعيات الصحيحة الموثوقة والموثوقة في آن. فبدون ذلك يتوه الحلل عند بوابات التشكيك، ومتاهات التراكم والتضليل.

إن استشعار الصدمة لدى المتلقي العربي والمسلم لهذا الكتاب هو الذي دفع مترجمه لتغيير عنوانه، وما كان له أن يفعل، بل كان يجب أن يبقى على عنوانه الأساسي (مُجَدِّ والغصن الذهبي)، كي يعلم الجميع مدى الصدى الزائف عن تراثهم العريق لدى الغلاة من المستشرقين .

إن هذا الكتاب (من الاستشراق إلى الاستغراب) اهتدى بمقولة الاستغراب الهادف إلى دفع العلماء العرب والمسلمين إلى متابعة أولئك المستشرقين الغلاة، من أجل نقض تجنينهم على الحقيقة العلمية. ولعل كتابي هذا سار على درب ذلك الاستغراب في مجادلاته ومحاوراته العلمية لكتاب ياروسلاف ستكيفتش.

لقد اعتمدت الاحتجاج العلمي الهادئ الصارم، قاعدة للانطلاق في نقد النقد؛ سواء فيه هو، أو في أثرين آخرين للمؤلف نفسه، هما: كتاب العربية الفصحى الحديثة، وبحث ينفي فيه العلاقة بين

سينية أحمد شوقي والبحثري، على الرغم من تأكيد العلاقة في كل الدراسات حول السينيتين، بل  
تأكيدهما من قبل شوقي نفسه:

وعظ البحتريّ إيوانُ كسرى      وشفطني القصورُ من عبد شمس

لقد أراد المستشرق بنفيه العلاقة تلك، أن ينفي تأثير شوقي وغيره من الشعراء الإحيائيين، بأي  
شاعر إسلامي، راداً تأثيرهم فقط إلى شعر ما قبل الإسلام. ومثل هذا فعل في اللغة العربية؛ إذ عزا سر  
حيويتها ومرونتها إلى تأثرها باللغات الأجنبية، نافيةً مرونتها في تطورها الذاتي الطبيعي تبعاً لتطور  
الأحوال عبر الأزمان التاريخية.

فعلى الرغم من اختلاف المنحنيات المنهجية في تأليف هذه الآثار الثلاثة؛ فإن النهج  
الاستشراقي المنزاح عن الحق والصواب واحد فيها جميعاً، الأمر الذي يؤكد أن الغاية في الانحراف  
الاستشراقي عن الجادة السوية في النهج، محفورة في أعماق هذا المستشرق تجاه التراث العربي عامة،  
والإسلامي خاصة. ولهذا فرض على المتلقي منهما واجب النقد والجدل والتفكيك لآرائه إزاء الآثار  
الثلاثة المذكورة، وأيضاً لمتابعة كتبه الأخرى ككتابه (صبا بجد) وغيره لكشف ما قد يمكن أن يكون  
محفوراً فيها من أباطيل!!!.

ولكن - مع كل ذلك التجني الغالب على العرب والمسلمين - نؤكد أننا لا ننكر جهود قسم  
غير قليل من المستشرقين المخلصين لعلمهم، وسلامة منهجهم. فنحن نعترف بذلك حقاً، وندين لهم  
بالشكر والعرفان على تلك الجهود المخلصة في خدمة تراثنا خدمة جلية. لقد كانوا جادين في تنقيحهم  
عن المخطوطات العربية التي تزخر بها المكتبات العالمية، وخاصة الغربية منها، والتي ما كنا لها عارفين  
لولا عملهم الجاد الدؤوب، وإخلاصهم العلمي الصابر الصادق المبرأ من أية شائبة. إنهم بذلك  
يستحقون منا - نحن أبناء العربية وتراثها العريق - كل الإكبار والتجلة، والشكر العميم،،.

## شعر الصباحيات عند ابن زمرك الغرناطي

## التشكيل والدلالة

د. خالد عمر مُجَّد باوزير<sup>(\*)</sup>

د. فتيحة مُجَّد أمين العربي<sup>(\*\*)</sup>

## الملخص:

يتناول هذا البحث "شعر الصباحيات"، وهو فن شعري مدحي سلطاني، استمد وصفه وكيونته من الصباح زمنياً، ودلالة، ومقوماً فنياً، ويعد من مبتكرات الشاعر الغرناطي ابن زمرك، مصطلحاً ولوناً شعرياً، ويعكس احتفائه بدال الصباح، مطلعاً ومتناً وخاتمة. فالصباحية في مدلوها الشعري صباح القصيدة ومفتاحها وزمن ولادتها، وإشراق دواها وتراكيبها وصورها، واكتمال بنائها، وبراعة أسلوبها وفنيها، تستهل بأسلوب التحية الملوكية "أنعم صباحاً" أو دال الصباح. ويمثل الصباح فيها معادلاً موضوعياً لجمال الممدوح ونورانيته، كما يمثل أيضاً الزمن الشعري، من زمن المتعة، وزمن البشائر وزمن بث الحياة وتجددها، لتشكيل الدلالات الثلاث: النورانية، والجمالية والزمانية، مرتكزات القصيدة الصباحية.

كلمات مفتاحية: الصباحيات، المدح، دلالات، التشكيل، ابن زمرك.

(\*) أستاذ الأدب الأندلسي والمغربي المشارك - جامعة حضرموت.

(\*\*) أستاذ الأدب الأندلسي والمغربي المساعد - جامعة حضرموت.

## The Poetry of Mornings According to Ibn Zamrak Al-Gharnati Formation and Connotation

### **Abstract:**

This research deals with the “Poetry of Mornings”, which is a poetic art that deals with Sultan praising. Its description and its contents are driven from mornings in terms of time, connotation and artistic component. It is considered among the innovations of the Gharnati poet, Ibn Zamrak, terminologically and in terms of the poetic style, reflecting his hearty reception of the morning’s denotation in the prologue, body text and epilogue. Morning poems in their poetic signification are the daybreak of the lyric poem, their key, time of their onset, vividness of their significations, formations and imagery, completion of their structure, ingenuity of their style and artistry, beginning with the style of the royal salutation “an’ama sabaahan” (good morning) or indication of the morning. In the morning lyric poems, mornings represent objective equivalents of the complimented one’s beauty and luminosity. Also, they represent the poetic era of the pleasure times and times of glad tidings as well as the times of instilling life and renewing it, thus forming the three connotations of luminosity, aesthetics and temporal, which are the foundations of the morning poems.

**Keywords:** Morning Poems; Praise; Connotations; Formation; Ibn Zamrak.

## مقدمة:

إن الناظر في شعر ابن زمرك<sup>(١)</sup> الغرناطي لتثيره ظاهرة فنية، تتواتر في شعره، وتسمه بميسم خاص، ألا وهي ظاهرة الصباحيات. يحتفي فيها الشاعر بالصباح أيما احتفاء، ويطالعنا كثيراً بمصطلح شعري جديد، يصف به بعض قصائد شعره المدحي وما يتصل به، من شكر وتهنئة وغيرها، نجد أنه يتشكل تشكلاً فنياً خاصاً، لا سيما في استهلالاته، فيستهل بـ "مطلع صباحي". وهو مطلع جديد لم يسبق إليه.

لقد كانت الصباحيات من أكثر الأغراض الشعرية تواتراً في شعر ابن زمرك<sup>(٢)</sup>. ولنا في عدها غرضاً رأي آخر. بلغت أربع عشرة قصيدة ومقطعة حسب إحصاء المحقق، في حين أنا بعد الاستقراء والتأمل وجدنا قصائد الصباحيات تنيف على الثلاثين، ماثوثة بين ثنايا أغراض أخرى، كالتهاني، والوصف، والمدح والشكر، والإبلال من المرض، والنزهات، والإخوانيات، والمخمسات. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الجامع لم يدرج مسمى الصباحيات في تقديمه لقصائد صباحية لها النسق البنائي نفسه.

(١) هو مُجَد بن يوسف بن مُجَد الصريح، أبو عبد الله، المعروف بابن زمرك، بضم الزاي أو فتحها، مع ترجيح الضم، ولد سنة ٧٣٣هـ بربض البيازين بغرناطة، نشأ في أسرة متواضعة، كان ضئيل الجسم، بيد أنه كان حاد اللكاء، ثاقب الذهن، كلفاً بالقراءة، تتلمذ على يد أشهر علماء عصره، أبرزهم شيخه لسان الدين بن الخطيب، وأبي عبد الله بن الفخار، والقاضي الشريف أبي القاسم الحسيني وأبي سعيد ابن لب، وأبي علي منصور الزواوي، وأبي البركات ابن الحاج وأخذ عن أبي عبد الله ابن مرزوق وأبي جعفر ابن الزيات عالم التصوف. ألحقه شيخه ابن الخطيب بديوان الرسائل، ثم ترقى حتى غدا وزيراً للغني بالله، وقد تجاوزت علاقة ابن زمرك بسلطانه الخدمة والوفاء إلى نوع من الخلقة والرفقة، وبذلك كان يفتخر مردداً في إحدى رقايعه: "خدمته [أي الغني بالله] سبعا وثلاثين سنة ثلاثاً بالمغرب وباقيها بالأندلس... وكنت أؤاكله وأؤاكل ابنه مولاي أبا الحجاج وهما كبيراً ملوك أهل الأرض". قال عنه شيخه ابن الخطيب: "كان هشاً خلويًا، عذب المفاكهة، حلو المجالسة، خفيف الروح، حاضر الجواب، كما كان جواداً بما في يده، مشاركاً لإخوانه، باراً مؤثراً بما منح." "وأما شعره فمترام إلى نمط الإجابة خفاجي النزعة، كلف بالمعاني البديعة، والألفاظ الصقيلة، غزيرة المادة". تنكر لشيخه ابن الخطيب وانقلب عليه، لذلك يصفه الأخير في "كتيبه" بالخبث والمكر، ثم إنه قد سعى فعلاً في قتله، وقد جوزي من جنس عمله، فقتل ابن زمرك بمراً من أهله ومسمع، مع بنيه. وذلك سنة ٧٩٧هـ. جمع له الأمير يوسف الثالث شعره وسماه "البقية والمدرك من شعر ابن زمرك" انظر ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة: ٣٠٠؛ الكتيبة الكامنة في من لقبناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: ٢٨٢؛ أزهار الرياض في أخبار عياض: ٧/٢؛ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ١٤٥/٧. مقدمة ديوان ابن زمرك الأندلسي: ٧. ابن زمرك الغرناطي، سيرته وأدبه، ٧٣٣. ٧٩٦هـ: ٨٣.

(٢) ديوان ابن زمرك الأندلسي: ٦١٠.



الأمر الذي دفعنا للوقوف طويلاً أمام هذا اللون من الشعر، محاولين البحث في خصائصه التركيبية والبنائية والأسلوبية وتشكلاته الدلالية. وقد استفرغنا فيه الجهد والطاقة ما وسعنا، استقراءً، وجمعاً، وتمحيصاً، وتحليلاً واستنطاقاً، واستنباطاً؛ لكي نصل إلى تأصيل هذا اللون الشعري المبتكر، الذي اختص به الشاعر ابن زمرك، والكشف عن بناءه الهيكلية والفنية، وتشكلاته الدلالية، وخصائصه الأسلوبية، فتبين لنا أن القصيدة الصباحية تستقي من الصباح بنورانيته وشعشعانيته توهجها الشعري وألقها الفني، فتغدو صباحية شعرية يخلع الشاعر عليها من تجليات الصباح ما يجعل منها تحفة فنية رائعة، ينشدها بين يدي مليكه زمن الصباح، غنية بأساليب التحية والثناء والمدح والوصف الفني.

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تبحث في موضوع جديد، لم يتطرق إليه من قبل، وإذا كان الشاعر ابن زمرك قد أنجزت عنه دراسات عدة، إلا أنها لم تشر إلى صباحياته<sup>(١)</sup>، فضلاً عن دراستها وبحثها، حسب علم الباحثين، إلا ما ورد من إشارة خاطفة في إحدى الرسائل الجامعية وهي بصدد الحديث عن أغراض شعر ابن زمرك، وذكرت منها "أغراض أشعار البلاط المعهودة من (شعر) وتهنئة وصباحيات (وهي مدائح تنشد في الصباح) إلى غير ذلك من غزل وملح ومداعبات وألغاز وأحجيات"<sup>(٢)</sup>، مما يجعل الخوض في هذه الظاهرة أمراً ذا أهمية وقيمة علمية وأدبية جليلة، لاسيما أنه موضوع بكر، وشائك، بما يثير من إشكالات عديدة. إضافة إلى أنها - الدراسة - تكشف عن نوع طريف مبتكر من المطالع الشعرية الأندلسية، وهو المطالع الصباحي. بما تمثله من إضافة نوعية جديدة في سجل مطالع القصيدة العربية.

ومن مرامي هذه الدراسة:

(١) انظر: ابن زُمرَك الغرناطي، سيرته وأدبه.....؛ التكرار في شعر ابن زُرك، أسبابه ومظاهره: ٢٧٩. ٣٣٢؛ التناص الشعري في شعر ابن زُمرَك الأندلسي (٧٣٣. ٧٩٧هـ) دراسة تحليلية في نماذج مختارة: ٤٠٣؛ شعر النقوش عند ابن زمرك الأندلسي، دراسة موضوعية فنية، ٣٣:١.

(٢) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زمرك الغرناطي: ٤٠. من (شعر) هكذا وردت، ولعل الصواب من شكر.

تسليط الضوء على جانب من شعر ابن زمرك لم يأخذ حظه من الدراسة، ألا وهو شعر الصباحيات.

- التأصيل لمصطلح "الصباحيات"، كونها من مبتكرات ابن زمرك، موضوعاً وقالباً ومطلعاً.
- الكشف عن ماهيتها وكيونتها، وبنائها الهيكلي والفني، وتشكلاتها الدلالية، ومدى تداخلها مع أغراض شعرية أخرى.
- أفراد المطلع الصباحي بالدراسة والتحليل لتشكلاته الدلالية وأنماطه، وعلاقته بالموضوع الشعري، وما يتسم به من براعة الاستهلال وفنيته.

إن أول إشكال يعترضنا مسألة تأصيل المصطلح "الصباحيات"، لاسيما أننا نجد مصطلحين متقاربين وردا أثناء تقديم جامع ديوان ابن زمرك لبعض قصائد شعره، ألا وهما "الصباحيات" و"الصبوحيات"، فهل هما بمعنى واحد، كما ذهب إلى ذلك محقق الديوان، أو أن بينهما فروقاً دقيقة، وأن لكل منهما حمولة دلالية خاصة؟

وأمر آخر يثيره البحث، وهو هل الصباحيات موضوع شعري، أو عنصر بنائي لهيكل القصيدة المدحية، أو قالب شعري له مكوناته وطرائقه الخاصة؟

وهل التحية الصباحية التي تستهل بها القصيدة الصباحية تعد مقدمة أو مطلعاً، لاسيما أن الاستهلال قد يضيق ليقتصر على التحية الصباحية، أو دال الصباح، وقد يمتد إلى أكثر من ذلك؟ أو أن الصباحيات يلج الشاعر فيها إلى موضوعه المدحي مباشرة دون مقدمة، خاصة أن دلالات الصباح تصب في المدح، وترتبط بذات الممدوح.

ثم ما سر احتفاء الشاعر ابن زمرك بالصباح، حداً، جعل منه تيمة تهيمن على شعره، بلفظه ومرادفاته وإيحاءاته وامتداده الزمني؟ فتعدد دلالاته لتحمل معاني جديدة.

ومن حيث المنهج، فقد اقتضى البحث للكشف عن خبايا الصباحيات البنائية والفنية والدلالية، أن نتوسل بالمنهج الأسلوبي، إذ وظفناه بشكل معمق في المبحثين الثاني والثالث، واعتمدنا التحليل إجراءً لاستكناه وسير أغوار النص الصباحي، وبنياته التركيبية واستنطاق دلالاته الكامنة، كاشفين عن أسلوب الشاعر في اختياراته، وعناصر إبداعه الفني والشعري، لاسيما أنه في هذه الصباحيات عدل عن المطالع المعروفة شعرياً، واختار بناءً جديداً في مطالع صباحياته، وهذا الصنيع يشكل انزياحاً أسلوبياً على مستوى مطلع بنية القصيدة.

لقد اقتضت إشكالات البحث أن نسير في تقسيمه على ثلاثة مباحث مسبقة بمقدمة، ومنتبهة بخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع وفق التصميم الآتي:

**المبحث الأول:** محاولة في تأصيل المصطلح "الصباحيات". لغة واصطلاحاً، وصولاً إلى اقتراح تعريف دقيق لهذا الفن الشعري.

**المبحث الثاني:** التشكلات الدلالية للصباحيات، وهي ثلاث:

١. الدلالة النورانية.

٢. الدلالة الجمالية.

٣. الدلالة الزمانية.

**المبحث الثالث:** البناء الفني للصباحيات: وركزنا الحديث أكثر عن أهم ميزة انمازت بها هذه

الصباحيات، ألا وهي افتتاحياتها واستهلالاتها، لما تمثله في نظرنا من قيمة فنية جديدة مضافة تتمثل في "المطلع الصباحي". وكذا تناولنا عنصر الاختتام الصباحي. فجاء هذا المبحث كالاتي:

١. المطلع الصباحي: ودرسنا فيه براعة الاستهلال وفنيته، وتشكيلاته الدلالية، وعلاقته

بالموضوع الشعري في الصباحية، وأتماطه:

النمط الأول: الاستهلال بالتحية الصباحية.

النمط الثاني: الاستهلال بدال الصباح.

٢. الاختتام بالصباحية تحية أو دالاً.

## المبحث الأول: محاولة في تأصيل المصطلح:

إن مصطلح شعر الصباحيات يأخذ مشروعيته الاصطلاحية من كون الصباحيات تستهل بتحية صباحية وهي "أنعم صباحاً"، وإن كان إطلاق المصطلح قد اتكأ على الشق الثاني، لأن للصباح حضوراً دلاليّاً بارزاً كما سيتضح، فالصباحيات هي جمع صباحية نسبة إلى الصباح، وعليه لا بد من البحث في الأصل اللغوي لشقّي التحية، أنعم وصباحاً.

### ١. التعريف اللغوي:

أولاً: أنعم لغة: جاء في اللسان: "نعم: النعيمُ والنعمى والنعماء والنعمّة، كُله: الحفض والدعة والمال، وهُو ضدُّ البأساء والبؤسى... والنعمة بالفتح وهي المسرة والفرح والترفة... والنعمّة: اليد البيضاء الصالحة، والصنعة والمينة، وما أنعم به عليك"<sup>(١)</sup>. "وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلانِ أَيَّ أَصْرَتِ إِلَيْهِ نِعْمَةً. وَتَقُولُ: أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ، مِنْ النِّعْمَةِ. وَأَنْعَمَ اللَّهُ صَبَاحَكَ، مِنْ النُّعُومَةِ. وَقَوْلُهُمْ: عِمَّ صَبَاحًا كَلِمَةٌ تَحِيَّةٌ، كَأَنَّهُ مَحْدُوفٌ مِنْ نَعِمَ يَنْعِمُ، بِالْكَسْرِ، كَمَا تَقُولُ: كُلُّ مَنْ أَكَلَ يَأْكُلُ، فَحَدَفَ مِنْهُ الْأَلْفَ وَالنُّونَ اسْتِحْقَافاً"<sup>(٢)</sup>.

وأورد ابن النحاس قول يونس سئل أبو عمرو عن قول عنتره "وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي" فقال: قولهم هو من: يعم المطر، ويُعم البحر: إذا كثر زيده، كأنه يدعو لها بكثرة

(١) لسان العرب: ٥٧٩/١٢ - ٥٨٠. مادة نعم.

(٢) لسان العرب: ٥٨١/١٢، مادة نعم.

الاستسقاء والخير، وقال الأصمعي: عم، وانعم واحد، أي: كن ذا نعمة وأهل، إلا أن "عم" أكثر في كلام العرب<sup>(١)</sup>.

وزاد ابن الأنباري "وقوله: عمي صباحاً، أراد انعمي، واسلمي من الآفات، ومعنى اسلمي: سلّمك الله تبارك وتعالى من الآفات"<sup>(٢)</sup>.

والتحية بصيغة "أنعم صباحاً" تحية جاهلية إذ "كَانَتِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُحَيُّونَ بَأَن يُقُولَ أَحَدُهُمْ لِصَاحِبِهِ أَنْعِمْ صَبَاحًا، وَأَبَيَّتِ اللَّعْنُ، وَيُقُولُونَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَكَانَهُ عَلامَةً الْمِسَالَمَةِ وَأَنَّهُ لَا حَرْبَ هُنَالِكَ، ثُمَّ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَقَصَرُوا عَلَى السَّلَامِ وَأَمَرُوا بِإِفْشَائِهِ" ومثله في قول امرئ القيس:

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

ومن اللغة الأخرى قول عنتر بن شداد العبسي:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي<sup>(٣)</sup>

ومما يعزز أنها تحية ملوكية ما ورد في لسان العرب من قول المُتَنَبِّئِي فِي شَرْحِهِ لِلتَّحِيَّاتِ لِلَّهِ: "إِنَّمَا قِيلَ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ لَا عَلَى الْجَمْعِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْأَرْضِ مُلُوكٌ يُحَيُّونَ بِتَّحِيَّاتٍ مُخْتَلَفَةٍ، يَقَالُ لِبَعْضِهِمْ: أَبَيَّتِ اللَّعْنُ، وَلِبَعْضِهِمْ: اسَلِّمْ وَأَنْعِمْ وَعِشْ أَلْفَ سَنَةٍ، وَلِبَعْضِهِمْ: أَنْعِمْ صَبَاحًا، فَقِيلَ لَنَا: قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ أَيَّ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْمُلْكِ وَالْبَقَاءِ وَيَكْتَبِي بِهَا عَنِ الْمُلْكِ فَهِيَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب: ٦٤١/١٢، مادة وعم. وانظر: بلاغة أساليب التحية في الشعر العربي: ٦٥٨. وانظر: شرح البغدادي لقصيدة امرئ القيس "ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي": ٨١٢.

(٢) بلاغة أساليب التحية: ٦٥٨.

(٣) تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار: ٨٥/٣.

(٤) لسان العرب: ٢١٦/١٤. مادة حيا.

إن دلالات هذه التحية متعددة، فهي تعني الدعاء للمخاطب بكثرة الخير والإنعام والخفض والدعة والمال والأهل، والمسرة والفرح والترّف، والنعمومة، والسلامة من الآفات. "وكل المعاني المذكورة لم تخرج عن الدعاء بكثرة الخير والإنعام، ومع ذلك كله فهي تحية مخصوصة بوقت الصباح، وليست تحية عامة، يوضح ذلك اقتراحها بكلمة "صباحاً"<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الصباح لغة: "والصبح: الفجر، أول النهار، ج: أصباح، وهو الصبيحة والصباح والإصباح والمصبح كمكرم. وأصبح: دخل فيه، وبمعنى صار. وصبّحهم: قال لهم: عمّ صباحاً، وأتاهم صباحاً"<sup>(٢)</sup> وجاء في المصباح: "والصبح الفجر والصباح مثله وهو أول النهار والصباح أيضاً خلاف المساء قال ابن الجواليقي الصباح عند العرب من نصف الليل الآخر إلى الزوال ثم المساء إلى آخر نصف الليل الأول"<sup>(٣)</sup>.

ومن معاني الصبح الحمرة المخالطة لبياض أو لسواد، "والصُّبْحَةُ والصَّبْحَةُ والصَّبْحُ: سواد إلى الحمرة، وقيل: لون قريب إلى الشَّهْبَةِ، وقيل: لون قريب من الصَّهْبَةِ، والأصبح: الشديد حمرة الشعر، ومنه صبح النهار مشتق من الأصبح. قال الأزهري: ولون الصَّبْحِ الصادق يضرب إلى الحمرة قليلاً كأنها لون الشفق الأول في أول الليل"<sup>(٤)</sup>.

ومن معاني الصباح الوضاءة والجمال، "الصباحة: الجمال، وقد صُبِحَ بالضم يصبح صباحةً، ورجل صبيحٌ وصُبَّاحٌ، بالضم: جميل، والجمع صِبَّاحٌ، الصبيح: الوضيء الوجه"<sup>(٥)</sup>.

(١) بلاغة أساليب التحية: ٦٥٩.

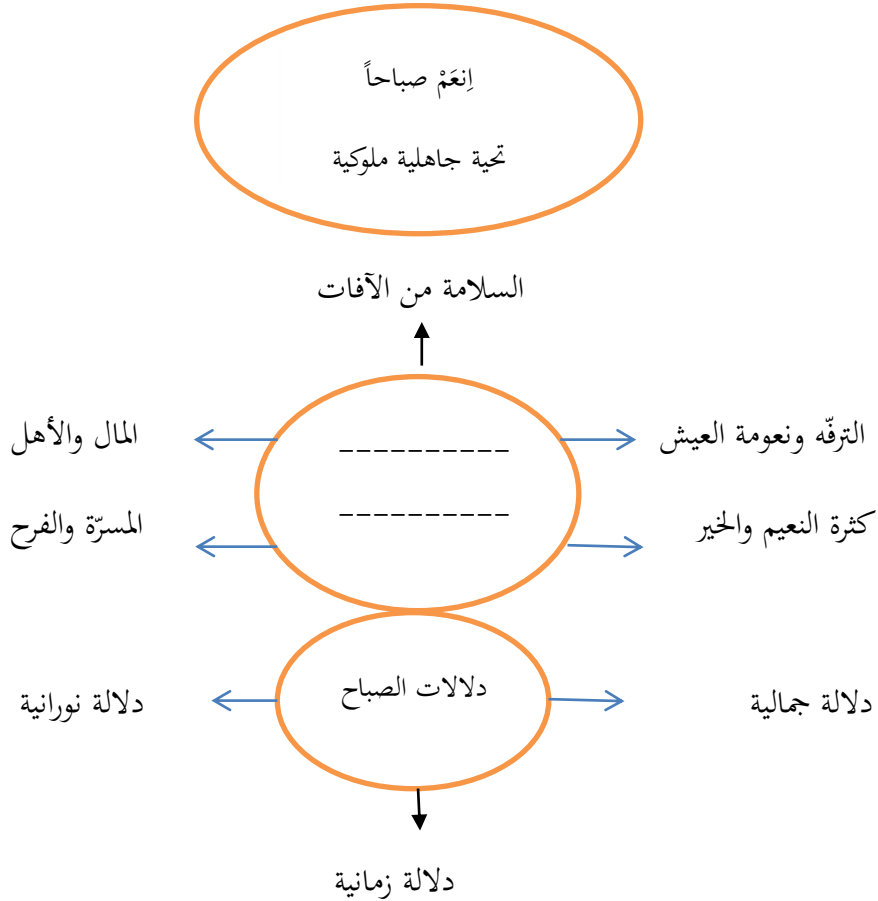
(٢) لسان العرب ٥٠٤/٢. مادة صبح

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٣٣١/١. مادة صبح وانظر: شرح البغدادي لقصيدة امرئ القيس: ١١١

(٤) لسان العرب: ٥٠٦/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٥٠٧/٢.

وعليه، فإن الصباحيات تستقي معناها اللغوي من جماع المعاني اللغوية الثلاث للجذر "صبح" وهي: الامتداد الزمني للصبح، ولون الحمرة الممتزجة بالبياض، والوضاءة والجمال، وكذا من معاني الإنعام المذكورة آنفاً.



## ٢. الصباحيات اصطلاحاً:

إن أول من يطالعنا بمصطلح "الصباحيات" جامع ديوان ابن زمرك، وهو السلطان النصري يوسف الثالث، حينما يقدم بين يدي قصائد ومقطعات لابن زمرك، مستهلاً بقوله: "وكتب إليه أيضاً



من الصباحيات وفواتح التحيات. "(١)"، وقد يأتي بما يدل عليها كقوله: "وقال يصابحه رحمة الله عليه بالتحية في يوم أكثر من التوقعات بالكمارم." "(٢)"، وقوله: "أنشده صبيحة يوم، شاكراً أيضاً عن نعم وصلته أمسه" "(٣)"، وقوله: "وقال يحييه مصباحاً" "(٤)"، وقوله: "وقال أيضاً من تحيات الصباح." "(٥)".

في حين أورد الجامع مصطلح "الصباحيات" "(٦)" وهو يقدم لموشحة من موشحات ابن زمرك، بقوله: "ومن مخلع البسيط في الصباحيات قوله سامحه الله تعالى ورحمه ورضي عنه" "(٧)".

إن لمصطلح "الصباحيات" لدى الجامع مفهوماً يكاد ينحصر في الشعر الذي ينشد بين يدي ممدوحه، يستهله بتحية صباحية، في صيغة "أنعم صباحاً" وأخواتها، يكون موضوعه مدحاً وما يتصل به من شكر أو تهنئة أو غيرها.

من مثل قوله مستندناً الخليفة للسفر لتفقد أملاكه (٨):

أَيُّمُهُ كُلُّهَا عَيْدٌ وَأَفْرَاحٌ      أَنْعَمَ صَبَاحاً بِثَانِي الْعِيدِ يَا مَلِكاً  
بِهَاتِنَعْمَ أَجْسَادٌ وَأَرْوَاحٌ      قَضَيْتَ بِالْأَمْسِ مَا قَضَيْتَ مِنْ سَنِينَ  
بِالْجِسْمِ وَالْقَلْبِ فِي مَثْوَاكَ يَرْتَاخُ      ... وَالْعَبْدُ يَسْتَأْذِنُ الْمَوْلَى عَلَى سَفَرٍ

وقوله يحييه في صباحية مادحاً ركابه بوادي الخرس (٩):

- 
- (١) ديوان ابن زمرك: ٦٤.  
(٢) المصدر نفسه ص ٧٧. انظر أكثر ص ٧٠، ٧١، ٧٥، ٧٣، ١١٢، ٧٨، ١٠٣، ٢٠١، ١١٤، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٩٧، ٢٩٩،  
(٣) المصدر نفسه: ٨٦.  
(٤) المصدر نفسه: ٢٥٣.  
(٥) المصدر نفسه: ٢٤٠.  
(٦) جمع صبيحية، نسبة إلى الصبوح، والصبوح لغة: يحمل معنى الأكل والشرب صباحاً، جاء في لسان العرب: "والصبوح: كل ما أكل وشرب غدوة، وهو خلاف الغبوق، وحكى الأزهري عن الليث: الصبوح: الخمر؛ وأنشد:  
ولقد غدوت على الصبوح معي      شَرِبْتُ كِرَامًا مِنْ بَنِي رُفَيْمٍ  
والصبوح من اللبن ما حلب بالغدادة، واصطبح القوم: شربوا الصبوح. وصَبَّحَ: سقاه صبوحاً فهو مصطبح. انظر: جهرة اللغة: ٦١/١. ولسان العرب: ٥٠٧/٢.  
(٧) الديوان: ٥٣٨. وانظر: ٥٤١.  
(٨) المصدر نفسه: ٦٤.  
(٩) المصدر نفسه: ٧٠.

ألا عم صباحاً ضاءً منك جبينه وراقً به الإقبال واقتبل البشُرُ  
فأنت لنا شمسٌ إذا متع الضحى. عجبنا وفي الليلة الليلاء أنت لنا بدرُ  
لوادي الخُرْسِ قد سال أنعماً فلم ندرٍ وإٍ ما جرى فيه أم بحرُ؟

في حين أنه يقصد بالصباحيات الشعر أو الموشح الحمري، الذي يصف مجلس أنس صباحي،  
ليجتمع فيها موضوع الخمر ووصف مجلسه مع وصف الطبيعة والغزل، ويخلص فيها إلى مدح الخليفة  
في آخرها، وتسميتها صبحوية هنا يتسق مع المعنى المعجمي للفظة الصبح، وهي الخمر التي تشرب  
صباحاً. ويعضد ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

ريحانةُ الفجرِ قد أطلتْ خضراءُ بالزُّهرِ تزهرُ  
ورايةُ الصبحِ قد أطلتْ فالشهبِ في مرقبِ الشمسِ تنشُرُ  
من غارةِ الصباحِ ترعدُ خوفاً وتخفقُ  
وأدهم الليلِ في جماحِ أعنةِ البرقِ يطلقُ  
والأفقِ في ملتقى الرياحِ بأدمع الغيثِ يشرقُ

ويعضي في وصف الطبيعة إلى أن يقول:

والسحب بالجواهر استهلَّتْ فالبرق سيفٌ مجوهرُ  
صفاحه المذهبات حلَّتْ في راحة الجو تشهرُ  
والكأس في راحة النديمِ يجلو بها غيب الهمومُ  
أقبست النار في القديمِ من قبل أن تخلق الكرومُ  
والنهر في ملعب النسيمِ للزهر في عطفه رقومُ

(١) الديوان: ٥٣٨. وانظر: ٥٤١.

فلبّية الحلبي قد تحلّت      والطلّ في الحلبي جوهر  
وبهجة الكون قد تجلّت      والروض بالحسن يبهّر

أما محقق الديوان الدكتور مُحمَّد النيفر فقد جعل مصطلحي "الصباحيات" و "الصبوحيات" بمعنى واحد، فقال عن "الصباحيات": "جمع صباحية: وهي قصيدة مدحية تنشد للأمير في الصباح. ولعلها من استعمالات ابن زمرك"<sup>(١)</sup>. وعن "الصبوحيات": "جمع صبوحية وهي المدحية التي تقال في الصباح"<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الدكتور النيفر قد أغفل في تعريفه مكونين من مكونات الصباحيات الزمركية وهما:

أ . تعدد الموضوعات التي تمتزج بها الصباحيات، كالشكر<sup>(٣)</sup> والتهنئة بالإبلال من المرض<sup>(٤)</sup>، والاستئذان<sup>(٥)</sup>، والوصف<sup>(٦)</sup>، والهدية<sup>(٧)</sup>، والطرديات<sup>(٨)</sup>، والعيديات<sup>(٩)</sup>، والإخوانيات<sup>(١٠)</sup>، ووصف الخمر ومجالس الأُنس<sup>(١١)</sup> وغيرها. إضافة إلى المدح وإن كان هو الموضوع الأبرز.

ب . بناء الصباحيات على عنصر التحية الصباحية، وهو الأصل في التسمية بالصباحيات.

أما فيما يخص الصبوحيات، فقد قصرها على المدح باعتبار الغرض المتخلّص إليه، في حين أن مفتتح الصبوحيات يتمثل في وصف الخمر ومجلسها، ولهذا سميت بالصبوحيات اتساقاً مع المعنى

(١) الديوان: ٦٤. وهامش: ٦١٠.

(٢) المصدر نفسه هامش: ٥٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢

اللغوي للكلمة، فحينما قدم الجامع لصبوحية ابن زمرك، عقب بقوله "سامحه الله تعالى، ورحمه، ورضي عنه"<sup>(١)</sup> وذلك لما فيها من ذكر لشرب الخمر والتهتك<sup>(٢)</sup>.

ومصطلح الصبوحيات نجد أوليته عند شيخ ابن زمرك لسان الدين بن الخطيب، حينما أمره سلطانه النصري بنظم أبيات صبوحية على عادته، وهي قصيدة خمرية<sup>(٣)</sup>:

خذها فقد وضح الصباح ولاحا      والروض يُهدي عَرَفَه النّقاحا  
مازال يكتّم من حديث نسيمه      والآن أمكنه الحديث فباحا  
لما رأى جيش الصباح مشيراً      عمت مضاربه زُبّي وبطاحا  
.. والطيّر يدعو للصّبح مكرراً      فتراه قد نفّض الجناح وصاحا  
حُتّ الكؤوس وهاتنيها قهوةً      تنفي الهموم وتجلّب الأفراحا  
.. وامزج بصرف الراح عذب رُضابها      ما ضرّ أن خلف الحرام مُباحا  
قامت تقول، وفي فتور جفونها      سنّة الكرى: مولاي، عمت صباحا  
فهو يستهل القصيدة بذكر دال الصباح، ويكرره خمس مرات، ويعرض للتحية الصباحية في المتن على لسان قينة السلطان يوسف النصري، وتكاد تكون هذه القصيدة الوحيدة التي وردت عند ابن الخطيب مقدّم لها بمصطلح "الصبوحية"، لأنها استهلّت بمقدمة صبوحية خمرية طويلة، ثم إن الشاعر ابن زمرك اقتفى أثر شيخه

بيد أنه اختط لنفسه مساراً خاصاً، حينما تلقف خيوط الفكرة من شيخه وبنى عليها لوناً شعرياً جديداً مبتكراً، بمسمى صباحي، له أصوله وقواعده البنائية والفنية والأسلوبية، فلا بن الخطيب سبق الفكرة، ولا بن زمرك فضل ابتكار وتطوير فن شعري، اختص به ألا وهو "الصباحيات".

(١) المصدر نفسه: ٥٣٨، وانظر: ص ٤١.

(٢) انظر تعليق المحقق هامش رقم "٦" : ٥٣٨.

(٣) ديوان ابن الخطيب: ١/ ٢٢٢، ٢٢١.

ثم إن هذا التفرد الإبداعي الزمركي في فن الصباحيات، ليؤكد تواتر عدد مهم من قصائد الصباحيات في ديوانه، ما يزيد عن ثلاثين قصيدة ومقطعة، ذات خصائص بنائية وموضوعية وفنية تنهض بها فناً شعرياً قائماً بذاته، وهو من ملامح التجديد الفني والشعري لدى ابن زمرك.

إذن، فالصباحيات والصبوحيات اكتسبا مسمييهما من استهلاليهما، إن مطلع صباحي أو مقدمة صبوحية، وليس بحسب الغرض الشعري.

ويمكن أن نمثل فرق ما بين المصطلحين الشعريين بالرسم الآتي:

الصباحيات = مطلع صباحي + مدح خالص أو ممتزج بغيره + زمن الصباح

الصبوحيات = مقدمة صبوحية خمرية + مدح + زمن الصباح

إننا من خلال تتبعنا لهذا اللون من الشعر، وجدنا علاقة بنائية وفنية ودلالية، تتشكل بين الصباحيات والصبح، سواء كانت افتتاحية بتحية، ابتداء، أو وسطاً، أو خاتمة<sup>(١)</sup>، أو بذكر دال الصباح في الاستهلال أو المتن، ليشع بمدلوله النوراني والنفسي والفني على هذا الشعر.

ولا تكاد قصيدة أو مقطعة تخلو من ذكر دال الصباح في الاستهلال أو المتن، فأضحت كلمة الصباح والمعجم النوراني الدائر في فلكه من نور وشمس وبدر وشعاع وسناً، والهالة والهلل، والشهب والنجوم والضيء والغرة.. أيقونة تتكرر في كثير من موضوعاته الشعرية، خاصة شعر المديح السلطاني.

من ذلك قوله مهناً بخلافة السلطان يوسف الثاني<sup>(٢)</sup>:

(١) ستناول تفصيل هذه المسألة في بحث خاص بالبناء الفني للصبحية.

(٢) الديوان: ٤٦٦. وانظر: ٤٧١.

طلع الهلال وأفقته متهلل  
أوفى على وجه الصباح بغرّة  
شمس الخلافة قد أمدت نوره  
لله منه هلال سعد طالع  
وألخت يا شمس الهداية كوكباً  
والتاج تاج البدر في أفق العلى  
ولئن حوى كل الجمال فإنه  
أطلعت يا بدر السماح هلاله  
يبدو بهالات السروج وإنه  
فغدا دال الصباح لازمة ينضح بها شعره، استفتاحاً ومنتناً، وفي أكثر من موضوع شعري. من ذلك قوله مهنتاً ممدوحه بالإياب من رحلة صيد<sup>(١)</sup>:

يا خير من فضح الصباح بغرّة  
انها بمقدمك السعيد فإنه  
من بشرها أنواره تتوقّد  
لنصر والفتح المبين مجدّد  
وقوله في إخوانية واصفاً رسالة وجهها إليه ابن الخطيب<sup>(٢)</sup>:

طالعتهها دون الصباح صباحاً  
ولقد رأيت وما رأيت كحسنها  
لما جلت غرّ البيان صباحاً  
وجهاً أغرّ ومبسماً وضّاحاً  
عذراء أرضعها البيان ليانه  
وأطال مغدى عندها ومراحاً

وقال في المديح النبوي قصيدة استهلها بذكر صباح الشيب<sup>(٣)</sup>:

(١) الديوان: ٣٠٠، ٣٠١، وانظر: ٤٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣٧٣، وانظر أيضاً: ٣٤٥.

(٣) المصدر نفسه: ٣٧٥.

هذا الصباحُ صباحُ الشيبِ قد وضَّحاً      سرعان ما كان ليلاً فاستنار ضحى  
للدهر لنوان من نورٍ ومن غسقٍ      هذا يعاقب هذا كلما برحا

من خلال ما تقدم يتبين لنا أن المقصود بالصباحيات هي فن شعري موضوعه مدح خالص أو ممتزج بغيره من الموضوعات التي تدور في فلكه؛ كالشكر والتهنئة والوصف. ينشد زمن الصباح، يستهل بمطلع صباحي، ذي تحية ملوكية غالباً، يشع بلفظ الصباح ومدلولاته النورانية والجمالية والزمانية على هذا الشعر ليغدو الصباح تيمة شعرية مدحية، ولازمة فنية، تتكرر في الصباحية.

## المبحث الثاني: دلالات الصباحيات

### ١. الدلالة النورانية

لقد وظف الشاعر دال الصباح، بمدلوله النوراني والإشعاعي، فأضفاه على ممدوحه النصري، فغدا مصدر النور، فالصباح يستمد إشراقه من غرته الصبوحه، وفي هذا يبدو أن وجه الخليفة كان نورانياً بهي الغرة، فوجهه يحيل على الصباح، والصباح يحيل على وجه الخليفة. من ذلك قوله في الغني بالله في مجلس أنس<sup>(١)</sup>:

عَمَّ صباحاً فأنت نورُ الصباحِ      واسرح اللحظَ في الوجوهِ الصباحِ  
واغتنم للسرور يوماً فيوماً      وصل اليُمنَ دائماً بالنجاحِ

فهنا اتكأ الشاعر على التشبيه البليغ، إذ جعل الممدوح أي المشبه عين المشبه به أي نور الصباح، فالخليفة نفسه نور الصباح قد بلغ حالة من الحلول والاتحاد بعلاقة التماهي لا تستطيع بعدها أن تفصل بينهما:

(١) الديوان: ٢٩٩.



## الخليفة النصري نور الصباح

وهذا المعنى النوراني يلح عليه كثيراً، موظفاً في تجليته التشبيه البليغ قليلاً، والتشبيه المقلوب كثيراً؛ فيجعل الصباح مرة يشرق من وجه الخليفة أو محياه، أو غرته، أو جبينه ماحياً بنوره حلقة الدجى<sup>(١)</sup>:

أما وصباحٍ من جبينٍ تبلّجا  
وليلٍ بهيمٍ للغدائر قد سجا  
وبدر محياً أخجلَ البدرَ حسنه  
وقد صدعت أنواره حُلْكَةَ الدجا  
ويختم هذه القصيدة بالمعنى نفسه<sup>(٢)</sup>:  
ويشرق منه يومه بجبينه  
وقد لاح وضّاح الأسارير أبلجا

إن الشاعر ما انفك يجعل للخليفة نوراً يعم الوجود، يشع من وجهه وغرته، في صباحيته التي مطلعها:

هذا الصباح وأنت غرّة وجهه  
واجعل صبوخك والسعود تديره  
في منزل تعلقو القصور قبائمه  
مثل الحباب علت بكأس الراح  
تطلع الخدّام من هالاتها  
مثل النجوم وأنت بدرٌ ليّاح  
مألأوا بشمس الراح بدر زجاجةٍ  
بُجلى على زُهر الوجوه صباح  
داروا عليك وأنت ملء عيونهم  
مثل الفراش تدور بالمصباح  
... لك غرّة ضاء الوجود بنورها  
يا بدر كل هدايةٍ وسمّاح

(١) الديوان: ٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه.

إن هذا النص مجمل بالأنوار، بدءاً بنور غرة الممدوح، التي شبه بها الصباح في تشبيهه في مقلوب مبالغة في شمول إشراق الممدوح وإحاطة نوره بكل ما حوله، حتى لتستحيل معه غرته إلى مصدر للنور ينير بضوئه الوجود، محدثاً انبهاراً ضوئياً يخطف أبصار الحاضرين، وكأنهم فراش ينجذب نحو مصباح ويدور حوله.

وتحت تأثير نورانية الممدوح، يسري نوره، فيغدو شعلة من نور، كلُّ يقتبس منه، فوجهه صباح مشع بالنور، وفرسه ملجم بنور، وسيفه من نور، ورماحه أسنتها من نور، وسرج فرسه يحكي هالة من نور، فالخليفة نور على نور<sup>(١)</sup>:

مُحْيَاكَ بَدْرٌ بِالصَّبَاحِ مَعَمِّمٌ      وَطِرْفُكَ رِيحٌ بِالْكَوَاكِبِ مُلْجِمٌ  
وَشُهْبُ الدِّيَاجِي لِلْعَوَالِي أَسَنَّةٌ      وَسَيْفُكَ بَرَقٌ فِي الْأَعَادِي مَصِمٌ  
وَسَرْجُكَ يَحْكِي هَالَةً فَوْقَ مَرْقَبٍ      وَأَنْتَ بِهِ بَدْرٌ مِنْزِلٌ مَتَمُّ

إن هذه النورانية تيمة مدحية ولازمة شعرية تتكرر في غير ما صباحية، لتغدو معنى شعرياً محورياً، تنداح معه في دائرته جميع المعاني المدحية الأخرى كالشجاعة والكرم وعلو المنزلة.

أَلَا عَمَّ صَبَاحاً أَنْتَ غَرَّةٌ وَجْهَهُ      بِهَا نَشْرُ الْأَنْوَارِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ نَوْرًا وَرَفْعَةً      وَفِي كُلِّ مَغْنَى قَدْ حَلَلْتَ بِأَسْعَدِ  
وَأَهْدَيْتَنِي وَاللَّهِ يَهْدِيكَ نَصْرَهُ      هَدِيَّةٌ بِحَرٍّ لِلْسَمَاحَةِ مُزْبَدِ

إن المتأمل في القيم المدحية التي يحلي بها ابن زمرک ممدوحه لنلفيه يعلي من قيمة النور والإشراق على قيمة الجود والكرم، فتأتي قيمة مدحية أولى، فيما تنزاح قيمة الكرم درجة ثانية، ما يثير الاستغراب والدهشة، ولعل ذلك يرجع إلى علاقته الحميمية بممدوحه الغني بالله، حيث لم يكن يلجئه إلى

(١) الديوان: ١٠٤. بل ويصرح بكونه نوراً على نور، كما في قوله: ٤٦٣: نور على نور بأهني منظرٍ في حسنه المومئيل ما يتأمل.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٢. وانظر: ٢٩٧.

الاستجداء لكثرة إغداق النعم عليه من غير ما مسألة<sup>(١)</sup>. فهو "لم يكن يقل الشعر لغرض التكسب كعادة معظم الشعراء لأنه كان غنياً عن ذلك فاتصاله المبكر بابن الخطيب ثم اتصاله السلطان ابن الأحمر جعل المال متوفراً بين يديه"<sup>(٢)</sup>.

يؤكد ذلك قوله ينعم صباح الغني بالله<sup>(٣)</sup>:

إنعم صباحاً تجلى وهو ذو خجلٍ      لما رأى وجهك الوضاح شمس ضحى  
وغارت السحب من يمينك فانجست      لما رأت بحرها بالجود قد طفحا  
ولعل احتفاء الشاعر بالنور وعزفه على وتره، مراراً وتكراراً يرجع إلى مسحة صوفية لديه<sup>(٤)</sup>  
استقى منها معجمه النوراني، فغدا شعره ينضح بمعاني صوفية.

(١) يؤكد ذلك أنه حينما صرف عن الوزارة بعد وفاة سلطانه الغني بالله، صنع صنيع شعراء العرب في التمدح بالجود والكرم قيمة أولى، وتقديمها على غيرها من معاني المدح. ونكص عن عادته وسيرته الأولى في البدء بصفة النورانية. وهو ما يطالعنا به في قوله مخاطباً السلطان أبا عبد الله متوسلاً بتقديم ذمامه والخدم المتعددة من نظامه:

|                                |                                   |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| أبعطش أولادي وأنست غمامة       | تعمُّ جميع الخلق بالنفع والشُّقيا |
| وتظلم أوقاتي ووجهك تير         | تفيض بما الأنوار للدين والدنيا    |
| وجدك قد سَمَّاكَ رَبِّكَ باسمه | وأورثك الرحمن رتبته العلياً       |
| وقد كان أعطاني الذي أنا سائل   | وسوغني من غير شرط ولا تُنيا       |
| ...وقد أكثر العبد التشكي وإنه  | وحقك يا فخر الملوك قد استحيا      |
| وما الجود إلا ميسر غير أنه     | إذا نفحت يمينك في روحه يحيا       |

انظر الديوان: ٥٣٧. وفي البيت الأخير وردت لفظة "نفحت" هكذا في الديوان، والصواب ما ورد في أزهار الرياض "نفخت". ١٥٩/٢.

(٢) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زمرك: ٤٥.

(٣) المصدر نفسه: ١١٢.

(٤) فقد عرف عنه من سيرته سلوكه طريق التصوف، فكان "متشوقاً مع ذلك السلوك، مصاحباً للصوفية، أخذها المصدر نفسه بارتياض ومجاهدة... واختص بالفقيه المحدث الصدر أبي عبد الله بن مرزوق روى عنه كثيراً"<sup>٤</sup>. الذي توجهه بالعمامة الصوفية بعد أن اتهدى إلى طريق الخطبة ومناهج الصوفية<sup>٤</sup>، وكان ذلك عند تغربه إلى المغرب في دولة السلطان أبي سالم المريني. انظر أزهار الرياض ج٢/ص ١٤ وفي هذا التوزيع يقول ابن زمرك مرتجلاً:

|                 |                  |
|-----------------|------------------|
| توجتني بعمامة   | توجت تاج الكرامة |
| فروض حمدك يُركى | مني بسجع الحمامة |

انظر الديوان: ٤٩١. وللاستزادة انظر: ابن زمرك سيرته وأدبه: ١٦٨.

وكان لهذه النزعة الصوفية أثر في اتجاه صباحياته اتجاهاً نورانياً صوفياً إذ نجد انعكاس القول بأزلية النور المحمدي<sup>(١)</sup> والحقيقة المحمدية<sup>(٢)</sup> في شعره عامة وصباحياته خاصة، وأن هذا السر المحمدي توارثه الإمام النصري عن نبيه مُحمَّد ﷺ، فعدا مصدر النور الوجودي الذي ينبلج من غرته ومحياه كما مر سلفاً، وأنه مصدر نور لكل جسم مشع كالشمس تقتبس منه نورها، ليتوج هذا الوصف النوراني يجعله نوراً على نور كما في قوله<sup>(٣)</sup>:

تجلو لنا الأكوان منك محاسناً      تُروى على مرّ الزمان وتنقل  
فالشمسُ تأخذ من جبينك نورها      والبشرُ منك بوجهها متهلل  
... وجهٌ كما حسر الصباح نقابه      لضيائه تعشو البدر الكُمَّل  
... نورٌ على نورٍ بأبهى منظرٍ      في حسنه لمؤمل ما يأمل

ومن تجليات النور المحمدي على صباحياته، فكرة التجسد النوراني، وفي هذا يقول ابن زمرک في إحدى محمساته، يبين فيها تجسد النور المحمدي في إمامه النصري<sup>(٤)</sup>:

أرقت لبرق مثل جفني ساهرا      ينظم من قطر الغمام جواهرها  
فأضحك زهر الروض منه أزاهرا      وصبح حكى وجه الخليفة باهرا

### تجسم من نور الهدى وتجسدا

(١) حيث يقول في إحدى المولديات: وأنت لهذا الكون علة كونه ولولاك ما امتاز الوجود بأكوان

ولولاك للأفلاك لم تجلّ نيرا ولا قلّدت لباتحّ بشهبان

انظر الديوان: ٤٩٦. وللاستزادة من شعره الصوفي انظر قصيدته: ٥٠٦ وما بعدها.

(٢) الحقيقة المحمدية: قبل أن يخلق آدم كان قد خلق أول ما خلق النور المحمدي، نور الوجود الأزلي (ومن هنا كان النبي حيا وسبقي برغم موته الجسدي) وأن هذا النور قد تنقل من زمن إلى زمن، فظهر في صورة آدم، فنوح فأبراهيم فموسى فعيسى... إلى أن ظهر في صورة مُحمَّد، ثم في صورة علي بن أبي طالب، والأئمة من بعده. انظر: بردة البوصيري. قراءة أدبية وفولكلورية: هامش ١٥: ٨١. وانظر أيضاً: "فصول في الشعر ونقده: ٢٣٠

(٣) الديوان: ٤٦٢، ٤٦٣.

(٤) الديوان: ٣٩٢. ٣٩٣. وانظره يصرح بذلك في قوله في إحدى قصائده الوصفية: ٨٢.

سنَدُ أئمته صفاتٌ خليفَةٌ جمع الجلالة والبسالة والسماخ

المُتَّفِقِي من نور مَبْعَثِ الْهُدَى والمجتبي من عنصر المجد الصُّرَاخ

وهذه الدلالة النورانية تجاوزت شعر الصباحيات لتشمل شعر ابن زمرك عامة<sup>(١)</sup>.

## ٢. الدلالة الجمالية:

لا نبعد النجعة إن قلنا بأن الصباحية الشعرية إنما هي صباحية جمالية في أبهى صورها الإنسانية والإبداعية، في تجسيد الصورة المثلى العالية والنموذج المشرق في الجمال المطلق، الذي يتمثل في الإمام النصري، فإذا به يفيض بجماله وكماله على الوجود كله الذي يستمد منه جماله الطبيعي، حيث النور والبهاء، وهنا نجد الشاعر في غير ما صباحية، بل في شعره المدحي مغرماً بجمال سيده حد التقديس، فهو معنى الجمال وسره، وله المحاسن والجمال المطلق<sup>(٢)</sup>.

والشاعر ما انفك يتغنى بجمال وجه الخليفة النصري وبهاء غرته كثيراً، والتمدح بهذه الصفة وإن كانت جسمانية فإن "الوجه الجميل يزيد في الهيبة، ويتمن به، ويدل على الخصال الحمودة"<sup>(٣)</sup>، واتصاف أمراء بني نصر بالجمال وصباحة وجوههم أمر تظاهرت عليه نصوص تاريخية<sup>(٤)</sup> وشعرية<sup>(٥)</sup>.

(١) نظر الديوان: ٢٦٢، ١٠٥، ١٠٦، ١١٢، ٢٤٥.

(٢) يقول في ذلك: ٢٦٢.

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| لك في الكمال مظاهرٌ لا تلحق   | فيكل شأؤٍ للمكارم تسبق      |
| مولاي يا معنى الجمال وسره     | والكون ألسنه بفضلك تنطق     |
| في كل عين من جمالك قُسرّة     | وبكل قلبٍ للتجلي مشرق       |
| ولك السماحة والملاحاة كلُّها  | ولك المحاسن والجمال المطلق  |
| يُثَمَّت الصبايحُ بغيرِ وصاحٍ | فالكل عن ذاك الصَّبُوح يرقى |
| كم رحمة لك في القلوب وهيبة    | فيها الجمال مع الجلال موقى  |
| لا قلبٍ إلا فيه منك صباية     | لا طرفٍ إلا من حيايك يطرف   |

(٣) سر الفصاحة: ٢٦٦.

(٤) من ذلك وصف ابن الخطيب السلطان محمد بن يوسف الغني بالله بأنه "مشمتم على خلال وأوصاف قل أن تجتمع في سواه من حسن الصورة واعتدال الخلق، والعراقة في الخيز وسلامة الصدر وصحة العقد وشمول الطهارة". وقال عنه أيضاً: "سافر عن وسامة يكتنفها جلباب حياء وحشمة". انظر: اللوحة البدرية في

الدولة النصرية: ١١٣. وانظر أيضاً: ٩٠، ١٢٦، ١٠٢.

(٥) مدح الشاعر ابن زمرك آل نصر وأمراءهم بأن وجوههم صبيحة.

من ذلك قوله (١):

نعمت صباحاً ومن للصباح      بوجهك أبعى الوجوه الصّباح  
فقد كان وجهك من قبله      ينير الـدياجي بـبدرٍ ليّاح

فهنا يتكئ على أسلوب التفضيل "أبعى للدلالة على أن حسن وجمال وجهه وبهاء طلعتة وغرته يفوق كل وجه صبيح، وهو أسلوب يتكرر في غير ما صباحية، من ذلك قوله (٢):

محيّاك من شمس الظهيرة أجملُ      وأنت من البدر المكمل أكملُ  
وما راق وجه الصبح إلا لأنه      رأى منك وجهاً بشره يتهللُ  
فأنعم ربي فيه صبحك بالرضا      وأعطاك فيه كل ما أنت تأملُ  
وقوله (٣):

لك غرّة ودّ الصباح جمالها      ومحاسنٌ تهوى البدرُ كمالها  
وشمائلٌ تحكى الرياضُ خلالها      وأناملٌ تُزجي الأنامُ خلالها

فهذه الافتتاحيات تنضح بما يمكن أن نسميه صباحية غزلية، وأي شيء أشد أثراً في النفوس من رؤية الوجوه الحسان الصباح! إن هذه الصورة الصباحية التي تتجسد في صباحة وجه الممدوح ليرتقي بها الشاعر لدرجة أن يخفت نور الصباح إزاءها، وهذا من المبالغة. ذلك "أن أمداح الخلفاء يجب أن تكون نمطاً واحداً يُنحى بأوصافها أبداً نحو الإفراط" (٤) وهنا، يتبدى الصباح في موقف الشغوف المتطلع للاقتباس من حسنه وجماله ووضاءته وبهائه، وتشرق النصوص بأفعال مثل: ودّ، راق،

(١) الديوان: ٧٣.

(٢) المصدر نفسه: ٨٦.

(٣) المصدر نفسه: ٤٧٤.

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٧١.

ذو خجل<sup>(١)</sup>، وغار<sup>(٢)</sup>، وغير ذلك من إظهار الصباح عجزه عن اللحاق بجمال الممدوح، ولنا أن نتأمل في هذه الصورة التي عقدها في هذا الاستعراض الجمالي<sup>(٣)</sup> :

ووجهك - زاد الله وجهك نضرةً - تُغير به تاج البدرِ العمائم  
فلو رام وجهُ الصبحِ شبهَ جماله حكمنا بأنَّ الصبحِ في الأفقِ نائمٌ  
.. وعمتَ صباحاً أنتَ ناصرٌ دينه وكافله والله كافي وراحمٌ  
والشاعر يتكئ على التشخيص في تشبيه الصبح بالإنسان إذ جعل له وجهاً، وهو يحاول عبثاً أن يضاهي شبه جمال الممدوح، فما يلبث أن يرجع بخفي حنين، وتبرز هنا صورة للصبح فيها من الإدهاش، فلم يعد هذا الصبح طبيعياً كما نعهده، بل بدا لنا في صورة إنسان نائم يغط غطيظاً، على سرير الأفق، وهذه الاستعارة أتت فعاليتها في تجلية الدلالة الجمالية للممدوح، في إسناد وصف النوم "نائم" لكائن حي من إنسان وغيره، أدخل الصبح في عالم بني الإنسان، فهذا الصبح الطبيعي قد تخلق بهذه العلاقات الإنسانية ليغدو "صبحاً شعرياً"<sup>(٤)</sup>؛ ليرشحه لخوض مضمار المنافسة مع الممدوح البشري، فيتمنى مضاهاة جماله، لكن هيهات، ذلكم أن النائم غالباً ما يذهب رونق وجهه وبهاء طلعه، فيسلب الشاعر من الصبح النائم إشراقه، ليستفرد الممدوح بحظوة الإشراق وجمال الغرة والطلعة والظلة.

وفي هذه الصورة الشعرية التي تظهر استحالة حصول الصبح على جمال يقارب جمال الممدوح، وظف حرف الشرط "لو" الذي خرج إلى معنى التمني وهو أسلوب إنشائي، والغرض البلاغي منه "هو

(١) الديوان: ١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ٧٠.

(٣) المصدر نفسه: ٧٩.

(٤) الجملة في الشعر العربي: ١١

الإشعار بعزة المتمنى وندرته، لأن المتكلم يظهره في صورة الممنوع، إذ أن لو تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط<sup>(١)</sup>.

إن الصباح في أبعاده الجمالية ليحيل الصباحية إلى قطعة من جمال، تشع بأفعال الحسن وأوصاف الأبهة، فهو بمثابة ريشة فنية يرسم بها الشاعر الأشياء، ويلونها بنوره وإشراقه وجماله، وبعد أن رأينا كيف شكل الصباح معادلاً موضوعياً لجمال سيده، لكن بطريقة عكسية، فإذا كان الصباح آية الجمال الكوني نوراً وإشراقاً، فإن ممدوحه قد فاقه وصفاً وصفة.

وهكذا نجد الشاعر يوظف إيجاءات الصباح وتداعياته الجمالية على كل ما يتعلق بمخدومه، وكأن جماله المستقى من سنى الصباح ووضاءته يسري إلى كل ما يمت إليه بصلة، كوصف رقاع مخدومه وخطه<sup>(٢)</sup>، وهداياه وتحفه<sup>(٣)</sup>، ودروعه ومختمه<sup>(٤)</sup>.

فمن صباحياته الوصفية بريشة الجمال قوله يصف إحدى رقاع سيده<sup>(٥)</sup> :

وتحفة طرسٍ أتني عشاءً      فقابلتُ منها مُحَيَّا الصباح  
سكرتُ عليها بكاس الحديث      وما مُدَّ فيها إلى الراح راحي  
وقد واصلت لي من ظرفها      زمان اغتباقي بوقت اصطباحي  
ونزّهتُ طرقي في روضها      وغازلتُ منها عيون الملاح

نلاحظ توظيف الصباح بدلالته الجمالية ليسبغها على رقعة الخليفة فتستحيل تحفة رغم أنها أتته عشاء، وكأن الصباح بجمال محياه وحسن طلته أصبح مقياساً للجمال يتمثل به فإذا ما رأى منظراً

(١) علم المعاني: ١١٣.

(٢) الديوان: ١٠٣، ٧٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٢، ١١٥، وانظر: ٢٤٦.

(٤) المصدر نفسه: ٣٢٣، ٣٢٢.

(٥) المصدر نفسه: ٧٤.



حسناً بعبارة ذكّره هذا المنظر بجمال الصباح وإن كان بالليل. وهذه الدلالة الجمالية نجدها أيضاً في وصف رقعة ابن الخطيب<sup>(١)</sup>.

إن الدلالات الجمالية لتمتد إلى ما ظاهره غير الحسن، فيسبغ عليه من نفثات الصباح وفيوضات روح الإمام النصري عليه، وهو ما نطالعه في وصف دروعه الحديدية وعدده الحربية، فبدت لنا ذات حسن وجمال أخذ<sup>(٢)</sup>:

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| وانعم بصبح بشره متهلل      | اهناً بيوم البشائر يقبل      |
| للنصر والفتح المبين مجد    | اهناً بمقدمك السعيد فإنه     |
| بجمالها يتمثل المتمثل      | ..أبدت من عدد السلاح ذخائراً |
| أبدى بدائعها الإمام المفضل | مؤشية الأعطاف رائقة الخلى    |
| وبطيتها بيض الصفائح تصقل   | لبست مفاضة عسجد من فوقها     |
| فترى الوجوه بصفحةا تتمثل   | وبعضها مرآة هند أثبتت        |
| فزهت بيدر بالنجوم يكلل     | قد صفت من فوقهن كواكب        |
| أن الحديد على الجسم يفصل   | ما كنت أحسب قبل رؤية حسنهما  |
| قد فصلت من فوق ما يتخيّل   | حتى رأيت من الحديد مجاسداً   |
| نصر الذي يؤتي الفتوح ويجزل | هنّ الجسم وروحهنّ خفيفة      |
| لكن من الله الوقاية أجمل   | قد أجملت فيها المحاسن كلها   |

إن ما يثير الغرابة هنا إضفاء صفات الجمال والحسن على عدد السلاح من دروع ومجاسد وصفائح وهي من حديد، حيث الصلابة والقوة والثقل، ثم هي تكون كأحسن ما يلبس، وألين ما

(١) انظر: ٣٢ من البحث.

(٢) الديوان: ٣٢٣، ٣٢٢.

يتحرك ويتعطف، فجمع بين الخشونة والليونة، إذ غدت قمصاناً ومجاسد غاية في الجمال والحسن، لكن من حديد، موشية ومزخرفة ببديع الألوان من أبيض وفضي وأصفر وذهبي، بلغت من الشفافية والصفالة، وكأنها مرآة هند، رائقة الحلى، وكأننا أمام عروس حسناء تزينت بأبهى الحلل والحلى.

واختياره للفظة الإمام دون الخليفة أو السلطان أو الملك، للدلالة على قدسيته الدينية، ما يفسر سر جمالها الأخاذ إذ أخذت من روح الإمام النصري الإشراق والبهاء والجمال، فإذا بجسومها الثقيلة تتحول إلى خفيفة بفعل نفثات روحانية للإمام النصري. ويعبر عن هذه الدلالة الجمالية معجم جمالي: بجمالها يتمثل المتمثل، رائقة الحلى، بدائعها، حسنها، المحاسن، أجمل، فوق ما يتخيل.

### ٣. الدلالة الزمانية:

إن هذه الصباحيات استمدت وصفها وكيئوتها من الصباح زمنياً، ومقوماً فنياً، وما افتتاحها بالتحية الصباحية التي تستهل بذكر الصباح والتحية به إلا خير دليل على ارتباط الصباحية الشعرية بالصباحية الزمنية؛ وهذا ما نطالعه في غير ما تقديم لها، من مثل قول الجامع: "أنشده صبيحة يوم، شاكراً"، "وقال يصاحبه رحمة الله عليه بالتحية"، "وقال أيضاً من تحيات الصباح.."، لذلك فإن الصباح يمثل زمن الإنتاج الشعري.

إن للصباح فترات زمنية، تمتد من نصف الليل الآخر إلى الزوال، لهذا نجد حضوراً زمنياً لجميع ساعات الصباح كالسحر، والصبح، والصباح، والإصباح، والبكور، والضحى، والظهيرة، وهذه أزمنة طبيعية، كما أنه يستدعي أزمنة رديفة له كالعشاء والليل والليلة الليلاء، والنهار، واليوم والأمس، والساعة والشهر، زمان الاعتباق، وقت الاصطباح، وكذا مطلق الزمن كالدهر، والزمن، إضافة إلى الزمن النفسي أو الشعري الذي يأتي طيَّ الصباحية، فيتلبس بدلالات قطبي التحية الصباحية، كزمان السعود، ويوم أنس، الدهر المبتسم، الزمان المبتهج.

إن ذلكم الزمن الشعري لتنازعه دلالات جزئية، فالصباح زمن التفاؤل، وزمن البشائر والسعود، وزمن اليمن والبركة<sup>(١)</sup> وزمن اللذة والانتشاء<sup>(٢)</sup>، وزمن النصر، وزمن بثّ الحياة وتجدها.

يبدو أن للشاعر قصة نفسية مع الصباح، يحتفي به ويهيم به عشقاً، من أول طلعتة، يترقبه كما يترقب الحبيب قدوم حبيبه، وتكتمل النشوة أوجها عند بزوغ فجر الصبح، وتباشيره، فالشاعر يطالعنا في إحدى صباحياته الخمرية، في زمن السحر، وهو يحث صاحبيه أن يشاركاه هذا الترقب، موظفاً بعض أساليب الإنشاء من نداء، "يا نديمي" وأفعال الأمر "قربا وارقباً، بما فيهما من جناس معكوس، خلقاً نوعاً من الإيقاع الموسيقي احتفاء واستعداداً بمقدم الصباح، طالباً منهما أن ييمما وجهيهما تلقاء الشرق، "عله شمعة الصبح أسرج". وهنا، شبه الشاعر الصبح في أول تباشيره بالشمعة بلونها وشعاعها الأبيض المشرب بحمرة، وهنا، ندرك سبب هذه اللفظة والترقب والعشق للصباح، إذ أنه زمن بث الحياة وتجدها في الكون والطبيعة والرياض، فإذا بنواويرها وأزهارها كالسوسن والبنفسج والأفحوان تصحو من نومها، وتفتتح، فتكشف عن جمالها وبهائها، وقد عبر عن هذا البعث والإحياء المتجدد كل صباح بلفظي: "أطلع" و"استرد" اللذين يجعلان على معاني البعث والإحياء، واسترداد الروح، التي نفث الصباح فيها من روحه وإشراقه، وهذا الفضاء المكاني الطبيعي الذي يمثله الروض بما فيه من رياحين وأزهار ما كان ليتخلق ويحسن ويجميل إلا في ظل زمن الصباح. كما يقترن بمحبوب النسيم المدرج بأريج الروض ونفحاته، ولولا الصباح ما استطاعت الأشجار الضخمة أن ترسل ظلها سحسجا، وهو كذلك يعشق الصباح لما فيه من مجالس أنس وسرور، وخمر تفرج الهم حد تعبيره، فزمن الصباح أصل جمال الكون ومبعث تجدد الحياة<sup>(٣)</sup>:

(١) الديوان: ٧٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢٧٧، ٢٧٨.

يانديمي سُـحرةً      قـرِّبا الكاسَ وامرُجا  
 وارقبـا الشـرق علّـه      شمعة الصبح أسرجا  
 أطلع الصبح سوسناً      واسـتردّ البنفسـجا  
 وأقاحـاً حـسبته      كأن ثغراً مفلجـا  
 شارب الخمر إنهما      تشرب العقل والحجا  
 فاترك العقل جانباً      وترى الهـم أفرجا  
 يا نسيماً مدرجاً      نفحة الـروض أرجـا  
 قل لـبانـاتٍ لعلّـع      ترسل الظلّ سجسجا  
 فوق ظبي مهفهفٍ      أكحل الطرف أدعجا  
 فضح الغصن قدّه      في كـثيبٍ ترجـجا  
 وجلا صبح غرة      تطلع الصبح أبلجا

والنص كما يبدو يجلبه معجم زمني يتمثل في ذكر ألفاظ: سُحرة المنسوب على الظرفية الزمانية، وتكرار لفظ الصبح أربع مرات، ولفظ "صباح آخر القصيدة، تعميقاً للدلالة الزمنية المهيمنة على النص.

كما يهيم الشاعر بالصباح كونه زمناً للعب من اللذة والمتعة، والانتشاء من خمرة الصبوح، إذ يمثل إطاراً زمنياً لفضاء مكاني يقضي فيه ساعات الأنس واللهو سواء كانت في مجلس أنس أو نزهة طردية بين أحضان الطبيعة، وهنا يجتمع الزمان بالمكان ليؤثثا جو الصباحية الممتع. وبذلك يعد الصباح زمناً مثالياً لاغتنام اللذة واقتناص السرور. من ذلك قوله في وصف مجلس أنس<sup>(١)</sup>:

(١) الديوان: ٢٩٩، ٣٠٠.

عم صباحاً فأنت نورُ الصباح  
واغتنم للسرور يوماً فيوماً  
واجتلِ الشمسَ من سماءِ زجاجٍ  
ما جلاءِ النفوسِ في يومِ أنسٍ  
من مدير يزهى بوردِ حدودٍ  
واقتنص في القصور كل مهابةٍ  
لاعباتٍ بكل قَدِّ رطيبٍ  
واقتنص في القفار كل غزالٍ  
يرجع اللحظ عن سقيم جفونٍ  
واسرح اللحظ في الوجوه الصباح  
وصل اليمن دائماً بالنجاح  
تجلبُ الأنس من جميع النواحي  
غير راح تجلى على أفقِ راح  
فوق ثغر يزهى بنور الأقاح  
فاتنات اللحاظ خودِ رداح  
لعب الغصن في مهبِّ الرياح  
بابلي اللحاظ عذب المزاح  
تنفث السحر في القلوب

يمثل زمن الصباح هنا رمزاً للذة والمتعة والانتشاء، لما تعقد فيه من مجالس الأنس واللهو، فالشاعر يدعو إلى اغتنام كل لحظاته سعادة وأنساً، بشرب الخمر، والتلذذ بجمال النساء والجواري، موظفاً أفعال "اغتنم" و "اقتنص" مرتين، وكأن الزمان يشكل هاجساً لدى الشاعر، لهذا نجد يكرر الدعوة إلى اغتنام واقتنص لحظات المتعة يومياً قبل تجهم الزمان، وهو ما نجده في قوله: "واغتنم للسرور يوماً فيوماً.. وصل" بما فيها من دعوة لاستغلال أمثل للزمن كله متواصلاً في اللذة دون انقطاع، بما أفادته الفاء من تعقيب وتوالٍ، يعززه الأمر بوصل الزمان. وهنا يتحول الصباح زمناً مخصوصاً إلى مطلق الزمان. وهذا الأمر غير خاص بابن زمرك، بل يشكل ظاهرة نفسية عامة لدى الأندلسيين، فهم كانوا يعيشون في نعيم مادي وأجواء سحرية حاملة، تتمثل في الحياة اللاهية وأجواء الطرب وجانب الطبيعة الأندلسية برياضها وأزهارها ومنتزهاتها، ومجالس الأنس والشراب والغلمان والجواري، "ذلكم النعيم كان يقابله على المستوى الخارجي الفتن والتقلبات المذهلة مما جعل الشاعر الأندلسي يطلق الدعوات المكررة إلى اللهو، واغتنام الفرصة قبل فوات الأوان، دعوات إلى اختلاس لحظات المتعة قبل تجهم الدهر" (١).

(١) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : ٥١.

كما يمثل الصباح زمن الفأل الحسن، فالشاعر يتيمن به، فلطالما رآه حاملاً للبشائر والسعود والفتوح والأعياد والنصر<sup>(١)</sup>؛ لهذا كان يفتتح به إبداعه الشعري. من مثل قوله<sup>(٢)</sup>:

بُشِرَى عَلَى صَفْحَةِ الْإِصْبَاحِ تَرْتَسِمُ      لَذَلِكَ يَصْبِحُ ثَعْرُ الثَّغْرِ يَبْتَسِمُ  
جَاءَتْ تَبْشُرُ الْإِقْبَالِ مَمْلُوكَةٌ      بَعِزَّةُ اللَّهِ فِي الْأَمْلاكِ تَحْتَكُمُ  
وَأَفْتِ تَخْبِرُ أَنَّ الْعِيدَ عَائِدُهُ      بِالسَّعْدِ يَبْدَأُ وَالْإِسْعَادُ يُجْتَمِعُهُ

ما كان لهذا المطلع أن يتوهج فقط بلفظة بشرى، لولا ارتسامها على وجه الصباح، وهنا يغدو الصباح زمناً شعرياً من خلال الاتكاء على تشخيص الصباح، والثغر، فإذا بالصباح إنسان ترتسم على ملامح وجهه بشرى غامرة، فسرت، سنا ابتسامته لتغمر ثغر البلد، فيشخصه بإنسان مبتسم، يبادله الابتسامة بمثلها تجاوباً شعرياً، وفي هذا التوظيف المجازي للغة، تخلقت كائنات لغوية جديدة، بدلالة جديدة، فيتلبس زمن الصباح بالابتسام والسرور. ويعزز هذه الدلالة الشعرية للزمن توظيفه للصباح مصدراً وفعلاً "الإصباح، يصبح". أما المصدر فيدل على أن هذه البشرية أضحت صفة ثابتة وقارة بالصباح، وأما الفعل "يصبح" فيدل على حدوث وتجدد الابتسامة التي هي علامة البشرية زمن الصباح، ويعد اختياره للفعل "يصبح" دون "يكون" أو "يغدو" مثلاً، اختياراً أسلوبياً، (ليظهر بلفظه وزمنه حدوث فعل الابتسام صباحاً) أراد به الجمع بين معنيين: تجدد البشرية، ومعنى تكوّن الابتسام. وتتناغم مع هذه الدلالة الزمانية الفرائحية أفعال مضارعة: ترتسم، يبتسم، تبشّر، تخبر، يبدأ، يجتتم، مما يدل على تجدد البشرية على المملكة النصرية.

(١) انظر: لديوان: ٦٤، ٧٢، ٧١. وانظر: ٧٨، ١١٤، ١١٨، ١٢٠، ٣٠٠، ٣٠٠، ٤٥٠، ٣٢٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٨ وانظر: ٤٦٢.

### المبحث الثالث: البناء الفني للصباحيات:

إن نمط شعر الصباحيات يتميز ببناء هيكلية خاص، فمنه ما يأتي على شكل مقطعات وهو الأقل، بيد أن الصباحية تأتي غالباً قصيدة مكتملة الأركان، والقصيدة بحسب التحديد النقدي هي ما بلغت سبعة أبيات أو عشرة فأكثر<sup>(١)</sup>. وإن كان موضوع الصباحية الرئيس المدح السلطاني، فإنها غالباً ما يمزج فيها بين المدح وأغراض أخرى، وهي بهذا قصيدة مركبة كما يقول حازم القرطاجني "والقصائد منها بسيطة الأغراض، ومنها مركبة، والبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحا صرفا أو رثاء صرفا، والمركبة هي التي يشتمل الكلام على غرضين، مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح، وهذا أشد موافقة للنفوس الصحيحة الأذواق"<sup>(٢)</sup>، فتأتي صباحية مدحية في مليكه وفي وصف كل ما يتعلق به كوصف ركابه، ووصف قصره، ووصف دروعه، ووصف رقعة بخط يده، ووصف هداياه وشكر إنعامه وهو كثير، أو وصف مجلس أنس انتظم بشمله، أو وصف نزهة طردية، أو مدحية مع تهنئة بعيد أو بنصر أو إبلال من مرض، ونادراً ما تأتي صباحية يمتزج فيها المدح النبوي بالسلطاني، أو تكون مدحية إخوانية. وقلما تأتي الصباحية مدحاً خالصاً<sup>(٣)</sup>.

لقد وجدنا علاقة بنائية ودلالية وفنية، تتشكل بين الصباحيات والصبح، سواء وردت التحية الصباحية أو دال الصبح مطلعاً، أو وسطاً، أو خاتمة.

### المطلع الصباحي:

قبل الخوض في ماهية عنصر افتتاح الصباحية، يجدر بنا أن نقف وقفة عند مصطلحين نقديين يتنازعهما موقع أول القصيدة ومبتدأها، وهما المطلع والمقدمة، وما الفرق بينهما؟ لقد أضحي من

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٥٨/١.

(٢) منهاج البلغاء: ٣٠٣.

(٣) الديوان: ٧٨، ص ١٠٤، ص ٢٤٠، ص ٤٥٠.

المتعارف عليه بين الدارسين المحدثين "أن المطلع تقصد به الدلالة على البيت الأول من القصيدة، وأن المقدمة تقصد بها الدلالة على كل العناصر السابقة للموضوع"<sup>(١)</sup>، أي موضوع القصيدة. فيما ضبط الدكتور حفني دلالة المطلع بدقة بأنه "العنصر الأول من القصيدة وينطبع غالباً على البيت الأول وما له ارتباط به من حيث الدلالة"<sup>(٢)</sup>، ومعنى ذلك أن للمطلع ظلالاً تمتد إلى ما بعده من أبيات، لاسيما البيت الذي يتلوه وأن هذه الامتدادات تتفاوت قوتها ووضوحها تبعاً لقرب البيت من المطلع وبعده عنه<sup>(٣)</sup>.

لقد تنوعت مقدمات القصيدة العربية ما بين مقدمات طللية وغلزية، وهي مقدمات أساسية، وأخرى ثانوية كالبكاء على الشباب ووصف الطيف<sup>(٤)</sup>، ثم استحدثت مقدمات جديدة بحسب تطور العصر، إذ وجدنا مقدمات خمرية وطبيعية وبحرية وحجازية وغيرها. ويبدو أن المقدمات الغلزية تربعت على باقي أنواع المقدمات التي استهلّت بها قصائد المديح في الشعر الأندلسي، حتى غدت ظاهرة شائعة في أشعار الأندلسيين بصفة عامة<sup>(٥)</sup>، بمن فيهم ابن زمرك، فكانت أكثر مقدماته ما بين غلزية<sup>(٦)</sup> وصباحية، وإن لم نعدم وجود مقدمة طللية<sup>(٧)</sup> ومقدمة رباعية<sup>(٨)</sup>، ومقدمة حجازية، ومقدمة صبوحية<sup>(٩)</sup>.

ولا شك أن المطلع الصباحي يمثل بحق إضافة جديدة ونقله نوعية في مطالع القصيدة العربية وخاصة الأندلسية، اختص بابتكارها شاعرنا ابن زمرك.

(١) مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية: ١٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) شعرية المطلع في القصيدة العباسية: ٨٦.

(٤) ينظر: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي: ٧١ إلى ص ١٠٧.

(٥) مقدمة القصيدة في شعر ابن الأبار القضاعي بين النمطية والتنوع: ٧٦. وانظر أيضاً: قصيدة المديح الأندلسي، دراسة تحليلية: ٢٥. ؛ قصيدة المديح في الأندلس قضاياها الموضوعية والفنية "عصر الطوائف": ١١٩.

(٦) ديوان ابن زمرك: ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٦، ٢٨٦.

(٧) المصدر نفسه: ٤٥٨.

(٨) المصدر نفسه: ٢٥٠.

(٩) المصدر نفسه: ٥٣٨، ٥٤١.



وهو يأتي على نمطين: الاستهلال بالتحية الصباحية وهو الكثرة الكاثرة لدرجة أن التحية كانت بمثابة قيد في إطلاق التسمية بالصباحية لدى الجامع أو ابن زمرك، والنمط الثاني، الاستهلال بدال الصباح.

**النمط الأول: الاستهلال بالتحية الصباحية:** إن الشاعر كان له منزع فني في بداءة قصائد ومقطوعات صباحياته بمطالع صباحية، تتضمن التحية بالصباح بصيغ متعددة، نحو قوله "إنعم صباحاً" وهي الصيغة الأكثر دوراناً، إذ تواتر ذكرها (١٥) مرة، بعدها "إنعم صباحاً" (٦) مرات، ثم "نعمت صباحاً" (٣) مرات، ثم "إنعم صباحاً" مرة واحدة، كما وردت التحية بصيغ أخرى منها: "أنعم ربي صباحك" (١) و "أنعم الله صباحك" (٢) و "وانعم بصبح" (٣) و "عليك تحية" (٤).

ونجد أن صيغة "إنعم صباحاً" أكثرها استعمالاً، رغم كونها تحية جاهلية، لأمرين: أولهما، أنها تحية ملوكية، فاخصت بها مليكه لما لها من دلالة الدعاء له بالملك والبقاء والسلامة من الآفات، وثانيهما، للغنى الدلالي اللفظي "أنعم" و "صباحاً"، من الدعاء لمليكه بكثرة النعيم والخير والترفه ونعومة العيش، والمال والأهل، والمسرة والفرح، ولما تحيل عليه كلمة "صباحاً" من دلالة زمنية، ودلالة نورانية، ودلالة جمالية مسخرة لمدح مليكه. فأضحت "أنعم صباحاً" قطباً محورياً أو مركزياً تستقطب جل معاني الإنعام والصباح، بما تحويانه من تداعيات وانزياحات دلالية (٥).

إن الغنى الدلالي لـ "أنعم صباحاً" - وكونها مطبوعة سهلة، يلج منها إلى المدح مباشرة دون احتياج إلى اختلاق وسيلة لحسن التخلص - رشحها لأن تكون مطلعاً ينضح ببراعة الاستهلال، فنلفيها تناسب بمدلولاتها المتعددة موضوعات الصباحيات المفتوحة بها، فإن كان الموضوع في التهاني والبشائر

(١) الديوان: ٨٦. ذكرت مرة واحدة.

(٢) المصدر نفسه: ٢٤٠. ذكرت مرة واحدة

(٣) المصدر نفسه: ٣٢٣.

(٤) المصدر نفسه: ٣٤٥.

(٥) سنتناول هذه الدلالات في المبحث الخاص بها.

والفتوحات والأعياد والإبلال من المرض والشكر على الهدايا والنعم، يترجح قطب "أنعم" بإيجاءاته الغنية بالفرح والسرور والنعيم والدعة والرفاهية ورغد العيش ولينه وهنائه، وإن كان الموضوع في الوصف سواء أكان وصف مجالس الأُنس والطرديات أم وصف الهدية أم وصف الرسالة أم المدح، فإنه يترجح قطب "الصباح" بدلالاته وإيجاءاته النورانية والجمالية والزمانية.

ومن مطالعه الصباحية المفتحة بالتحية الصباحية يستأذن فيها الخليفة في السفر إلى تفقد أملاكه ثاني عيد<sup>(١)</sup>:

|   |   |
|---|---|
| أَيُّمُهُ كُلُّهَا عَيْدٌ وَأَفْرَاحٌ           | إِنْعَمُ صَبَاحاً بِثَانِي الْعِيدِ يَامَلِكاً      |
| بِمَا تَنْعَمُ أَجْسَادٌ وَأَرْوَاحٌ            | قَضَيْتَ بِالْأَمْسِ مَا قَضَيْتَ مِنْ سُنَنِ       |
| فِي وَجْهِهِ غَرَّرٌ تَبْدُو وَأَوْضَاحٌ        | هَذَا زَمَانٌ سَعُودٍ لَا انْقِضَاءَ لَهُ           |
| وَالرَّاحُ تُجَلَى عُرُوساً فَوْقَهَا الرَّاحُ  | فَاسْتَقْبَلِ الدَّهْرَ بِالرَّاحَاتِ فِي دَعَا     |
| بِالْجِسْمِ وَالْقَلْبِ فِي مَثْوَاكَ يَرْتَاحُ | .. وَالْعَبْدُ يَسْتَأْذِنُ الْمَوْلَى عَلَى سَفَرٍ |
| تَطَيَّبُ الدَّهْرَ فِي عَلِيَّاهُ أَمْدَاخُ    | بَقِيَتْ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا إِمَامٌ هَدَى       |

أتت هذه الافتتاحية متناغمة في دلالتها مع جو القصيدة حيث العيد، فتكتسي دلالة جديدة تمتح من أجواء العيد الطرية الفرحة المرححة، حيث السرور والتوسع في الملذات من أكل وشرب ونزه ومجالس لهو وانس واجتماع الأهل والأحباب، وهو ما نطالعه في بنية القصيدة من تناوله للحديث عن الصبوح ووصف الخمرة ومجالسها تعميقاً لجو الفرحة والمتعة والسرور.

وهنا يحضر المعجم المشحون بدلالات المسرة والخبور والنعيم: أفرح، تنعم، السعود، الراحة، دعة، وحتى لفظة الراح التي اختارها الشاعر هنا من بين أسماء الخمرة الكثيرة "كان اختياراً نفسياً

(١) الديوان: ٦٤.

للدلالة على ارتياح عام لهذا الجو المنطلق<sup>(١)</sup>، وقد تكررت أربع مرات، بمعنيين مختلفين من باب الجنس التام، الخمر والكف، وهذا التكرار ليس اعتباطاً وإنما ليتساق مع الجو العام المرح.

ولعل لفظه "انعم" بصيغتها الدعائية هنا تغذي هذا الجو بدلالاتها المتعددة من الإنعام ورجد العيش والفرح والسرور، ومن هنا جاء التوظيف الفني لهذه الافتتاحية بما يجلي براعة في الاستهلال المتساق مع البنية الموضوعية للقصيدة، ذلك أنه "إذا كان الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"<sup>(٢)</sup>.

وبراعة الاستهلال تكاد تطرد في جميع صباحياته، إذ لا نجد نبؤاً ولا تنافراً بين التحية مطلعاً وموضوع القصيدة، بل تناغماً وانسجاماً لتشكّل لحمة موضوعية وبنائية وفنية. "وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها، المنتزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرة، تزيد النفس بحسنها ابتهاجاً ونشاطاً بتلقي ما بعدها"<sup>(٣)</sup> من ذلك قول ابن زمرك يهنئ مليكه بالإبلال من المرض، ذاكراً نعماً أهداها إياه<sup>(٤)</sup>:

|                              |                                  |
|------------------------------|----------------------------------|
| انعم صباحاً بالبشائر والنعيم | وادعُ الزمان يقول مبتهجاً: نعم   |
| فالدهر وضّاح الجبين وثغره    | بالبشر عن شنب الثغور قد ابتسم    |
| يا واحد الدنيا ومالكها الذي  | تفديه من لم الحوادث بالأُمم      |
| مدّت لراحتك السعادة راحةً    | لتزيل عنك من الشكاية ما ألم      |
| فاستقبل الصنع الجديد مبلّغاً | ما شئت في النفس النفيسة والحُرْم |

(١) جماليات المعنى الشعري "التشكيل والتأويل": ٨٦.

(٢) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: ٤٣١.

(٣) منهاج البلغاء: ٣٠٩.

(٤) الديوان: ١١٤.

انظر كيف يعزف على وتر النعم، فهي بمثابة كلمة السحر ومفتاح القصيدة، إذ كررها في صدر المطلع فعلاً واسماً، فعلاً دالاً على الدعاء للخليفة بالنعمة آنأً ومستقبلاً، في ديمومة وتجدد لهذا النعيم، واسماً دالاً على الثبات، ليجمع بين معنيي التجدد والثبوت، كما وظف من جنس لفظ انعم حرف الإثبات "نعم" في نهاية البيت، وفي هذا الجناس الاشتقائي "انعم والنعم ونعم" تكرر يصب في معنى تحقق نعمة العافية وهي تاج النعم، وهو الغرض الأول من القصيدة التهنئة بالإبلال من المرض، عزز هذا المنحى المعنوي الإرداف بلفظة البشائر، فتحققت البراعة هنا لأن المطلع ينبغي أن "يكون دالاً على غرض القصيدة، وأن يكون مع ذلك عذب المسموع"<sup>(١)</sup>.

وعزز جمالية هذا المطلع التصريح بين الشطرين وزناً وتقفية "النعم - نعم" بما خلق من جرس موسيقي رائع "فإن للتصريح في أوائل القصائد طلاوة وموقعاً من النفس، لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها، ولمناسبة تحصل لها بازواج صيغتي العروض والضرب، وتماثل مقطعها لا تحصل لها دون ذلك"<sup>(٢)</sup>. وجاءت قافية القصيدة بروي الميم الساكنة تعميقاً لدلالة "انعم" توافقاً وتجانساً مع موضوع الصباحية.

ومن هذا المطلع ينداح معجم لغوي يفيض بمعاني البشر والابتهاج على القصيدة ككل، مبتهجاً، البشائر، البشر، ابتسم، راحتك، السعادة، راحة، تهلل. وفي هذه المطلع يتكئ الشاعر على عنصر التشخيص لإبراز مشاركة الكون زماناً ومكاناً في الابتهاج بنعمة الصحة للمليكة، فقد شبه الشاعر الدهر والزمان بإنسان، على سبيل الاستعارة المكنية، يدعوه مليكه فيجيبه ملبياً بكل فرح وابتهاج، فكأن الزمان طوع بنان إمامه يحركه أنى شاء ومتى شاء "وإدع الزمان يقول مبتهجاً نعم"، كما يلج عليه أوصافاً إنسانية أخرى تظهر ابتهاجه، فهو وضاح الجبين، ذو ثغر مبتسم، موظفاً الجناس

(١) منهاج البلغاء: ٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٣.

بين ثغره "الفم" والثغور "البلدان". وهنا جمع الشاعر بين المكان والزمان إشارة على شمول البهجة والفرح والسرور بعودة عافية الخليفة، كعودة العافية للحياة والكون.  
وإذا كان الشاعر فيما سبق قد ضرب على وتر النعم، فإننا نراه في كثير من مطالع مقطوعاته وقصائده يضرب على وتر الصباح بما فيه من إيجاءات ودلالات نورانية. من ذلك قوله مادحاً الغني بالله في يوم أنس<sup>(١)</sup>:

عم صباحاً فأنت نورُ الصباحِ      واسرح اللحظَ في الوجوه الصباحِ  
واغتنم للسرور يوماً فيوماً      وصل اليُمنَ دائماً بالنجاحِ  
واجتلِ الشمسَ من سماءِ زجاجِ      تجلبُ الأنسَ من جميع النواحي  
ما جلاءُ النفوسِ في يوم أنسِ      غيرِ راحٍ تجلَى على أفقِ راحِ

أول ما يطالعنا في مطلع هذه الصباحية تكرار دال الصباح باشتقاقاته ثلاث مرات . كما تكرر في النص السابق "انعم" باشتقاقاته ثلاث مرات أيضاً . بدلالاته الثلاث؛ الزمانية (صباحاً) والنورانية (نور الصباح) والجمالية (الوجوه الصباح)، بما يجعل من هذا المطلع عنواناً يؤشر على موضوعات القصيدة الثلاث (مدح الخليفة وسط مجلس أنس زمن الصباح)، وبما يجيل على بؤرة القصيدة ودلالاتها المركزية التي تجعل من الخليفة قطباً مركزياً للنور<sup>(٢)</sup>، و" في أغلب النصوص الشعرية القديمة تقوم المطالع أو المقدمات مقام العنوان في القصيدة الحديثة، فتمثل خيطاً أساسياً إلى حل شفرة النص"<sup>(٣)</sup>، فشفرة النص هنا هي جملة "فأنت نور الصباح" وهي "الجملة المفتاح"، ومركز الإشعاع الدلالي في القصيدة<sup>(٤)</sup>.

(١) الديوان: ٢٩٩ . ٣٠٠ .

(٢) انظر المبحث الخاص بالدلالة النورانية.

(٣) النص وآليات القراءة: ١٢

(٤) الجملة في الشعر العربي: ٢٠٣ .

كما يعد الصباح معادلاً موضوعياً للممدوح، وفي اتساق المطمع مع موضوع النص تتجلى براعة الاستهلال. كما عزز من فنيته وإيقاعه الموسيقي تكرار دال الصباح ثلاثاً، وتصريحه، واختيار حرف الحاء رويماً، الدال على الانتشاء واللذة<sup>(١)</sup>، وهو اختيار يكاد يشكل ظاهرة قافية في شعر ابن زمرك من كثرة بناء قصائد الصباحيات عليه<sup>(٢)</sup>.

وكذا توظيفه للجناس الاشتقاعي: اجتلي، جلاء، تجلى، و (صباح وصباح)، و جناس تام بين: راحٍ وراحٍ، فمثل هذا التجنيس ليس مجرد صنعة سطحية، إن اللعب باللغة كما قال د. مُجَد مفتاح "هو جوهر العمل الأدبي الأصيل والشعر منه خاصة"<sup>(٣)</sup>، وتكرار كلمات وحروف بعينها، كتكرار يوم ثلاث مرات، وتكرار حروف صفيرية كحرفي السين والصاد. وهذا التكرار لوحداث صوتية جرسية منتظمة تولد إيقاعاً داخلياً بين الصيغ والدلالات والكلمات، ومنه يتولد التوازي وهو ما حقق وظيفة شعرية عالية في هذه الصباحية.

كما غني هذا المطمع الصباحي بأسلوب إنشائي تمثل في أفعال الأمر: عم، اسرح، اغتنم، صل، اجتلي، خرج إلى معاني الدعاء وطلب العبّ من المتع واغتنام السرور، واجتلاب الأنس، من خلال النظر إلى الوجوه الصباح والاصطباح بخمر الصباح زمن الصباح، إذ أن الزمن الأمثل لحصول فعل اللذة والانتشاء هو زمن الصباح. وفي الخطاب بضمير المخاطب ظاهراً أنت، ومستتراً في أفعال الأمر المتقدم ذكرها، يمزج بين وصف مجلس الأنس ومدح الخليفة كونه . أي الخليفة . صدر هذا المجلس الذي يفيض بنوره ويبيث سناه على كل من يحيط به من صباح وصباح ووجوه صباح، وينهي القصيدة كما بدأها بإشعاعات صباحية، وبالذعاء لمليكه بدوام الغبطة والرفعة<sup>(٤)</sup>:

(١) إن حرف الحاء يجسم كل الأحوال، وأنه قاسم مشترك بين المتعة والألم، لأن الإنسان إذا ارتاح والتذ قال: أح، وإذا تألم أو تعذب قالها كذلك. انظر فنية التعبير في شعر ابن زيدون: ٤٤.

(٢) انظر على سبيل المثال: الديوان: ٦٤، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ١١٢، ٣٧٤، ٣٧٣، ٢٩٩.

(٣) تحليل الخطاب الشعري: ٤١.

(٤) الديوان: ٣٠٠.

واغنم الأنس والمسرة فيه      بين ظلّ يندى وعذبٍ قراح  
دمت في غبطةٍ ورفعته شانٍ      ما انجلي الليلُ عن ضياءِ الصباح

**النمط الثاني: الاستهلال بدال الصباح:** (وهنا يلتبس دال الصباح بمقدمة الصباحية، أو

يذوب أو يمتزج بمقدمة عادة غزلية أو بكاء الشيب والشباب) وهو أقل بالمقارنة مع الاستهلال  
بالتحية الصباحية، والفرق بين الاستهلالين أن الاستهلال بالتحية يجمع فيها بين دلالات القطبين  
المركزيين لأنعم صباحاً، وهي دلالات الإنعام والصباح، في حين يقتصر في الاستهلال بدال الصباح  
على قطب الصباح بدلالاته الثلاث الزمانية والنورانية والجمالية، وفرق آخر أن الاستهلال بالتحية  
الصباحية كونها تحية ملوكية خصت بالمديح السلطاني، بينما الاستهلال بالصباح عم ليشمل المديح  
السلطاني<sup>(١)</sup> والإخواني والنبوي، ويتحرر من قيد التحية فينتقل في آفاق رحبة، فإذا به يمزج بين  
الصباح مطلعاً والمقدمة الغزلية لما يحمله من دلالات الحسن والوضاءة. وكذا يدمجه مع المقدمة التي  
تبكي الشيب. وهذا ما نلفيه في غير ما صباحية<sup>(٢)</sup> منها قوله في إخوانية واصفاً رسالة وجهها إليه ابن  
الخطيب<sup>(٣)</sup>:

طالعتها دون الصباح صباحاً      لما جلت غرر البيان صباحا  
ولقد رأيت وما رأيت كحسنها      وجهاً أغرّ ومبسماً وضّاحا  
عذراء أرضعها البيان ليانه      وأطال معدى عندها ومراحا  
فأتت كما شاءت وشاء نجيها      تذكي الحجا وتنعم الأرواحا  
لا بل كمثل الروض باكره الحيا      وسقى بها زهر الكمام ففاحا  
وطوت بساط الشوق مني بعدما      نشرت علي من القبول جناحا

(١) الديوان: ٣٠٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ١٨٨، ٢٥٨، ٣٠٠، ٣٧٥، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٧٤، ٤٧١.

(٣) المصدر نفسه: ٣٧٣. وانظر أيضاً: ٣٤٥.

فهنا، يهيمن دال الصباح على هذا المطلع في هذه المقطعة الإخوانية، من خلال تكرره باشتقاقاته ثلاث مرات، موظفاً الجناس والتصريع، (صباحا . صباحا)، متكئاً على التشخيص، حيث جعل للبيان وجوهاً بيضاء صباحاً، بل إن الرسالة في حسنها ونورها امرأة فاتنة؛ ذات وجه أغر ومبسم وضاح. ولا شك ما في هذا المطلع من براعة الاستهلال جاء متناسباً مع وصف جمال الرسالة بياناً وبلاغة.

ومن مطالعه الصباحية لمديح سلطاني أتت ممتزجة بمعاني المقدمة الغزلية، ما جاء في قوله<sup>(١)</sup>:

|                                  |                                   |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| أما وصباحٍ من جبينٍ تبلّجا       | وليلٍ بهيمٍ للغدائر قد سجا        |
| وبدرٍ مُحيّياً أخجلَ البدرَ حسنه | وقد صدعت أنوارَه حُلُكَةَ الدُّجا |
| وئورٍ أقاحٍ قد سقته سُلافةٌ      | رشفتُ به ثغراً شهياً مفلّجا       |
| ونرجسٍ لحظٍ أمطر الورد لؤلؤا     | فرشَّ بماء الوردِ خدّاً مضرجا     |
| ومسرى نسيمٍ صافح البانَ بالحمى   | فعطّر أرجاء الرياض وأزجا          |
| لقد نهج المولى الإمامُ مُحمَّد   | إلى نيل أبعاد الكواكب منهجا       |

فيحملك هذا المطلع على التغزل بامرأة كأن وجهها صباح منير، شَعَّ النور من جبينها، ليعقبه بذكر الليل الذي يحيل على سواد غدائها، فحضرت هنا الثنائية بين الصباح والليل، وإن كان الصباح يقابل المساء لا الليل، ولكنه يقابله بنوره، فثمة لونان أبيض وهو نور الصباح هو نور وجه المحبوبة، وأسود وهو لون شعرها، معزراً البيت الأول بالثاني في الإلحاح على وضاعة وجه هذه المرأة، وحسن غرثها، لدرجة أن خجل من حسنها البدر مبالغة في الحسن والوضاعة، ونورانية صدعت ونسفت حلقة الدجى والظلام.

(١) الديوان: ٢٥٨.



وتتداعى معاني الغزل وتنبث في هذه المقدمة بذكر الثغر المفلج، وما يكون له من رشف وكأنه سلافة خمرة، وهنا، نلاحظ أسلوب التنكير في هذه المقدمة بتنكير الصباح والجبين ليوهم أنه بصدد التغزل بامرأة، وهو في الحقيقة يروم التمدح من خلال هذه المعاني الغزلية بجمال مليكه ونورانيته، وهو ما كشف النقاب عنه في محتتم القصيدة، بأسلوب التعريف، فإن ذلكم الجبين الوضاء الذي تبليج الصباح منه ما هو إلا جبين مخدومه الإمام محمد:

ويشرق منه يومه بجبينه وقد لاح وضّاح الأسارير أبلجا

وفي المديح النبوي يستهله بالصباح، في تركيب إشاري يفيد التفخيم والتعظيم، "هذا الصباح" ليجعل منه قاعدة يبنى عليها مفهوماً جمالياً للشيب، فيضفي عليه مسحة من نور الصباح وجماله، فيبرزه أي الشيب. صباحاً من باب التشبيه البليغ بإضافة المشبه إلى المشبه به، "صباح الشيب" في بياضه وسرعة انتشاره، ويعزز هذا المنحى النوراني للشيب بتشبيهه بنور الضحي "فاستنار ضحي". في حين أبرز الشباب الذي لم يصرح به، وإنما دل عليه بالليل فجعله رمزاً للشباب، مستغلاً ثنائية الصباح والليل بما فيهما من نور وظلمة للدلالة على ثنائية الشباب والشيب. وهنا يقابل بين لوني الدهر من "نور و"غسق" للدلالة على سنة الكون في تعاقب زمني الليل والنهار، وكذا سنة الحياة في تعقب الشيب للشباب وهو تعقب زمني أيضاً. وفي تكرار ثنائيي النور والغسق، والشيب والشباب في هذه المقدمة لتنداح منه دلالتان نورانية وزمانية، وهنا تتداخل المقدمة الصباحية مع مقدمة بكاء الشيب، "بصفته نديراً وعاذلاً على التفريط والتماذي في الغواية ففي ذلك تناسب بين المطلع والغرض" (١) ليخلص منها إلى مدح النبي ﷺ (٢).

هذا الصباح صباح الشيب قد وضّحا سرعان ما كان ليلاً فاستنار ضحي

(١) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زمرك الغرناطي: ٨٣.

(٢) الديوان: ٣٧٥

للدهر لوان من نورٍ ومن غسقٍ      هذا يعاقب هذا كلما يرحا  
وتلك صبعة أعدى بنيه بها      إذا تراخى مجالُ العمر وانفسحا  
ما ينكر المرء من نورٍ جلا غسقاً      ما لم يكن لأماني النفس مُطرحا  
إذا رأيت بروق الشيب قد بسمت      بمفرقٍ فُمُحِّيَا العيش قد كلححا  
..وا رحمتا لشبابي ضاع أطيئيه      فما فرحت به قد عاد لي ترححا  
..يا ربِّ لا سببٌ أرجو الخلاص به      إلا الرسولُ ولطفاً منك إن نفححا

## ٢. الاختتام بالصباحية تحية أو دالاً:

لم تكن الصباحية مجرد مقدمة يفتح بها، وإنما نجد دلالات الصباح تشع في القصيدة حتى منتهاها، وهو أمر يتكرر أكثر من مرة، منها هذه الصباحية التي يفتتحها بدال الصباح ويختمها بالتحية الصباحية في تناغم وانسجام دلالي وفني. وقد نجد العكس في الافتتاح بتحية الصباح والاختتام بداله<sup>(١)</sup>.

يا طلعة الصبح المبين ومخجل الـ      سدر المنير إذا بدا في موكب<sup>(٢)</sup>  
الشمس أنت إذ الملوك كواكب      والشمس تهدي نورها للكوكب  
أنوارٌ وجهك يا محمد زاحمت      عند الصباح ضيائه بالمينكب  
إلى أن ختمها بالدعاء له شاكراً إياه على سؤاله عنه.

فانعم صباحاً بالغاً ما شئتَه      فالصبح طرّفٌ أشهبٌ فلتركب  
والختم بالدعاء أمر يشتهيهِ الملوك<sup>(٣)</sup>، ونجد هذا الاختتام مناسباً لموضوع الصباحية في وصف جند الخليفة في بعض مواكبهم، ذلك أن شرط الشعر الجيد "أن يكون الاختتام في كل غرض بما

(١) انظر المصدر نفسه: ٣٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ٨٥-٨٦.

(٣) العمدة: ١٩٩/١.

يناسبه" (١)، كما ينبغي أن يكون الاختتام بمعانٍ سارة فيما قصد به التهاني والمديح (٢)، كما وينبغي أن يكون اللفظ فيه مستعدباً، والتأليف جزلاً متناسباً، فإن النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة لتفقد ما وقع فيه، غير مشغولة باستئناف شيء آخر (٣)، وهذا ما نلفيه في هذه الخاتمة، إذ جرد من الصباح فرساً أشهباً، على سبيل التشبيه البليغ، يمتطيه سيده ذي الطلعة النورانية، ليكون رأس الموكب، وقد تناسبت بداءة القصيدة هنا مع محتتمها "وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً... وإذا كان أول الشعر مفتاحاً وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه" (٤).

هذا، وقد يقتصر في الختم بالتحية الصباحية دون الافتتاح بها أو بدال الصباح، من مثل قوله (٥):

يا خير من ورث الملك العزيز ومن بذاته وكمال الخلق قد كسبه  
وجوده عمّ أهل الأرض قاطبةً وفخره أعجز الكتاب والحسبة  
العبد يسأل مولانا وموئلنا عن حاله بعد ما قد حسن بالحسبة  
وانعم صباحاً فنور الصبح مكتسبٌ لنور وجهك يا مولاي قد نسبه

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى نتائج نسجلها كآآتي:

- كشف البحث عن فن شعري جديد، له مقوماته وعناصره المميزة له، ألا وهو الصباحيات،

وهو من مظاهر التجديد الشعري والفني عند ابن زمرك في شعره المدحي.

(١) منهاج البلاغ: ٣٠٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الديوان: ٥٨.

(٥) الديوان: ٢٥٨.

- تعد "الصباحيات" مصطلحاً شعرياً، من مبتكرات ابن زمرك أو الجامع، التي لم يسبق إليها. وقد عمدنا إلى تأصيل المصطلح لغة واصطلاحاً، من خلال استقراء النصوص الشعرية وربطها بسياقاتها اللغوية والتاريخية، والوقوف على تصور الجامع وتحديد المحقق للمصطلح، لنخلص بعد استقراء النصوص الشعرية الزمركية إلى توسيع نطاق مفهوم الصباحيات بناء على احتفاء ابن زمرك بالصباح تحية ودالاً، مبتدأ ووسطاً وخاتمة، وإلى تعريف جامع مانع يتمثل في أن الصباحيات هي فن شعري موضوعه مدح خالص أو ممتزج بغيره من الموضوعات التي تدور في فلكه؛ كالشكر والتهنئة والوصف.. ينشد زمن الصباح، يستهل بمطلع صباحي، ذي تحية ملوكية غالباً، يشع بلفظ الصباح ومدلولاته النورانية والجمالية والزمانية على هذا الشعر ليغدو الصباح تيمة شعرية مدحية، ولازمة فنية، تتكرر في الصباحية.

- يعد المديح السلطاني موضوع شعر الصباحيات الرئيس، وقد تأتي ممتزجة مع موضوعات آخر تدور في فلك المديح كالشكر والتهنئة بالإبلال من المرض والوصف والهدية، والطرديات، والعديدات، ووصف الخمر ومجالس الأنس، إضافة إلى المديح الإخواني والنبوي.

- بلغت قصائد الصباحيات ما ينيف على الثلاثين، بعضها منصوص عليها بالصباحية، وبعضها الآخر غير معنون ولها النسق الصباحي نفسه، مبثوث بين ثنايا أغراض أخرى، كالتهاني، والوصف، والشكر، والإبلال من المرض، والنزهات، والإخوانيات، والمخمسات.

- جعل ابن زمرك من الصباح تيمة شعرية مدحية، احتفى به لدرجة أنه يفيض بدلالاته وإيجاءاته على القصيدة الصباحية مطلعاً ومنتناً وخاتمة، فيصبغ أغراض الشعر الممتزج بها.

- أفرز شعر الصباحيات فن فواتح التحيات الصباحية السلطانية.

- يعد المطلع الصباحي كشفاً جديداً إضافياً إلى مطالع القصيدة الأندلسية والعربية، وقد امتاز

ببراعة الاستهلال، اتساقاً مع موضوع القصيدة، وهو على نمطين: الأول الافتتاح بالتحية الصباحية،

والثاني، الافتتاح بدال الصباح. وتركزت معانيها في الجمع بين دلالاتي قطبي التحية الصباحية "أنعم صباحاً" وأخواتها، لتفيض بها على ثنايا النص الصباحي.

- شكلت الدلالات النورانية، والجمالية والزمانية ثلاث دلالات مركزية للصباحيات. فكشفت الدلالة النورانية عن مسحة صوفية لابن زمرك، ارتقت بإمامه النصري إلى مصاف القطبية، فغدا مصدراً للنور الوجودي. وهنا غدت قيمة النور قيمة مدحية مهيمنة، فيما تنزاح باقي القيم المدحية كالجود والشجاعة وغيرها. وشكل الصباح معادلاً موضوعياً لجمال الممدوح. كما استمدت الصباحيات وصفها وكيونتها من الصباح زمناً، ومقوماً فنياً، لذلك فإن الصباح يمثل زمن الإنتاج الشعري، وزمن التفاؤل، وزمن البشائر والسعود، وزمن اليمن والبركة، وزمن اللذة والانتشاء، وزمن النصر، وزمن بث الحياة وتجدها.

- اتكأت الصباحية كثيراً في نسقها الإيقاعي على حرف الحاء رويماً ليشكل ظاهرة قافوية فيها، كما عزز ذلك عنصر التكرار بأنواعه تكرر الألفاظ والحروف، وكذا الجناس بأنواعه، لإغناء الدلالات الصباحية. كما وظف ابن زمرك الأساليب الإنشائية من أبرزها أسلوب الأمر والنداء الذين انزاحا بلاغياً إلى معاني الدعوة إلى المشاركة في العبّ من لذائد الصباح؛ كون الصباح رمزاً للذة والمتعة والانتشاء.

- تشكلت الصباحيات أسلوبياً وفنياً وبنائياً من إشعاع الصباح؛ فمفتاح القصيدة الصباح في بعده النوراني والجمالي والزماني. ومن حيث المعجم فهو نوراني جمالي، والصورة نورانية، إذ بنيت على التشبيه البليغ والمقلوب والاستعارة المكنية التشخيصية.

إن القصيدة الصباحية تستقي من الصباح بنورانيته وشعشعانيته توهجها الشعري وألقها الفني، فتغدو صباحية شعرية يخلع الشاعر عليها من تجليات الصباح ما يجعل منها تحفة فنية رائعة، ينشدها بين يدي مليكه زمن الصباح، غنية بأساليب التحية والثناء والمدح والوصف الفني.

## المصادر والمراجع:

١. أحمد، بتول الزبير علي، عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زمرك الغرناطي " رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، السودان، أبريل ٢٠٠٩.
٢. الأزدي، ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧.
٣. البغدادي، شرح البغدادي لقصيدة امرئ القيس "ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي"، تحقيق ودراسة: محمود مُجَّد العلمودي، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) غزة- فلسطين، المجلد التاسع عشر العدد الأول، يناير ٢٠١١.
٤. الجراري، عباس، فنية التعبير في شعر ابن زيدون، ١٩٧٧ مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء.
٥. الحمصي، حمد سليم، ابن زمرك الغرناطي، سيرته وأدبه، ٧٣٣. ٧٩٦ هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط ١ ١٤٠٥ هـ. ١٩٨٥ م.
٦. ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: مُجَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٣٩٤ هـ. ١٩٧٤ م.
٧. ابن الخطيب، لسان الدين، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت، ط ١٩٨٣ م.
٨. ابن الخطيب، لسان الدين، اللوحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان، ط ٣، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م.

٩. ابن الخطيب، لسان الدين، ديوان لسان الدين ابن الخطيب السليمانى، صنعه وحققه وقدم له: مُجَّد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء - المغرب، ط ٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٠. الخفاجي، أبو مُجَّد عبد الله بن مُجَّد بن سنان سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١١. الرباعي، عبد القادر، جماليات المعنى الشعري" التشكيل والتأويل"، دار جرير للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
١٢. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: مُجَّد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م.
١٣. ابن زمرك، مُجَّد بن يوسف الصريحي، ديوان ابن زمرك الأندلسي، تحقيق: مُجَّد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٧م.
١٤. الصامل، مُجَّد بن علي، بلاغة أساليب التحية في الشعر العربي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٦ / ٢٨٤، شوال ١٤٢٤هـ.
١٥. ضيف، شوقي، فصول في الشعر ونقده دار المعارف، ط ٣، ١٩٨٨م.
١٦. الطبري، أبو جعفر مُجَّد بن جرير بن يزيد، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، تحقيق: محمود مُجَّد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة، دون: ت، ط.
١٧. طحطح، فاطمة، الغربية والحنين في الشعر الأندلسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط ١ / ١٩٩٣م.

١٨. بو عامر، بو علام، شعرية المطلع في القصيدة العباسية، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، العام الجامعي ١٤٣٣ - ١٤٣٤هـ، ٢٠١٢ - ٢٠١٣م.
١٩. عبد اللطيف، مُجَّد حماسة، الجملة في الشعر العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٢٠. عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، ط ٢٠٠٩.
٢١. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي مُجَّد البجاوي ومُجَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، ١٤١٩هـ.
٢٢. عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠.
٢٣. عيسى، فوزي، النص وآليات القراءة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦م.
٢٤. الفيومي، أحمد بن مُجَّد (ت نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت.
٢٥. القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء قديم وتحقيق، مُجَّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط ٣، ١٩٨٦.
٢٦. لقمان، شاكر، مقدمة القصيدة في شعر ابن الأبار القضاعي بين النمطية والتنوع، مجلة الأثر، جامعة أم البواقي الجزائر، العدد ١٧، جانفي ٢٠١٣م.
٢٧. مفتاح، مُجَّد، تحليل الخطاب الشعري، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٥.



٢٨. المقري، أحمد بن التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط ٢٠٠٤ م.
٢٩. المقري، شهاب الدين أحمد بن مُجَّد التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠ م.
٣٠. ابن منظور، لسان العرب دار صادر بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٣١. الموسى، فيروز، قصيدة المديح الأندلسي، دراسة تحليلية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠٠٩.
٣٢. نجا، أشرف محمود، قصيدة المديح في الأندلس قضاياها الموضوعية والفنية "عصر الطوائف"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط ٢٠٠٣، ١ م.
٣٣. النجار، مُجَّد رجب، بردة البوصيري - قراءة أدبية وفولكلورية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت/ الحولية السابعة، الرسالة الثالثة والثلاثون، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦ م.

## الحكمة في كليلة ودمنة باب (ابن الملك وأصحابه)

### دراسة نصّية تربوية

د. محمد عبد الله الطاهر باعبود<sup>(\*)</sup>

### ملخص البحث:

يتناول هذا البحث الحكمة في كتاب كليلة ودمنة، باب (ابن الملك وأصحابه)، وقد جاء في مقّدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، أمّا المقدّمة فتناولت الحكم بوصفها ثقافة تجسّد تجارب الأمم، فيما تطرّق المبحث الأوّل إلى قدرٍ يسيرٍ من الحكمة في الكتاب والسنة، والمبحث الثّاني أشار إلى ذكر نزرٍ من النّماذج الشّعريّة، والنّثرية لشعراء وكتّابٍ بعض العصور الأدبيّة، وما فاهت به أفواهُهم من الحكمة، والقول الجزل، والكلام الفصّل؛ لغرض بثّ التّوعية والتّثقيف، في حين تناول المبحث الثّالث شرحاً مفصّلاً للفظّة الحكمة في قصّة (ابن الملك وأصحابه)، وبيان القيمة الأدبيّة لكتاب كليلة ودمنة.

الكلمات المفتاحية: الحكمة، كليلة ودمنة، القضاء والقدر.

(\*) أستاذ الأدب والنقد والبلاغة المساعد - جامعة سيفون.

The Wisdom in Kalila and Dimna  
(The King's Son and his Companions)  
A Pedagogical Textual Study

***Abstract:***

This research deals with the wisdom in the book of Kalila and Dimna, (The chapter of the king's son and his companions). It comprises an introduction, three sections, and a conclusion. As for the introduction, it dealt with wisdom as a culture that embodies the experiences of nations. The first section has slightly manifested wisdom from the Qur'an and the Sunna. The second section referred to mentioning a few poetic and prose samples of the poets and writers who belong to some different literary eras. This includes their wise, eloquent and detailed quotations and sayings that were articulated for the purpose of spreading awareness and educating people. The third section dealt with a detailed explanation of the word wisdom in the story of the king's son and his companions, and manifestation of the literary value of the book of Kalila and Dimna.

Keywords: Wisdom; Kalilah and Dimnah; Fate and destiny.

## مقدمة:

لا شك أنّ لكلّ أمة ثقافات متجدّرة الأصول، بل لها تجارب عميمة خاضتها في مضمار الحياة، ولعلّ أبرز تلخيص تنطوي عليه تلك التجارب هي الحكّم والأمثال، التي تُعدّ أنموذجاً حيّاً يعكس تجارب الشعوب وثقافتها؛ حتّى أضحت رموزاً يُفتدى بها، وإننا ومن خلال هذا البحث الموسوم (الحكمة في كليلة ودمنة باب ابن الملك وأصحابه)، سنلقي الضوء على معاني (الحكمة) في آيات الذكر الحكيم، والسنة المطهرة، وما تناثرت في الأدب العربي شعراً ونثراً، محلّين قصّة (ابن الملك وأصحابه) تحليلاً أدبياً نقدياً.

والبحث ينساق في ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: الحكمة في القرآن والسنة.

المبحث الثاني: الحكمة في الأدب العربي شعراً ونثراً.

المبحث الثالث: الحكمة في كليلة ودمنة، باب (ابن الملك وأصحابه).

وقد انتهج الباحث في كتابة بحثه الميسر المنهج (الوصفي التحليلي)، محلّلاً من خلاله قصّة (ابن الملك وأصحابه)، مستخرجاً من ثناياها الصبغة الجمالية، والحكم الزاهية، والمعاني الخالابة، والألفاظ الرّثانة.

ثمّ طويّ البحث بخاتمة اشتملت على وعاءٍ صُبّ فيه أبرز النتائج والتوصيات.

## المبحث الأول: (الحكمة في القرآن والسنة)

حظيت الحكمة بمنزلة كبيرة في التنزيل، بل ما أكثر النصوص القرآنية التي تناولت الحكمة وفصل الخطاب قال تعالى: ﴿وَأَيُّنَهُ الْحِكْمَةُ وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾<sup>(١)</sup>، يعني الفهم والعقل والفطنة<sup>(٢)</sup>، والحكمة كلمة جامعة تلخص مجموعة ملاحظات وتجارب<sup>(٣)</sup>، يقول محمد التونجي: "الحكمة مقتبسة من الحكم، اشتهر بها العرب في الجاهلية، وجاءت في القرآن الكريم، وهي تجربة وقع بها الناس، فعرضها الحكماء نثرًا والشعراء نظمًا"<sup>(٤)</sup>، ولعل أروع اختصار للتجربة الإنسانية هو الذي تنطوي عليه حكمة أو يزويه مثل<sup>(٥)</sup>.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن سورة لقمان تناولت الحكمة والبيان، حيث بينت الحكمة التي تفرّد بها (لقمان) وتميّز حتى سُمي بالحكيم، وقد استطرد عليه السلام قصته، وذكر فضيلة الحكمة قال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾<sup>(٦)</sup>، وهي الإصابت في القول، والسداد في الرأي<sup>(٧)</sup>. فلقمان أوتي الفهم والعلم والتعبير<sup>(٨)</sup>، وفي موضع آخر يقول سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(٩)</sup> أي: "ادع يا محمد الناس إلى دين الله بالأسلوب الحكيم"<sup>(١٠)</sup>.

(١) ص: [٢٠].

(٢) تفسير القرآن الكريم: ٨٠-٨١.

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ١٥٣.

(٤) المعجم المفصل في الأدب: ٣٧٦.

(٥) معجم روائع الحكمة والاقوال الخالدة: ٦.

(٦) لقمان: [١٢].

(٧) صفوة التفاسير: ٤٩١.

(٨) تفسير القرآن الكريم: ٥٢.

(٩) النحل: [١٢٥].

(١٠) صفوة التفاسير: ١٤٨/٢.

وتتوالى حِكْمُ لقمان الحكيم ومواعظُهُ التي ينثرها على ابنه، متضمّنة معانٍ أخلاقيةً ساميةً، ونجدُ ذلك في مواضع متفرّقة من كتابِ الله - عزَّ وجلَّ - منها: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾<sup>(١)</sup>، يريدُ الأمرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى فِيهِمَا<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي أقبلْ على النَّاسِ بوجهك تواضعاً<sup>(٤)</sup>، وتأملْ قوله سبحانه: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾<sup>(٥)</sup>، ما بين الإسراع والبطء، يقول ﷺ: "سرعة المشي تذهبُ بهاءَ المؤمن"<sup>(٦)</sup>، ولا تتكلَّف رفع الصوت، وخذْ منه ما تحتاجُ إليه. والمرادُ بذلك كلِّه التَّواضع<sup>(٧)</sup>، وتلك الوصايا العظيمة، تجمعُ أمهاتِ الحكم<sup>(٨)</sup>.

ولسنا - هنا - بصددِ حصرِ لفظة الحكمة في القرآن، بل نكتفي بتوضيح وتفسير معناها، إذ إنَّ المرادَ من الحكمة إمَّا العلم أو فعل الصَّواب<sup>(٩)</sup>، حيثُ يُروى عن مقاتل أنه قال: تفسيرُ الحكمة في القرآن تأتي على أربعة أوجه<sup>(١٠)</sup>: أحدها: مواضع القرآن قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾<sup>(١١)</sup>، وثانيها: بمعنى الفهم والعلم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾<sup>(١٢)</sup>، وثالثها: بمعنى النبوَّة كما في سورة النَّساء: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

(١) لقمان: [١٧].

(٢) تفسير البغوي: ٢٨٩.

(٣) لقمان: [١٨].

(٤) الكشاف: ١٦.

(٥) لقمان: [١٩].

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٧١.

(٧) المصدر نفسه: ٧١.

(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان: ٦٤٨.

(٩) مفاتيح الغيب: ٥٩.

(١٠) المصدر نفسه: ٤٧ / ٢.

(١١) البقرة: [٢٣١].

(١٢) مريم: [١٢].

وَالْحِكْمَةَ ﴿١﴾ ورابعها: القرآن بما فيه من عجائب الأسرار في التَّحْلِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ ﴿٢﴾، وجميع هذه الوجوه عند التَّحْقِيقِ ترجع إلى العلم، وهو تعالى ما أعطى إلَّا القليل من العلم ﴿٣﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٤﴾.

والسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ بلا منازع اشتملت على أحاديث شريفة، بَيَّنَّتِ السُّبُلَ الْيَسِيرَةَ، والمنهج القويم الذي أسَّسَهُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ لِنَيْزِ طَرِيقِ الْبَشَرِيَّةِ، فقد بلغ شأوَ كَبِيرًا من الفصاحة والبيان، وأُعْطِيَ جوامع الكلم وخواتمه ﴿٥﴾ وَفَاءَ بِالْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ، ونسج كلامه الذي لم يسبقه إليه عربي، ولا شاركه فيه أعجمي، ممَّا صارَ مستعملاً ومثلاً سائرًا، من ذلك قوله ﷺ: "مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ" ﴿٦﴾، يقول محمد بن سلام: قَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ: "ما جاءنا عن أحدٍ من روائع الكلام ما جاءنا عن رسولِ الله ﷺ" ﴿٧﴾.

وممَّا يُرَوَى من ذلك ما صَوَّرَهُ ﷺ في بيانِ حالِ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ الطَّالِحِ، وما يعودُ نفعُ الأوَّلِ لِجَلِيسِهِ، ونقيض ذلك جليس السُّوءِ الَّذِي ضرره أكثر من نفعه. فيقول ﷺ: "إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كحاملِ المسكِ ونافخِ الكير" ﴿٨﴾ فيشبهه الصَّالِحُ بِبَائِعِ الطَّيِّبِ، إِنَّمَا يَضْمَحُ الطَّيِّبُ عَلَيْكَ، وَإِنَّمَا تَسْتَطِيبُ من نَشْرِ طَيْبِهِ، فأنت في حضرته بريحٍ دائمةٍ، ونشوةٍ غامرةٍ، عكس جليس السُّوءِ الَّذِي إِنَّمَا يَحْرِقُكُ بِنَارِهِ أَوْ شَرَارِهِ، فصحبته همٌّ وغمٌّ ﴿٩﴾.

وفي قولٍ آخَرَ يُؤَكِّدُ ﷺ حِكْمَةَ بَلِيغَةً فِيهَا دَعْوَةٌ إِلَى الْقُوَّةِ، والأخذُ بِأَسْبَابِ الْعِزَّةِ وَالنُّصْرَةِ، فيقول: "المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأفضلُ وأحبُّ إلى الله - عزَّ وجلَّ - من المؤمنِ الضَّعِيفِ وفي كلِّ

(١) النساء: [٥٤].

(٢) التحل: [١٢٥].

(٣) مفاتيح الغيب، السابق: ٥٩.

(٤) الإسراء: [٨٥].

(٥) سنن البيهقي الكبرى: ٢٩١.

(٦) البيان والتبيين: ١٥.

(٧) المصدر نفسه: ١٨.

(٨) مسند الروياني: ١٥٧.

(٩) من كنوز السنة: ٣٩.

خير" (١)، ولعلَّ لفظة (القوي) جاءتْ عُمومًا؛ لتشملَ قوَّةَ الإيمان، والبدن، والنَّفْس، والعلم (٢)، فالإسلامُ دينٌ عزِّزَ وكرامةً، وَحَرَّيْ بِأَبْنَائِهِ أَنْ يَكُونُوا أَعَزَّةً رَافِضِينَ المِهَانَةَ (٣).

وتراني أسردُ فَنَّا جَمِيلًا مِنْ قَوْلِهِ ﷺ فَنَّا يَجْسِدُ كَلَامًا قَلَّ حُرُوفِهِ، وَكَثُرَ مَعَانِيهِ، وَجَلَّ عَنِ الصَّنْعَةِ، وَنَزَّ عَنِ التَّكْلِيفِ، فَلَمْ يَنْطِقْ إِلَّا عَنِ مِيرَاثِ حِكْمَةٍ (٤)، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: "لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَحْرِ مَرْتين" (٥)، وَقَدْ مَدَحَ ﷺ صَاحِبَ الحِكْمَةِ حِينَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا، لَا يَتَكَلَّفُ مِنْ قَبْلِهِ وَمَشَاوِرَةَ الخِلفَاءِ وَسؤالِهِمْ أَهْلَ العِلْمِ (٦)، وَيَرْدِفُ القَوْلَ مَبِينًا حَالِ الرَّاهِدِ، وَالْحَثَّ عَلىِ الاِحْتِكاكِ بِهِ؛ لِأَخْذِ الحِكْمَةِ، يَقُولُ ﷺ: إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَلْقَى الحِكْمَةَ (٧)، إِذْ إِنَّ الحِكْمَةَ فِي رَأْسِ كَلِّ امْرِئٍ وَتَثَبَتْ لِمَنْ تَوَاضَعَ، يَقُولُ ﷺ: مَا مِنْ امْرِئٍ إِلَّا وَفِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ، وَالحِكْمَةُ بِيَدِ مَلِكٍ فَإِنْ تَوَاضَعَ قَيْلٌ لِلْمَلِكِ ارْفَعَ الحِكْمَةَ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْتَفَعَ قَيْلٌ لِلْمَلِكِ ضَعَّ حِكْمَتَهُ (٨).

مِنْ هَذَا كَلِّهِ يَتَبَيَّنُ مَكَانَةُ الحِكْمَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ العَرَبِيَّةِ، وَالحَدِيثِ عَنِ ذَلِكَ يَطْوُلُ، وَالخَاطِرُ فِي أَرْوَقَتِهِ يَصُورُ وَيَجُولُ، وَمَا سَرَدْنَاهُ أَنْفًا لَا يُعَدُّ إِلَّا نَزْرًا يَسِيرًا مِنْ الحِكْمِ البَلِيغَةِ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي فَاءَ بِهَا الرِّسُولُ الأَكْرَمُ - ﷺ - وَترجمتها أفعال صحابته وأتباعه رضوان الله عليهم أجمعين.

### المبحث الثاني: (الحكمة في الأدب العربي شعراً ونثراً)

المتأمل في ميدان التربية والتعليم، يُلْفِي حاجة المتعلم إلى مَنْ يرشده إلى سبيل الرِّشاد، وَيَقِيهِ مِنَ العَثْرَاتِ، وَيَفْتَحُ لَهُ الأبْوابَ المُؤَصِّدَةَ، الَّتِي تَهْدِيهِ لِلْفَوْزِ وَالفَلاحِ، وَلَا مَنَاصَ لِذَلِكَ إِلَّا بِخَبْرَاتِ مَلْمُوسَةٍ

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣٦٦.

(٢) من كنوز السنة: ٤٧.

(٣) المصدر نفسه: ٤٩.

(٤) البيان والتبيين: ١٧.

(٥) سنن البيهقي الكبرى: ١٢٩.

(٦) الجامع الصحيح: ١٢٦.

(٧) سند أبي يعلى: ١٧٥.

(٨) مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار): ٢٦٠.



محسوسة، تحقُّق الغرض المنشود، ولعلَّ تلك الخبرات هي الحكِّم التي جادت بها قرائح المفكرين، التي انتهجوها من خلاصة تجاربهم، وخبراتهم في الحياة، فأضحت دروسًا ينتفع بها الخاص والعام.

والمكتبة العربية، ومصنَّفاتها الأدبية كانت ولا زالت، غنيةً بالحِكِّم؛ فهي ماء العطشان، وزاد الجوعان، وأنيس الحيران، ولعلَّ الأطفال في مدرسة الحياة بحاجة إلى منهجية ممزوجة بمفردات واضحة بيِّنة، وحِكِّم بليغة آسرة يتخذونها سبيلًا لتحقيق الهدف المنشود، يقول ابن المقفِّع: "إذا جعل الكلام مثلًا، كان ذلك أوضح للمنطق، وأبين في المعنى، وأنق للسمع"<sup>(١)</sup>، وفي موضع آخر يضيف: "كلام الحكمة يُنقى الأسماع، وعمل الحكمة يروِّق القلوب"<sup>(٢)</sup>، ولعلَّ (ابن المقفِّع) يرمي إلى أهميَّة الحكِّم النَّفيسة، ودورها في تقويم الاعوجاج الذي طرأ في قوام أخلاق الوري، حتَّى أضحت ضرورةً ملحةً في حياتهم؛ لما تثرى من خبرات، تُسهم في إنارة دروب الحياة. يقول فايز يوسف: "الحكم تُصقل نفوس النِّشء، وتُقوِّم الأخلاق من ناحية، وتدعو إلى التعاون والاتِّحاد من ناحية أخرى"<sup>(٣)</sup>.

والأدب الجاهلي حافلٌ بشعراء الحكمة، الذين نظَّموا أقوالاً جزلة، أضحت نبراسًا يهتدي بها الهائمون في معترك الحياة، فتأمل شاعر الحوليات (زهير بن أبي سلمى)؛ الذي نظَّم معلقةً مزج عصاره جهده؛ ليصبَّ عليها ماء الحكمة، التي يلهث خلفها العطشان، فهو يصف من خاف الموت، والموت يناله، ولا نفع من خوفه ولو رام الصُّعود إلى السَّماء فرارًا، مشيرًا إلى من يصنع المعروف في غير أهله ومستحقِّيه يُدَّم، يقول<sup>(٤)</sup>:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنْلِنُهُ      وَإِنْ يَرِقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلْمٍ  
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ      يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَتَدَمَّ

(١) الأدب الكبير والأدب الصَّغير: ٣٠٠.

(٢) طرائف الحكمة: ٢٥-٢٦.

(٣) قاموس الطُّلاب في الحكم والأمثال: ٥٠.

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى: ١١٥.

وتلوح الحكمة في العصر الأموي، فينثر (الفرزدق) قولاً بليغاً يصور عقوهم مثل الجبال  
الرأسخة في الرزاة والوقار، بينما جاهلهم كالجرن يفوق في طيشه الجهال الآخرين. يقول:

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَاةً      وَتَخَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجَّهْلُ<sup>(١)</sup>

وترفرف الحكمة على أسوار العصر العباسي، فيظهر شاعر الحكمة أبو الطيب (المتنبي)،  
الذي لم تنفك قصائده من سرد الحكيم البليغة النفسية التي تهدي العقول والألباب، حيث يقول:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ      مَا لُجِحَ بِمَيْتِ إِيلَامٍ<sup>(٢)</sup>

وينظم (أبو فراس الحمداني) حكماً جليلاً، يبيّن شجاعته في وقت هم أخوج إليه؛ لتخفيف  
كربتهم والتنفيس لهم:

سِيدِكْرِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ      وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقِدُ الْبَدْرُ<sup>(٣)</sup>

فيما يشير (أبو تمام) إلى أهمية التغافل في استقامة الحياة المجتمعية، وتعزيز روابط الأحوّة،  
وصرف النظر عن زلات الآخرين، ولعلها حكمة بليغة يسعى لنيلها القاصي والداني. حيث يقول<sup>(٤)</sup>:

لَيْسَ الْعَيْبُ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ      لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَعَابِي

وشعر الإمام الشافعي جرى مجرى الحكم والأمثال، يقول د. أحمد شتيوي: "يرتكز الشافعي  
في شعره على نسج معاني الحكمة والرّهد، والتعبير عن التجارب الذاتية والعامة"، من ذلك قوله<sup>(٥)</sup>:

نَعِيْبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا      وَمَا لِيْزَمَانِنَا عَيْبُ سِوَانَا

(١) الأغاني: ٣٠٩.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي: ١٦٣.

(٣) شرح ديوان أبي فراس الحمداني: ٧١.

(٤) زهر الآداب وثمر الألباب: ٨٤.

(٥) ديوان الإمام الشافعي: ٣١.

ويتجلى العصر الحديث حاملاً من الحكم أنفسها، ومن القول أبلغه، ولعل الحكم الشوقية شاهدة للعيان؛ فرى أحمد شوقي في حكاياته الشعرية، يحتّم أبياتها بحكمة تعدّ مفتاح الحكاية، ميرزا القيمة الخلقية والاجتماعية، ويكفي أن استشهد بيت القصيد في حكاية (القبرة وابنها)<sup>(١)</sup> التي تبين عاقبة المستعجلين، حيث يقول:

لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ وَقْتُهُ وَعَايَةُ الْمُسْتَعْجِلِينَ فَوْتُهُ!

وفضلاً عمّا ذكر شعراً، نوردُ نزرًا يسيرًا نثرًا، إذ إن النثر قد أخذ قسطًا كبيرًا في الكتب الأدبية، ومن أقدر الحكماء (قس بن ساعدة الأيادي) يُروى أنه اجتمع حوله من اجتمع من الناس بسوق عكاظ، فنثر حكمه عليهم بقوله: "كلُّ مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَكُلُّ مَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ"<sup>(٢)</sup>، فيما نلمح الجاحظ يوضح فضل البيان بقوله: "أحسن الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره"<sup>(٣)</sup>، وقيل لقيس بن عاصم: بماذا سُدت؟ قال: ببذل الندى، وكف الأذى، ونصر الموالي<sup>(٤)</sup>، وقيل لسقراط: أما تخاف على عينيك من إدامة النظر في الكتب، فقال: إذا سلّمت البصيرة لم أحفل بسقام البصر<sup>(٥)</sup>. ويؤكد (تيرنس) ذلك بالقول: "إن الحكمة هي البصيرة"<sup>(٦)</sup>.

وجملة القول: إن المرء بحاجة ملحة إلى الحكم لإصلاح الأفتدة، كحاجة الأجسام للغذاء للوقاية من الأوبئة، يقول أنو شروان: "القلوب تحتاج إلى أقواتها من الحكمة كاحتياج الأبدان إلى

(١) الشوقيات: ٢١٨.

(٢) أمثال العرب: ١١٣.

(٣) البيان والتبيين: ٨٣.

(٤) الأغاني: ٧٦.

(٥) الفهرست: ١٦.

(٦) قاموس الطلّاب في الحكم والأمثال: ٢٠٨.

أقواتها من الغذاء"<sup>(١)</sup>، وعلى ذلك يمكن القول: إنَّ المكتبة العربية قد زخرت بالحكم والأمثال التي امتطأها كلُّ فارسٍ في الميدان، وجعلها زادًا لمجاهة أعاصير الحياة.

### المبحث الثالث: الحكمة في كليلة ودمنة باب (ابن الملك وأصحابه)

تناول النثر العربي في مصنفاته ضربًا من ضروب الحكيم والأمثال؛ لبث العظة والعبر، ومن تلك اللطائف والمثل ما قيل: "إنَّ أخاك مَنْ آسأك"؛ أي إنَّ أخاك حقيقةً مَنْ قَدَمَكَ وآثرك على نفسه"<sup>(٢)</sup>، وما جرى في المثل السائر من حكم قولهم: "أول الغيث طلٌّ" في إشارة إلى النهي عن استصغار الصغير أو استحقار الحقير"<sup>(٣)</sup>، ويتراءى حديث النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة: "الحكمة ضالة المؤمن"<sup>(٤)</sup>؛ أي مطلبه، فالمؤمن يحرص على جمع الحكم من أين يجدها يأخذها"<sup>(٥)</sup>، وفي (المثل السائر) يقول ابن الأثير: "مذ سمعتُ هذا الخبر النبوي جعلتُ كدي في تتبع أقوال النَّاسِ في محاوراتهم"<sup>(٦)</sup>.

والحكمة هي معرفة الحق لذاته، ومعرفة الخير لأصل العمل به"<sup>(٧)</sup>، وعند الخليل بن أحمد الفراهيدي: "مرجعها إلى العدل والعلم والحلم"<sup>(٨)</sup>. وقد استنتج الأدباء من التجارب والاصطدام بأحداث الواقع حكمًا ترجموها كلامًا بلاغيًا، وألبسوها أسلوبًا فنيًا"<sup>(٩)</sup>، وتكون العاقبة كما جاء في

(١) الكامل في اللغة والأدب: ٤٩٠.

(٢) المنتقى من أمثال العرب وقصصهم: ٢٣.

(٣) المثل السائر: ١٣٩.

(٤) سنن الترمذي: ٥١.

(٥) المنتقى من أمثال العرب وقصصهم: ٥٩.

(٦) المثل السائر: ٨١.

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٥٤٠.

(٨) كتاب العين: ٣٤٣.

(٩) المعجم المفصل في الأدب: ٣٧٦.

الحكمة التي تبيّن ثمرّة العجّلة: (من استعجل الشّيء قبل أوانه ابْتُلِيَ بجرمانه)<sup>(١)</sup>، ويُدكّر في المعجم الوسيط: إنّ الكلام الذي يقلُّ لفظه ويجلُّ معناه هو حِكْمٌ<sup>(٢)</sup>.

بإيجازٍ نقول: مصطلح الحكمة قد أخذت حيزاً كبيراً في كتب الأدب، والأمثلة الواردة في سياق ذلك لا تُعدُّ ولا تُحصى، ومن تلك المعاني ما يرويه ابن الأثير بقوله: "إني سرت في بعض الطُّرق، وفي صحبتي رجلٌ بدويٌّ من الأنباط لا يُعْتدُّ بقوله، فكان يقول: "غداً ندخل البلد، وتشتغل عني، وكان الأمر كما قال، فدخلت مدينة حلب، وشغلت عنه أياماً، ثمّ لقيني، فقال: "من تروى فتتت عظامه"<sup>(٣)</sup>.

وثمة مصنّفات عديدة، لها معانٍ وجيزة، منها كتاب (الكامل) للمبرّد<sup>(٤)</sup>، أوجز الكاتب الهدف الذي من أجله أُلّف الكتاب، ويحرّر ذلك: "هذا كتابٌ يجمع ضروباً من بين كلامٍ منتورٍ، وشعيرٍ مرصوفٍ، ومثلٍ سائرٍ، وموعظةٍ بالغةٍ.." <sup>(٥)</sup>، فالكتاب مليءٌ بالحكم والأقوال الماثورة، وما ذكره أبو العباس في قول بعض الحكماء لدليل على ذلك، يقول: "من أدب ولده صغيراً سرّ به كبيراً"<sup>(٦)</sup>، وقد سئل معاوية: ما النبيل؟ فقال: الحليم عند الغضب، والعفو عند المقدرة<sup>(٧)</sup>.

والأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع، لا يقلُّ أهميّةً عن أمثاله من المصنّفات الواردة سابقاً، أودع المؤلف فيه زاداً أدبياً وضّح أحوال الرّعيّل الأوّل، وما امتازوا به من حلمٍ، وقوّة جسمٍ.

(١) صحيح موارد الظّمان إلى زوائد ابن حبان: ٣١٠.

(٢) المعجم الوسيط: ١٩٠.

(٣) المثل السائر: ٨١.

(٤) المبرّد أبو العباس محمّد بن يزيد (٢٠١ - ٢٠٨٥/٨٢٦ - ٨٩٨م) أديب ولغوي ونحوي عربي. وُلِدَ بالبصرة وتوفي في بغداد، يُعتبر كتابه (الكامل) مرجعاً من أهم المراجع اللغوية والأدبية القديمة، وهو من أشهر آثاره على الإطلاق. ومن مصنّفات الأخرى: "التّعازي والمراثي" و "نسب عدنان وقحطان" و "المقتضب" وهو كتاب في النحو. (أعلام المورد: ٤١٦).

(٥) الكامل في اللّغة والأدب: ٥١.

(٦) المصدر نفسه: ١٠٢.

(٧) المصدر نفسه: ٩٥.

يقول ابن المقفع: "إننا وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجسامًا، وأوفر مع أجسامهم أحلامًا"<sup>(١)</sup>. ومن ذلك، وصَفُهُ (العُجْب) بآفة العقل، في قوله: "العُجْبُ آفةُ العقل؛ واللَّجاجةُ فُعودُ الهوى، والبُخلُ لقاحُ الحرص"<sup>(٢)</sup>، ويؤدي رأيًا حكيماً في مَنْ احتارَ بين أمرين، بقوله: "إذا بدَّهَكَ أمرانِ لا تدري أيُّهما أصوبُ، فانظر أيُّهما أقربُ إلى هواكَ فخالِفْهُ، فأكثرُ الصَّوابِ في خلافِ الهوى"<sup>(٣)</sup>.

يتبيّن من قول ابن المقفع أنّه يميلُ إلى فصاحةِ الألفاظِ، ورِقّةِ المعانيِ وعدوبتها، وجزالةِ التراكيب<sup>(٤)</sup>، حيثُ يبرزُ فضلُهُ في خدمةِ العربيةِ وعلوِّ شأنها، ورفع مكانةِ النَّثرِ العربي، من خلالِ إدخالِ الحكمةِ الفارسيةِ والهنديةِ والمنطقِ اليوناني، وعلمِ الأخلاقِ والسِّياسة<sup>(٥)</sup>، ومصنَّفاتهُ خيرُ شاهدٍ على أثرِ التَّمزجِ، وتلاقحِ الفكرِ الهندي واليوناني في استقامةِ خيطِ رفيعٍ يُعرفُ بالحكمِ والتَّجاربِ، التي بلا شكٍّ ستسهمُ في الوقايةِ من نوائبِ الدَّهرِ، وإعانةِ المرءِ على إدارةِ شؤونِ حياته.

والثَّرائثُ العربيُّ حفلٌ بمؤلَّفاتٍ فريدةٍ خلَّدها التَّاريخُ، لعلَّ أشهرها الرِّونقُ الأدبيُّ المشهورُ قديماً وحديثاً (كليلة ودمنة) الَّذي يضمُّ بين دِفْتيه مجموعةً متنوّعةً من القصصِ الماتعةِ الفريدةِ، والحكمِ الغزيرةِ، على ألسنةِ الحيواناتِ، ترجمها ابنُ المقفَعِ إلى العربيةِ، للمؤلِّفِ (بيدبا)<sup>(٦)</sup> الفيلسوفِ الهندي؛ ليسردها على الملكِ (دبشليم) مقدِّماً لهُ نصحاً عديدةً دونَ لفتِ انتباهه.

والجديرُ ذكره في كتابِ (كليلة ودمنة) أنّه يُعدُّ رصيِّداً هائلاً من التَّجاربِ الإنسانيّةِ، ذاتِ القيمِ الأخلاقيةِ التي تهدِّبُ النُّفوسَ<sup>(٧)</sup> يقولُ ابنُ المقفَعِ في خطبةِ الكتابِ مادحاً: "هو في ضروبِ السِّياسةِ

(١) الأدب الكبير والأدب الصَّغير: ٧٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٢.

(٤) المصدر نفسه: ٧.

(٥) المصدر نفسه: ٧.

(٦) بيدبا: يعرفه الغربيون عادة باسم بلباي أو بدباي؛ وهو صاحب كليلة ودمنة، ولعلَّ معنى اسمه: صاحب العلم، وهو شخصية أسطورية. (المعجم المفصل في الأدب: ٢٠٤).

(٧) ابن المقفع: أديب عربي فارسي الأصل، يعتبر أحد أئمة البلاغة في الأدب العربي كله، وذلك لبيانه السهل الممتنع، أمم بالزندقة فقتله والي البصرة في عهد المنصور العبَّاسي. أشهر آثاره: "كليلة ودمنة" وقد ترجمه عن الفارسية، وكتابه: "الأدب الصَّغير" و"الأدب الكبير". (معجم أعلام المورث: ٢٧).

أكبر آية، وفي جوامع الحكم أبلغ غاية<sup>(١)</sup> فهو "كتاب قِيم، جامعٌ للحكم والعبير والأمثال، ويدعو للأخذ بمكارم الأخلاق"<sup>(٢)</sup> نثر فيه لحنًا جميلًا مستساغًا، ممزوجًا بالحكم والأمثال، غايتُهُ النصح والعبير؛ ليتفياً بظلاله الوارفة الأجيالَ تلَو الأجيال؛ وتمضي بهم قافلة الحكمة إلى طوق النَّجاة من منعصات العيش وعواصف الحياة، وإزاء ذلك فالكتابُ ذاعَ صَيْتُهُ، وبلغَ مبلغًا كبيرًا من الشهرة، حيثُ يقولُ الشَّاعرُ العبَّاسي (أبان بن عبد الحميد اللاحقي)<sup>(٣)</sup>:

هَذَا كِتَابٌ أَدَبٍ وَمُحَنَّةٌ      وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى كَلِيلَةَ وَدَمْنَةَ  
فِيهِ احْتِيَالاتٌ وَفِيهِ رُشْدٌ      وَهُوَ كِتَابٌ وَضَعَتْهُ الْهِنْدُ

ويؤكِّدُ سليمانُ الخراشي ذلك: "أما كتاب (كليلة ودمنة) فقد اشتهر بين الخاصَّة والعامَّة، بهدفِ التَّنقيفِ، بأسلوبٍ لطيفٍ، على ألسنة الحيوانات"<sup>(٤)</sup>، ومن المعلوم بدهاءة، أنَّ كلَّ مخلوق له هدفٌ وغايةٌ في الحياة، وبذلك يحتاجُ إلى عقلٍ حكيمٍ، ورأيٍ سديدٍ يعينه في اتِّخاذِ القرارِ الصَّائبِ في مسيرة حياته. يقولُ ابنُ المقفَّع: "غايةُ النَّاسِ وحاجاتهم صلاح المعاش والمعاد، والسَّبيل إلى دركها العقل الصَّحيح"<sup>(٥)</sup>، فهو بذلك يرمي إلى دورِ العقلِ في اتِّخاذِ جملةِ القراراتِ الصَّائبةِ، يضيفُ حكيمٌ سائلًا: ما خيرٌ ما يُؤتَى المرءُ؟ قيل: غريزةٌ عقلٍ. قال: فإن لم يكن؟ قيل: فتعلُّمٌ علمٍ"<sup>(٦)</sup>.

وقصَّةُ (ابن الملك وأصحابه) تُحاولُ استلهامِ الثَّراثِ الدِّيني (القضاء والقدر) وغرسه بين النَّاسِ، ولعلَّها جاءت؛ لتمحو الظَّنَّ وتجلي الشُّكوكَ، ويبدو جليًا من تساؤلِ ديشليم الملكِ لبيدبا الفيلسوف: "إنَّ كانَ الرَّجُلُ لا يُصِيبُ الحَيْرَ إِلَّا بِعَقْلِهِ ورأيه كَمَا يَزْعُمون، فَمَا بالُ الجاهِلِ يُصِيبُ الرِّفْعَةَ، والحَكِيمِ

(١) كليلة ودمنة: ١.

(٢) المصدر نفسه: ٥.

(٣) الأغاني: ١٦٤.

(٤) تمذيب إسلامي لقصص: كليلة ودمنة: ٧.

(٥) الأدب الكبير والأدب الصَّغير: ١١.

(٦) المصدر نفسه: ٥٩.

قَدْ يُصِيبُ الْبَلَاءَ وَالضَّرَّ؟<sup>(١)</sup>، وينساق الحق حينئذ لإثبات جزئيتين اثنتين أولها: الحلم والعقل، ثانيها: القضاء والقدر، والحلم متصل بالعقل وقد قيل: "الحلم دعامة العقل"<sup>(٢)</sup>، وقال بعض العلماء: "الحلم أرفع من العقل؛ لأن الله تعالى تسمى به"<sup>(٣)</sup>، ويقودنا السباق في توضيح صفة الحليم، ومعرفة الشجاع، وكشف سمات الخلل الوفي بالقول: "ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة مواطن: الحليم لا يُعرف إلا عند الغضب، والشجاع في الحرب، ولا تعرف أحاك إلا عند الحاجة إليه"<sup>(٤)</sup>.

ومن الثابت أن العقل مركز الفكر والحكم والفهم، وبه يكون التفكير والاستدلال<sup>(٥)</sup>، والإدراك والتَّمييز، نقول: عقل الغلام: أي أدرك وميَّز<sup>(٦)</sup>، والفكر أتمُّ ما يملك الإنسان<sup>(٧)</sup>، وقد خصَّ الله التفكير لأهل الفكر؛ لأنهم أهل التَّمييز بين الأمور، والفحص عن حقائق<sup>(٨)</sup> قَالَ تَعَالَى: ﴿نُفِّصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُنْفَكِرُونَ﴾<sup>(٩)</sup>؛ أي: نبيِّنُ حُجَجَنَا لِمَنْ تَفَكَّرَ<sup>(١٠)</sup>، من هنا ندرك تلازم التفكير والعقل؛ فهو شرف لصاحبه، وبه تُستوفى الفضائل.

وعلى ضوء ما ذكِرَ نستلهم من شخوص القصة شخصية جوهرية (ابن الملك)، تلك الشخصية التي مثَّلت المرتكز الأساس، والمحور الرئيس في النص، والألف توظيف المصنّف كلمة (ابن دون (ولد) لتلك الشخوص، حيث نلاحظ (ابن الملك، ابن التاجر، ابن الشريف، ابن الأكار)؛ ولعلّه عائد إلى الحُصُوصية، إذ إنَّ (الابن) يفيد الاختصاص ومداومة الصُّحبة، تقول: تبيَّثُ ابناً إذا جعلته خاصاً بك<sup>(١١)</sup>، وشخصية (ابن الملك) على الخصوص قد تفرَّدت من زاويتين الأولى: تسمية

(١) كلبلة ودمنة: ٣٧٨.

(٢) معجم حكمة العرب: ١٥٤.

(٣) إحياء علوم الدين: ١٧٩.

(٤) المصدر نفسه: ٧٦.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٥٣١.

(٦) المصدر نفسه: ١٥٣٠.

(٧) قاموس الطلاب في الحكم والأمثال: ٣٨٦.

(٨) تفسير الطبري: ١٥١.

(٩) يونس: [٢٤].

(١٠) تفسير الطبري: ١٥١.

(١١) الفروق في اللغة: ٢٧٥.



القِصَّة باسمه: (ابن الملك وأصحابه)، وتصدِّره الَّذِي يظهرُ في قولِ بيدبا الفيلسوف دون غيره: "زعموا أنَّ أربعة نفرٍ اصطحبوا في طريقٍ واحدةٍ، أحدهم ابنُ ملكٍ"<sup>(١)</sup> فهو ابنُ مَلِكٍ، والملكُ ذو السُّلطانِ والجاه<sup>(٢)</sup>.

**الثَّانية:** حكمته الَّتِي سِيَّمتُ للتَّأكيدِ على غايةٍ نبيلة، وتحقِّيقِ مطلبٍ سامٍ وهو (القضاءُ والقدْر)، ولعل ما يثبتُ ذلكَ قولُهُ حينما كانَ راجعًا إلى طباعِهِ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْها، بعدَ الشِّدَّةِ والجهدِ الَّذِي أصابهم في الغربةِ، نراهُ ينثرُ الحكمةَ: "إنَّ أمرَ الدُّنيا كُلُّهُ بالقضاءِ والقدْر"<sup>(٣)</sup>، فالموقفُ كانَ شديدًا والحالُ عسيرًا، والكلُّ بحاجةٍ إلى توفيرِ قوته، غيرَ أنَّه لم يبالِ، بل سَعَى في تأكيدِ مبدأ (القضاءِ والقدْر)، مشيرًا إلى تَأصيلِهِ من جانبٍ آخرِ بقولِهِ: "إنَّ الاجتهادَ والجمالَ والعقلَ، وما أصابَ الرَّجُلُ في الدُّنيا مِنْ حَيْرٍ أو شَرٍّ إمَّا هو بِقضاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ"<sup>(٤)</sup>.

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ (القضاءَ والقدْر) عقيدةٌ أقرَّتْها جميعُ الرِّسالاتِ الإلهيةِ لبني البشرِ، ويأتي (زوج الهدهد) ليؤكِّدَ ذلكَ بقولِهِ: "إنَّ القضاءَ إذا نَزَلَ صَرَفَ العيونَ عَن مَوْضِعِ الشَّيْءِ وَعَشَى البَصَرَ"<sup>(٥)</sup>، ويأتي الاستفهامُ الإنكاريُّ للإيضاحِ والإبانةِ: "أما تعلمُ أنَّ القَدَرَ غَالِبٌ على كُلِّ شيءٍ؟!"<sup>(٦)</sup>.

وتلزمنا الإشارةُ - في الحديثِ عن الحِكْمَةِ- إلى عقدِ مقارنةٍ بينِ شخوصِ القِصَّةِ الأربعةِ ابتداءً بـ (ابن الملك)، وتباعًا (ابن التَّاجر، وابن الشَّرِيف، وابن الأكَار)، (فابنُ الملكِ) أداةُ حكمه القضاءِ

(١) كليله ودمنة: ٣٧٨.

(٢) معجم متن اللُّغة: ٣٤٧.

(٣) كليله ودمنة: ٣٧٩.

(٤) المصدر نفسه: ٣٨٣.

(٥) المصدر نفسه: ٣٨٦.

(٦) المصدر نفسه: ٣٨٦.

والقدر، بدلالة قوله: "إِنَّ أَمَرَ الدُّنْيَا كُلَّهُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَالصَّبْرُ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَانْتِظَارُهَا أَفْضَلُ الْأُمُورِ"<sup>(١)</sup>.

فيما (ابن التاجر) عتاده الحِلْمُ والعقل. يقول: "العقل أفضل من كل شيء"<sup>(٢)</sup>، بينما (ابن الشريف) عتاده الجمال، والشريف هو النبيل، سامي المكانة، رفيع الدرجة، عالي المنزلة<sup>(٣)</sup>، ويبدو أن من ينال تلك المنزلة له مزايا البهاء وصفات الجمال، وفي النص بيان ذلك: "الجمال أفضل مما ذكروا"<sup>(٤)</sup>، أمّا (ابن الأكار) فسلاحه الجد والاجتهاد في العمل، ولعل رابطة وثيقة تربط ابن الأكار بالاجتهاد، إذ معنى (أكار) حرّاث؛ أي زراع<sup>(٥)</sup>، والزراع سمته الاجتهاد في حرث الأرض، وهو ما يقودنا إلى وجود وفر تام من (الحكمة) في النص ولا غرو، فكليلة ودمنة مكنز أدبي ثري بقصصه الهادفة بما فيها من عبر، وعليه يمكننا استخلاص آيات الحكمة لشخصيات القصة، وفق التسلسل الآتي:

ممارسة شخوص القصة التفكير؛ للنأي عن الضر الذي أصابهم: "فبينما هم يمشون إذ فكروا في أمرهم"<sup>(٦)</sup>؛ أي مارسوا نشاطهم الذهني، والتفكير هو "إعمال العقل فيه؛ ليصل إلى نتيجة أو قرار"<sup>(٧)</sup>، وجعلوا الشورى منهجاً لإصابة الهدف المنشود، فهم قد "جلسوا في ناحية يتشاورون"<sup>(٨)</sup>؛ من أجل تلاقح الأفكار، وإصابة الرأي الرّاجح، وتحقيق المراد.

(١) كليلة ودمنة: ٣٧٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٧٩.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١١٩١.

(٤) كليلة ودمنة: ٣٧٩.

(٥) المصدر نفسه: ٣٧٩.

(٦) المصدر نفسه: ٣٧٩.

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٧٣٣.

(٨) كليلة ودمنة: ٣٧٩.

وتفاوتت درجات الحكمة من شخصية إلى أخرى، فيظهرُ التّفكيرُ؛ ليرزّ (ابن الأَكار)، ومن ذلك، ما وردَ على لسانه حين انطلاقه لكسبِ قوتهم من الطّعام: "سأل عن عمَلٍ إذا عمَلهُ الإنسانُ يكتسبُ فيه طعامَ أربعةِ نَقَرٍ"<sup>(١)</sup>. ولعلَّ الاستفهامَ عن شيءٍ ما، ينبعُ بعدَ فِكرٍ عميقٍ، وتأملٍ دقيقٍ، فيما (ابنُ الشّريف) يعملُ فكره وعقله لاكتسابِ قوتهم، ويظهرُ ذلك من خلالِ قوله: "ففكّر في نفسه"<sup>(٢)</sup>، حتّى أوصلهُ التّفكيرُ إلى مبتغاهُ، وفوزهُ بمائةِ درهمٍ.

ومع تصاعد مبدأ التّفكير تظهَرُ جماعةُ التّجار؛ بغيةِ بيع ما في سفينتهم من متاعٍ "فجلسوا يتشاورون"<sup>(٣)</sup>؛ أي لا يقطعونَ بأمرٍ حتّى يجتمعوا ويتشاوروا<sup>(٤)</sup> فيسوقهم (ابنُ التّاجر)؛ ليرسمَ لونا ساميا في حُسنِ التّصرّفِ، وإعمالِ العقلِ فيربحَ مائةَ ألفِ درهمٍ، وقد قيلَ شعراً في بيانِ فضلِ العقلِ<sup>(٥)</sup>:

إِنَّمَا الْفُضْلُ بِعَقْلِ رَاجِحٍ      وَبِأَخْلَاقٍ كِرَامٍ وَأَدَبٍ

وثمةُ ضربٌ آخرُ يرهَنُ صفوةَ أهلِ المدينةِ وأشرافها؛ في محاولةٍ لتنصيبِ ملكٍ لهم: "فلَمَّا كَانَ أَهْلُ تَلْكَ الْمَدِينَةِ يَتَشَاوَرُونَ فِيمَنْ يَمْلِكُونَهُ"<sup>(٦)</sup> باحثينَ عن مشورةٍ أو نصيحٍ من رأيٍ يهتدون إليها<sup>(٧)</sup> فيتصدّر (ابنُ الملك) المشهد؛ لكسبِ زادهم وطعامهم: "فانطلقَ حتّى أتى إلى بابِ المدينةِ فَجَلَسَ على دَكَّةٍ"<sup>(٨)</sup>. وتتجلّى إرهاباتٌ على امتلاكه ناصيةَ الملك، منها: حينما مُرَّ عليه بجزارةٍ مَلِكٍ لم يحزن؛ إيماناً بالقضاءِ والقدرِ: "فلَمَّا دَهَبُوا عَادَ الْعُلَامُ فَجَلَسَ مَكَانَهُ"<sup>(٩)</sup>.

(١) كلية ودمنة: ٣٧٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٨٠.

(٣) المصدر نفسه: ٣٨١.

(٤) معجم اللّغة العربية المعاصرة: ١٢٤٧.

(٥) السّعر الحلال في الحكم والأمثال: ٢٧.

(٦) كلية ودمنة: ٣٨٢.

(٧) معجم اللّغة العربية المعاصرة: ١٢٤٧.

(٨) كلية ودمنة: ٣٨٢.

(٩) المصدر نفسه: ٣٨٢.

فالموقف جسيم، والحال مهيب (الجنازة)، لكنّه لم يأبه بذلك، فأنكر الجمع حاله، وشمته البوّاب، وقال له: "مَنْ أَنْتَ يَا هَذَا"<sup>(١)</sup>. وما ذاك إلا إدراك لحسن تفكيره، ودهاء عقله، وإيحاء بشخصه، ولفت انتباههم وأنظارهم إلى مكانته، ويبدو ذلك من خلال بعث أشرف أهل المدينة إلى العُلام للسؤال عن حاله، وإقدامه إلى مدينتهم<sup>(٢)</sup> فيجيب بثقة: "أنا ابنُ ملكٍ فَوَيْرَان"<sup>(٣)</sup>، من ذلك يُفهم مدى الحكمة التي مكنته من التفرّد على أقرانه الثلاثة.

وفي سياق المقارنة الأنفة، يتبيّن جلاء تلك الحكمة، إذ يأتي شيخ ليؤكد حلم ابن الملك، وكفاءته بالحكم، وجدارته بالملك، والشيخ هو صاحب المكانة من علم أو فضل<sup>(٤)</sup>، يقول: "تكلّمت بكلام كامل عقل وحكمة"<sup>(٥)</sup>، إشارة إلى حلم (ابن الملك) وجودة رأيه وتفكيره.

ولعلّ تنازله عن الحكم فضلاً عن منازعة أخيه؛ لتأكيد على حكمته ونباهته. يقول: "لَمَّا مَاتَ أَبِي غَلَبَنِي أَخِي عَلَى الْمَلِكِ، فَهَرَبْتُ مِنْ يَدِهِ؛ حَذَرًا عَلَى نَفْسِي حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ"<sup>(٦)</sup>، ولعلّ الناظر يحال ذلك الهروب جُبْنًا وخوفًا، غير أنّ ذلك الرأي يُوحى إلى قوّة العقل، وبيان الحكمة، باتخاذ الحلم غاية للنجاة من الهلكة.

يمكننا القول: إنّ (ابن الملك) بعد استوائه على الحكم، عمّد إلى اتّخاذ جملة من إجراءات الحكمة، منها:

- إشراك صاحب العقل (ابن التاجر) مع الوزراء<sup>(٧)</sup>، لجودة رأيه، وضمن سير الحياة بهدوء وسكينة.

(١) كليلة ودمنة: ٣٨٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٨٢.

(٣) المصدر نفسه: ٦٨٢.

(٤) المعجم المفصل في المجموع: ٢٥٥.

(٥) كليلة ودمنة: ٣٨٤.

(٦) المصدر نفسه: ٣٨٢-٣٨٣.

(٧) كليلة ودمنة: ٣٨٣.

- ضمَّ المجتهد (ابن الأكار) إلى أصحابِ الرَّع<sup>(١)</sup>؛ لِيُحَفِّزَ العاملينَ، ويدبُّ الحماسَ بينهم مما يسهمُ في الإنتاجِ الوفيرِ.

- نَقِيَّ ذي الجمالِ (ابن الشَّريف)<sup>(٢)</sup>؛ خوفاً من الافتتانِ به ويظهرُ في قوله: "نَقَاهُ كَيْ لَا يُفْتَنَ بِهِ"<sup>(٣)</sup>.

ما سبقَ لا يعني سُخْفًا، بل نُبلاً ودهاءً، ويتجلَّى ذلك في الاجراءاتِ المتَّخذة سلفًا، ما يترجمُ ذكاء (ابن الملك) وحكمته، وخبرته، وبرغم تلك المزايا التي تشكَّلت في شخصه، إلَّا أننا نلمحُ سمتين مميَّزتين: الأولى وفاؤُهُ لأصحابه الثلاثة، وحسن كرمه لهم بعد تولَّيه الملك، الثانية: رجاحةُ عقله، وحكمته في تأمينِ حُكْمِهِ، وضمانِ البقاء.

أخيراً... لو تأملنا مشاهدَ القصةِ مدَّ اصطحابِ الرِّفقةِ معاً في طريقٍ واحدٍ من شدَّتهم في الغربة، مروراً بالصِّعَابِ التي تعرَّضوا لها في سبيلِ اكتسابِ طعامهم، إلى نيلِ (ابن الملك) الملكِ على مدينة (مَطْرُون)، لألفينا (القضاءَ والقدرَ) يجمعها، من خلالِ ما دُكِرَ أعلاه، فَجُلُّ ما تُصوِّره الحياةُ من مواقف وطقوس، ما هي إلَّا مشهداً من المشاهد التي قضاها الحقُّ تبارك وتعالى، وقدَّردَ حدوثها في أوانها، وقدَّ أشارَ سبحانه إلى ذلك بقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾<sup>(٤)</sup>؛ أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم<sup>(٥)</sup>.

والقصةُ وما تحتويها من فصولٍ ومشاهد، تعلِّمنا الحِكْمَةَ والبيانَ، فهي تحملُ في طياتها (العقل)، وضرورةَ إعماله في اتِّخَاذِ القرارِ، ويتجاوزُ ذلك كلُّهُ (القضاءَ والقدرَ)، فثُمَّةً مَنْ يحاولُ الإثباتَ والظَّفْرَ بعمله على غيره مثلما فعلَ (ابن الأكار، وابن الشَّريف، وابن التَّاجر)، حيثُ كتب

(١) كليلة ودمنة: ٣٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ٣٨٣.

(٤) فصلت: [١٠].

(٥) الكشَّاف: ٣٦٩.

الأوّل على باب المدينة: "عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ إِذَا أَجْهَدَ فِيهِ الرَّجُلُ بَدَنَهُ قِيمَتُهُ دِرْهَمٌ"<sup>(١)</sup>، والثّاني: "جمالُ يَوْمٍ يُسَاوِي مِئَةَ دِرْهَمٍ"<sup>(٢)</sup>، ويسجّل الثّالث: "عَقْلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَنُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ"<sup>(٣)</sup>.

ويجمع (ابن الملك) علماء أرضه وأرباب الرّأي؛ ليسجّل كلمات لطيفة تُعزِّر عن حقائق، مؤكّداً أنّ تلك المنحة التي حظي بها كانت بقدر، ويظهر ذلك في قوله: "إِنَّ الَّذِي مَنَحَنِي اللَّهُ وَهَيَّأَهُ لِي إِنَّمَا كَانَ بِقَدْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ بِجَمَالٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا اجْتِهَادٍ"<sup>(٤)</sup>، وإذا جاز لنا القول: إنّ ما يحدث في الكون عامة يخضع للقضاء والقدر، ونؤكّد ذلك جازمين حقيقتها، إذ نستمع إلى (ابن الملك) وهو يعزف سيمفونية تنساب من كلماتها العذوبة، وقطرات الندى مخاطباً: "أَمَّا أَصْحَابِي فَقَدْ تَيَقَّنُوا أَنَّ الَّذِي رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْخَيْرِ إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ"<sup>(٥)</sup>، ويؤكّد ذلك شيخ شهد ذلك الجمع، فاستوى قائماً يُعدّد مزاياه: "إِنَّ الَّذِي بَلَغَ بِكَ ذَلِكَ وَفَوَّرَ عَقْلَكَ وَحَسَّنَ ظَنَّنَكَ"<sup>(٦)</sup>، حيثُ كنّا نعرف ما قسمه الله تعالى لك من العقل والرّأي"<sup>(٧)</sup>، والمحظوظ من وهب عقلاً راجحاً ورأياً صائباً، فالعقل نور القلب، يعرف الحقّ والباطل"<sup>(٨)</sup>، والرّأي نظرة الشّخص التي يتبنّاها حكماً لفكرة معينة.

وللجانب الدّيني حُضور في القصّة، يمثّله سائح كان خادماً في صغره، وشيخاً من أشرف النّاس في كبره قد بدا له رفض الدّنيا، والقارئ المتمعّن يعيش في ظلّها لحظات خلّابة، حيثُ يلمح طياتها قد امتلأت بالصدقة التي فاضت بالإنسانية، مقرونة بالرحمة والشفقة، فتسمو في ألقٍ وبهاء؛ لتحقيق مبدأ (القضاء والقدر)، فالسائح يتقاضى دينارين أجره، فيؤثّر الصدقة بدينار وإبقاء الآخر قائلاً:

(١) كليلة ودمنة: ٣٨٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣٨٠.

(٣) المصدر نفسه: ٣٨٢.

(٤) المصدر نفسه: ٣٨٤.

(٥) المصدر نفسه: ٣٨٤.

(٦) المصدر نفسه: ٣٨٤.

(٧) المصدر نفسه: ٣٨٤.

(٨) المعجم المفصّل في الأدب: ٦٥١.

"فأردت أن أتصدّق بأحدهما وأستبقي الآخر"<sup>(١)</sup>. بعدها يُساومُ صيِّادًا في إمكانية شراء أحد الهدهدين وترك الآخر، عندها تبرّز الإنسانية خشية التفريق بينهما، وتلك النَّفحة رَسَمَتْ أجديات الإنسان الوفي، مولدة الرحمة، يقول: "أدركني هُما رحمة فتوَكَّلْتُ على الله وابتعتهما بدينارين"<sup>(٢)</sup>، مبيِّنا الغاية من ذلك في قوله: "أشفقتُ إن أرسلتُهُما في أرضٍ عامرة أن يُصَادَا، ولا يستطيعا أن يطيرا ممَّا لقيتا من الجوع"<sup>(٣)</sup>.

وأمام تلك المعادلة تأتي ثمرة الإنسانية؛ لتهدّي مكافئةً للسائح، فيقولُ أحدُ الهدهدين: "لقد استنقَدْنَا هذا السائح ونَجَّانَا من الهلكة، وإنَّا لخليقان أن نكافئه بفعله"<sup>(٤)</sup>، ولعلَّ تلك المعادلة تخلصُ إلى الكشف عن ثبات مبدأ (القضاء والقدر)، إذ يُبصِران الهدهدان ماهية ذلك فيجزمان القول: "إنَّ القضاء إذا نزلَ صرفَ العيونَ عن موضع الشّيءِ وغشَى البصر"<sup>(٥)</sup>، يقولُ ابنُ عباسٍ: "إذا حلَّ القَدْرُ عمي البصر"<sup>(٦)</sup>.

ويتجلّى حقيقة ذلك ليشمل غلبة القضاء على كلِّ شيءٍ، فيكشف الهدهدان ذلك: "أيهما العاقل، أما تعلم أن القَدْرَ غالبٌ على كلِّ شيءٍ، لا يستطيع أحدٌ أن يتجاوزه"<sup>(٧)</sup>، والنتيجة شهادة الشيخ السائح أفضت إلى الملك مراده بالقول: "وأنا أخيرُ الملكِ بذلك الذي رأيتُهُ، فإن أمرَ الملكِ

(١) كلية ودمنة: ٣٨٥.

(٢) المصدر نفسه: ٣٨٥.

(٣) المصدر نفسه: ٣٨٥.

(٤) المصدر نفسه: ٣٨٦.

(٥) المصدر نفسه: ٣٨٦.

(٦) قاموس الطلاب في الحكم والأمثال: ٤٠١.

(٧) كلية ودمنة: ٣٨٦.

أَتَيْتُهُ بِالْمَالِ فَأُودِعْتُهُ فِي خَزَائِنِهِ"<sup>(١)</sup>، ويتجاوزُ (ابنُ الملكِ) حدودَ الذاتِ مشيراً بقوله: "ذَلِكَ لَكَ، وَمَوْفَّقٌ عَلَيْكَ"<sup>(٢)</sup>.

التأثرُ بالهديِّ الدِّينيِّ بَيِّنٌ فِي النَّصِّ، وَمَعَانِيهِ ظَاهِرَةٌ لَوْحَ بِهَا (ابنُ الملكِ) مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، إِلَى أَنْ ظَفَرَ بِتَحْقِيقِ غَايَتِهِ؛ غَلَبَةُ (القضاءِ والقدرِ) ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً، مَتَجَاوِزًا رِفَاقَهُ، مِمَّنْ أَصَابَهُمْ جَهْدُ الْغَرَبَةِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ ظَفَرُوا بِالْمَرَادِ، بَعْدَ أَنْ آلَ الْحُكْمُ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى أَنَّ "الْعَمَلَ بِالْحِلْمِ، وَالْعَقْلَ بِالتَّثَبُّتِ؛ لَكِنِ الْقَضَاءُ وَالْقَدْرَ يَغْلِبَانِ عَلَى ذَلِكَ"<sup>(٣)</sup>.

مَمَّا سَبَقَ، نَرَى كُلَّ الْمَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ، الْمَمْرُوجَةِ بِالصَّبْغَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَاضِحَةً فِي حِكْمِ (ابنِ الملكِ)، وَلَنَا فِي قِصَّتِهِ آيَاتٌ، حُقُّ أَنْ نَزْهَوْ بِحِكْمِهَا الْمُنَاثِرَةِ، وَنَسْتَنْشِقَ عِبْرَتَهَا الْفَوْاحَ، وَنَسْتَشْعَرَ مَعْنَى (القضاءِ والقدرِ) فِي صُورَةٍ حَسْبِيَّةٍ، لِيَتِمَّتْ النَّاشِئَةُ ذَاكَ الْمَعْنَى.

## الخاتمة

فِي خَتَامِ هَذَا الْبَحْثِ، وَمِنْ غَوْصِنَا فِي دَفَائِقِ الْقِصَّةِ، لَا بُدَّ مِنْ تَرْجِيحِ مَفْهُومِ (القضاءِ والقدرِ) عَلَى جِلِّ الْمَفَاهِيمِ الْأُخْرَى، وَالْمَقَاصِدِ الَّتِي تَنَاطَرَتْ فِي أَثْنَاءِ النَّصِّ، وَضُرُورَةَ تَوْطِينِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَتَسْلِيمِهَا لِمَا يَقْدِرُهُ اللَّهُ تَعَالَى، إِضَافَةً إِلَى إِبْرَازِ مَفْهُومِ الْحِكْمَةِ، وَمَدَى الْإِسْتِفَادَةِ مِنْهَا. وَقَدْ أَفْضَى الْبَحْثُ إِلَى نَتَائِجٍ وَتَوْصِيَّاتٍ هَامَةٍ:

## أولاً النَّتَائِجُ:

١. إِنَّ جَمِيعَ مَا يَجْرِي فِي الْكُونِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَفَرَحٍ أَوْ حُزْنٍ إِنَّمَا هُوَ مَرْهُونٌ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ.

(١) كليلة ودمنة: ٣٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ٣٨٦.

(٣) المصدر نفسه: ٣٧٨.



٢. إِنَّ القِصَّةَ سُنُّهُمْ بلا ريب، في تثبيتِ منظومةِ التَّربِيَةِ الدِّينِيَّةِ، وإيثارها على الذَّاتِ الإنسانية.
٣. إِنَّ الصَّبْرَ وتدريبِ النَّفسِ على الرِّضا بقضاءِ الله وقدره، أمرٌ مستحبٌّ دعا إليه ديننا الحنيف.
٤. كُلُّ ما في الحياة من اجتهادٍ وجمالٍ وعقلٍ، وما أصابَ الرَّجلُ في الدُّنيا وغيرها منوطة بالقضاءِ والقَدْرِ.

### ثانياً التَّوصيات:

١. حث وزارة الأوقاف على إلزامِ خُطباءِ وأئمَّةِ المساجد، على توظيفِ مفهومِ القضاءِ والقَدْرِ في أنشطتهم العلمية ومحاضراتهم الدِّينية، من أجلِ توعية الفرد والمجتمع بين الحين والآخر.
٢. دعوة القائمين على المؤسَّساتِ التَّعليمية الحكومية والأهلية، إلى إدراجِ قصصِ هادفةٍ في منهجِي: (القراءة والإسلامية)، تشملُ القيمَ الأخلاقية، في مختلفِ المستوياتِ الدِّراسية؛ من أجلِ التَّربيةِ والتَّهذيبِ، وضرورةِ تفعيلِ برامجِ الإذاعاتِ المدرسية، تشملُ موضوعاتٍ دينية، وِحَكَمٍ مفيدة تُسهمُ في تأهيلِ المتعلِّمينَ أخلاقياً.
٣. الإسهامُ في إقامةِ محاضراتٍ توعويةٍ وندواتٍ علمية، لغرسِ مبدأ (القضاءِ والقدر) بينَ شريحةِ المتعلِّمينَ في الكلياتِ والمعاهد، وبثِّ السَّكينةِ والطُّمأنينة، لخلقِ جيلٍ يُدركُ مهمَّتهُ في الحياة.
٤. دعوة مكاتبِ الشَّبَابِ والرِّياضة، على تفعيلِ الجانبِ التَّقافي في المؤسَّساتِ الرِّياضية، من خلالِ إجراءِ محاضراتٍ ومسابقاتٍ، في سياقِ بثِّ مفهومِ الطُّموح، مع الإيمانِ بالقضاءِ والقدر بينَ أوساطِ الشَّبَابِ، لتقويمِ مسارِ حياتهم من الانجرافِ إلى الرَّذيلة.

## المصادر والمراجع

### أولاً المصادر:

١. الفيلسوف الهندي، بيدبا، ترجمة: عبدالله بن المقفّع، كلية ودمنة، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط ٢٠٠٩م.

### ثانياً المراجع:

١. ابن الأثير، ضياء الدّين، المثل السائر، تقديم وتحقيق وشرح: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنّشر الفجالة- القاهرة، ط ٢، ١٩٨٣م.
٢. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، مؤسّسة جمال للطباعة والنّشر بيروت- لبنان، د.ت.
٣. الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الفكر- بيروت، ط ٢، د.ت..
٤. الألباني، محمد ناصر الدّين، صحيح موارد الظّمآن إلى زوائد ابن حبان، دار الصمعي للنّشر والتّوزيع- المملكة العربية السّعودية، ط ١، ٢٠٠٢م.
٥. بديع يعقوب، إميل، المعجم المفصّل في الجموع، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م.
٦. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، مسند البزار، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنوّرة، ط ١، ١٩٨٨م.
٧. البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين- بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.

٨. البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧م.
٩. البقاعي، يوسف الشَّيخ مُجَّد، الشَّوقيات، دار الكتاب العربي، ٢٠١٠م.
١٠. البيهقي، أحمد الحسين علي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
١١. البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطى قلجى، دار الكتب العلمية - دار الريان للتراث، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
١٢. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت.ط.
١٣. التميمي، أحمد علي المثنى أبو يعلى، مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط١، ١٩٨٤م.
١٤. التتويجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٩م.
١٥. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، دار الجبل - بيروت، د.ت.ط.
١٦. الحمداي، أبو فراس، شرح ديوان أبي فراس الحمداي، شرح وتحقيق: عباس إبراهيم، دار الفكر العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
١٧. الخراشي، سليمان بن صالح، تهذيب إسلامي لقصص: كلية ودمنة، دار القاسم للنشر - الرياض، ط١٩١٩هـ.

١٨. الرّازي، فخر الدّين مُحمّد بن عمر التّيمي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
١٩. رضا، الشّيخ أحمد، معجم متن اللّغة، دار مكتبة الحياة- بيروت، د. ت. ط.
٢٠. الروياني، مُحمّد بن هارون، مسند الروياني، تحقيق: أيمن علي أبو يمان، مؤسسة قرطبة- القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ.
٢١. الرّمحشري، جار الله، الكشّاف، تحقيق: الشّيخ عادل أحمد والشّيخ علي محمّد معوّض وآخرون، مكتبة العبيكان- الرّياض، ط ١، ١٩٩٨م.
٢٢. السّعدي، عبد الرّحمن ناصر عبد الله، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرّحمن بن معلا اللويح، مؤسّسة الرّسالة، ط ١، ٢٠٠٠م.
٢٣. أبو سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، تقديم وشرح وتعليق: د. مُحمّد حمود، دار الفكر اللّبناني، ط ١، ١٩٩٥م.
٢٤. الشّافعي، ديوان الإمام الشّافعي، جمع وتحقيق: أحمد أحمد شتيوي، دار الغد الجديد المنصورة- مصر، ط ١، ٢٠٠٣م.
٢٥. شلق، أمل، معجم حكمة العرب، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩١م.
٢٦. الشّيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، د. ت. ط.
٢٧. الصّابوني، محمّد علي، صفوة التّفاسير، دار القرآن الكريم بيروت، ط ٦، ١٩٨٥م.
٢٨. الصّابوني، محمّد علي، من كنوز السّنّة، عالم الكتب- بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.
٢٩. صالح الخراشي، سليمان، المنتقى من أمثال العرب وقصصهم، دار القاسم للنّشر والتّوزيع، ط ١، ٢٠٠٧م.

٣٠. الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم، أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨١ م.
٣١. الطائي، حاتم، ديوان حاتم الطائي، تقديم وشرح وتعليق: محمد حمود، دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٥ م.
٣٢. الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر عبد السند حسن يمامة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، د.ت.ط.
٣٣. عبيد، أحمد، طرائف الحكمة، المكتبة العربية لأصحابها عبيد إخوان - مصر، ط ١، د.ت.
٣٤. العسكري، أبو هلال، الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٣ م.
٣٥. العقاد، عباس محمود، الأدب الكبير والأدب الصغير، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠١٥ م.
٣٦. عمر، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب - القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨ م.
٣٧. الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، د.ت.ط.
٣٨. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ترتيب وتحقيق: د. عبد الحميد هندواوي، ط ١، ٢٠٠٣ م.
٣٩. الفيلسوف الهندي، بيدبا، ترجمة: عبدالله بن المقفع، كلية ودمنة، المطبعة الأميرية ببولاق - القاهرة، ١٩٣٧ م.

٤٠. قبش، أحمد، مجّمع الحكم والأمثال في الشّعر العربي، دار الرّشيد، ط٣، ١٩٨٥م.
٤١. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وآخرون، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
٤٢. القيرواني، إبراهيم بن علي الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
٤٣. ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مصطفى السّيد محمّد وآخرون، مؤسّسة قرطبة للطّبع والنّشر والتّوزيع- جيزة، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٤. المبرّد، محمد بن يزيد، الكامل في اللّغة والأدب، تحقيق: يحيى مراد، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع- القاهرة، ٢٠١٣م.
٤٥. المتنبّي، ديوان أبي الطّيب المتنبّي، تحقيق: بدر الدّين حاضري، دار الشّرق العربي بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٩٥م.
٤٦. محمّد، فايز يوسف، قاموس الطّلاب في الحكم والأمثال، دار الكتاب العربي بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
٤٧. مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، د.ت.ط.
٤٨. ابن المقفّع، عبد الله، كليلة ودمنة، دار الحياة للنّشر والتّوزيع، ٢٠١٦م.
٤٩. المكتب العلمي للتّأليف والتّرجمة، معجم روائع الحكمة والأقوال الخالدة، إشراف: روجي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٣، ٢٠٠١م.
٥٠. التّديم، محمّد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة - بيروت، ١٩٧٨م.

٥١. النَّيسابوري، مُجَّد عبدالله، المستدرك على الصَّحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٠م.
٥٢. الهاشمي، أحمد، السَّحر الحلال في الحكم والأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.ط.
٥٣. وهبه، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللُّغة والأدب، مكتبة لبنان-بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

## منهج التأليف الصرفي عند (أحمد فارس الشدياق)

### في كتابه (غُنْيَة الطالِب ومُنْيَة الراغِب)

د. فُجْد علوي أحمد بن يحيى<sup>(\*)</sup>

د. أحمد عبد اللاه عوض البحيح<sup>(\*\*)</sup>

### الملخّص:

يُعنى هذا البحث، بإبراز جهود التأليف اللغوي، لدى أحد رُوّاد عصر النهضة العربية، ممّن كان له الأثر البارز في الرقي بالثقافتين: اللغوية، والأدبية، لدى الكثير من شعوب المجتمع العربي، عقب تحرّرها من سطوة الدولة العثمانية، وسطوة الحملة الفرنسية على مصر-ألا هو (أحمد فارس الشدياق). وقد تناول هذا البحث، دراسة الجانب الصرفي، لأحد مؤلفاته اللغوية، ذات الطابع التعليمي، الذي وسّمه بـ (غُنْيَة الطالِب ومُنْيَة الراغِب)، وأورد فيه عددًا، من الدروس الأساسية، في: الصرف، والنحو، وحروف المعاني.

ومن خلال دراسة المادة الصرفيّة، في هذا الكتاب، تبين أنّ مادته تجاوزت الجانب التعليمي، إلى التوسّع في الجانب العلمي (التخصصي)، وهو ما جعل مادة هذا الكتاب تفيد الطالب، المبتدئ، والمتنهي (الباحث)، على السواء.

(\*) أستاذ الدراسات اللغوية واللسانية المشارك، كلية الآداب-جامعة عدن.

(\*\*) أستاذ النحو والصرف المشارك، كلية الآداب-جامعة عدن.



## Ahmad Fares Al-Shidyaaq's Approach of Morphological Authorship in his book 'Ghuniat At-taleb wa Muniat Ar-ragheb

### **Abstract :**

This research is concerned with highlighting the efforts of the linguistic authorship of one of the pioneers of the Arab renaissance era who has had a prominent impact in the advancement of the two cultures: from the linguistic and literary aspects for many peoples of the Arab community following their liberation from the rule of the Ottoman State and the French crusade over Egypt - (Ahmed Faris Al-Shidiyaaq).

The research has explored the Arabic morphological aspect of one of his linguistic writings, which is of an educational nature titled (Ghuniat At-taleb wa Muniat Ar-ragheb). Moreover, he has listed a number of basic lessons: morphology, grammar and meaning particles.

By studying the morphological material in this book, it has been found that its material has gone beyond the educational aspect, to the expansion of the scholarly (specialist) aspect, which has made the material of this book useful to the student, both the beginner and the researcher alike.

## تمهيد:

من يَسرِّح النظر في تاريخ النهضة العربية الحديثة<sup>(١)</sup>، ولا سيما في جانبها: الصحفي، واللغوي، لا بد من أن يُقرن بها نشأة المطابع، سواء في سوريا ولبنان، أو في مصر<sup>(٢)</sup>. ولا تكاد تُذكر هذه حتى يُستدعى معها ذكر مطبعة (الجوائب)<sup>(٣)</sup>، التي تأسست في (الأستانة)، عاصمة الدولة العلية (اسطنبول)، وترسخت بفضلها مداмик تينك النهضةين.

ولا يكاد يُستدعى ذكر هذه المطبعة، حتى يُقرن بها اسم مؤسسها، وصاحب السبق، في تخصيتها: الصحفيّة، واللغويّة، بلا منازع (أحمد فارس الشدياق)<sup>(٤)</sup>، المولود في قرية (عشقوت)، في (لبنان)، سنة (١٢١٩هـ = ١٨٠٤م)، والمتوفى في (الأستانة) سنة (١٣٠٤هـ = ١٨٨٧م)، والذي اتخذ من هذه المطبعة، ثم من جريدته الرائدة، جريدة (الجوائب)<sup>(٥)</sup>، منبراً مشرقاً، للارتقاء بذينك المجالين، والتي تركت أثراً بارزاً، لكل من اشتغل بهما، مَن أعقب هذه الحِقبة، حتى عصرنا الحاضر.

## جهود (الشدياق) اللغوية من خلال عمله الصحفي:

يمكن القول: إنَّ الفضل الرئيس لسُطوع نجم شخصيّة (الشدياق) اللغوية، كان يرجع إلى اشتغاله، بدءاً، بالعمل الصحفي، في جريدته الغرّاء (الجوائب)!!!

(١) بدأت هذه النهضة منذ الحملة الفرنسية على مصر، بقيادة (نابليون بونابرت)، سنة (١٧٩٨م). ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية: ١١٦٩/٤.

(٢) ينظر السابق: ١٢٢٧/٤-١٢٢٨.

(٣) تأسست في أواسط القرن التاسع عشر، في الأستانة (تركيا حالياً). ينظر السابق: ١٢٢٦/٤.

(٤) هو: أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق، عالم باللغة والأدب. ولد في قرية عشقوت (لبنان) سنة (١٢١٩هـ = ١٨٠٤م). رحل إلى مصر متلقياً العلم والأدب عن علمائها وأدبائها. سافر إلى مالطة، وإلى عدد من دول أوروبا، ثم سافر إلى تونس واعتنق فيها الإسلام، وتسمّى بأحمد فارس، ثم سافر إلى الأستانة (تركيا)، وأقام فيها بضع سنوات، ثم أصدر بها جريدة (الجوائب) سنة ١٢٧٧هـ، فعاشت (٢٣) سنة. وتوفي بالأستانة سنة (١٣٠٤هـ = ١٨٨٧م)، ونقل جثمانه إلى لبنان. من مؤلفاته: كنز الرغائب في منتخبات الجوائب (اختار مقالاته ابنه سليم)، وسر الليال في القلب والإبدال، والواسطة في أحوال مالطة، وكشف المخبا عن فنون أوروبا، والجاسوس على القاموس، والساق على الساق فيما هو الفاريق، وغنية الطالب ومنية الراغب، وغيرها. (ينظر: الأعلام: ١٩٣/١، و: تاريخ آداب اللغة العربية: ٢٦٢/٤، ٢٧٢، و: بناء النهضة العربية: ١٧٧-١٧٨).

(٥) صدرت هذه الجريدة في (١٨٦٠م)، في (الأستانة)، واستمرت إلى (١٨٨٤م). ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية: ١٢٣٩/٤.

فقد كان العمل الصحفي، إبان تلك الحقبة، يهدف، في الأساس، إلى الرقي بالهوية اللغوية، لدى الشعوب العربية، ونفي ركونها إلى تداول اللهجات العامية المبتدلة، واستعمال الألفاظ الدخيلة، والأساليب الكتابية الركيكة...<sup>(١)</sup>

وقد حاز (الشدياق) سهماً وافراً، من الدود عن لغة (الضاد)، في تلك الحقبة الحساسة، من تاريخ النهضة العربية؛ إذ انبرى، من خلال مقالاته، التي نشرها تباعاً، على صفحات جريدته، لنقد، وتقنيد، ودفع مظاهر الضعف، التي شابت ألسنة، وأقلام الكُتّاب العرب، المعاصرين له.<sup>(٢)</sup>

ولم يقف عند هذا الحد، وإنما ارتقى طموحه، إلى الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوي، يضطلع بمهام تعريب، وترجمة العلوم، والمعارف، والمخترعات الغربية الحديثة، إلى العربية؛ بهدف اللحاق بركبها، ومنافستها في مظاهر رقيها اللغوي، والعلمي<sup>(٣)</sup>... وكان له ما أراد.

### إسهاماته التأليفية، في المجالين: المعجمي، والتصنيفي:

لم يكد (الشدياق) يتعلم القراءة والكتابة، وهو في سن الخامسة من عمره، حتى ظهرت عليه مخايل النجابة، والميل إلى دراسة علوم العربية... فبدأ "ينظم الشعر، وهو في حدود العاشرة، وكان فيه ميل غريزي لقراءة الكلام الفصيح، والتبحر في معاني الألفاظ الغريبة، التي يعثر عليها فيما يقرأه من الكتب"<sup>(٤)</sup>.

ولعل هذا الميل الغريزي، هو الذي صرفه، فيما بعد، إلى التعلق بدراسة المعاجم العربية، وعلم الصرف، الذي يُعدُّ مفتاحها، ومطيئتها، وفي هذا يقول (د. محمد الزرکان): "لقد كانت ألفاظ المعجم

(١) ينظر: الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق: ٤٠-٤١.

(٢) ينظر السابق: ٣٩.

(٣) ينظر: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١٩.

(٤) بناء النهضة العربية: ١٧٢، وينظر: رد السهم للشهم: ١٠.

العربي شغله الشاغل، كما كانت كل لفظة يسمعها، تشغله؛ فلا يقبلها على علاقتها، وإنما يردّها إلى أصل مفهوم"<sup>(١)</sup>.

وتمخّض عن هذا الجهد الدؤوب، في سبر أغوار هذه الألفاظ، إنتاج سفيرين كبيرين، من أهم أسفار الدراسات اللغوية الحديثة، هما: الجاسوس على القاموس، وسرّ الليل في القلب والإبدال، وقد ألفهما في وقت متزامن<sup>(٢)</sup>.

ويعلّق (إدورد فنديك) عليهما بقوله: "سرّ الليل في القلب والإبدال، ط في ٦٠٠ صح، في (القسطنطينية) ١٢٨٤هـ، وهو عظيم الفائدة، لمعرفة اللغة، ومبني على ثلاثة مقاصد، هذا فيه حدو المحكم لابن سيده"<sup>(٣)</sup>.

أمّا كتابه (الجاسوس)، فيعلّق عليه بقوله: "الجاسوس على القاموس، ط في (القسطنطينية) ١٢٩٩هـ، في ٦٩٠ صح، وهو انتقاد على خطأ (الفيروزآبادي)، في قاموسه المحيط، غير أنّ كثيرين، من المتأخّرين، المقلّدين، لم يرضوا بما وجدته (أحمد فارس)، من الخطأ في القاموس، وفي أي الحالات، فإنّ (الجاسوس) هذا لا يخلو من الفوائد، في كشفه على بعض هفوات الفيروزآبادي"<sup>(٤)</sup>.

### إسهاماته في تيسير علوم العربيّة:

أيّ نخضة، لأيّ شعب، لا تصاحبها نخضة لغويّة، هي نخضة مزيفة، ومنقوصة؛ إذ من أهم لوازمها، تطوير دلالات ألفاظها: اللغوية، والاصطلاحية، تطويراً يؤسّس لمجتمع مدني، راقٍ في استعمال مفردات لغته. وهذا الإصلاح يبيّن، بالضرورة، ثقافة أدبيّة، وعلميّة، وعقليّة، تمكّنها من اللحاق بركب ثقافات الشعوب الأخرى: شرقاً، وغرباً<sup>(٥)</sup>.

(١) الجوانب اللغوية: ٦٠.

(٢) ينظر السابق: ٣٤.

(٣) اكتفاء النوع بما هو مطبوع: ٤٠٦.

(٤) السابق: ٤٠٦-٤٠٧.

(٥) ينظر: مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين: ٧.

وقد كان هذا الهاجس يؤرِّق رواد النهضة اللغويّة، في العالم العربي، منذ أواسط القرن التاسع عشر، غير أنهم اختلفوا في الأسلوب الإجرائي الناجع، المؤدّي إلى تحقيق هذه النهضة، ومن أبرز هذه الأساليب:

١- أسلوب نشر (لغة الصحافة)، بين شرائح المجتمع العربي؛ بحيث تكون حلقة الوصل، بين الفصحى والعاميّة؛ فتجعل من هذه اللغة، لغة سهلة التداول، يستسيغها العامي، ويرأها دانية إلى فهمه، والخاص لا ينكرها، ولا يضيق بها صدرًا<sup>(١)</sup>.

٢- أسلوب (تيسير الكتاب اللغوي)، سواء أفي علم الصرف كان، أم في النحو، أم في البلاغة، أم فيما يُلحق بها من علوم اللغة؛ على أن يرتكز أسلوب هذا التيسير، على سمات مجدية، تؤدّي غرضها المقصود، من هذه النهضة اللغوية، لعل أبرزها: العرض الجيّد، والترتيب اليسير، والمقدار الملائم من المادة اللغوية المعروضة، وحذف التفاصيل الكثيرة، والخلافات، وما لا حاجة للتلاميذ به، مع مراعاة مستويات المتلقّين؛ بأسلوب سهل ويسير، واستخدام الوسائل، وطرائق التدريس الحديثة، والأساليب التربويّة، والنفسية، واستخدام الفهارس المفصّلة، والجداول الميسّرة<sup>(٢)</sup>.

ولم يغفل (الشدياق) عن استعمال الأسلوبين السابقين معًا، بيد أنه خصّ الأسلوب الثاني، باهتمام خاص، تمثّل في تأليفه مؤلّفًا في علوم العربيّة، وسمّه (بِغَنِيَةِ الطالِبِ ومُنِيَةِ الراغِبِ - في الصرف والنحو وحروف المعاني)<sup>(٣)</sup>.

وسيتناول هذا البحث دراسة الجانب (الصرفي) منه.

(١) ينظر مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين: ٢٧.

(٢) ينظر: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة: ١١٥-١١٦.

(٣) أول طبعاته كانت في القسطنطينية (اسطنبول)، في (٢٧٨) صفحة. (ينظر: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: ٤٠٧).

## المادة الصرفية في الكتاب:

يصنّف الدارسون المحدثون كتاب (غنية الطالب) في ضمن المختصرات، ذات الطابع التيسيري، والتعليمي؛ يقول (جرجي زيدان): "هو كتاب مدرسي، في علم الصرف، والنحو"<sup>(١)</sup>، ويقول أيضاً: "غنية الطالب: في الصرف، والنحو، للتعليم"<sup>(٢)</sup>.

أمّا (د. حسن منديل) فيصفه بقوله: "أحمد فارس الشدياق، في كتابه (غنية الطالب ومُنية الراغب ١٨٧٧م) استخدم الطريقة التقريرية، سهولة الترتيب، والتبويب، والعرض"<sup>(٣)</sup>.

وما سبق، في وصف هذا الكتاب، يؤيده مؤلفه (الشدياق)، نفسه؛ إذ يصفه بأنّه رسالة "سهولة الترتيب، واضحة التبويب"<sup>(٤)</sup>. ويبين القصد من تأليفه بقوله: "ما المقصود به سوى تسهيل العبارة، على قدر الإمكان، ولا سيّما لمن كان غريباً عن هذا اللسان، فإذا تمكّن الطالب من قواعد اللغة العربيّة الكليّة، وأراد بعدها الوقوف على متفرّعاتها الجزئية، راجع فيها الكتب المطوّلة، والشروح المفصّلة"<sup>(٥)</sup>.

غير أنّ من يُعَمّ النظر، في صفحات هذا الكتاب، ولا سيّما في مادته الصرفية، يجده لم يثبت في وصفه هذا، وإنّما يجده، في كثير من مواضعه، ينجح إلى التفصيل، وبتّ الفوائد، والشوارد الصرفية، التي تعكس خبرته الطويلة، والغزيرة، في الاشتغال بهذا المجال، وهذا الأمر يجعل من هذا الكتاب كتاباً

(١) بناء النهضة العربية: ١٨٢.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية: ١٤٦٢/٢.

(٣) الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة: ١١٧.

(٤) مقدمة (غنية الطالب): ٢. والجدير بالذكر أنّ مادة هذا الكتاب، عموماً، ومادته الصرفية، خصوصاً، تعرضت للنقد، من أحد الدارسين المعاصرين للشدياق، وهو (سعيد الخوري الشرتوني)، المتوفى في (شرتون)، لبنان، سنة (١٩١٢م=١٣٣٠هـ)، وصاحب معجم (أقرب الموارد) - الذي ألّف كتاباً خاصاً بنقد كتاب (غنية الطالب)، وسمّه ب (السهم الصائب في تحطّط غنية الطالب لمحجّر الجوانب)، غير أنّ بعض المناصرين للشدياق رد على هذا الكتاب، ك (يوسف الأسير)، المتوفى سنة (١٨٨٩م=١٣٠٧هـ)، برسالة صغيرة، وسمّها ب (رد السهم للشهم). وطُبع هذا الكتيب، في مطبعة (الجوانب)، بالأستانة العلية، سنة ١٢٩١هـ، في (٥٧) صفحة..

(٥) السابق: ٣.

يحمل طابعين: تعليميًا، وعلميًا، على السواء. وسنحاول تجلّية هذا الأمر، حينما نحلّل عددًا من مسائله الصرفيّة.

### اختيارات (الشدياق) الصرفيّة في (غنيّة الطالب):

لم تكن شخصيّة (الشدياق) الصرفيّة، فضلاً عن اللغوية وليدة بضعة أيام، أو شهر، أو سنوات، وإنما استغرقت عصارة جُلِّ عُمره، الذي نذره في خدمة لغة (الضاد)، وكابد من أجل عشقه إيّاها، أشدّ مكابدة!... يقول (د. الزركان): "من الجدير أن يُنوّه بما للشدياق في مباحثه اللغوية من قوة ملاحظة، وجلّد في الاستقراء، وهو أمر هامّ، في كل بحث علمي، يضاف إلى ذلك ما وهب من قدرة على التحليل، والتأويل"<sup>(١)</sup>.

ويقول في مكان آخر، مقرّراً بعلبته، في الجانب اللغوي، بشقيه: المعجمي، والصرفي، على الجانبين: النحوي، والأدبي: "لا بُدّ لنا، من الإشارة، إلى أنّ الشدياق تفوّق، في الجانب اللغوي، أكثر من الجانب الأدبي، ثم إنّ مقدرته في اللغة غلبت براعته في النحو، ممّا يوجب أن يُعدّ من اللغويين لا من النحاة"<sup>(٢)</sup>.

ويمكن القول: إنّه، بهذا الجهد الفريد، الذي خصّصه للدرس الصرفي، قد أغنى المكتبة اللسانية الحديثة، بالكثير من الآراء الصرفية القيّمة، التي وُظِّفت، فيما بعد، في هذا الحقل المستجد؛ يقول (د. مُجّد عبد الدايم): "إنّ الدرس الصرفي العربي، لم يحظَ بالعناية، التي حظي بها قسيمه النحو العربي، من الدرس اللغوي المعاصر؛ فبينما يوزّع الدرس اللغوي، القائم على المفاهيم اللغوية المعاصرة، كثرة من التطبيقات العربيّة، للنظرية النحوية، في طورها (التحويليّ التوليديّ)، وجملة من بحوث (لغويّات النص والخطاب)، يقف الصرف بمنأى عن مثل هذه الدراسات... فقد أهملت النظرية (التوليديّة التحويليّة)

(١) الجوانب اللغوية: ١٦٢.

(٢) السابق: ٥٦.

الجانب الصرفي، في أول أمرها؛ إذ توقّرت على دراسة المستوى (الفونولوجي)، مع كل من المكوّن: النظمي، والدلالي، ولم يتّضح الجانب الصرفي للغة، في معالجات النظرية، إلاّ في طورها الثاني، الذي تأخرت إليه بدايات معالجة الصرف، في إطار النظرية (التحويلية التوليدية)<sup>(١)</sup>.

ويجدر بأن يقف الباحثان، على عدد من المسائل الصرفية، التي عالجهما (الشدياق) في كتابه (الغنية)، ويوضّح موقفه منها. ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

### أ- دمج عددًا من مسائل الصرف، في ضمن مسائل النحو

لقد كان الدرس الصرفي، قديمًا، غير محدد المعالم؛ فكانت أبوابه ومسائله ترد مختلطة مع سائر علوم اللغة الأخرى، ويكفي تدليلاً على ذلك (كتاب سيبويه)، و(أدب الكاتب - لابن قتيبة)، ونحوهما، ثم أدخلت مسائل هذا الدرس، في مراحل لاحقة، في ضمن الدرس النحوي، وحسب، فكان حد علم (النحو)، عند كثير من نخاة تلك الحقبة، يشمل معه علم (الصرف)، وفي هذا يقول (ابن الحاجب): "اعلم أن التصريف جزء من أجزاء النحو، بلا خلاف من أهل الصناعة، والتصريف - على ما حكى سيبويه عنهم - هو أن تبني من الكلمة بناء، لم تُبنيه العرب على وزن ما بنّته، ثم تعمل في البناء الذي بنّيته، ما يقتضيه قياس كلامهم... والمتأخرون على أن التصريف: علم بأبنية الكلمة، وبما يكون لحروفها من أصالة، وزيادة، وحذف، وصحة، وإعلال، وإدغام، وإمالة، وما يعرض لآخرها، مما ليس بإعراب ولا بناء، من الوقف، وغير ذلك"<sup>(٢)</sup>. و(للفاكهي) كلام شبيه بما ذكره (ابن الحاجب)<sup>(٣)</sup>.

(١) نظرية الصرف العربي: ١٦. والطور الثاني للنظرية، هو الذي رافق نشر (تشومسكي) كتابه (مظاهر النظرية النحوية)، سنة (١٩٦٥م)، وفيه أحدث مصطلحًا جديدًا، وسمه بـ(الحالة) Case، وهو توضيح لمصطلح تقليدي، كان يدل، في بعض اللغات، على صيغ خاصة، ببعض الكلمات، التي تختلف كل صيغة منها، باختلاف الحالة التي يكون عليها هذا الاسم، في الجملة. (ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية: ١٦٩).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب: ١١/١.

(٣) ينظر: شرح الحدود النحوية: ٤٥.



وفي عصر النهضة اللغوية الحديثة، دعا عدد من الدارسين المحدثين إلى إعادة ربط بعض المستويات اللغوية ببعضها؛ فطائفة منهم دعت إلى ربط الدرس (الصوتي) بالدرس (الصرفي)، ك (د. محمد خير الحلواني)، الذي دعا في كتابه (الواضح في علم الصرف)، إلى توسيع ميدان الصرف ليشمل ما اصطُح على تسميته، في اللسانيات الحديثة: المورفولوجيا Morphology.<sup>(١)</sup> و (د. ديزيره سقال)، في كتابه (الصرف وعلم الأصوات)، الذي سلك فيه المسلك نفسه.

في حين دعت طائفة أخرى إلى ربط الدرس (الصرفي) بالدرس (النحوي)، وهؤلاء يتصدّروهم مؤلّفو الكتب المدرسيّة، ذات الطابع التعليمي، ككتّابي: (هداية الطالب إلى قواعد اللغة العربية)، لأحمد مصطفى المراغي<sup>(٢)</sup>، و(النحو الواضح في قواعد اللغة العربية - للمدارس الثانوية)، لعلي الجارم، ومصطفى أمين<sup>(٣)</sup>، ونحوهما؛ ففي هذين الكتابين، مثلاً، لم يسلك مؤلّفوها ما سلكه أقرانهم، في هذه المرحلة، من تقسيم كتبهم على قسمين مستقلّين، أحدهما لدروس الصرف، والآخر لدروس النحو، وأتّما ما زوا كتبهم بخلط دروس كلا المستويين بعضها ببعض، بطريقة مرتّبة ترتيباً منهجياً.

أمّا (الشدياق) فقد اتبع في مؤلّفه، عموماً، طريقة فصل دروس الصرف، عن دروس النحو، وحروف المعاني. بيد أنّه، من خلال تأمّل مباحثه، الصرفيّة، نجد أنّه لم يلتزم منهجه هذا، وهو ما يبدو من إدخاله مسائل، في ضمن الدرس الصرفي، وحقّها أن تكون في ضمن الدرس النحوي، ويمكن توضيحها في الآتي:

١- إدخاله باب (بناء الفعل وإعرابه) في سياق الكلام في بنية الفعل، ويظهر هذا في قوله:

"الفعل الماضي يكون مبنياً، على الفتح، معلوماً كان، أو مجهولاً، والمضارع يكون مرفوعاً، إذا تجرّد عن عامل يعمل فيه، فيغيّره"<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: الواضح في علم الصرف: ٦.

(٢) من طبعاته القديمة التي ظفرت بها، طبعته (الثانية)، المطبوعة في (المطبعة الحديثة/القاهرة) في ١٣٤٤هـ = ١٩٢٥م.

(٣) أول طبعة منه كانت في أوائل الربع الثاني، من القرن العشرين. ينظر: الخلاف النحوي: ١١٨.

(٤) غنية الطالب: ٧.

٢- إدخاله باب (الفاعل)، حينما يكون مُضمراً، في ضمن مسائل الصرف، وأوصله بالفعل (ضَرَبَ)، على أربعة عشر وجهاً.

ولعل هذا الإجراء ترك صدى متقبلاً، لدى عدد من الدارسين المحدثين، أمثال (د. تمام حسّان)، الذي جعل دلالة الضمير تتجه إلى المعاني الصرفية العامة، التي أطلق عليها (معاني التصريف)، ورأى أن يُعبّر عنها بـ(اللواسق)، و(الزوائد)، ونحوها، والمعنى الصرفي العام الذي يُعبّر عنه الضمير هو عموم الحاضر أو الغائب<sup>(١)</sup>. بل إنّه أفرد (الضمير) في قسم مستقل من أقسام الكلمة العربية، التي قسّمها على سبعة أقسام<sup>(٢)</sup>، مخالفاً التقسيم الذي وضعه سلفه، من النحاة للكلمة العربية<sup>(٣)</sup>.

ووافق في رأيه هذا (د. مُجد عبد الدايم)، الذي اقترح أن تُعالج مسألة تغيير صيغ المبنيات، كالضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول، في ضمن الدرس الصرفي المستقل؛ إذ إنّها من وجهة نظره، تغييرات صرفية خالصة، تُقوّم على وفق الأجناس الصرفية المتصرفية<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم ممّا يحمله هذا الرأي من بعض الوجاهة، ولا سيما أنّ لكل من الموصولات الاسميّة، وأسماء الإشارة، والمضمرات، عمومًا، بِنْي صرفيّة، كِبْي الأسماء المتمكّنة، والأفعال المتصرفيّة-يبدو لي أنّه يفتقر إلى سِمَة الجمع والمنع؛ ذلك أنّ ما ذُكر من ألفاظ إنّما هي، في حقيقتها، كُنَايات عن أسماء: جامدة، ومشتقّة، يُعبّر عنها بألفاظ، أو حروف، موجزة، ترمز إليها. ولو وُسّع هذا الباب، الذي

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٠٨

(٢) ينظر السابق: ٩٠، ١٣٣.

(٣) يُعبّد النحاة (المضمرات) نوعًا من الكُنَايات، "وإنّما أُبِي بالمضمرات كلها؛ لضرب من الإيجاز، واحترازًا من الإلباس... لأنك تستغي بالحرف الواحد، عن الاسم، بكماله، فيكون ذلك الحرف، كجزء من الاسم. وأمّا الإلباس؛ فلأنّ الأسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك... وإنما يزيل الالتباس منها، في كثير من أحوالها، الصفات... والمضمرات لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات؛ لأنّ الأحوال المقترنة بما قد تغني عن الصفات، والأحوال المقترنة بما حضور المتكلم، والمخاطب، والمشاهدة لهما، وتقدّم ذكر الغائب، الذي يصير بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم". (شرح المفصل لابن يعيش: ٨٤/٣).

(٤) نظرية الصرف العربي: ٢٤-٢٥.

سلوكه، لدخل فيه كل حروف المعاني؛ لأنَّ فيها من دلالات مباني التصريف، ما لم يغفل عنها النحاة، في مصنفاتهم، وانظر على سبيل المثال، مسألة (العلة القياسية في نصب اسم الحرف الناسخ)، في الكلام عن العلل الثواني، من العلل النحويَّة، التي أوردها (الزجاجي ت ٣٤٠هـ)، وغيره<sup>(١)</sup>، وكذلك (علة نصب المنادى بأداة النداء)<sup>(٢)</sup>، ومثله (علة نصب المستثنى بالياء)<sup>(٣)</sup>، ونحوها.

لهذا يبدو لي أن وضع النحاة هذه الكنايات في باب (الاسم المعرّف)، الذي هو من مباحث درس النحوي، أجدى وأسلم؛ لكونها تنوب عنه بالخصوص، والحصص.

٣- إدخاله باب (نائب الفاعل)، الذي هو من أبواب النحو، في باب (الفعل المبني

للمجهول)، الذي هو من أبواب الصرف.

ويمكن ملاحظة ذلك في قوله: "(تنبيه) الاسم الذي يقع بعد الفعل المجهول، يُعطى حكم الفاعل، وإن يكن مفعولاً في المعنى، نحو: ضَرَبَ زيدٌ، ويُضْرَبُ..."<sup>(٤)</sup>.

وهذه المسألة يُحمّل حكمها على ما سبق ذكره؛ فيما يخص إدخال باب (الفاعل) المضمر، في مسألة بنية الفعل. وقد يفضّل بعض المؤلفين الإشارة إلى ذكر (نائب الفاعل)، من باب توضيح اختلاف بنية الفعل المبني للمجهول، عن الفعل المبني للمعلوم، ونوع المسند إليه فيهما.

٤- إدخاله (لام الأمر)، الجازمة للفعل المضارع، في ضمن مباحث (الصرف)

ومما أدرجه في هذا الباب، كلامه في حركة (لام الأمر)، المتصلة بالفعل المضارع، في ضمن مباحث علم (الصرف)، على الرغم من أن هذه اللام تُحدِّث أثرًا إعرابياً في الفعل الذي تدخل عليه،

(١) ينظر: الإيضاح في علل النحو: ٦٤، و: الرد على النحاة: ١٣٥.

(٢) يقول (الأبازي): "ذهب بعضهم إلى أنّ العامل فيه النصب، بفعل مقدّر، والتقدير: أدعو زيداً، وذهب آخرون إلى أنّه منصوب ب(يا)؛ لأنّها ثابتة عن: أدعو، وأنادي". أسرار العربية: ١٧٣.

(٣) تُقل عن بعض النحويين، أنّه جعل (إلاً) تعمل النصب، في المستثنى بما؛ بمعنى (أستثنى). ينظر السابق: ١٥٦.

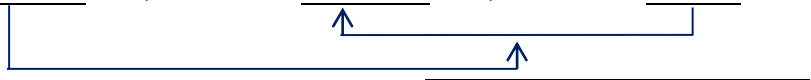
(٤) غنية الطالب: ٢١.

وهذا الأثر يدخل في اختصاصات علم (النحو)؛ يقول: "حركة هذه اللام الكسر، و(سليم) تفتحها، وإسكانها بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها، نحو {فَلَيْسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي} (١)، وقد تُسكَّن أيضاً بعد (ثُمَّ)، نحو: {ثُمَّ لِيَقْضُوا} ... (٢).

أمّا من المنظور اللساني، فيمكن عد هذه اللام، لاصقة (سابقة)، تقوم مقام (المورفيم المقيّد)، الدال على تحويل بنية الفعل المضارع، الدال على الحال، إلى فعل أمر؛ يجعل هذه اللام عنصراً تحويلياً، من عناصر الزيادة (٣)، على الصيغة (التوليدية)، وهذه اللاصقة اتصلت بلاصقة (سابقة) أخرى، تقوم أيضاً مقام (المورفيم المقيّد)، هي حرف المضارعة (الياء) في الأفعال: فليستجيبوا، وليؤمنوا، وليقضوا؛ وهي أيضاً عنصر زائد، حوّل البناء التوليدي، لهذه الأفعال، في البنية العميقة، من بنيتها على صورة الماضي، إلى بنية أخرى تدل على الحال، وتوسم بالفعل المضارع، التي تُعدّ عند اللسانيين (مورفيماً حرّاً) (٤).

ولأنّ كل (مورفيم) يُزاد في التركيب، لا بد من أن يرتبط ببؤرته (محور التركيب)، فإنّ بؤرة المركب الفعلي (أحد ركني الجملة الفعلية)، هنا هي الأفعال: جاب، وأمن، وقضى، ويمكن تحليل هذا المركب في الآتي:

لام الأمر (عنصر تحويلي) + ياء المضارعة (عنصر تحويلي) + الفعل المجرد (عنصر توليدي)



(١) سورة (البقرة): ١٨٦.

(٢) غنية الطالب: ٢٤.

(٣) على الرغم من أنّ عنصر (الزيادة)، مصطلح يستعمله التوليديون والتحويليون، في المستوى التركيبي، لا أرى أي مانع من أن توظّف (عناصر التحويل) هذه، في البنى الصرفية أيضاً؛ لوجود نوع شبه، بين مورفيمات الصيغة الصرفية، التي تتألف وحداتها الصغرى من (الحروف)، ومورفيمات السياق التركيبي، التي تتألف من وحداتها الكبرى (الكلمات)!

(٤) يقسم اللسانيون (المورفيم) الظاهر، باعتبار بنائه على نوعين: أحدهما-حر Free morpheme، والآخر-مقيد Bound morpheme، ويُقصد بالأول: الذي يقوم بالمصدر نفسه، من غير الحاجة إلى غيره، في حين يُقصد بالثاني: الذي لا يقوم بالمصدر نفسه، بل هو في حاجة إلى غيره. (ينظر: اللسانيات-الجمال والوظيفة والمنهج: ١١٧-١١٨)، أمّا من يضيف المورفيم الصفري Zero morpheme، فإنّما يعتبر، في هذا التقسيم، الجانب الدلالي؛ لأنّ هذا المورفيم ليس له بنية متصّرة، في السطح (المثَلَق به)، ومن أمثله (الضمير المستتر). ينظر: (اللسانيات-الجمال والوظيفة والمنهج: ١١٠-١١١، و: دراسات في اللسانيات التطبيقية: ٤٥). ويمكن أن يُحمّل على الضمير المستتر، أي عنصر محذوف من السياق.

ولعل (الشدياق)، فطن إلى مفهوم (المورفيم المقيّد)، في مرحلة مبكرة من مراحل تشكل الدرس اللساني الحديث، وهو ما جعله يُدخِل (لام الأمر)، الجازم للفعل المضارع، في الدرس الصرفي؛ يجعله من المورفيمات، التي تختص بالدخول على الفعل المضارع، الذي يُعدُّ مورفيمه حُرّاً، مستقلاًً بذاته، ويسهم في إتمام دلالة مورفيم الفعل.

### ب- ميله إلى عرض اختلاف العلماء في عدد من المسائل الصرفية

على الرغم من أنّ (الشدياق) قد ترسّم، في مؤلّفه هذا، هدفاً واضحاً، هو "تسهيل العبارة على قدر الإمكان، ولا سيّما لمن كان غريباً عن هذا اللسان"<sup>(١)</sup>، نجده قد حاد عن هدفه هذا، في أكثر من موضع، واستحسن التوسّع في ذكر آراء النحاة، في عدد من المسائل الصرفية، نائياً بذلك عن منهجه (التعليمي)، الذي كان ينبغي أن يثبت عليه، من مبدئه، حتى منتهاه.

ومن أبرز هذه المواضع:

#### ١- ذكره اختلاف الصرفيين في دلالة (همزة التعدية)

فصّل (الشدياق) اختلاف الصرفيين، في هذه المسألة بقوله: "هذه الهمزة تكون، غالباً، للتعدية، نحو: أَخْرَجَ زَيْدٌ عَمْرًا، وعن (سيبويه): إِنَّ هَذِهِ الهمزة تنقل الفعل القاصر، فيصير متعدّيًا قياسًا، وفي غيره سماعًا، وقيل: إِنَّهُ كُلُّه سَمَاعِيّ، وقيل: قِيَاسِيّ، وفي القاصر، وفي المتعدّي إلى واحد فقط"<sup>(٢)</sup>، وقال (الرضي)، في (شرح الشافية)، لابن الحاجب، عند قول المصنف: وأفعل: للتعدية، غالباً، نحو: أَجْلَسْتُهُ... إلخ. وليست هذه الزيادات قياساً مطّردًا؛ فليس لك أن تقول، مثلاً، في ظَرْفٍ: أَظْرَفَ، وفي نَصَرَ: أَنْصَرَ، ولهذا ردّ على (الأخفش)، في قياس: أَظَنَّ، وَأَحْسَبَ، وَأَخَالَ، على أعلم، وأزى،

(١) غنية الطالب: ٣.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٥٥/٤، ونص عبارته: "هذا باب افتراق (فعلتُ وأفعلتُ) في الفعل للمعنى-تقول: دخل وخرج وجلس، فإذا أخرجت أن غيره صيرَه إلى شيء من هذا قلت: أخرجته، وأدخله، وأجلسته...".

وكذا لا تقول: نَصَّر، ولا دَخَّل، وكذا في غير ذلك، من الأبواب، بل يحتاج في كل باب إلى سماع استعمال اللفظ المعين... إلخ<sup>(١)</sup>، قلت: يُرَدُّ عليه أنَّ صاحب (العباب) روى: دَخَّل، ونصُّ عبارته: دَخَّلَ التمرَ تدخيلًا، إذا جعله في الدَوْخَلَة، وتدَخَّلَ الشيءَ: دَخَّلَ قليلاً قليلاً (أه)<sup>(٢)</sup>«(٣)».

ولم يكن ليضيره شيئاً لو اختصر هذه العبارة، وقصرها في قوله: "هذه الهمزة تكون، غالباً، للتعدية، نحو: أخرج زيدَ عَمَرًا. وليست زيادة هذه الهمزة قياساً مطرّداً؛ فليس لك أن تقول، مثلاً، في (ظَرْف): أظرف، وفي (نَصَر): أنصّر، وإنما يحتاج هذا النوع، من الأفعال إلى النقل عن فصحاء العرب".

## ٢- ذكره اختلاف الصرفيين حصر أوزان مصادر الفعل الثلاثي

يقول (الشدياق)، في تفصيل هذه المسألة: "فمصدر الفعل الثلاثي لا ضابط له؛ لكثرة أوزانه، وإنما يمكن أن يُقال: إنَّ أكثره يأتي على وزن (فَعَلَ)، و(فُعُول)؛ قال في (المصباح المنير): الثلاثي المجرّد ليس لمصدره قياس ينتهي إليه بل أبنيته موقوفة على السماع؛ قال (ابن القوطيّة): أو الاستحسان، وحكى عن (الفرّاء): كل ما كان من الثلاثي متعدّياً ف(الفُعَل)، بالفتح، و(الفُعُول) جائزان في مصدره، لأنهما أختان<sup>(٤)</sup>«(٥)».

وكان الأخرى به أن يحتفظ بمنهج الكتاب، التعليمي، ويختصر الكلام، في عبارة واضحة، موجزة، كأن يقول: "فمصدر الفعل الثلاثي لا ضابط له لكثرة أوزانه، وإنما يمكن أن يقال: إن أكثره يأتي على وزن (فَعَلَ)، و(فُعُول)"، ويحذف عبارة (الفِيُومِيّ)، التالية، التي استدلت بها على كلامه.

(١) شرح شافية ابن الحاجب: ٦٢/١.

(٢) لم أجد من معجم (العباب الزاخر واللباب الفاخر) للصابغاني، في الشبكة، سوى خمسة أجزاء، مصورة بصيغة pdf، تشمل الكلمات المختومة بالحروف: الهمزة، والسين، والطاء، والغين، والفاء. وليس بينها، مع الأسف، الجزء الخاص بالكلمات المختومة بحرف (اللام).

(٣) غنية الطالب: ٧-٨.

(٤) المصباح المنير (الخاتمة): ٢٦٥.

(٥) غنية الطالب: ١١.

وبدلاً من أن يسرد آراء الصرفيين، في المسألة، كان يكفي أن يورد عدداً من الأمثلة، التوضيحية، لعدد من مصادر هذه الأفعال؛ فهي أنفع للمتعلم، في مثل هذا الموضوع.

### ٣- ذكره اختلاف الصرفيين في (النسب إلى المفرد وإلى الجمع)

يقول (الشدياق) مفضلاً آراء الصرفيين، في هذه المسألة: "إنَّ للمنسوب قواعد كثيرة أهمها: إنَّ البصريين لا يرون النسب إلا إلى واحد الجموع، إلا إذا كان علماً، ك(أنبار)، علم لبلدة، و(فرائض)، علماً للعلم المشهور، وأنَّ يُعلَّب على شيء حتى يلحق بالعلم عليه، ك(أنصاري)، جمع (ناصر)، أو (نصير)، وأنَّ تُقصد النسبة إلى اللفظ، ك(شُعوبي)، قال (ابن بري): كونه لا يُنسب إلى الجمع، قول البصريين، وهو المشهور، وخالفهم الكوفيون؛ فجوزوا النسب إلى الجمع مطلقاً، كذا في (شرح ذرة الغواص - للخفاجي)<sup>(١)</sup>. فكن على هذين الإمامين من المترجمين؛ فإنَّ هذه الفائدة، الجليلة، خلَّت عنها صُحف الصرفيين"<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أنه كان الأجدر به، أن يكتفي بالإشارة، إلى أنَّ النسبة إلى الجمع تكون بإفراده، إلا في الحالات الخاصة، التي ذُكرت في كُتب الصرفيين، ثم يعطف على ما ذكره، بأنَّ طائفة من الصرفيين أجازت النسبة إلى الجمع، مطلقاً، ويستشهد بعدد من الأمثلة الفصيحة، وحسب.

أمَّا حصُّه على الأخذ بقول (ابن بري)، ت ٥٨٢هـ<sup>(٣)</sup>، و(الشهاب الخفاجي، ت ١٠٦٩هـ)، فلم يبيِّن قصده تماماً، من (الفائدة الجليلة)، التي نقلها عنهما؛ أي مسألة الخلاف في جواز النسبة إلى الجمع، مطلقاً، أم نسبة هذا الخلاف إلى: البصريين، والكوفيين؟! فإن كان قصده نقل تفصيل هذه المسألة، فهي مبثوثة في مؤلفات كثير من النحاة، والصرفيين، سواء في كتب المتقدمين منهم أو المتأخرين<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح ذرة الغواص في أوام الخواص: ١٩٨-١٩٩.

(٢) غنية الطالب: ٤٤.

(٣) ينظر: حواشي ابن بري وابن ظفر على ذرة الغواص في أوام الخواص: المسألتان: (١٩٧)، و (١٩٨): ١٩٢-١٩٣.

(٤) ينظر (على سبيل المثال): شرح المفصل: ١٠٠-٩/٦، و: شرح الكافية الشافية: ١٩٥٨-١٩٥٩، وجمع الهوامع: ١٧٠/٦-١٧١.

أما إن كان يقصد نسبة هذا الخلاف إلى نحاة المصريين، فأغلب الظن أنه لم يجد عن الصواب<sup>(\*)</sup>.

### ج- إبراز آرائه الخاصة في عدد من المسائل الصرفية

لم يكن (الشدياق)، في مواضع كثيرة، من كتابه هذا، مقلداً، وسارداً، محضاً، لآراء أسلافه من الصرفيين، كما هي عادة الكثير من معاصريه، ومن سبقه، في هذا المجال، وإنما كان يميل، في أكثر من موضع، إلى إبراز عصارة قراءاته الواسعة، التي أنتجت، فيما بعد، آراء متفردة، تشهد له بعلو كعبه، في الجانب الصرفي... من هذه الآراء، على سبيل المثال:

#### ١- ميله إلى إضفاء دلالة خاصة، بصيغة الفعل الثلاثي، المزيد بألف المفاعلة

من الدلالات المشهورة، لصيغة الفعل الثلاثي، المزيد بألف المفاعلة (فاعِلٌ)، دلالة على اشتراك طرفين، أو أكثر، في إحداثه، بيد أن (الشدياق)، رأى أن يُضيف إلى هذه الدلالة، جعل المسند إليه، المتقدّم في الرتبة، هو البادئ بإحداث الفعل؛ يقول: "يكون للمشاركة؛ وهو أن يشترك اثنان فصاعداً، في فعل؛ فيفعل أحدهما بصاحبه ما يفعله الآخر به، لكنّ المبتدئ بالفعل هو الأول، الذي يلي الفعل، وقد يكون بمعنى الثلاثي، نحو: سافر، فإنه بمعنى السّفَر، وقاتلهم الله: أي قتَلهم، وللمغالبة، نحو: ماجدٌ، وفاضلٌ؛ تقول: ماجدٌ زيدٌ عمراً فمجدّه، أي: غلبه في المجد، وفاضله ففضله، أي: غلبه في الفضل".<sup>(١)</sup>

ولعله استند، في اختياره هذا الرأي، إلى رأي (الجاربردي، ت ٧٤٦هـ)، و(زكريا الأنصاري، ت ٩٦٢هـ)<sup>(٢)</sup>؛ على الرغم من أن (الرضي الاستربادي، ت ٦٨٦هـ)، نفى أي وجود لهذه الدلالة، قائلاً:

(\*) الجدير بالذكر أنّ (السيوطي)، في (معجم الووامع)، لم يخصّ الرأي الذي يميز النسبة إلى الجمع، مطلقاً-بالكوفيين. (ينظر: ١٧١/٦).

(١) غنية الطالب: ٤٤.

(٢) ينظر: شرح الشافية للجاربردي: ٢٣٩/١، والمناهج الكافية في شرح الشافية للأنصاري: ٢٣٩/١، المطبوعان بمأمش (مجموعة الشافية في علمي التصريف والحظ).



"اعلم أنه لا فرق، من حيث المعنى، بين (فَاعَلَ)، و(تَفَاعَلَ)، في إفادة كون الشيء بين اثنين فصاعداً، وليس كما يُتَوَهَّم من أنَّ المرفوع، في باب (فَاعَلَ) هو السابق بالشروع في أصل الفعل على المنصوب، بخلاف (تَفَاعَلَ)؛ ألا ترى إلى قول (الحسن بن علي - رضي الله تعالى عنهما)، لبعض من خاصمه: سَفِيَةٌ لم يجد مسافِهاً؛ فإنه (ﷺ) سَمَّى المقابل له في السفاهة مسافِهاً، وإن كانت سفاهته لو وُجِدَتْ بعد سفاهة الأول، وتقول: إنَّ شَتَمْتَنِي فلا أَشَاتَمْتُكَ، ونحو ذلك...".<sup>(١)</sup>

من خلال تأمل قول (الحسن بن علي بن أبي طالب)<sup>(٢)</sup> رضي الله تعالى عنهما، يبدو لي أنَّ تفسيره يمكن أن يحتمل معنى آخر، مغايراً لما نصَّ عليه (الاسترابادي)؛ هو أنَّ هذا السفيه، طبعاً، لم يجد من يجاربه في سفاهته؛ وبناء على هذا المعنى، المحتمل، يمكن للمسافِه (بكسر الفاء) أن يُوقِع الفعل أولاً، بقصد استثارة حفيظة المسافِه (بفتح الفاء)، ثم يصير فعل المسافِهة مشتركاً بينهما. وليس معنى ذلك، بالضرورة، أنَّ السفيه، الذي نفى المتكلم وقوع الفعل عليه، لم يكن متصفاً بالسفاهة، قبل أن يستفزَّه الفاعل بفعل المسافِهة! وما قيل في هذا المثال يُحْمَل عليه المثال الآخر: إنَّ شَتَمْتَنِي فلا أَشَاتَمْتُكَ.

بل إنَّ في القرآن الكريم، وهو الذروة في الفصاحة، من الأفعال المزيدة بألف المفاعلة، الدالة على بدء حدوثها من الفاعل - عددًا من الشواهد، منها على سبيل المثال، قوله تعالى: { وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ }.<sup>(٣)</sup> فقد اتفق المفيسرون على أنَّ معنى الفعل (لا تُقَاتِلُوهُمْ)، أي: لا تبدؤوهم بالقتال.<sup>(٤)</sup> وكأَنَّ (الشدياق)، استلهم هذا المعنى، الوظيفي، منهم.

(\*) لعل قصده: وإن كانت سفاهته لو وُجِدَتْ [فهي واقعة] بعد سفاهة الأول.

(١) شرح الشافية: ٧٣ / ١.

(٢) وُلِدَ في نصف رمضان، سنة ثلاث من الهجرة، وتوفي بالمدينة سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين، ودفن بالبيقاع. (ينظر: تحذيب الأسماء واللغات: ١٥٨/١)، ولغته يُجَنِّح بما، لكونه من أهل عصر صدر الإسلام.

(٣) البقرة: ١٩١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن): ٥٦٦/٢، و: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): ٣٥١/٢، و: تفسير البحر المحيط: ٧٤/٢.

٢- رأيه في أنَّ الأفعال، المبنية على صيغة (افْتَعَلَ)، أكثر ما تُستعمل، في كلام العرب، متعدية

يعدّ (الشدياق) مواضع استعمال الأفعال الثلاثية، المزيدة بحرفين، والمبنية على (افْتَعَلَ)، بقوله: "أن يُراد فيه همزة وتاء، فيصير على وزن (افْتَعَلَ)، ومضارعه: يَفْتَعِلُ، ويأتي لازماً، بمعنى الثلاثي، نحو: ائْتَسَمَ؛ فإنه بمعنى: بَسَمَ، وللمطاوعة، نحو: جَمَعَ زَيْدُ المَالِ، فَاجْتَمَعَ، ولجارية الثلاثي المتعدّي، نحو: جَذَبَ واجْتَذَبَ، وَكَسَبَ واكْتَسَبَ، وهو كثير، خلافاً لمن زعم بقلته، بل هو أكثر من المطاوعة، يظهر ذلك لمن طالع كتب اللغة، ومنهم من جعله للمبالغة في الثلاثي، بناء على أنَّ زيادة الحروف، تكون زيادة في المعنى".<sup>(١)</sup>

ولعله قصد، من إيراد هذا الحكم، الرد على (ابن الحاجب)، وعدد من شُرَّح شافيته، الذين رأوا أنَّ صيغة (افْتَعَلَ) تُستعمل للمطاوعة، غالباً<sup>(٢)</sup>، وهي من دلالات الفعل اللازم، أي إنَّ غيرها، من الاستعمالات، ترد قليلة، في كلام العرب. وليته أشار، ولو في هامش كتابه، إلى عدد من كتب اللغة، التي تؤيّد حكمه، ولا يشفع له، أنَّه هدف من وضع مؤلفه هذا، أن يكون خالياً عن التطويل<sup>(٣)</sup>، وهو قد حاد عنه، في كثير من مواضع كتابه؛ ولا سيّما أنَّ مثل هذه الأحكام، تتّصف بصفة (العلميّة)، وتحتاج إلى التدليل على صحتها، وليست مجرد قواعد (تعليميّة)، يقاس عليها.

أمّا قوله: "ومنهم من جعله للمبالغة، في الثلاثي، بناء على أنَّ زيادة الحروف، تكون زيادة في المعنى"، فلعله يقصد، ضمناً، (سيبويه)، من وافق رأيه من النحويين؛ الذين رأوا أنَّ في الفعل (اكتسب)، معنى زائداً، على معنى (كسب)؛ إذ يقول: "أمّا (كسب)، فإنه يقول: أصاب، وأمّا (اكتسب)، فهو التصرف والطلب، والاجتهاد بمنزلة الاضطراب".<sup>(٤)</sup>

(١) غنية الطالب: ١٠.

(٢) ينظر: شرح الشافية: ٧٨/١، و: شرح الشافية لفقرة كار (ت ٧٧٦هـ): ٢٤٥/١، و: المناهج الكافية في شرح الشافية لكريا الأنصاري: ٢٤٥/١، المطبوعان بمهامش (مجموعة الشافية في علمي التصريف والخط).

(٣) ينظر: غنية الطالب: ٢.

(٤) كتاب سيبويه: ٧٤/٤، وينظر: شرح الملوكي في التصريف: ٨٣. والجدير بالذكر أنَّ (الشدياق) يُعدُّ أول القائلين، في عصر النهضة الحديثة، بأنَّ زيادة المبنى، في الكلمة، تدل على زيادة المعنى. (ينظر: الجوانب اللغوية: ٦١).

وينقل (السمين الحلبي)، آراء النحاة والمفسرين، في قوله تعالى: {لها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا ما اكْتَسَبَتْ} <sup>(١)</sup>، التي فحواها، أنهم اختلفوا على رأيين: أحدهما- يرى اختلاف دلالة كلا الصيغتين، والآخر- يرى دلالتهما على معنى واحد. <sup>(٢)</sup> أمّا هو فقد رجّح الرأي الأول؛ بناء على أنّ الأدنى من أفعال الخير تكون للإنسان؛ تكرُّماً من الله تعالى؛ لأنَّه من كَسَبِه، بخلاف العقوبة؛ فإنَّه لا يؤاخذ بها، إلاّ مَنْ جَدَّ فيها واجتهد، وهو القول الأظهر عنده. <sup>(٣)</sup>

### نظرة اللسانيين المحدثين إلى الحروف الزائدة الواقعة في حشو البنية الصرفية:

من خلال مقابلة مصطلح (التصريف)، في الأفعال والأسماء، العربية، مع غيرها من اللغات الحية، نجد في هذه اللغات ما يشبه مفهوم هذا المصطلح، هو مصطلح (الحشو) Infix، الذي يعد أحد الأقسام الثلاثة، لتصريف الكلمة، فيها. أمّا القسمان الآخران فهما: (السوابق) Prefix، و(اللاحق) Suffix. <sup>(٤)</sup>

ففي الإنجليزية مثلاً، نجد مظاهر التغيير في البنية الداخلية للكلمة، ترد في جمع عدد من الأسماء، ك: Foot (قدم)، التي تجمع على Feet، و: Man (رجل)، Woman (امرأة)، اللتين تجمعان على: Men، Women <sup>(٥)</sup>. كما نجد طروء هذه التغييرات أيضاً، على عدد من الأفعال المضارعة، حينما تصاغ على صورة الماضي، كالفعلين المضارعين: Teach، Bring، اللذين يصاغان، في الماضي، بلفظ: Brought، Taught. بيد أن هذه التغييرات الداخلية، لهذه

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٦٩٩/٢-٧٠١.

(٣) ينظر السابق: ٧٠٠/٢-٧٠١.

(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٨٢، و: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: ٨٥.

(٥) يرى بعض اللسانيين الغربيين أن مورفيم الجمع (Men)، يُدرج في ضمن المورفيم الصفري (Zero morpheme)، الذي تُعد دلالتة، عندهم، غير ملفوظ بها، غير أن (د.استيتية) يرى أن هذا المورفيم كائن، لا من حيث وجود علامة الجمع، وإنما من حيث مخالفتة المفرد (ينظر: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج: ١١٠)، وهو ما أميل إليه. بل إن دلالتة ملفوظة في البنية السطحية؛ ويمكن التفريق بين مورفيم المفرد ومورفيم الجمع؛ من خلال تقصير حركة الفونيم (e) في مورفيم الجمع (Men)، والتلفظ بها كحركة الكسر في العربية، أمّا مورفيم المفرد (Man)، فيُلَقَّظ بالفونيم (a) فيه، كحرف الألف المددود، في العربية. وهذا التغيُّر في المورفيم، واقع في حشو الكلمة (Infix).

الكلمات، في الإنجليزية، ليس لها صيغ محددة، مطردة، يمكن بناء مثيلاتها عليها، كما في العربية، وهو الذي يجعل الصرف العربي، من وجهة نظري، متقدمًا، في هذه الخصيصة، على نظائره من اللغات الحية المعاصرة.

وبناء على ما سبق نجد أن التغيير، الذي يحدث في حشو الكلمة، في عدد من اللغات الغربية (كاللغة الإنجليزية)، يصاحبه تغير في المعنى، شأنها في ذلك شأن التغير الذي يحدث في صيغ الكلمات العربية، كما مثَّل سابقا بالفعل المبني على صيغة (اَفْتَعَلَ).

٣- ميله إلى إدخال مسألة الحروف التي تُزاد، في الرسم، ولا تُنطق، في ضمن مباحث

#### (الصرف)

تعد مسألة زيادة الحروف، ونقصها، في رسم الكلمة، من المسائل المدرجة، حاليًا، في دروس (الإملاء). وقد كانت تدرج في مؤلفات النحاة القدامى - ولا سيما في خاتمة مؤلفاتهم - في ضمن باب (الخط)، الذي يرد مختلطًا، إمَّا بالدرس الصرفي، لوحده، وإمَّا بالدرسين: النحوي، والصرفي، معًا. أمَّا الشدياق فقد أدرجها في ضمن الدرس الصرفي، مقتديًا، بطريقة المتقدِّمين، من الصرفيين، ك (ابن الحاجب)، وغيره. غير أنه انماز منهم، بأن أضفى على كتابه شيئًا من خبراته القرائية، في كتب التراث اللغوي، وعمله في نسخ الكتب، في بدء مشواره العلمي<sup>١١٦</sup> تأصيل كتابة هذه الهمزات، وإن خالفت القواعد الإملائية المشهورة.

فنجده، مثلاً، يناقش مسألة زيادة الألف في كلمة (مائة)، في ضمن حديثه عن أحكام رسم الهمزة المتوسطة في الكلمة! ويتجلَّى هذا في قوله: " للهمزة أحكام كثيرة، قد اختلف فيها أهل الرسم، وأكثر ما جرى الخلاف في رسمه، لفظة (مائة)، قال في (المطالع النصرية للمطابع المصرية)\*: إنَّ الألف زيدت في (مائة)؛ للفرق بينها وبين (منه)؛ فإنَّ الهمزة في (مائة) تُكْتَب ياء؛ لوقوعها مفتوحة، بعد كسرة، حتى يجوز نقطها، والنطق بها ياء حقيقة غيرة مشددة، كما في قول (زرقاء اليمامة): تَمَّ الحَمَام مِية، فإذا كتبت: أخذتُ (مِية)، بلا زيادة ألف، اشتبهت بأخذتُ (منه)؛ لأنهم كانوا أولاً يتساهلون

(\*) ينظر: قواعد الإملاء المسقَى (المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطّية): ١٨٧-١٨٨.

بترك النقط، كما كان في المصحف أولاً، في عصر الخلفاء الراشدين؛ فجعلوا زيادة الألف لمنع الالتباس، ولكنهم أبقوها معها، عند التركيب مع الآحاد، في نحو (ثلثمائة، وستمائة)، وأخواتهما، بل أبقاها بعضهم في (مائتين) أيضاً، إلحاقاً للمثنى بالمفرد؛ لعدم تغيير الصورة، بخلاف الجمع نحو: مئات، ومئين، قال: وحكي عن (أبي حيان) أنه قال: وكثيراً ما أكتب أنا (مئة) بلا ألف، مثل كتابة (فئة)؛ لأن زيادة الألف خارج (كذا) عن الأقيسة، فالذي اختار كتابتها بالألف، دون الياء، على وجه تحقيق الهمزة، أو الياء، دون الألف، على وجه تسهيلها. قال: وقد رأيت بخط بعض النحاة (مئة)، بألف عليها همزة دون ياء، وقد حُكي كتب الهمزة المفتوحة ألفاً، إذا انكسر ما قبلها، عن حُذاق النحويين، منهم (الفراء)، زوي أنه كان يقول: يجوز أن تُكتب الهمزة ألفاً، في كل موضع. (انتهى)، فيكون لكتب (المائة) أربع صور، وهي هذه: مائة، ومئة، ومية، وقد رأيتها مكتوبة بخط (الصغاني)، و(الفيروزآبادي)، وغيرهما، مثل (فئة)<sup>(١)</sup>.

من خلال مناقشة (الشدياق) آراء المتقدمين من النحاة، في طريقة كتابة كلمة (مائة)، يبدو أنه يقف من آرائهم موقف الحياد، بدليل أنه خلص إلى أن هذه الكلمة أربع طرق في كتابتها، من غير أن يرجح أيّاً منها.

أمّا غيره، من الدارسين المحدثين، فعلى الرغم من تأثر عدد منهم، بما ذكره (الشدياق)، من آراء، نجدهم لم يقفوا على الحياد، كما فعل هو، وإنما رجّحوا كتابتها من غير ألف.

ف نجد (الغلاييني)، يصرح برأيه في قوله: "من الفضلاء من يكتبها بياء، بلا ألف، هكذا: (مئة)، ومنهم من يكتبها بألف، بلا ياء، هكذا: (مئة). ووجه القياس أن تُكتب بياء، بلا ألف، وهذا ما نميل إليه. وإنما كانوا يكتبونها بزيادة الألف، يوم لم تكن الحروف تُنقط؛ كيلا تشبه بكلمة (منه)، المركبة من (من) الجارة، وهاء الضمير، كما قالوا"<sup>(٢)</sup>. والغريب أنه أورد هذه المسألة تحت عنوان (ما

(١) غنية الطالب: ٤٦-٤٧. وثمة مصادر نحوية وصفية، ناقشت اختلاف رسم الهمزة في كلمة (مائة)، وعلة زيادة الألف فيها، منها على سبيل المثال: شرح

المقدمة النحوية: ٤٣٩-٤٤٠، واللباب في علل البناء والإعراب: ٥٤٧، وشرح شافية ابن الحاجب: ٣/٢٢٥، وجمع الهوامع: ٦/٣٢٦-٣٢٧.

(٢) جامع الدروس العربية: ٢/٢٧٨.

يُكْتَب ولا يُلْفَظ)، في ضمن مبحث (الخط)، وهذا المبحث جعله في ضمن مباحث خمسة، تندرج في ضمن باب (الإعلال)، وهو من أبواب الدرس (الصرفي)!

أمَّا (عبد العليم إبراهيم)، فقد أورد مسألة رسم كلمة (مائة)، في كتابه (الإملاء والترقيم في الكتابة العربية)، في ضمن دروس (الإملاء)، كما درج عليه رواد المنهج (التعليمي)، من الدارسين المحدثين المختصين بالتأليف في علوم العربية. وعلّق على هذه المسألة بقوله: "أرى حذف الألف المقحمة في كلمة (مائة)؛ إذ لا فرق في النطق بين (مائة)، و(فئة)، و(رئة)".

ولقد أدى إقحام الألف، بين أحرف (مئة)، إلى تحريف نطقها، في مجال التقدير العددي؛ إذ يقول كثيرون من الصيارف، ورجال الإحصاءات (ماية)، بنطق الألف، التي يرونها في الكتابة<sup>(١)</sup>. وإلى رأي هذين المؤلفين أميل، فيما يخص كتابة كلمة (مئة)، بحذف الألف منها، لأن وجودها، في الكتابة، حاليًّا، يؤدي إلى الوقوع في اللبس والغموض، في المعنى، وعدم وضوحه، الذي هو أبرز سمات العربية الفصحى<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- إبراز ذخيرته القرائية، في طريقة رسم الهمزة المتوسطة على الكلمة

ثم استطرد (الشدياق)، عقب إتمامه الكلام، في طريقة كتابة كلمة (مئة) -على غير عادة المؤلفين للمناهج التعليمية، الذين يؤثرون فيها اختصار المادة اللغوية- في الحديث، في طريقة قدامى النحاة واللغويين، لكتابة الهمزة المتوسطة في عدد من الكلمات؛ إذ يقول: "ورأيت في الخطوط القديمة، الصحيحة، (مَسْتُول)، و(مَسْتُوم)، وباوين: أولاهما-مهموزة، وكذا نحو (زُؤوس)، و(شُؤون)، ورأيت بخط (الفيروزآبادي)، و(الصبَّان)، لفظة (بقائي)، وأمثالها، بهمزة وكسرة، بعد ألف، منفصلتين عن الياء، كما هي في المصحف. وكذلك اختلفوا في رسم (الهيئة)؛ فأكثرهم يكتب همزتها بصورة ألف،

(١) الإملاء والترقيم في الكتابة العربية: ١٢٤.

(٢) ينظر: مواضع اللبس في العربية وأمن لبسها: ١٠، ١٨، مجلة (مؤتة)، للبحوث والدراسات، المجلد الثاني/العدد الأول (١٩٨٧م). والجدير بالذكر أن د.عبد الفتاح الحموز، مال في بحثه هذا، إلى حذف الألف من كلمة (مائة)؛ لأنها تعد، لديه، من مواضع اللبس في (الرسم الإملائي).

وفي نحو (يؤول)، منهم من يكتبها هكذا، ومنهم من يكتب الهمزة بصورة ألف، وفي مثل (ردء)، إذا وقع منصوبًا، منهم من يجعل الهمزة على الألف، ومنهم من يضعها قبلها، ونحو (جزئين)، منهم من يكتبها هكذا، ومنهم من يكتب الهمزة بصورة ألف، ومنهم من لا يجعل لها صورة، إلى غير ذلك، مما يطول شرحه.

فلو أن الهمزة رُسمت، من الأصل، بصورة حرف مخصوص، لما نشأ شيء، من هذا الخلاف الذي لا داعي له".<sup>(١)</sup>

من خلال ما أورده (الشدياق)، في النص السابق، نجده يكتفي بسرد ما اطلع عليه، في كتابات عدد من قدامى النحاة واللغويين، للهمزة المتوسطة في الكلمة، مُبدئًا لومه إيّاهم، في عدم توصلهم إلى طريقة توافقية، في كتابتها.

ولا يبدو لي أنّ اتخاذه مسلك الاستشهاد بكتابة الكُتّاب القدامى، يصلح لاتخاذه منهجًا علميًا سليمًا، يُعتدُّ به، في تفعيد الكتابة العربيّة، عمومًا، وتفعيد كتابة همزاتها، خصوصًا، وإنما كان الأجدر به أن يُدلي هو بدلوّه، في التأسيس لطريقة، يسيرة مطّردة لكتابتها؛ وذلك أنّ الخط في جميع اللغات، يُعدُّ وسيلة ناقصة، للتعبير عن الصورة السمعية الحيّة، كما يذهب إلى ذلك علماء الأصوات من المحدثين.<sup>(٢)</sup>

وقد تنبّه (ابن خلدون)، قديمًا، إلى هذه الميزة، بقوله: "كان الخط العربي، لأول الإسلام، غير بالغ إلى الغاية، من الإحكام، والإتقان، والإجادة، ولا إلى التوسُّط؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش، وبعدهم عن الصنائع. وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف؛ حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مُستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم، ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها...".<sup>(٣)</sup>

(١) غنية الطالب: ٤٧.

(٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ٤١٠.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٣٢٨.

ثم إنَّ إيراد (الشدياق)، طريقة (الفيروزآبادي)، و(الصَّبَّان)، في كتابة كلمة (بقائِي)، هكذا (بقائِي)، بهمزة منفردة مكسورة بعد ألف المد، التي اتبعا فيها طريقة خط المصحف الشريف-تُعَدُّ مخالفة لما أصله النحاة والصرفيون، في مؤلفاتهم؛ من أنَّ خطَّهُ جاء مخالفاً لأقيستهم، التي هي الأكثر.<sup>(١)</sup> ولهذا قال (ابن درستويه): "خطَّان لا يُقاسان: خط المصحف، والعروض".<sup>(٢)</sup>

أمَّا قوله بأنَّه رأى في الخطوط القديمة الصحيحة (مَسْئُول)، و(مَشْئُوم)، و(مَسْئُول)، و(مَسْئُول)، و(مَشْئُوم)، وكذا نحو (رُؤُوس)، و(شُؤُون)... لا أدري علام اعتمد في تصحيح هذه الخطوط القديمة؟!

وليته بدلاً من انتهاج طريقته هذه، التي تعتمد، أساساً، على تتبُّع طريقة كتابة المؤلفين، القدامى، والمتأخرين، لمواضع الهمزات في الكلمة، انتهاج طريقة قدامى اللغويين، والصرفيين ممن أصَلوا لكتابة هذه الهمزات، بقواعد مقيسة، مطرَّدة، رسموها للكُتَّاب، من بعدهم.

ف (ابن قتيبة)، المتوفَّى في (٢٧٦هـ)، مثلاً، نجده يؤصِّل لطريقة كتابة الهمزة المتوسِّطة على الواو، والألف، بقوله: "مما اختلفوا فيه (مؤونة)، و(شؤون)، جمع (شأن)، و(رؤوس)، و(رَجُل سؤُول)، (يؤوس)، كتبه بعضهم بواوين، وبعضهم باوا واحدة، وكله حسن".<sup>(٣)</sup>

كما أصَّل لطريقة كتابة الهمزة المتوسِّطة، بعد ياء ساكنة، والمختومة بهاء التأنيث، كما في كلمة (الهيئة)، بقوله: "فإن كان قبل هاء التأنيث ياء، أو واو، أو ألف، حذفت الهمزة، نحو (الهيئة)، و(السوءة)، و(القيئة)".<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر: شرح المقدمة النحوية: ٤٠٦.

(٢) مع الهوامع: ٦ / ٣٤١.

(٣) أدب الكاتب: ٢٦٥.

(٤) السابق: ٢٦٧.



أمّا إن جاءت الهمزة متطرفة، منفردة، بعد حرف ساكن، ككلمة (رِء)، المنكّرة، وما ينحو نحوها، في حالة نصبها، فقد أصّل (ابن قتيبة)، طريقة كتابتها بقوله: "فإذا كانت في موضع نصب، منون، ألحقها ألفاً، نحو قولك: أخرجتُ حُبْنًا، وأخذتُ دِفْنًا، وبرأتُ بُرْءًا، وقرأتُ جُزْءًا".<sup>(١)</sup>

وأما في حال مجيئها متطرفة، وتلتها علامة التثنية، فقد اكتفى (الشدياق)، بالإشارة، إلى أنّ طريقة رسمها مُختلف فيه، كما في كلمة (جُزئين)؛ إذ كتبها بعضهم على الياء (نُبْرة)، وبعضهم على ألف، وبعضهم تركها منفردة.

ومن خلال الوقوف على بعض مصادر الصرفيين القدامى، ك (ابن بابشاذ)، المتوفى في (٤٦٩هـ)، نجده يؤصّل لطريقة كتابتها، لكن ليس مع علامة التثنية، وإنما مع الضمائر المتصلة بها؛ إذ يقول: "فإن اتصل بهذه المتطرفة، المتحركة، ضمير، خرجت عن حكم الطرف، وصار حكمها حكم المتوسطّة، في جميع ما ذكرناه، مثل: هو يَقْرؤه، ولن يَقْرأه، ولم يَقْرأه، وهو يَقْرئه السلام".<sup>(٤)</sup>

وبناء على ما سبق فإنّ تأصيل قاعدة كتابة الهمزات، ونحوها من الأبواب، المندرجة في ضمن (علم الخط) قديمًا، أو ما اصطلح عليه (علم الإملاء) حديثًا، تبدو لي هي الأجدى للطلاب المعاصر، ولا سيما في الكتب ذات الطابع التعليمي.

## الخاتمة:

من خلال دراسة هذا البحث يمكن التوصل إلى الآتي:

١. إنّ مادة كتاب (غُنْيَة الطالب ومُنْيَة الراغب)، الصرفيّة، خصّها مؤلّفها (أحمد فارس الشدياق)، للطلاب المبتدئ، في دراسة اللغة العربية، ولا سيّما لغير الناطق بها، أصلًا.

(١) السابق: ٢٦٧.

(٤) شرح المقدمة النحوية: ٤٢٧.

٢. على الرغم من أنَّ دروس (الصرف)، في هذا الكتاب صاغها مؤلِّفها، في عمومها، صياغة موجزة، فقد انحرفت صياغته عن هذا النهج، في عدد من المواضع، ومال إلى الإسهاب؛ إمَّا بنقل نصوص من كتب التراث الصرفي، وإمَّا بعرض الخلافات الصرفية بين الصرفيين، وإمَّا بعرض آرائه الخاصة فيها، وهو ما أكسب هذا الكتاب صفة علميَّة، إلى جانب صفته التعليميَّة.

٣. لم ينهج مؤلِّف الكتاب طريقة المؤلِّفين المحدثين، في تأليف الكتب اللغوية، ذات الطابع التعليمي؛ فيما يخص الإكثار من التمارين التطبيقية، عقب كل درس، وهو ما جعل كتابه، من وجهة نظري، يفتقر لأهم جانب، يحتاج إليه الطالب المبتدئ، في دراسة العربية.

٤. على الرغم من إضافة المؤلِّف، على متن كتابه التعليمي، نصوصًا كثيرة، ليست ضروريَّة لمثل هذا النوع من المؤلِّفات؛ فإنَّ هذه النصوص أظهرت جوانب عميقة، من شخصية المؤلِّف العلميَّة، وبيَّنت مدى طول مراسه، وتفوُّقه، في هذا الفن، وهذا ما جعله يفوق الكثير من أقرانه، سواء ممَّن عاصره، أو ممَّن خَلَف عصره.

### المصادر والمراجع:

١. إبراهيم، عبد العليم، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، مكتبة غريب، مطبعة الفجالة، مصر، د.ت.

٢. الاسترابادي، رضي الدين مُجَّد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تح: مُجَّد نور الحسن، ومُجَّد الزفازف، ومُجَّد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي-بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٣. الأسير، يوسف، رد السهم للشهم الأستانة العليَّة: مطبعة الجوائب، ١٢٩١هـ.

٤. الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن مُجَّد بن أبي سعيد (ت ٥٧٧هـ)، أسرار العربية، تح: بركات يوسف هبود، دار الأرقم بن أبي الأرقم-بيروت/لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

٥. الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، المناهج الكافية في شرح الشافية، المطبوع بهامش (مجموعة الشافية في علمي التصريف والخط)، تح: مُجَّد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت/لبنان، ط ١، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.
٦. ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد (ت ٤٦٩هـ)، شرح المقدمّة النحوية، تح: د. مُجَّد أبو الفتوح شريف، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية، ١٩٧٨م.
٧. الجاربردي (ت ٧٤٦هـ)، شرح الشافية المطبوع بهامش (مجموعة الشافية في علمي التصريف والخط)، تح: مُجَّد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.
٨. الجياني، مُجَّد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت ٦٧٢هـ)، شرح الكافية الشافية، تح: د.عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
٩. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٩٤م.
١٠. حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م.
١١. الحلواني، مُجَّد خير، الواضح في علم الصرف، دمشق: دار المأمون للتراث، ط ٤، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
١٢. حواشي ابن بَرِّي وابن ظفر على دُرّة العَوَّاص في أوهام الخَوَّاص، تح: د. أحمد طه حسانين سلطان، مطبعة الأمانة-القاهرة، مصر، ط: ١١٤١١هـ = ١٩٩٥م.
١٣. أبو حَيَّان الأندلسي، مُجَّد بن يوسف، البحر المحيط، (ت ٧٤٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي مُجَّد معوّض، وزكريا عبد المجيد النوتي، وأحمد النجولي الجمل، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، ط ١، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.
١٤. الخفاجي، أحمد شهاب الدين (ت ١٠٦٩هـ = ١٦٥٨م)، شرح دُرّة العَوَّاص في أوهام الخَوَّاص القسطنطينية، مطبعة الجوائب، ط ١، ١٢٩٩هـ.

- ١٥ . ابن خلدون، عبد الرحمن (٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، المطبعة الخيرية، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٢٢هـ.
- ١٦ . خليل، حلمي، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٣م.
- ١٧ . الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٤٠هـ)، الإيضاح في علل النحو، تح: د. مازن المبارك، دار النفائس، د.ت.
- ١٨ . الزرکان، مُجَّد علي، الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق، دار الفكر-دمشق، سورية، ط١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- ١٩ . الزركلي، خير الدين، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين-بيروت، لبنان، ط١٤، شباط/فبراير ١٩٩٩م.
- ٢٠ . زوين، علي، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، العراق، ط١، ١٩٨٦م.
- ٢١ . زيدان، جرجي، بناء النهضة العربية، دار الهلال، د.ت.
- ٢٢ . زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، ٢٠١٣م.
- ٢٣ . ستيتية، سمير شريف، اللسانيات-المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م.
- ٢٤ . سقال، ديزيره، الصرف وعلم الاصوات، دار الصداقة العربية-بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٢٥. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف المعروف (ت ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: د. أحمد مُجَّد الخراط، دار القلم-دمشق، سورية، د.ت.
٢٦. سيويوه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، كتاب سيويوه، تح: عبد السلام مُجَّد هارون، بيروت، عالم الكتب، ط ٣، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
٢٧. السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد السلام مُجَّد هارون ود. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة-بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.
٢٨. الصاغاني، حسن بن مُجَّد (ت ٦٥٠هـ)، العُباب الزاخر واللباب الفاخر، تح: د. فير مُجَّد حسن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط ١: ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.
٢٩. الطبري، مُجَّد بن يزيد (ت ٣١٠هـ)، تفسير الطَّبْرِي (جامع البيان في تأويل القرآن) تح: أحمد مُجَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
٣٠. عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٦، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
٣١. عبد الدايم، مُجَّد عبد العزيز، نظرية الصرف العربي دراسة في المفهوم والمنهج، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة (١٥٨)، الحولية الحادية والعشرون، مجلس النشر العلمي (جامعة الكويت) - الكويت، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.
٣٢. العصيمي، خالد بن سعود بن فارس، القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار التدمرِيَّة، ط ٢، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.
٣٣. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين البغدادي (ت ٦١٦هـ)، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: مُجَّد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، مصر، ط ١: ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٩م.

٣٤. العكيلي، حسن منديل حسن، الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، دار الضياء للنشر والتوزيع-عمّان/الأردن، ط ١: ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
٣٥. الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، اعتنى به: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.
٣٦. فارس، أحمد (ت ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م)، غُنية الطالب ومُنية الراغب (في الصرف، والنحو، وحروف المعاني). مطبعة الجوائب بالأستانة العليّة، ط ٢، ١٣٠٦هـ.
٣٧. الفاكهي، عبد الله بن أحمد بن علي بن مُجَّد (٩٧٢هـ)، شرح الحدود النحوية تح: مُجَّد الطيب الإبراهيم، بيروت، دار النفائس، ط ١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
٣٨. فنديك، أدورد، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، صححه: مُجَّد علي الببلاوي، الفجالة، مصر، مطبعة التأليف (الهلال)، ١٣١٣هـ = ١٨٩٦م.
٣٩. الفيومي، أحمد بن مُجَّد بن علي، المصباح المنير، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.
٤٠. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، تح: مُجَّد الدالي، مؤسسة الرسالة-بيروت، لبنان، د.ت.
٤١. القرطي، عبد الله بن مُجَّد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار إحياء التراث العربي-بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.
٤٢. كار، نُفَرَة (ت ٧٧٦هـ)، شرح الشافية المطبوع بهامش (مجموعة الشافية في علمي التصريف والخط)، تح: مُجَّد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.
٤٣. ليونز، جون، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية، مصر، ط ١، ١٩٨٥م.

- ٤٤ . ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ)، الرد على النحاة، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٨٢م.
- ٤٥ . مواضع اللبس في العربية وأمن لبسها، مجلة (مؤتة)، للبحوث والدراسات، المجلد الثاني/العدد الأول (١٩٨٧م)
- ٤٦ . موسى، مُجَدِّ عطاء، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسرائ- عمان، الأردن، ط١: ٢٠٠٢م.
- ٤٧ . النووي، محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، د.ت.
- ٤٨ . الهوريني، نصر، قواعد الإملاء (المسمّى: المطالع النَّصْرِيَّة للمطابع المصرية في الأصول الخطّية)، تح: د. عبد الوهاب محمود الكحلة، مؤسسة الرسالة-بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- ٤٩ . يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، د.ت.
- ٥٠ . يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ)، شرح الملوكي في التصريف، تح: د. فخر الدين قباوة، مطابع المكتبة العربية بحلب-حلب، سورية، ط١، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

## صورة الإعاقة والمعاق في المدونات الشعبية لسالم مرزوق أبو جابر بلحاف

أ.د. أمين عبد الله محمد الزبيدي<sup>(\*)</sup>

### ملخص:

يحضر اسم سالم مرزوق أبو جابر في الفعاليات الثقافية والأدبية في المهرة لركيزتين في تصور الباحث: الأولى: كونه شاعرا حرص على المشاركة في الفعاليات المختلفة.

الثانية: أنه معاق حركيا. والركيزة الثانية أبرزت قدرات الشاعر وتجاوزه للنظرة القاصر للمجتمع تجاه المعاق كما أن الشاعر بث ذلك كثيرا في مدوناته، وهو ما يؤكد صدور الشعر عن باعث مقامي ونفسي ينعكس في تصوير الشاعر، وقد كشفت الدراسة حرص الشاعر على تصوير الإعاقة ورفضها في الوقت الذاتي متحديا ذاته والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: صورة، الإعاقة المعاق، مدونة شعبية.

### The Image of Disability and the Disabled in the Folkly Publications of Salem Marzouq Abu-Jaber Balhaaf

#### **Abstract:**

In the researcher's perception, the name Salem Marzouq Abu-Jaber presents itself in the cultural and literary events in

---

(\*) أستاذ الأدب والنقد - جامعة حضرموت.



Al-Mahrah because of a two-fold underpinning. The first, him being a poet who was keen to participate in various events.

While the second is him being physically disabled. The second underpinning manifested the poet's capabilities and his coping with the society's trivial attitude towards the disabled. The poet also broadcasted this abundantly in his publications, which confirms the poetry's production from a contextual and a psychological motive reflected in the poet's depiction. The study revealed the poet's keenness in depicting disability and rejecting it, at the time of the text's scrutinization, challenging himself and the society.

**Keywords:** Image; Disability; Disabled; Folksy Publication.

#### مقدمة:

ارتبط الشعر بالكينونة العربية، وكان الشاعر مُعَبِّرًا عن بيئته ومتأثرًا بمحيطه ومؤثرًا فيها، ولعل من أبرز المؤثرات التي تلازم الإنسان أثر الإعاقة؛ كون الإعاقة أمرًا ملازمًا لا يمكن الفكّك منه. ولأن الإعاقة مما يغير الوظائف الطبيعية لأعضاء الإنسان أو تصرفاته، ومن ثم فقد يُنظر إلى المعاق على أنه أقل قدرة من غيره؛ هذه النظرة السلبية قد تدفع إلى الإحباط والانطواء، أو إلى تقبُّل العطف والشفقة، غير أنها لدى آخرين تدفع إلى التحدي والانطلاق وفقًا للقدرات المتاحة. وهؤلاء الذين يتجاوزون نظرة المجتمع المشفقة عليهم وينطلقون في حياتهم يغلب عليهم الإبداع أكثر ممن يُنظر إليهم على أنهم أسوياء، ولو تأملنا بشار بن برد، والمعري، لوجدنا أن إبداعهما فاق إبداع الأسوياء في

كثير مما يتطلّب حاسة البصر لاسيما في إبداع الصورة الفنية، وفي العصر الحديث نجد البردوني قد ملأ الساحة الفنية والأدبية، وأضحى منارا يُهتدى به وكأنه مدرسة يُنسب إليها أسلوب ما من الشعر.

وفي المهرة يحضر اسم الشاعر سالم مرزوق أبو جابر بوصفه شاعراً يتحدّث باسم المعاقين وهو أحدهم، فهو مُعاق إعاقة بدنية تمنعه من الحركة الطبيعية من غير مساعدة العكاز.

ومن هنا، كان سبب اختيار الموضوع للدراسة؛ للنظر في صورة الإعاقة وأثرها في شعر سالم مرزوق أبو جابر، من خلال مدونة: إعاقتي سرُّ ابتسامتي، ومن مدوناته المرسله عبر وسائط التواصل (الواتساب) أو المخطوطة الورقية التي أرسلها إليّ.

### وتهدف الدراسة إلى:

- بيان صورة الإعاقة في شعر سالم مرزوق أبو جابر.
- بيان أثر الإعاقة في شعر سالم مرزوق.

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي مسترشداً بالسيره الذاتية للشاعر والولوج إلى لغته، وانعكاس جو النص في النص. ولأن هذا لم يكن كافياً؛ لذا فقد استعان الباحث بتوظيف معطيات الدراسة البنيوية، فجاءت الدراسة مزاجية بين الانطلاق من السيرة الذاتية وجو النص إلى النص، ومن النص بوصفه نصاً لغوياً، فضلاً عن المعطيات الخارجية بوصفها مؤثرات قد تنعكس في اللغة الأدبية.

وعلى هذا، ستنظر الدراسة إلى أثر الإعاقة في شعر سالم مرزوق أبو جابر من منطلقات هي:

- منطلق بياني، وهو النص ذاته؛ ويتمثل في دراسة لغة النصوص ومعجم الشاعر.
- منطلق خارجي، وهو طبيعة الشاعر. وحياته وما يتصل به في نشأته وثقافته.
- منطلق مقامي، وهو موقف إبداع النص، المتمثل في مناسباته وجوه العام.

## القسم الأول. التعريف بالشاعر:

هو سالم مُجَّد مرزوق بلحاف من مواليد ١٩٧٧م بالغيضة، وهو ممن ابتلاه الله بالإعاقة الجسدية فهو غير قادر على الحركة الطليقة بقَدَمَيْهِ، مُستنيرُ الفكر طَموحٌ إلى المعالي<sup>(١)</sup>.

ولعلنا، من مجمل مشاركاته الاجتماعية، ندرك مستوى طموحاته، ومدى تطلعاته للارتقاء

بنفسه، فهو:

- رئيس جمعية المعاقين حركيا.
- مدير مركز الشفاء للعلاج الطبيعي.
- رئيس تحرير صحيفة تقودر (محلية)
- رئيس نادي الإرادة للمعاقين حركيا.
- رئيس فريق يروب الرياضي الثقافي.
- عضو في اللجنة الشبابية للمجلس العام لأبناء المهرة و سقطرى.

ومن مدوناته يظهر أنه متقد الذهن؛ فهو يُشجع فريق منطقته لكرة القدم، ويشاركهم أفراحهم، وهو يتغزل غزلا تتمثل فيه الصور البديعة والمعاني الدافئة الدافقة، فضلا عن عنايته بزملائه المعاقين وتحفيزهم، ولا ينسى أن يحفز ذوي الإعاقة في مواصلة التعلم وعدم الركون إلى اليأس.

## شعره ومشاركاته:

- صدر له ديوان: إعاقتي سرُّ ابتسامتي، ٢٠١٤م، وديوان: العكاز الطائر، ٢٠٢١م.
- نشر له في ديوان الشعراء اليمنيين قصائد عديدة ضمن فعاليات صنعاء عاصمة الثقافة العربية.

(١) زرتة ذات يوم في مكتبه فاستقبلي بتلك الابتسامة العريضة المرحبة والشغوفة بالحب والعمل والفكر الطموح، وفي أثناء جلوسي معه دخل علينا مجموعة من الشباب العاملين في مجال التدريب، كان قد تواصل بهم ليقوموا بتقديم أفكارهم ودوراتهم التدريبية في مركز جمعية المعاقين حركيا.

- كما غنّى له عدد من الفنانين في المهرة وعمان.
- له مشاركات عديدة في مناسبات مختلفة، ومنها:
- مهرجان التراث الأول بالمهرة.
- مهرجان التراث الثاني بالمهرة.
- شارك في العديد من الأمسيات الشعرية في المهرة وسلطنة عمان.

يقول من قصيدة له، بعنوان "تاج الدول"، وقد شارك بها في الأمسية الشعرية لمهرجان المهرة

التراث الثقافي الثاني<sup>(١)</sup>:

|                               |                                  |
|-------------------------------|----------------------------------|
| سلام يا مهرة، ويا تاج الدول   | يا قلعة التاريخ يا كُن الظلال    |
| يا هبّة الأبطال وعرين البطل   | يا موطن الشجعان ورجالك رجال      |
| من هيبتك غنيت نظمت الجمل      | هوجاسي الثائر ببحر الشعر جال     |
| تستاهلي يا ديرقي يا أغلى محل  | يا اللي سكنتي في الضمائر والخيال |
| يا منبع الأجداد من ماضٍ أفل   | تاريخكي محفور باقي لا يزال       |
| يا شامخة يا العالية فوق الجبل | متربعة فوق العوالي والجبال       |
| هذا سلامي وصل لك يا المحتفل   | وأيضاً سلامي لراعي الاحتفال      |
| تراثنا فخر ومهابه مكتمل       | منذ القدم نتوارثه يا رأس مال     |
| مهما تطورنا وكل خاطر ذَهَلْ   | والكمبيوتر قد ظهر والسنترال      |
| والطائرة أطنان أنقالي تَشَلْ  | وترتفع فوق السماء عالي وعال      |
| وبضغطة الجوال نكلم متصل       | لو هو على المريخ نسمع ويش قال!   |
| ونشاهد التلفاز والصورة تصل    | نطوي المسافات البعيدة والطوال    |

(١) المهرة ذكريات وخواطر وأشجان: ٢٤٥.

أبقى على موروثي ما أبدل بدّل  
شامخ شموخ الرأس يوصل زحل  
الود للغضة يا تاج الأمل  
والود يا فرتك وحضوين الثقل  
والود يا حات الفريعة بالدبل  
والود يا حيرج بسيحوت المقل  
والود يوصلها بعطور وقل  
والحب للمهرة يا تاج الدول  
ويعقول<sup>(١)</sup>:

سرب الأحاسيس الدفينة طوابير  
من عمق خفاقي صدور التعابير  
ترضيك أو تغضبك طيري أنا طير  
اقرأ معاناتي سطوراً ومحابير  
بليلة سَوَالِفِكُ تنام المغاوير  
أتخيلك قُدَّامَ عيني بتصاوير  
كلك حلا والزين سيد الغنادير  
الطيب دربك لو تطول المشاوير  
يا ريتهم صاروه أسودك مساهير  
وبوح الهواجس السهيرة معانات  
بسطورها تحكي آلاف الحكايات  
كلمة مشاعر عطرها كالنسيمات  
ترسم لك الواقع، ولا هي خيالات  
وأنا سهير الليل والجفن ما بات  
كثر الشعور، يزيد في القلب نبضات  
لو ما رأتك العين ترسمك لوحات  
والعز تاجك والعلال والمنيفات  
بسنة نبي الله عليه الصلوات

(١) المهزة ذكريات وخواطر وأشجان: ٢٤٥

أوقف ومن حولي شيوخٍ بواكير  
وطاب يومك بالهناء والمسرات  
وَدِّي بردِّك وذا حظوظ ومقادير  
يا سعدها إن قلت صوب المحطات  
ويا غبن حظي إن خذلت التفاكير  
بعيش عمري تائه في متاهات  
قبلي العرب يحكون أحلى الأساطير  
وحكايتي تأتيك من شعر أبيات  
يا انتظارك لو على الجمر باسير  
يا الله تيجني منك أحلى الإجابات

وعلى طريقة أداء الأغاني والموشحات يقول في المضمون الوطني<sup>(١)</sup>:

غنيت لبلادي رددت إنشادي  
فخري وأمجادي أعياد ثورتنا  
فخري بسبتمبر عزّي بأكتوبر  
مجدي بنوفمبر يا رمز عزّتنا  
يا موطني الوافي لك ود بخوافي  
في عز وعوافي تعيش أمتنا  
نفداك يا الغالي بروح والمالي  
يا حلم آمالي ع الغيم رايتنا  
من يوم ميلادك شامخ بأمجادك  
وفي كل أعيادك اتزيد فرحتنا  
يا ملقن الأعداء درسن ولن ينساء  
تحيّة للشهداء أبطال سيرتنا

(١) رسالة بالواتساب بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ٢٠٢٠ م.

مرفوعة أعلامك وأناشيد أنغامك  
بتيجان أوسامك تبقى وإن متنا

ويقول متحسراً<sup>(١)</sup>:

العروبة قوم في الواقع غُشاء  
صفرها معلوم في عهد الحداثة  
ما مع العربي سوى شعر الرثاء  
دوم يتحسّف ويتذكّر ثرائه

ويقول في إعصار لبنان<sup>(٢)</sup>:

يا منشي الأمزان والريح العصف  
احفظ بلادي من شرور العاصفة  
أنت الرحيم أنت القدير أنت الرؤوف  
رب البشر.. والغيب أنته عارفه  
اجعل مزون (لبنان) والسيل الدكوف  
تسقي أراضينا، وتصبح. قاطفه  
تزهّر أفانين البوادي والريفوف  
وبلادي المهرة خضيرة عازفه  
تصبح جنائنها، كما جاذب وحواف  
فيني تثير الشوق وكل العاطفة

وفي قصيدة غنائية، مهداة لنادي الأخوين، ألحان وغناء الفنان توفيق نهيان، يقول<sup>(٣)</sup>:

نعم الأخوين يستاهل  
محقق حلم جمهوره  
رفع كاسه وتقديره  
على الهامات ومسيره  
تصفق له جماهيره  
مشرف لعب بحضوره  
نعم الأخوين يستاهل  
محقق حلم جمهوره

(١) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨ / ١١ / ٢٠٢٠ م.

(٢) رسالة الواتساب بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ٢٠٢٠ م.

(٣) رسالة الواتساب بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ٢٠٢٠ م.

مميز بكل جولاته      ونفخر في بطولاته  
على أجماد راياته      ترفرف دوب مشهوره  
نعم الأخوين يستاهل      محقق حلم جمهوره  
مهارة وفن بنجومه      وسط ودفاع وهجومه  
نعم الأخوين ذا يومه      زعيم وسيد الكوره  
نعم الأخوين يستاهل      محقق حلم جمهوره  
يروب العز له غنت      وأرض الفيءمي هنت  
وشفت الحصن به زانت      ومونغ فيه مسروره  
نعم الأخوين يستاهل      محقق حلم جمهوره  
مثل ديرت المهرة      وميدان النصر فخره  
إلى القمّة إلى الشُّهرة      مقدّم أفضل الصورة

ويقول متغزلاً<sup>(١)</sup>:

يا بديع المعاني، ذيع، حلو الوصائف  
حي، شوف المهية حي شوف المنيرة  
كامل، الزين زينيه والوصائف مثيره  
ملكه الحسن والزبن في حضوره وشوفه  
يسكن ليل رمشه وضحي في كفوفه  
زاهي، القد زاهي والخطاوي فريده  
زينت، الكون شمسه ضيء كل النواظر  
من ضياءها خلائق والنواظر بصيره  
ما خلق مثل شمسه في الفلا والبنادر  
كم عيون الخلقية مذهله به شغوفه  
والشموس المضية من جبينه تناظر  
ونغم في، كلامه مثل سبك القصيدة

(١) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨ / ١١ / ٢٠٢٠م



لو تخوض، المعارك بسيوف وخناجر  
للمهابة عناوين والكرم هي شعاره  
صفها في الأوائل يا عيون وخواطر  
نادر الجيد فيها والمصور إلهي  
بنت، سالم أصيله رمز كل المفخر

خشم سيف المهلهل والفوارس شهيدة  
كالقمر في طلوعه تاج نور المداره  
في بنات العرب شمسه تحوز الصدارة  
حقها الفخر والعز والبها والتباهي  
والنسب له يبارق من سلالات دواهي  
ويقول<sup>(١)</sup>:

في بنات العرب ريناد قمّة وروعة  
معجزة بالوصائف لو حروفي تذيعة  
غصب تأخذ نياشينه وتأخذ دروعه  
مجلسه به تغنى، والهناء في حضوره  
لو أمر بالإشارة تحت أمره وطوعه  
والخطاوي بشارة تجعل الأرض أفنان  
مخجل البدر كامل، زاهيا في طلوعه  
قمة، الذوق ذوقه يا الرفيع الريادي  
يا الزعيم المبجل، الوفاء في شروعه  
سامعي، قوم واقراً بالأف قصة وسيرة  
مستحيلة عيوني تشوف مثله ونوعه

يا جزيل الفرائد ترجمان المشاعر  
ايه الحسن مرسومه وخلقه بديعه  
في سباق الحاسن صفها في الطليعه  
في حضوره مهابه كامللك في قصوره  
الخلائق سميعه راي، والشور سُوره  
المباسم بروقي تتبعه. خير الامزان  
نور وجه منور، يبصره كل عميان  
وصف ربهام، ربما للفلا والبوادي  
وفاطمة، فخرها يبقى بكم يا القيادي  
اسأل الفرس والروم، والعرب في الجزيرة  
بالحاسن متوج فوق رأس الأميرة

ويقول في معاني الحكمة<sup>(٢)</sup>:

(١) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨ / ١١ / ٢٠٢٠ م

(٢) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨ / ١١ / ٢٠٢٠ م

ما يرتفع رأسك بكبرك على الناس  
خليك طيب راعي الذوق والإحساس  
اشعل شموع الود بفتار الأغلاس  
تذكر نبي الله من خير الأجناس  
ويقول<sup>(١)</sup>:

يا نفس كوني لدرب الخير سبّاقة  
ديناش يا نفس حلو العمر سرّاقة  
ما عدت قادر أشوف الذنب و أعدّه  
أيامها تمضي بها الراحة والشدة  
ويقول<sup>(٢)</sup>:

يا صاح، من كلمة تداوي مجاريح  
كم شخص من كلمة يجني مفاليح  
لسانك كالأعمى في دروبه مصايح  
يبقى لسانك في حياتك مفاتيح  
ويقول<sup>(٣)</sup>:

عقول الناس؛ حد جاهل وحد فاهم  
تصدق كل أكذوبة من الناقل  
وذا حكمة من الله، وحده العالم  
ولا واعظ ولا صادق ولا حاكم

وله قصائد كثيرة، تتنوع في موضوعاتها وأغراضها، غير أن شعره كثيرا ما ينحو باتجاه

الاهتمام بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة.

(١) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨ / ١١ / ٢٠٢٠م.

(٢) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨ / ١١ / ٢٠٢٠م.

(٣) رسالة بالواتساب بتاريخ ٣ / ٤ / ٢٠٢١م.

## القسم الثاني: صورة الإعاقة والمعاق في شعر سالم أبو جابر:

### تصوير الشاعر للإعاقة في نظر المجتمع:

لما كانت اللغة تعبيراً عن المكنون والمخزون الذهني الشعوري المدرك واللاشعوري،<sup>(١)</sup> فإن الشاعر كثيراً ما خاطب المجتمع ليثبت حضوره وحيويته فيه أو معاتباً إياه، ومن ذلك قوله عن المعاق في قصيدة بعنوان: إعاقتي<sup>(٢)</sup>:

صوتي وإحساسي بشر

لا فرق في نطق وفكر

لو خانت أطراف الجسد

حلقت بخيالي سفر

إرادتي ضي دروب

إعاقتي جاءني قدر

أنا من أهل المهمم

كلي عطا مثل المطر

سأعيش دوماً طامحا

لن أنطوي في غرفتي

كالبرق أمضي شامخاً

متحدياً إعاقتي

روحي تعانق همّتي

(١) أنماط الصورة والدلالة النفسية في الشعر العربي الحديث في اليمن: ١٥٣.

(٢) مخطوط، ص: ١٥.

والكون يعرف من أنا  
نجمٌ برغم إعاقتي  
والمستحيل لي انحنى  
الخير بين جوانحي  
والقلب يملؤه السننا  
وكان بدري غيمةً  
تأتي وتسقي موطننا  
بالعزم يزهر عالمي  
وينال خاطري المنى  
وبجود عطف قلوبكم  
يبقى التفاؤل بيننا

قوله: وكان بدري غيمة.. تأتي وتسقي موطننا، استعارة بديعة؛ إذ جعل له بدرا، وهذا البدر لم يعد للضياء فقط؛ بل هو للسقيا. ولعل هذا النص يصور تصويرا صادقا المعاق ونظرة المجتمع القاصرة اتجاهه، وتحديده لهذه النظرة الغريبة اتجاه المعاق، فهم يرونه مجرد شخص يستحق التعاطف والإشفاق في حين أنه يرى نفسه:

كلي عطا مثل المطر

سأعيش دوما طامحا

وهم يرونه معاقا في مشاعره فيرد عليهم بقوله:

صوتي وإحساسي بشر

لا فرق في نطق وفكر

لو خانت أطراف الجسد

حلقت بخيالي سفر

إرادتي ضي دروب

ومن قصيدة أخرى يقول<sup>(١)</sup>:

آدم عشق حوى وأنا ابن آدم

يا بنت حوى ارحمي ابن حوى

وهم ينتظرون أن يرونه عاجزا ينتظر من يخدمه، أما هو فيرى غير ذلك:

لن أنطوي في غرفتي

كالبرق أمضي شامخاً

متحدياً إعاقتي

روحي تعانق همتي

وبالنظر في مدونة الشاعر سالم مرزوق أبو جابر، نلاحظ أن المعاق لم يكن كذلك، بل هو كتلة

من الحركة الدؤوبة؛ فهو:

يلق بخياله، وإرادته تضيء دربه، وهو برق، وهو نجم، وغيم يطر الخير، .. إلخ، وهي صور

ضدية بالنسبة لتصور المجتمع عن المعاق، فالمجتمع يراه عاجزا في حين يرى نفسه نجما، برقاً، غيمة،

وهذه عناصر استعارية تتميز بالعباء، والهمة والحركة والسيطرة. ولعل الشاعر قد استغل تلك الثنائيات

الضدية في تكوين صورة التحدي؛ فالصورة نتيجة لعمل الذهن الإنساني في تأثره بالعمل الفني، وهي

(١) مخطوط، ص: ٢٢

تجسيد لرؤية رمزية لا تقف عند اختيار المستوى الحسي، بل تمتد إلى ما يكشف عن هذا الاختيار من اهتمام الشاعر وذوقه ومزاجه ورؤيته وقيمه، ودراسة ما وراء هذه الصورة الرمزية من أصول نبعت منها أو فحص العلاقة بين صور الشاعر والأنماط المشابهة لها في الشعائر والأساطير<sup>(١)</sup>. ولهذا فهو لا يغفل عن أن يذكر انتصاره، في قوله:

### المستحيل لي انحنى.

ولعلي لا أدري؛ إن كان المستحيل -هنا- تعبير عن التحدي أم عن إذعان المجتمع الذي يؤمن بالمستحيل، فكأنَّ الشاعر قد عبر عن المجتمع القاصر في فهمه للمعاق بأنه المستحيل الذي انكسر أمامه وانحنى مُعَبِّراً عن اعترافه بتفوق المعاق. ولم يكتف الشاعر بذلك بل إنه يمدُّ يَدَ العَوْنِ للآخرين ممن يرون أنفسهم أصحاباً، فهو نجم يضيء، وهو برق، وللبرق رمزيته المتصلة ببشارة الغيث، وهو الغيمة التي تسقي ربوع الوطن فتعشوشب أرضه بالنماء والخير. " فأسلوب الصياغة الذي استخدمه الشاعر هو التجربة وهو لغة الشعر، وكل كلمة في هذا الأسلوب بكل ما يتصل بها من إيقاع وصور ودلالات وموسيقى ومضمون وجد من التجربة"<sup>(٢)</sup>

والذي يبدو لي، أن المدونة رُبَّما قد دُوِّنت نتيجة باعثٍ لم يستطع الشاعر إخفاءه منذ اللحظة الأولى، فهو يقول من غير مقدمات:

صوتي وإحساسي بشر.....

ثم يختم مدونته بقوله:

وكان بدري غيمة

تأتي وتسقي موطننا

بالعزم يزهر عالمي

(١) ينظر: المصطلح والأداة في الصورة الفنية: ٢٩٧

(٢) لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية: ٦٧.

## وبنال خاطري المنى وبجود عطف قلوبكم يبقى التفاؤل بيننا

ونلاحظ شيئاً من آثار الباعث الذي بعثه على قول النص في آخر المدونة حين يذكر جود عطف القلوب، لا لشيء إلا ليبقى التفاؤل، وهو قول يحمل في طياته عتاباً لا دُعاً. والعلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات؛ لأن الأدب يفهم في ضوء المعرفة بالحقائق النفسية التي يلزمنا معرفة الإفادة منها إفادة عملية في دراسة الأدب<sup>(١)</sup>؛ لأن المؤثرات النفسية هي أحداث الحياة والتجربة الشخصية للشاعر، وانعكاس هذه المؤثرات في النفس وطبيعة انفعالها، وصياغة الانفعال بطريقة فنية تكشف أقاليم النفس المعتمدة.

### التحدي والإبداع في نظر الشاعر سالم أبو جابر:

في مدونة يُخاطب بها فاطمة صانون، يقول:

انثري الأفراح بدروب الحياة      تبسمي للكون في عمر الزهور  
الإرادة ..... ربح يبلغ مبتغاه      والإعاقة فكر ماهي في الكسور  
علمي الجاهل إذا فكره عماء      وارسمي البسمة على كل الثغور  
لا يردش شوك بطريق المشاة      إعاقتش يا فاطمة برقّ ونور

ولعل التعبير عن الرؤية القاصرة للمجتمع اتجاه المعاق بالأشواك، صورة مناسبة:

لا يردش شوك بطريق المشاة      إعاقتش يا فاطمة برقّ ونور

وكما يبدو فالتعبير يأتي بصورة مبطنة تحمل في طياتها تحكُّماً في قوله:

(١) ينظر: التفسير النفسي للأدب: ١٣-١٤.

## الإعاقَة فكر ما هي في الكسور.

وكانه يقول للجمهور: إن هذه التي تسمونها معاقَة ترسم لوحات فنية، فماذا صنعتُم يا من ترون أنفسكم بكامل قواكم الجوارحية؟. " وبما أن النشاط الإبداعي تركيب جمالي بمعنى أنه مؤلف من اللغة والعاطفة والخيال فلا سبيل للفصل بين الحالة النفسية التي يكون عليها المبدع وبين التعبير"<sup>(١)</sup>

ومن ثم فإن الشاعر يواجه تلك النظرة السلبية لمجتمعه تجاه المعاق بالتحدي.

ويبرز التحدي في مظاهر لغوية وفنية كثيرة، منها التصريح، كقوله<sup>(٢)</sup>:

أنا أبو جابر قلاع العذول هادم وأنا اللحيقي قضاعي من بني طوه

وفي قوله من قصيدة بعنوان "التحدي"<sup>(٣)</sup>:

|                                 |                              |
|---------------------------------|------------------------------|
| رغم القساوة والظروف أهوى التحدي | وأمشي بخطواتي دروبا متعبه    |
| لأجل المني والحلم أبذل جهدي     | واطلع بروجاً عالية حبة بحبه  |
| أتكي على العكاز وأمشي وحدي      | والقلب آماله تضيء في دربه    |
| صوب الهدف واجزع حدي             | واعبر حدود أهم شرقاً ومغربه  |
| مهما صروف الدهر توقف بضدي       | بقوة إرادة قد خذيت التجربة   |
| عرفت أن الوقت هم وسعدي          | لابد ما تلقى مواقف مرعبه     |
| قد علموني الصبر أبوي وجددي      | كل من صبر قالوا: تحقّق مطلبه |
| منهم خذيت النصح وأنا في رشدي    | ولكم سؤالي قد عطوني الأجوبة  |

(١) مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة: ١١٩.

(٢) رسالة بالواتس بتاريخ ١٠/٢٧ / ٢٠٢٠م.

(٣) ديوان: إعاقتي سر ابتسامتي، ٢٠.



مؤمن برب الكون عوني وسندي  
خالق مزون الغيم فوقى يسكبه  
منشي الإعاقاة بي وأنا في مهدي  
بإختبرني في الحياة الذاهبه  
ما ظنتي في الكون أحدا ندي  
فارس وما حد في حياته يغلبه  
أنا المعاق الشاعر المتحدي  
يا أيها التاريخ! اسمي أكتبه

والشطر الأخير من المدونة غاية في الإبداع وفي التعبير برمزية عن التحدي، فها هو يخاطب التاريخ أن يجعل اسمه ممن يدونهم في ذاكرته، والتاريخ لا يدون كل من نال قسطا من الحياة، بل لا يدون إلا من اخترع حياته الجديدة المخلدة في ذاكرته.

ويعبر عن هذا التحدي بالتصريح باسمه في موقف آخر في قوله<sup>(١)</sup>:

أنا أبو جابر قلاع العذول هادم وأنا اللحيقي قضاعي من بني طوه

ولعل التحدي يظهر من الصورة التي يرسمها من خلال التضاد بين المعنيين المتقابلين المفهومين من الصورة في قوله:

رغم القساوة والظروف أهوى التحدي  
وأمشي بخطواتي دروبا متعبه  
لأجل المنى والحلم أبذل جهدي  
واطلع بروجاً عالية حبة بجبه  
أتكي على العكاز وامشي وحدي  
والقلب آماله تضيء في دربه  
صوب الهدف واجزع حدي  
واعبر حدود الهمة شرق ومغربه  
مهما صروف الدهر توقف ضدي  
بقوة إرادة قد خذيت التجربة  
ثم يختم المدونة:

ما ظنتي في الكون أحدا ندي  
فارس وما حد في حياته يغلبه  
أنا المعاق الشاعر المتحدي  
يا أيها التاريخ! اسمي أكتبه

(١) رسالة بالواتس بتاريخ ١٠/٢٧ / ٢٠٢٠م.

فالمشي على العكاز تصرّيح بالضعف الذي يراه فيه الآخرون، لكنه يأتي بصورة تقابله في قوله: والقلب أماله تضيء في دربه.

وهذه الصورة التقابلية نجدها كذلك، حين يُخاطب المعاقة الفنانة المبدعة: فاطمة صانون، من مديرية المسيلة، وقد رسمت لوحاتٍ فنية بأصابع قدميها بسبب إعاقتها، فيقول:

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| انثري الأفراح بدروب الحياة    | تبسّمي للكون في عمر الزهور  |
| الإرادة ..... ريح يبلغ مبتغاه | والإعاقة فكر ماهي في الكسور |
| علّمي الجاهل إذا فكره عماء    | وارسمي البسمة على كل الثغور |
| لا يردش شوك بطريق المشاة      | إعاقتش يا فاطمة برقّ ونور   |

وكأنه يقول للمتابعين: هذه التي تسمونها معاقة ترسم لوحات فنية، فماذا صنعتم يا من ترون أنفسكم بكامل قواكم الجوارحية؟! وأياً كان الأمر تفننا أو استجابة نفسية خالصة للموقف، فإن الاستجابة النفسية ستكون حاضرة؛ ذلك أن المبدع/ الشاعر لن يقول إلا بألفاظ اللغة، والألفاظ تحمل مدلولاتها الثقافية والعرفية والنفسية المتجذرة في نفس الإنسان المستخدم لها، ومن ثم فإن حشد المحسوسات ذات البعد النفسي المرتبط بإثبات الحضور والتحدي، وذات المدلول المرتبط بالكينونة ليس أمراً عبثياً، بل له نوازع نفسية ومقامية وبيئية، أما البيئية فإن بيئته المحيطة ملهمة لهذا الحشد من الصور، وأما المقامية فإنه مقام التعثر، وأما النفسية فإن طموح الشاعر الجامح في الوصول إلى معالي الأمور - كما نرى في سيرته الذاتية - يجعل من حشده لهذه الصور تعبيراً لا شعورياً عن رغبته الطموحة في تحقيق طموحات<sup>(١)</sup>.

كما يظهر التحدي -أيضا- في عدم التأفف من الإعاقة:

(١) ينظر: الدلالات النفسية في شعر ابن عمار الأندلسي المهري: ٩٧

إذ لم تكن الإعاقة الحركية يوماً ما عائقاً عن حركة القلب ومشاعره، فبعد أن يبدع في تصوير محبوبته يقدم لها قلبه المفعم بالصدق الشعري فيقول<sup>(١)</sup>:

أهواك عدَّ البحر والريح تأتيك      وأنا معك صادق قلبي صدوقي  
تصدِّقْ لو تطلبني الروح أفديك      وأنقذك من نيران اصبر حروقي  
يا ليتني دكتور مرّة أداويك      أعطيك دمي أسحبه من عروقي  
ويا ليتني خاتم بإصبع أيديك      تحملني اكفوفك ضحي والغسوقي  
ويا ليتني رمشاً على جفن عينيك      أحمي عيونك من غبارٍ لحوقي  
ويا ليتني في البيت كأسك وشاهيك      أتذوقك من قبل ذوقك بذوقي

في قوله: (أهواك عد البحر) إلى قوله: (أتذوقك من قبل ذوقك).

في هذه المقطوعة من المدونة الشعرية نلاحظ آمنيات الشاعر المتسمة بالطموح والتحدي. وهنا يلفت نظرنا أنه لا يخفي إعاقته ولا يتأفف من أدوات الإعاقة، بل يراها صديقاً وفيّاً يتعامل معه بصدق، وحين ننظر في مدونات أخرى للشاعر نجد أنه يذكر العكاز في أكثر من مدونه، فهذا هو بصور إعاقته ليس بصفته معاقاً بل بصفته يمثل جزءاً من المجتمع فيصورها في صورة درامية على هيئة حوار بينه وبين فاطمة.

كما يظهر التحدي في إعادة توظيف الأعضاء الصالحة للعمل تعويضاً عن الأعضاء المعاقة، وهذا يظهر جلياً في مخاطبته للرسامة المبدعة فاطمة صانون؛ التي رسمت لوحاتها بأصابع قدميها بسبب إعاقته، وهي من مديرية المسيلة في قصيده بعنوان (الإرادة).. في لوحة درامية تعتمد السرد، يعبر فيها الشاعر عن موقف يحتزل الواقع الحركي للمعاق ونظرة الجمهور له، يقول<sup>(٢)</sup>:

(١) مخطوطة، ص: ٢٣

(٢) ألقاها في الأمسية الشعرية في المهرجان المهرة التراثي، النقابي

انثري الأفراح بدروب الحياة  
الإرادة ..... ريح يبلغ مبتغاه  
عَلِمِي الجاهل إذا فكره عماه  
يا فاطمة يا زهر يجذبنا شذاه  
هد هد... الإبداع يلفاكي نباه  
لا يردش شوك بطريق المشاة  
بنت مهرة فخر بالبرقع والعباة  
أصابع الأقدام كما فكر الجباه  
تفخر المهرة.. بعظمتها وجاه  
يا راسمة لوحة تراث ما أجمل حلاه  
الآدمي مأجور إذا ربّي ابتلاه  
يا فاطمة فوق السحاب وفوق ماه  
وقلبك الطاهر يُعَلِّمُنَا وَفَأَه  
البدر قد غنّا ويلفانا ضياه  
فاطمة نبراس في هذه الحياة

تسمي للكون في عمر الزهور  
والإعاقة فكر ماهي ف الكسور  
وارسمي البسمة على كل الثغور  
في سماء الإبداع طيري كالطيور  
وأنتِ بلقيس اليمن وسط القصور  
إعاقش يا فاطمة برقاً ونور  
تعانق الإبداع من لوحات سطور  
تترجم الإصرار والقلب الصبور  
بفاطمة نفخر وكل مهري فخور  
بأصابع القدمين تذهلنا حضور  
الآدمي مخلوق من رب غفور  
بيارقك .... مرفرفة دايماً تدور  
يحكي صمودك يا محطمة الصخور  
والليل، شعشع وأنتِ يا بدر البدر  
رسمها... إبداع يهدينا السرور

وكذلك، يظهر تحدي الإعاقة عند الشاعر، في الحديث عن المستقبل وسلاحه المتمثل في العلم، حيث يقول<sup>(١)</sup>:

خذ بيدي في دروب العلم نمضي كي أرى مستقبلي نور وسعادة

(١) أنشودة (خذ بيدي) مرسله بالواتس بتاريخ ١٩ يناير ٢٠٢١م

مركز اقرأ أنت عوني أنت سندي  
عشت أنا في جهل أفنيت عمري  
القراية و ... الكتابة كل حلمي  
عددت الأيام. يومًا تبع يومي  
في معاناتي، كم عانيت وحدي  
في شروق العلم كم قد زاد فرحي  
يا معلنا، ومَنك زان عقلي  
صرحك الشامخ هو مفخر بلاده  
في ظلام الجهل كم قاسي عناده  
انعدم.... حربي ما خطه مداده  
والأمل غائب، والحسرة شهاده  
جهلي، ومرضي، وأتعاي زياده  
انفتح .... بابك يا.. اقرأ بالريادة  
اكتب حروفي على صدري قلادة

### ثانيا: صورة العاطفة والمشاعر

حين ننظر في القصيدة بوصفها مدونة لغوية قيلت في موقف شعوري غير متجزئ ندرك مدى الطموح الذي يبثه الشاعر متحدِّيًا إعاقته، فهو يصفُ مشاعر الشوق في صورة مفعمة بالروح الغزلية الصادقة، وكأنَّه يقول للمجتمع: لا تستغربوا ذلك من المعاق؛ فهو يملك المشاعر والأحاسيس.

وهو يشير إلى ذلك صراحة في قوله:

صوتي وإحساسي بشر

لا فرق في نطق وفكر

لو خانت أطراف الجسد

والصورة مزيج بين حاستي: السمع والبصر؛ أي من الصورة ذات الامتداد السمعي (صوتي؛ النطق)، والصورة البصرية (بشر؛ الجسد)، والصورة التأملية (مجمل الصورة). " فالصورة في الشعر ليست إلا تعبيرا عن حالة نفسية معينة يعانها الشاعر إزاء موقف معين من مواقفه مع الحياة، وإن أي

صورة داخل العمل الفني تحمل من الإحساس وتؤدي من الوظيفة ما تحمله وتؤديه الصورة الجزئية الأخرى المجاورة لها، وإن من مجموع هذه الصور الجزئية تتألف الصورة الكلية التي تنتهي إليها القصيدة"<sup>(١)</sup>

ويقول:

حنيت لك حنيت وكم فكرت فيك  
وصرفت لك من خاطري مليار شيك  
تائه بدربك سارياً أسأل عليك  
حتى نجومى خافتة في لياليك  
بعث البشر في الكون وحدك أشتريك  
أنت الغلا في ناظري دوم أغليك  
أنت الحلا وأنت العسل في وسط كيك  
وأنته جبينك ميل من دون تسليك  
وأنته عيونك سحر ترسل بلاويك  
وأنته مقام الطيب ربي يخليك  
أهواك عدّ البحر والريح تأتيك  
تصدق لو تطلبني الروح أفديك  
يا ليتني دكتور مرة أداويك  
ويا ليتني خاتم بإصبع أياديك  
واشتقت لك، وحرّك الدمع شوقي  
من بنك حبك ذي بنيته في خفوقي  
وسهرت ليلي حتى لي بان الشروقي  
ونسائمك قد هيضت فين طروقي  
يا رأس مالي لو يقولوه طاح سوقي  
لك صفقة الأحداق والخاطر صفوقي  
ومباسمك قدام عيني كالبروق  
لا كهرباء يحتاج، ولا بدر فوقي  
وأنته دواء الخفاق متئم عشوقي  
عائش فؤيد الناس طبعك خلوقي  
وأنا معك صادق قلبي صدوقي  
وأنقذك من نيران اصبر حروقي  
أعطيك دمي أسحبه من عروقي  
تحملني اكفوفك ضحى والغسوقي

(١) لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية: ٨٢.

ويا ليتني رمثاً على جفن عينيك      أحمي عيونك من غبارٍ حوقلي  
ويا ليتني في البيت كأسك وشاهيك      أتذوقك من قبل ذوقك بذوقلي  
يحملني العكاز، وأتبع خطاويك      لو تبطي الخطوات جيتك سبوقلي  
جيتك على قافي يا الخل أشكيك      أرجوك لك جنيت أعطيني حقوقي

لمعاني الحنين والشوق لها نصيب من معجم النص: حنيت، فكرت، اشتقت، شوقي، حبك، صرفته، تائه، سهرت، أشرتريك، أهواك، صادق.

أما معاني التمني والتضحية فهي مما استأثر به النص في صور قد تكون قريبة لكنها دالة على مدى الاستحكام والتحكم: خاتم، طيبب، يسحب دمي، رمش عينيك، أحمي عيونك، تطلبني الروح، أفديك. " لقد تحولت المفردات في الصورة الشعرية من مجرد مفردات جامدة إلى إشارات انفعالية ترتبط كل منها برصيد من التجارب والمواقف الشعورية، والشاعر حين حشد هذه الإشارات أو المفردات إنما عمد إلى إثارة ما يرتبط بها من رصيد انفعالي"<sup>(١)</sup> أو ثقافي أو فكري أو اجتماعي أو تداخل ديني، مستغلا كل ذلك ليسمو باللفظة من المعجم إلى لفظة شعرية مشحونة بالدلالات والإيحاءات والإغراءات التي تغري بالقراءة والتأمل وتثير الدهشة والإعجاب.

فالتصوير فن، والفن عمل إنساني، ولذا لا يخلو من عاطفة، والصور هي التي تؤدي إلى التداخي، والارتباط بين الأفكار الكامنة وراء الألفاظ. والأثر الناشئ هو أحد أبعاد الصورة، وجزء من روحها. والأثر - هنا - يميل إلى أن نجاح الصورة أو فشلها في القصيدة، مرتبط بتأزرها الكامل مع غيرها من العناصر؛ لكونها موصلا لخبرة جديدة فيما يتصل بالشاعر الذي يدرك، والقارئ الذي يتلقى؛ ذلك أنها لا تثير صورا حسية بصرية فحسب، بل تثير في ذهن المتلقي صورا لها صلة بكل الإحساسات الممكنة التي يتكون منها نسيج الإدراك الإنساني ذاته<sup>(٢)</sup> فما يعملها الشاعر في لغة النص من تشكيل أسلوب وتصور إنما هو اندماج من الشاعر مع حالته ومحيطه.

(١) لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية: ١٣٣.

(٢) ينظر: المصطلح والأداة في الصورة الفنية: ٢٩٨

أما قوله:

يا ليتني في البيت كاسك وشاهيك أتذوقك من قبل ذوقك بذوقي

فهي صورة مخترعة بالرغم من بساطة عناصرها المكونة لها، إلا أنها حملت معنى العشق والهيام.

### صورة الإعاقة الحركية في شعر سالم أبو جابر:

لما كانت الإعاقة لدى الشاعر إعاقة حركة؛ لذا فإن صورة الحركة كانت صورة ملفتة للنظر في حضورها بالتعبير الصريح أو بذكر الأداة (العكاز) وقد تكررت كثيرا في مدونات الشاعر. وللنظر في صورة الحركة ننظر في الآتي:

- يخاطب المحبوبة مصورا هيئة مجيئه في صورة قد تبدو اعتذارية لكنها أيضا صورة تحدي ووفاء، يقول:

جيتش على عكاز والساقين تتصادم شباب يا حلاقي وشيبي قد ظهر توه

فالصورة في قوله: جيتش على عكاز، بقدر ما فيها من تصوير حالة الضعف إلا أنها من ناحية أخرى تعبر بقوة عن الوفاء وصدق المشاعر، فقد تحمل آلام العكاز وآلام تصادم الساقين. وهو في كل ذلك لا ينسى أن يذكر محبوبته أن العكاز لم يكن بسبب الشيب، بل هو شباب ولم يظهر الشيب إلا لحظته تلك. ففي الصورة سطوة الواقع النفسي المحيط بالشاعر، ما جعله يستجيب نفسيا لهذا الواقع من خلال تصوير العجز الذي يعاني منه مقصوص الجناح، رغم رغبته الشديدة في الوصول إلى المورد، ولعل المورد - هنا - يمثل الغاية التي يريدتها الشاعر<sup>(١)</sup>.

والصورة - هنا - تتطلب حركة العين المتنقلة غير الثابتة، فهي في مستوى النظر لترى الهيئة كاملة لكنها لا تلبث أن تسترعى انتباهها حركة الساقين المضطربتين فتتحرك في حركة سريعة إلى أسفل، ثم

(١) ينظر: الدلالات النفسية في شعر ابن عمار الأندلسي المهري: ٩٨



ترتقي إلى أعلى وإلى الجانب لتشمل الرؤية هيئة المعاق كاملة مع التركيز على العكاز، وكأنه ينبغي على بؤرة العين (الكاميرا/ التصوير) توثيق هذه اللحظة المتكررة بالنسبة للمعاق: لحظة حركة المعاق بمساعد العكاز مقبلا على حبيته ساقاه يتصادمان. ولفظ التصادم يثبت لنا صورة اللقاء العنيف المتكرر بين الساقين، فهو لقاء مرهق لا يمكن التحرر منه. ومع ذلك لم يغفل الشاعر عن بث روح الأمل والدُّعابة والطموح فهو شباب، وما يظهر من تفاريق الشيب إنما ظهر هذه اللحظة فقط. ولعلي لم أجد للشاعر صورة خصصها لإظهار ضُعف المعاق إلا هذه المدونة فقط، وهي قوله<sup>(١)</sup>:

مشيتُ وخطوتي حذرة على الطرقات تتعثر  
بطيت وما بطى غيري عليا اللوم قد أشتر  
مشيت وفاطمة قُدام وخلفي مُجد الأصغر  
وتسأل فاطمة وتقول: أنت ليش متغير  
سؤالا صعب قد جاني وخلى الفكر متحير  
جواي ضحكة صفراء ووجهي انقلب أصفر  
وقبل وصولنا الشارع سقط عكازي الأيسر  
كل الناس تنفرج عليك، يا محزن المنظر  
وخوفي قد عكس سيرى من العقبات وحجاره  
وأنا قد لُمتُ عكازي سبب تأخير مشواره  
من بعد العصر نمشي إلى بقالة الحارة  
كل الناس تمشي بلا عكاز دواره  
وعقلي طار من رأسي وتاهت كل أفكاره  
وصمتي انقلب ثورة تهد قصور وأسواره  
طحت، وفاطمة تبكي خجولة تقول يا خساره  
يا ليت الليل قد خيم وراح النور ونهاره

ولعل الشاعر رسمها من صورة طفولية محفورة في ذاكرته، أو من صورة مرئية لتجربة غيره أو متخيلة عن موقف من المواقف. فالشاعر يستمد جل مواد التصويرية من الطبيعة، لا بوصفها محسوسات تقع خارج ذاته، وإنما بوصفها أداة حية لها نبض خاص وإيقاع ذو تردد ينسجم مع إيقاع النفس، فيكون وسيلة لبث الحالة النفسية<sup>(٢)</sup>.

(١) ديوان: إعاقتي سر ابتسامتي: ٢٥.

(٢) ينظر: الدلالات النفسية في شعر ابن عمار الأندلسي المهري: ١٠٥.

والمدونة تعبر عن صورة التقطها الشاعر من زوايا متعددة، فهي ملتقطة من زاوية جانبية تُظهر حَدْرَهُ وتَعَثْرَهُ، وهي علوية بعين الصقر المراقب المتحرك لتظهر الصورة كامل هيئة المعاق وحركته، وهيئة الحركة وطبيعة الأرض التي تقع خطواته عليها، وصورة المباني والحارة وموقع البقالة الصغيرة.

ولا تغفل عين الشاعر عن أن تلتقط صورةً للشمس يظهر فيها شيء من الاضفرار المريض لهذا النجم الساطع؛ إذ يبدأ اعتلال الشمس ومريضها من العصر إلى أن تذوي ذابلة ميتة في المغرب. هذه كلها صورة بصرية متعددة الزوايا، يتخللها صورة تتطلب القرب الشديد لالتقاط الصوت، إنها الصورة السمعية للسؤال الهامس الخجول البريء براءة الطفولة: (أنت ليش متغير؟)، كل الناس تمشي بلا عكاز دواره)؛ هذه الصورة السمعية يقابلها في اللحظة نفسها بوصفها نتيجة للصورة السمعية صورة بصرية قريبة تركز على الوجه ثم تُختزل الصورة أكثر لتظهر ابتسامة سَمَّها الشاعر: صفراء.

ويختم الشاعر حركة التصوير بمشهد علوي من زوايا متعددة:

وقبل وصولنا الشارع سقط عكازي الأيسر طحت، وفاطمة تبكي خجولة تقول يا خساره

كل الناس تتفرج عليك يا محزن المنظر يا ليت الليل قد خيم وراح النور ونهاره.

وفي صورة أخرى، يقول:

يحملني العكاز، وأتبع خطاويك لو تبطي الخطوات جيتك سبوقي

جيتك على قافي يا الخل أشكيك أرجوك لك جنيت أعطيني حقوقي

البيتان في صورة المعاق والتحدي، فهو رغم أنه يستعين بأداة العكاز على المشي والسير،

إلا أنه كان سبّاقا، في حين أن الناس ينتظرون منه عدم القدرة على المجيء. والصورة الاستعارية في

قوله: يحملني العكاز.. صورة بديعة تجسد حالة التماهي والاتساق بين المعاق وأدواته. وهي؛ أي

الصورة تقع في دائرة الامتداد البصري للمعاق، فهي ليست صورة من نمط عين الصقر الصياد، إنها

صورة من نمط الرؤية في مستوى البصر الموازي للناظر بصورة غير بعيدة، بحيث إن القرب يسمح للمراقب أن ينظر هيئة المعاق كاملة مع التركيز على العكاز ومحاوله تسليط الضوء البصري عليه؛ بوصفه الأداة المطلوب التركيز عليها، فهي العامل الأساس لتكوين صورة المعاق في ذهن المتلقي، وهي الأداة التي تسمح للمعاق بالحركة من غير مساعد بشري ملازم.

وأرى أن هذا التصوير المتعالي من زاوية علوية لها مدلول نفسي منبعث من التحدي؛ لأنه لم يكتب بالنظرة الموازية لمستوى البصر، فضلا عن أن يقنع بالنظر إلى مسافة خطواته المتقاربة. فالتصوير الشعري له أثره في ذهن المتلقي؛ ذلك أن وظيفة الشاعر ليست إفهام السامع فقط، بل لابد من تحقيق الانفعال لديه، يقول حازم: "والتخيل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المتخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير رؤية إلى جهة من الانبساط والانقباض"<sup>(١)</sup>.

### الخاتمة:

استعرضت الدراسة طائفة من نصوص مدونات سالم مرزوق بلحاف، وهو شاعر من المهرة يقول الشعر بالعربية الملحونة وبالمهريّة، وقد اقتصرت الدراسة على المدون بالعربية الملحونة، وخلصت إلى:

- ١- تجلّى طموح الشاعر وتحديّه للإعاقة الحركية لواقعه الشخصي المحيط به، والمتمثل في نظرة المجتمع للمعاق.
- ٢- تميزت صور الشاعر المتعلقة بالإعاقة أو بالمعاق بالتحدي ومقاومة نظرة المجتمع تجاهه.
- ٣- ظهرت الإعاقة في شعر الشاعر بوصفها حافزا وبعثا على القول الشعري.

(١) منهاج البلاغ: ٨٩.

٤. ظهر الشاعر عاشقا يتقن مخاطبة الأنثى ويتقن وصف جمالها.

### توصيات:

توصي الدراسة بالآتي:

- النظر في المدونات الشعرية للشاعر، وجمعها ودراستها من زوايا متعددة، بحيث تمثل أساسا لقاعدة علمية للشعر والنقد في المهرة.
- الاهتمام بأدب وشعر المهرة وجمعه وتدوينه ودراسته.

### المصادر والمراجع:

١. إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، ط ٤، ١٩٨١م.
٢. بلحاف، مدينة فايل محمد، الدلالات النفسية في شعر ابن عمار الأندلسي (المهري)، رسالة ماجستير غير منشورة، اليمن، جامعة حضرموت، ٢٠٢١م.
٣. بو جابر، ديوان إعاقتي سر ابتسامتي، د.ت.
٤. جبر، عبد المطلب، المصطلح والأداة في الصورة الفنية، مقدمة لتأصيل المفهوم، علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، مجلد ١٦، جزء ٦٤، فبراير ٢٠٠٨م.
٥. حمدان، فاطمة سعيد أحمد، مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة، رسالة دكتوراه، نشر جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعتها، ٢٠٠٠م.
٦. الغزالي، خالد علي حسن، أنماط الصورة والدلالة النفسية في الشعر العربي الحديث في اليمن، مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٧ العدد الأول + الثاني ٢٠١١م.

٧. القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: مُحمَّد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.
٨. الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.
٩. اليزيدي، أمين عبد الله، المهرة ذكريات وخواطر وأشجان، إصدارات مركز اللغة المهرية، الغيضة، ط١، ٢٠٢١م.

## البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان

عصام مقام<sup>(\*)</sup>

## الملخص

يهدف هذا البحث إلى معرفة البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان، والتعرف عليه، ومدى التزامه بالأوزان والقوافي، أو محاولة التجديد فيها، وقد خلص إلى أن أحمد بن علوان حذا حذو القدماء في استعمال البحور الشعرية، وجدد في بعض الأوزان حيث خرج عن بحور الخليل، كما جدد في بعض مظاهر القافية، وجازى شعراء عصره في الكتابة على البحر الكامل.

الكلمات المفتاحية: البناء العروضي، الوزن، القافية، أحمد بن علوان.

### The Prosodical Structure in the Poetry of Ahmad Bin Alwan

#### **Abstract:**

This research aims to identify the prosodical structure in Ahmed Bin Alwan's poetry, and the extent of his commitment to meters and rhymes, or his attempt to its modernization. It has been concluded that Ahmed Bin Alwan followed the example of the predecessors in the use of poetic meters and reformed in some meters as he departed from Khalil's meters. He also reformed in some aspects of rhyme and kept pace with the poets of his time in writing on the complete meter.

Keywords: Prosodical Structure; Meter; Rhyme; Ahmed Bin Alwan.

(\*) باحث دكتوراه.

## مقدمة

يعد البناء العروضي الأساس الأول للنغم الموسيقي في الشعر، فبه يحصل التأثير، وعن طريقه يمكن إيجاد علاقات تناسب بينه وبين دلالة السياق، بل إن الفلاسفة يعدون النغم فضلاً "بقي من المنطق لم يقدر الإنسان على استخراجها، فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا التقطيع، فلما ظهر عشقته النفس، وحتت إليه الروح"<sup>(١)</sup>، ولا شك بأن هذا النغم يعد ظاهرة عروضية تميّز شعر أحمد بن علوان.

وترجع أهمية البنية العروضية إلى مهمتين؛ الأولى أنه "يعمق الإيقاع ويرفده، والثانية، أنه يقي الخطاب من التلاشي في ما ليس منه، أي أنه يضع حداً فاصلاً بين الشعر وما ليس بشعر"<sup>(٢)</sup>. وقبل أن تناول البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان لا بد أن نقف عند هذا الشاعر، ونعرف بشخصيته، فمن هو أحمد بن علوان؟

أحمد بن علوان، هو أبو الحسن صفى الدين أحمد بن علوان بن عطّاف بن يوسف بن مطاعن، المشهور بابن علوان، ولد عام (٦٠٠هـ)، في اليمن بمحافظة تعز، وتوفي فيها في منطقة يفرس عام (٦٦٥هـ)، كان أبوه كاتب إنشاء الملك المسعود، عاصر أحمد بن علوان، الملك المنصور عمر الرسولي مؤسس الدولة الرسولية، وكان له حظوة عنده، عاش حياته متصوفاً حتى لقب بجوزي اليمن، ألف من الكتب: الفتوح، والمهرجان، والبحر المشكل، والتوحيد الأعظم، وهذه الكتب هي المدونة التي سيجرى البحث عليها<sup>(٣)</sup>.

(١) العقد الفريد: ٣/ ١٧٧.

(٢) ينظر: محاضرات في اللغة والأدب: ٥٧.

(٣) ينظر: الفتوح: ٤١، ٤٠، وينظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك: ٣٩٦/١.

### إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث في السؤال عن ماهية البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان، هل اختلف نظام هذ البناء العروضي عما نجده في الشعر العربي، أم اتفق معه؟

**المنهج:** من أجل الوصول إلى إجابة عن إشكالية البحث، رأى الباحث أن يستعمل المنهج التحليلي والإحصائي في دراسة البناء العروضي وعلاقته بالمعنى.

### الدراسات السابقة:

١. تحقيق ودراسة ديوان الفتوح لأحمد بن علوان اليميني، حمود علي القيري، رسالة ماجستير، مخطوطة، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٩٨م، وهذه أول دراسة تناولت مؤلف الفتوح، وقد خصص الباحث جزءا من الفصل الثالث منها لدراسة الإيقاع الموسيقي، وتوصل فيه إلى الإحصائية الآتية.

وكما هو واضح من عنوان هذه الرسالة، فهي لم تتناول من شعر أحمد بن علوان سوى كتاب الفتوح.

٢. شعر التصوف عند أحمد بن علوان، دراسة موضوعية وفنية، جميل سلطان مُجَّد، رسالة ماجستير، مخطوطة، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٢م، تناول فيها الباحث شعر أحمد بن علوان، في أربعة فصول، درس فيها حياته وثقافته، والرمز، والخصائص الموضوعية، والخصائص الفنية، إذ تناول في الخصائص الفنية الموسيقى الشعرية.

ومن هنا يأتي هذا البحث ليتقاطع مع هذه الدراسات، وليتناول البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان.



## البناء العروضي:

ينصرف الحديث عن البناء العروضي إلى الحديث عن الوزن، كونها حلقات يقوم عليها الشعر، وتمثل قوامه، فالوزن "من أعظم أركان الشعر وأولها خصوصية"<sup>(١)</sup>.

من أن الوزن يقوم "على ترديد التفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتاد والفواصل، وعن ترديد التفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقية للقصيدة كلها"<sup>(٢)</sup>. وباستقراء الظاهرة العروضية الوزنية في شعر أحمد بن علوان نصل إلى أن الوزن يمثل خصائص هامة واستثنائية في بناء الأوزان في الشعر العربي وفي شعر أحمد بن علوان خاصة، وهو ما نقيم عليه فروض هذا البحث ومحاولة إثباتها.

نفترض أهمية القيمة الأسلوبية البنائية للوزن انطلاقاً من الاستجابة للقيم الصوتية بسبب ارتباط شعره بثقافة التصوف وممارسة طقوسها وشعائره المختلفة، كالترنم بالمدائح وخلافه، وبناء على ما تقدم، فإن غايتنا من هذا المبحث، هي الكشف عن أهم السمات العروضية في شعر أحمد بن علوان، وهو ما سيتضح من الآتي:

### أولاً: البحور الشعرية

تعد البحور الشعرية القالب الشعري الذي يصب فيه الشاعر انفعالاته وإحساساته، وبالتأمل في شعر أحمد بن علوان يظهر لنا أن القصائد في شعره قد وردت على قسمين، البحور التقليدية، والبحور غير التقليدية.

١- البحور الشعرية التقليدية، نقصد بها القصائد الشعرية أو المقطوعات التي التزمت بحراً واحداً من بحور الخليل الفراهيدي، وهذا الضرب هو الأغلب على شعر أحمد بن علوان، ويمكن تناوله كالآتي:

أ- البحور النامة ويمكن توضيحها من الجدول الآتي:

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/ ١٣١.

(٢) الأسلوب: ١٩.

جدول (١) يبين نسبة استعمال البحور الشعرية بالنسبة إلى القصائد والمقطوعات

في شعر أحمد بن علوان

| البحر     | الكامل | البيط | الطويل | الرباعي | المنسج | الوافر | الخفيف | السريع | الرملي | المقارب | الفرج | المتدارك | المتحشر | المديد | الإجمالي |
|-----------|--------|-------|--------|---------|--------|--------|--------|--------|--------|---------|-------|----------|---------|--------|----------|
| القصائد   | ٧٥     | ٢٢    | ١٨     | ٢٤      | ١٧     | ١٢     | ١٠     | ٦      | ٥      | ٧       | ٦     | ٤        | ٢       | ٠      | ٢١٠      |
| المقطوعات | ١٩     | ١٣    | ١٧     | ٨       | ٥      | ٦      | ٦      | ٥      | ٤      | ٢       | ١     | ٠        | ٢       | ٣      | ٩١       |
| مجموع     | ٩٤     | ٣٥    | ٣٥     | ٣٢      | ٢٢     | ١٨     | ١٦     | ١١     | ٩      | ٩       | ٧     | ٤        | ٤       | ٣      | ٢٩٩      |
| النسبة    | ٣١%    | ١٢%   | ١٢%    | ١١%     | ٧%     | ٦%     | ٥%     | ٤%     | ٣%     | ٣%      | ٢%    | ١%       | ١%      | ١%     | ١٠٠%     |

من النظر في الجدول وحقوقه الإحصائية، نصل إلى مؤشرات أولية، ذات قيم ودلالات إيجابية،

في شعر أحمد بن علوان يمكن رصدها كالآتي:

- نظم أحمد بن علوان شعره على معظم بحور الشعر خلا بحرین شعريين هما: (المقتضب، والمضارع)، ومرجع ذلك إلى أن الإيقاع الموسيقي لهذين البحرين لا يتناسب و لا ينسجم مع الذوق الجمالي الذي ينشده أحمد بن علوان، لاسيما وأن هذا الشعر كان يستعمل في السماع الصوفي ويعبر عن روح العصر الصوفية، وبناء على ذلك فإن إحصاء البحور الشعرية في شعر أحمد بن علوان كشف عن استعمال (١٤) بحراً، تتفاوت نسبتها كالآتي:

- إن البحر الكامل هو أكثر البحور الشعرية، دوراناً في قصائده ومقطوعاته، بعدد (٩٤) قصيدة ومقطوعة، وبنسبة (31%)، ويمكن أن نرجع سبب تقدمه إلى ما يتميز به هذا البحر لأنه

أكثر بحور الشعر "جلجة" وحركات وفيه لون من الموسيقى عذب، مع صلصلة كصلصلة الأجراس ونوع من الأبهة"<sup>(١)</sup>، كما أنه بحر متسع الإرجاء يتكون من (30) مقطعا لم تجتمع في غيره من البحور"<sup>(٢)</sup>، وهذه السمات تجعله بحرا يصلح للإنشاد والترنم، يليه البحر البسيط، والطويل بعدد (٣٥) قصيدة ومقطوعة لكل واحد منهما، ونسبة قدرها (12%) لكل واحد منهما، وهذه النسبة للبحر الطويل هي أقل من النسبة التي توصل إليها إبراهيم أنيس حين وجد أن البحر الطويل نظم عليه ثلث الشعر العربي"<sup>(٣)</sup>، ثم بحر الرجز بعدد (٣٢) قصيدة ومقطوعة ونسبة قدرها (11%) فالبحر المنسرح بعدد (٢٢) قصيدة ومقطوعة ونسبة (7%) ثم الوافر، ثم الخفيف، بينما تقاسمت بقية البحور قصائد ومقطوعات أحمد بن علوان الباقية.

- إن البحور: (الكامل، والبسيط، والطويل، والرجز) حازت على المرتبة الأولى في شعر أحمد بن علوان ونسبة تقدر (٦٢%)، ما يعني هذه البحور هيمنت على شعر أحمد بن علوان، فنظم معظم قصائده ومقطوعاته على هذه البحور، وهذا يؤكد حقيقة واقعية في الشعر العربي، وهي شيوع هذه البحور، أكثر من البحور الأخرى فيه، ويعزز الرأي القائل: "إن هناك بحورا متدفقة النغم ألفها الشعراء واستراحت لنغماتها الأذان، وعني بها الشعراء على وجه الخصوص في الشعر القديم، وهي الطويل، والكامل، والبسيط، والوافر، والخفيف، وعلى النقيض من ذلك، فإن بحر المديد نادر في الشعر ولا توجد له سوى أبيات معدودة"<sup>(٤)</sup>، ويمكن أن نعزو السبب في ذلك إلى الإمكانيات التي تتميز بها هذه البحور من انسجام موسيقي، وطول نفس، يسمح للشاعر بقبولة تجربته لاسيما و " للطويل بهاء وقوة، وللبسيط بساطة وطلاوة، وللکامل جزالة وحسن اطراد، وللخفيف جزالة ورشاقة"<sup>(٥)</sup>، فضلا عن

(١) المرشد في فهم أشعار العرب: ١ / ٢٥٣.

(٢) ينظر: العملة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١ / ١٣١.

(٣) موسيقى الشعر: ١٨٧.

(٤) التجديد الموسيقي في الشعر العربي: ١١٣.

(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٢٦.

تمتع هذه البحور بالطواعية على الإنشاد والسماع، وما يمكن أن ترصده الدراسة الأسلوبية هنا هو أن نسبة هذه البحور (البسيط، والطويل، والرجز) مجتمعة تأتي أقل من نسبة بحر الكامل.

- جاءت البحور: (المنسرح، والوافر، والخفيف، والسريع) في المرتبة الثانية ونسبة تقدر (22%) في حين تقاسمت البحور الأخرى المرتبة الثالثة، وما يلفت النظر هو أن أحمد بن علوان نظم على البحر السريع (11) قصيدة ومقطوعة بعدد (82) بيتا ونسبة (4%)، على الرغم من نفور القدماء منه، فنادرا ما كانوا ينظمون عليه، وقد تمتعت هذه المقطوعات بنغم إيقاعي عال<sup>(1)</sup>.

- وبالنسبة إلى ترتيب البحور فقد جاء إحصاؤها مخالفا لما قام به إبراهيم أنيس في كتابه موسيقى الشعر<sup>(2)</sup>، إذ حل الطويل والبسيط في شعر أحمد بن علوان في المرتبة الثانية بعد البحر الكامل، بدلاً من حلولهما في المرتبة الأولى.

- غلبت القصائد على شعر أحمد بن علوان، فقد أخذت النصيب الأكبر، وجاءت بعدد (209) قصيدة ونسبة (69.7%) في حين أن المقطوعات وردت بعدد (91) مقطوعة من إجمالي شعره البالغ (300) قصيدة ومقطوعة ونسبة (30%) وهي نسبة قليلة بالنسبة إلى القصائد.

ومثلما اختلفت البحور الشعرية في ترائبها، وتقدم بعضها على بعض، اختلف أيضاً- ترتيب البحور الشعرية ودورانها من حيث عدد الأبيات، ويمكن توضيح ذلك من الجدول الآتي:

جدول (٢) يوضح نسبة استعمال البحور الشعرية بالنسبة إلى عدد الأبيات

| البحر   | الكامل | البسيط | الرجز | البسيط | المنسرح | الوافر | الخفيف | السريع | الرجل | المتقارب | الفرج | المتدارك | الجتش | المديد | الإجمالي |
|---------|--------|--------|-------|--------|---------|--------|--------|--------|-------|----------|-------|----------|-------|--------|----------|
| الأبيات | ١٢٤١   | ٣٧٠    | ٤٤٣   | ٢٥١    | ٢٤١     | ٢١١    | ١٤٤    | ١٠١    | ١٠١   | ٨٧       | ٨٧    | ٣٣       | ٢٣    | ١٠     | ٣٢٦٨     |
| النسبة  | 37%    | 11%    | 11%   | 7%     | 7%      | 7%     | 3%     | 3%     | 3%    | 3%       | 3%    | 1%       | 1%    | 3%     | 100%     |

(١) ينظر: موسيقى الشعر: ٨٨.

(٢) ينظر: المصادر نفسه: ١٨٧.

إن ما رشح لنا من الجدول السابق هو:

- إن البحر الكامل، يظل هو أكثر البحور دوراناً في شعر أحمد بن علوان بعدد (١٢٤١) بيتاً من مجموع شعره البالغ عدده (٣٣٤٣) بيتاً، ونسبة تقدر (٣٩%)، بينما تأخر البحر الطويل في عدد الأبيات عن رتبته في عدد القصائد من نسبة (12%) إلى (7.4%)، وهو تراجع يفسر انتقال ذات أحمد بن علوان من غرض شعري إلى آخر، ومما جاء يظهر التحليل الإحصائي تقدم بحر الرجز على بحر الطويل من المرتبة الرابعة إلى المرتبة الثالثة بعدد (٣٤٥) وليحصل على نسبة (10.4%).

- إن بحر البسيط حل في المرتبة الثانية بعدد (٣٧٠) بيتاً ونسبة (11%)، ثم الرجز بعدد (٣٤٧) ونسبة (10%)، ثم يأتي بعد ذلك البحر الطويل بعدد (٢٥٩) ونسبة (٨%) بينما تقاسمت بقية البحور بقية المراتب، كما نلاحظ اهتمام أحمد بن علوان بالبحر المنسرح، فجاء في المرتبة الخامسة بعدد (٢٤٨) ونسبة (٧%)، وهذه التغيرات توصلنا إلى القول: إن اتجاه هذه البحور في الأبيات كان أعلى منه في عدد القصائد والمقطوعات، وهذا يخلص بنا إلى أن أحمد بن علوان يعد من فحول الشعر الصوفي، كونه يتمتع بخاصية شعرية وبمعجم شعري خاص به.

## ب- البحور المجزوءة

نقصد بالبحور المجزوءة، البحور التي سقطت منها التفعيله الأخيرة في كل شطر<sup>(١)</sup>، ويكشف الإحصاء الأسلوبى لاستعمال البحور المجزوءة في شعر أحمد بن علوان، عن أن مجزوءات البحور لم تنل اهتماماً لديه، والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (٣) يوضح العلاقة بين استعمال البحور (تامة/ مجزوءة) والقصائد والمقطوعات في شعر

أحمد بن علوان وبموازنة هذا الجدول مع الجداول الإحصائية السابقة نجد:

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٥.

- إن البحر الكامل يظل هو أكثر البحور تواترا في شعر أحمد بن علوان على مستوى البحور المجزوءة بعدد (٩٥) ونسبة (٣٢%) قصيدة ومقطوعة، ويليه في المرتبة الثانية البسيط والطويل بعدد (٣٥) ونسبة (١٢%) لكل منهما، ثم يأتي بحر الرجز في المرتبة الثالثة بعدد (٣٢) ونسبة (١١%)، بينما تتقاسم بقية البحور بقية النسب، وهذا يعني أن استعمال أحمد بن علوان للبحور الشعرية، كاد يكون تقليديا للقدماء.

- إن عدد البحور التامة و المجزوءة، في شعر أحمد بن علوان، جاء يغير عددها في النتائج التي توصل إليها الباحث جميل سلطان في دراسته، والجدول الآتي يوضح ذلك<sup>(١)</sup>:

| البحر  | الكامل | البسيط | الطويل | الرجز | المسح | الوافر | الخفيف | السريع | المديد | الرمل | المتقارب | الهجج | المتدارك | المجنث | الإجمالي |
|--------|--------|--------|--------|-------|-------|--------|--------|--------|--------|-------|----------|-------|----------|--------|----------|
| تامة   | ٤٨     | ٢٤     | ٢١     | ٢٨    | ٢     | ٩      | ١٠     | ٩      | ٢      | ٥     | ٢        | ١     | ١        | ٤      | ١٧١      |
| مجزوءة | ١٤     | ١٦     | ٠      | ٢٠    | ٠     | ٠      | ١      | ٠      | ٠      | ٢     | ٠        | <     | ١        | ٠      | ٦١       |
| رجح    | ١٢     | ٣      | ٢      | ٤٨    | ١     | ٥      | ١      | ٥      | ٢      | >     | ٢        | <     | ٢        | ٣      | ٢٣٢      |

وبالموازنة بين الإحصائيتين يظهر لنا إن دراسة الباحث جميل عثمان، لم تشمل شعر أحمد بن علوان كاملا، وتبعاً لذلك فإن النتائج التي توصل إليها لم تكن دقيقة، والدليل على ذلك، هو أن عدد القصائد والمقطوعات في دراسته (٢٣١) بينما هي في الحقيقة (٢٧٣) بعدد (٣٣٤٣) بيتا شعريا، تتوزع في نتاج أحمد بن علوان كالاتي:

| الكتاب      | الفتوح | التوحيد | المهرجان | المجموع |
|-------------|--------|---------|----------|---------|
| عدد الأبيات | ٢٦٦٥   | ٦٠٥     | ٧٣       | ٣٣٤٣    |

(١) ينظر: شعر التصوف عند أحمد بن علوان دراسة موضوعية فنية: ١١٤، ١١٥.

والسبب في ذلك يرجع إلى اعتماد الباحث على الإحصائية التي أوردها حمود القياري في كتاب الفتوح، دون الانتباه إلى أن إحصائية الباحث حمود القياري خاصة بكتاب الفتوح، وهو الأمر الذي ظهر لنا من خلال الاطلاع على كتاب الفتوح الذي حققه حمود القياري، فلا فرق بين إحصائته وإحصائية الباحث جميل سلطان<sup>(١)</sup>.

وأما نسبة الأبيات التامة والمجزوءة، فقد كانت كالآتي:

جدول(٤) يبين العلاقة بين البحور المجزوءة والتامة بالنسبة إلى عدد الأبيات في شعر أحمد بن علوان

| النسبة المئوية | عدد الأبيات | البحر           |
|----------------|-------------|-----------------|
| ٧٥%            | ٢٤٥٧        | البحور التامة   |
| ٢٥%            | ٨١١         | البحور المجزوءة |
| ١٠٠%           | ٣٢٦٨        | الإجمالي        |

يتبين من الجدول السابق:

- عدد الأبيات مجزوءة البحور وصل إلى(٨١١) بيتا من إجمالي الأبيات الشعرية وبنسبة(٢٥%)، بينما كانت الأبيات التامة البحور تمثل (٢٤٥٧) بيتا من إجمالي الأبيات، وبنسبة(٧٥%)، وهذا يدل على استجابة البحور التامة لمضامين شعر أحمد بن علوان ، وانفعالاته الصوفية، التي تتطلب مقاطع طويلة تستوعب أغراضه الشعرية: الغزل، والمدح، والشكوى، والوعظ، والثناء، وأن البحور المجزوءة، لا تتناسب وحالته الشعورية والعاطفية، لاسيما وقد طغى على معظم قصائده الوصف، وهو ما يحتاج إلى نفس طويل، وإلى بحر شعري ينبض بهذه التجربة ويعبر عنها، ومن هنا كانت البحور الطويلة هي الأنسب للتعبير عن لواعج الوجد الصوفي.

(١) ينظر: كتاب الفتوح لأحمد بن علوان اليميني.

إذا ما وصلنا إلى عدد الأبيات المجزوءة، نجد أن بحر الرمل يحتل المرتبة الأولى، ويمكن أن نوضح

ذلك في الجدول الآتي:

جدول (٥) يوضح العلاقة بين استعمال البحور المجزوءة بالنسبة إلى الأبيات

| البحر   | الكامل | الرجز | الفرج | المنسرح | البيسط | الرمل | الوافر | الخفيف | المتقارب | السريع | الإجمالي |
|---------|--------|-------|-------|---------|--------|-------|--------|--------|----------|--------|----------|
| الأبيات | ٢٨٣    | ١٢٨   | ١٠١   | ٩٤      | ٥٣     | ٤٦    | ٣٩     | ٣١     | ٢٩       | ١٠     | ٨١١      |
| النسبة  | %٣٥    | %١٦   | %١٢   | %١٢     | %١٠    | %٥    | %٥     | %٤     | %٤       | %١     | %١٠٠     |

ومن الجدول نتبين الآتي:

إن مجزوء الكامل احتل المرتبة الأولى في أشعار أحمد بن علوان وبعده (٢٨٣) بيتا من إجمالي الأبيات المجزوءة البالغ عددها (٨١١)، ونسبة (٣٩%) يليه بعد ذلك الرجز البسيط بعدد (١٢٨) بيتا ونسبة (١٦%) ثم بحر الرجز بعدد (١٠١) ونسبة (١٢%) ثم المنسرح بعدد (٩٤) بيتا ونسبة (١٢%)، بينما تقاسمت بقية البحور بقية المراتب، كما نلاحظ من الجدول - أيضا - أن المعيار هنا هو عدد الأبيات لكل بحر، وقد عمل هذا المعيار على تقدم بحر وتأخر بحر آخر، كما رأينا سابقاً، واختلاف الأبيات من قصيدة إلى أخرى هو سمة أسلوبية خاصة لكل شاعر.

- وتحسن الإشارة إلى أن توظيف أحمد بن علوان للمجزوءات قد خلا من بعض البحور كالطويل، والمتقارب، والمنسرح، إذ لم نجد بيتا مجزوءا - من عينة الدراسة - يدخل ضمن هذه البحور.





وهذه التفعيلة ( متفاعلان ) مُدالة ولا تأتي في قانون العروض إلا في مجزوء الكامل، ومثلها تفعيلة ( مستفاعلان ) تأتي مضمرة مرقلة، ولا تأتي إلا في مجزوء الكامل، وكأن أحمد بن علوان يمزج بهذه القصيدة بين التام والمجزوء من البحر الكامل، حتى يعبر عن حالته الصوفية التي تنتابه.

ومما جاء منه:

|  |  |
|--|--|
| قَابَلْتَهَا فَتَمَّمْتَهَا وَضَمَّمْتَهَا | ولثمتها لثم الحبيب لطيفا                 |
| فَسَرْتُ إِلَيَّ لَطَائِفَ مِنْ حَبِهَا    | أصبحت من صرعاتهن نزيفا                   |
| حَوِّدُ أَمَالَتِ لِمَا اسْتَمَالَتْ       | تئها وقالت داروت جاني                    |
| وَارْتُ مَعَانِي فَخَوَى لِسَانِي          | يروى معاني داروت جاني                    |
| مَا حَسْنُهَا وَجَمَالُهَا وَكَمَالُهَا    | إلا حيا للعالمين وريفا                   |
| ذَاتُ لَهَا حَكْمَانِ حَكْمِ هَاهُنَا      | وهناك حكمٌ يُوجب التثريفا <sup>(١)</sup> |

## ثانيا: القافية وأنواعها

### ١- القافية

اهتم الباحثون بالقافية قديما وحديثا، فتناولوا تعريفاتها وصفاتها وعيوبها، إدراكاً منهم للدور الذي تقوم به داخل القصيدة أو خارجها، حتى قال بعضهم: " إن حظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت"<sup>(٢)</sup>، بل إن الشعر لا يسمى شعراً بدونها<sup>(٣)</sup>؛ لأنها تعدّ جزءاً مهماً من الشعر، بل وركناً أساسياً من أركانه يشاركها في ذلك الوزن<sup>(٤)</sup>.

والقافية عند الخليل هي من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، وعند الأخفش هي آخر كلمة في البيت، وعند الفراء هي حرف الروي،

(١) المصدر نفسه: ١٧٦.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٥١-١٥٤.

(٣) ينظر: الشعر وإنشاد الشعر: ١٣.

(٤) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٥١-١٥٤.

وعند آخرين هي البيت، أو هي القصيدة<sup>(١)</sup>، أما عند المحدثين فهي "عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءا مهما من الموسيقى الشعرية"<sup>(٢)</sup>، والقوافي في الشعر مطلقة ومقيدة، فالمطلق ما كان حرف الروي فيها متحركا والمقيد ما كان حرف الروي فيها ساكنا<sup>(٣)</sup>.

والقافية عند أحمد بن علوان لها سمة شعرية جديدة، إذ تأتي على ضربين: الضرب الأول القوافي الموحدة، والضرب الثاني القوافي المتنوعة، وستناولها البحث وفقا لذلك، من أجل الكشف عن إسهام القوافي في خلق الإيقاع الشعري، ومعرفة التجديد الوزني الذي قام به أحمد بن علوان في القرن السابع الهجري.

#### أ: القوافي الموحدة

نقصد بها القصائد التي تلتزم قافية واحدة تتكرر في أواخر الأبيات<sup>(٤)</sup>، وستناولها من خلال كونها مقيدة ومطلقة، والجدول التالي يوضح نسبة القوافي المتنوعة، و القوافي الموحدة في شعر أحمد بن علوان، هي الأغلب، والجدول الآتي يوضحها نسبتها.

جدول (٦) يوضح نسبة القوافي الموحدة والمتنوعة في شعر أحمد بن علوان

| م | القوافي  | عدد القصائد والمقطوعات | عدد الأبيات | النسبة |
|---|----------|------------------------|-------------|--------|
| ١ | المتنوعة | 47                     | 618         | 18%    |
| ٢ | الموحدة  | 255                    | 2725        | 82%    |
|   | الإجمالي | 301                    | 3343        | 100%   |

(١) المصدر نفسه: ١٥١/١-١٥٤.

(٢) موسيقى الشعر: ٢٤٥.

(٣) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٥٤/١، وينظر: فن التقطيع الشعري والقافية: ٢١٨.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٧٢.

كما هو واضح من الجدول أن القوافي الموحدة في شعر أحمد بن علوان جاءت بنسبة (82%) وشكلت لديه ظاهرة أسلوبية، بينما شكلت القوافي المتنوعة ما نسبته (18%)، وإن كانت هذه النسبة قليلة إلا أنها تعد محاولة مهمة، وتحسب لصاحبها، كونه حاول التجديد والخروج على نظام الشعر العربي السائد آنذاك، من خلال الخروج عن نظام القافية الموحد، وتطوير قالب الشعري لصالح تجربته الصوفية، بحيث يتناسب معها.

ويكشف البحث عن استعمال أحمد بن علوان للقوافي المطلقة والمقيدة من خلال الجدول (٧)

| م | حركة الروي | عدد القصائد والمقطوعات | النسبة المئوية |
|---|------------|------------------------|----------------|
| ١ | المقيدة    | ١٢٧                    | 5%             |
| ٢ | المطلقة    | ٢٥٩٨                   | 95%            |
| م | الإجمالي   | ٢٧٢٥                   | 100%           |

ويتضح من الجدول السابق أن القوافي المتحركة في شعر أحمد بن علوان جاءت بعدد (٢٥٩٨) قصيدة ومقطوعة من إجمالي عدد قصائده ومقطوعاته البالغ عدد أبياتها (٣٣٤٣) بيتا ونسبة (95%)، وقد بلغت نسبة كبيرة في أشعاره، ويعود السبب في هذا إلى مراعاة أحمد بن علوان للنغم الموسيقي واهتمامه به في أشعاره، فضلا عن كون القوافي المتحركة تأتي أوضح في السمع وأشد أثرا للأذن؛ لأن الروي فيها يعتمد على حركة بعده قد تستطيل في الإنشاد وتشبه حينئذ حرف مد<sup>(١)</sup>، فضلا عن أنها تساعد على امتداد النفس؛ مما يعطي القافية إيقاعا خاصا يتناغم مع حالات أحمد بن علوان الصوفية، وكأنه بهذه القوافي يعبر عن حالة الوجد الصوفية التي تعتره وتتناسب مع الطابع الإنشادي للشعر الصوفي، في حين أن القوافي المقيدة جاءت بعدد (١٢٧) قصيدة ومقطوعة، ونسبة (5%)، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن القوافي الساكنة تحد من الحركة، كونها تمثل وقفات نفسية مفاجئة، توحى بعمق المعاناة.

(١) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٥٥.

وبالنسبة إلى حركة القافية فالجدول الآتي يكشف عن استعمالها.

جدول (٨) يوضح نسبة حركة القوافي بالنسبة إلى عدد الأبيات في أشعار أحمد بن علوان .

| م | حركة القافية    | عدد الأبيات | النسبة |
|---|-----------------|-------------|--------|
| ١ | الحركة المكسورة | ١١١٦        | 43%    |
| ٢ | الحركة المضمومة | ٧٤٦         | 29%    |
| ٣ | الحركة المفتوحة | ٧٣٦         | 28%    |
|   | الإجمالي        | ٢٥٩٨        | ١٠٠%   |

من الجدول نجد:

- أن الكسرة أغلب الحركات للقوافي في شعر أحمد بن علوان وبعدد (١١١٦)، بيتا من إجمالي عدد الأبيات البالغ عددها (٢٥٩٨) ونسبة (43%)، وهذه النسبة تتفق مع النسبة التي ذكرها إبراهيم أنيس<sup>(١)</sup>، ويمكن أن تكون مؤشرا على علو انفعال أحمد بن علوان في بث همومه وحزنه، إما من شدة حبه للحقيقة الحمديّة والذات العليا ورغبته في الاتصال بهما، أو من شدة حزنه على واقع الناس المنحرف عن الشريعة، وبناء على ذلك فإن نصف شعر أحمد بن علوان قد نظم على الروي المكسور، ما يعني أنه في نظم شعره يجذو حذو القدماء.

- أن الضمة جاءت في المرحلة الثانية بعدد (٧٤٦)، ونسبة (29%) وكان التعبير بها عن مدى تجلده وصبره وتظاهره بالقوة والتماسك في مجاهدة النفس.

- ثم تليها الفتحة في المرتبة الثالثة (٧٣٦) بيتا، ونسبة (28%) وقد جاءت لتعبر عن السعادة والوضوح والكشف عن معانيه، في حين أن القوافي الساكنة جاءت أقل وبعدد (١٣١) بيتا ونسبة (٤%) لتدل على القلق والاضطراب، ما يعني أن القوافي المتحركة مثلت مركز الثقل الموسيقي في شعر أحمد بن علوان .

(١) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٥٨.

## ب- القوافي المتنوعة

نقصد به التزام الشاعر قواف متعددة في القصيدة الواحدة، وقد أكثر أحمد بن علوان من استعمال هذه القواف المتنوعة في شعره، وكما هو واضح من الجدول (٦) فإن القوافي المتنوعة في شعره قد وردت في (٤٧) قصيدة ومقطوعة وبعدهد(٦١٨) بيتا شعريا، حاول من خلالها أن يجدد في الشعر وأن يخرج على نظام القافية، أو أن يسلك نظاما وزنيا خاصا به يتماشى مع حالته الصوفية، ومع الإنشاد والسماع، ويمكن للباحث أن يصنف هذه القوافي المتنوعة في شعر أحمد بن علوان حسب ورود استعمالها، إلى أنماط.

## أنماط القافية:

**النمط الأول:** القافية المتداخلة، ونقصد بها القافية التي ترد في القصيدة الواحدة متداخلة من قافيتين، بحيث تأتي القافية الثانية بعد بيتين، وهو الأغلب على هذا النمط، أو تأتي بعد ثلاثة أبيات، إذ تتداخل هاتان القافيتان، فتتكرران في القصيدة، وقد ورد هذا النمط في أربعة قصائد وبعدهد(١١٢) بيتا وبنسبة(٣٥.٣%) ومن ذلك قوله: [الكامل].

|   |  |
|---|--|
| مَكْنُونٌ مَكْنُونُ الزَّمَانِ المِيْتِ             | زُقَّتْ إِلَيْكَ عَرُوسُ آلِ البَيْتِ      |
| وَالصَّوْتِ بَعْدَ الصَّوْتِ بَعْدَ الصَّوْتِ       | حَبْلُ الوَفَاءِ وَتُرْجَمَانُ المِصْطَفَى |
| مَا شِئْتُ حُذِّ وَانْفِ لِمَا تَرِيدُ              | يَا مُرْتَضَى قَدْ جَاءَكَ البَرِيدُ       |
| وَالأَرْضِ مِنْ زَهْوٍ بِهَا تَمِيدُ <sup>(١)</sup> | عَيْنَا بِأَسْرَارِ العُلَا بَجُودِ        |

وما يلاحظ على هذا النمط، عدم التزام أحمد بن علوان بنظام المربعات، إذ نجد لديه قصيدة شعرية يخرج فيها عن نظام المربعات الشعرية، إذ تأتي القصيدة على بحر واحد، وعلى قافيتين، بحيث

(١) الفتوح: ٩٩.

تتداخل هاتان القافيتان، فتتكرران في القصيدة، وقد ورد هذا النمط في قصيدتين وبعده (٧٥) بيتا  
وبنسبة (١٢.٤٦%) فيستعمل فيها أكثر من حرف روي يقول: [الكامل]

|                              |   |
|------------------------------|---|
| قَصْبُ الوصال تحركت بالريح   | وَتَرَنَّتْ بالشَّوق نحو السَّوح          |
| سَوح الأُحبة سَوح آل مُجَدِّ | سَوح البهَاء وبرزخ التَّسيح               |
| يا لاعبونا هل تخبرينا        | عن مالكيْنا في طُور سينا                  |
| يا لاعبونا هل قابلونا        | هل واصلونا أم قاطعونا                     |
| بالله يا حوراء آل محمد       | ياسرَّ نَفحة دُستمان الرِّوح              |
| يا لاعبونة كل قلب عاشق       | يا زات <sup>(١)</sup> هَيرج بابنا المفتوح |
| بالله قولي يا زنجبيلي        | يا سلسبيلي يا خيلخونا                     |
| ما كان منهم لما أتتهم        | أنفاس منهم فيهم بلونا <sup>(٢)</sup>      |

لكن هذا التناوب في القافية لم يكن ملزما لأحمد بن علوان في بناء القصيدة، إذ نجده يتخلى

عن هذا التناوب يقول: [الكامل]

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| ألف ألفت عناقه بسراري      | أحبب به ألفا لنا مألوفنا   |
| أصبحت بين يديه باء استقي   | ماء الحياة واكتب التأليفنا |
| يا كاف هائي يا ألف يائي    | يا لام رائبي يا غصن باني   |
| ياسر قلبي يا حرف نصبي      | يا قاف قربي ممن دعائي      |
| مولاي حاولت السبيل فلم أجد | إلا سبيلك تالدا وطريفنا    |
| فوقفت بين يديك في حوائج    | للعالمين طرائقنا وصورنا    |

(١) زات، هذه اللفظة وردت في بعض قصائد الشاعر والسياق يدل على أنها ذات، ينظر: الفتوح: ١٠٧، ١١٥.

(٢) الفتوح: ١٠٣.

فَأَقْرَأُ رِسَائِلَهُمْ وَجُودَ بَجْوَابِهِمْ      واقض الحوائج لا عدمت شريفا  
وارحم آراملهم معا وشيوخهم      واجبر يتيما منهم وضعيفا<sup>(١)</sup>  
وهكذا تستمر القصيدة إلى نهايتها بالحديث عن الحقيقة المحمدية، وجمالها من خلال التنقل بين موسيقى الأبيات التي تعمق الإحساس في نفسية المتلقي معتمدا على تأثير القافية.

**النمط الثاني: المثلث المؤلف:** وهذا النمط لا يطابق شرط التثليث المنصوص عليها في قانون العروض العربي، بل تأتي فيه القصيدة مكونة من ثلاثة أشطار تشترك في قافية واحدة، في قصيدة واحدة وبعدها تسع أبيات يقول: [الرحز]

سيرى جمال عرفات سيرى      وإن يكن أجنحة فطيري  
بأنجم زهر إلى بدور  
على قرار سَرّ السرور      في غرفٍ بيضٍ وفي قصور  
وفي خدور ليس كالخدور  
أطوار سينا عرفات الطور      أعلى حروف سطره المسطور  
صفحات رقه المنشور<sup>(٢)</sup>

**النمط الثالث: نمط المربعات:** وقد يلتزم فيه أحمد بن علوان بنظام المربعات، وقد ورد منه في

شعره (٤١) قصيدة ومقطوعة، وهو الأعم الأغلب على شعره يقول: [مجزوء المنسرح]

حَوراءُ زانُ الحُور      من ساكنات الطور  
ممزوجة بالنور      والدرّ والياقوت  
عَصّارة للخمر      قدّاحة للجمر  
أنفاس روح الأمر      تاج البها والصّيت<sup>(٣)</sup>

(١) المصدر نفسه: ١٧٧.

(٢) التوحيد الأعظم: ٢٦٨.

(٣) الفتوح: ١٢٨.



النمط الرابع: الخمس، وقد ورد في شعر أحمد بن علوان بنمطين: النمط الأول الخمس

المؤتلف، وهذا النمط لا يطابق شرط الخمس المنصوص عليها في قانون العروض العربي، بل تأتي فيه القصيدة مكونة من خمسة أشطار تشترك في قافية واحدة، يقول: [البسيط]

يا عرش بلقيس محمولا على الأسماء  
يا روح أمر تبيّن له جسما<sup>(١)</sup>  
يا ثوب يوسف يشفي ريحه الأعمى  
يا بارقوش المعاني يا فُرات الما  
يا كفو كفو سماها يمطر النعما  
إني أنا ناسئون الهيرجا الشّما  
بسّامة بالمنايا والمنى بسّما  
أرّمي بعيني من أرّمي ولا أرّمي  
تسقي المعاني سموم الحية الرّقما  
كأن عيني عصاموسى إذا تُرمى  
ولا بتلاع المعاصي حية ذهبا<sup>(٢)</sup>

النمط الثاني الخمس المختلف، وجاء موافقا لشرط الخمس، ومنه [منهوك المنسرح]

بالله يا سامون  
يا فرحة المسجون  
يا راحة المحزون  
يا درة القنانون  
يا سين من ياسين  
يا نار شمع الزيت  
يا تُرجمان الصوت  
يا طاء من طاسين  
يا سرّ آل البيت  
يا دُستكان الموت

(١) الصواب جسم.

(٢) الفتوح: ١٤٢.

ذات العيون السكر

ذات الحدود الزهر

ذات البرود الخضر

ذات الثنايا العر

يا ذات حور العين<sup>(١)</sup>

وهذا الاستعمال المتنوع للقوافي قد أضفى على شعر أحمد بن علوان قوة تعبيرية وتأثيرية على المتلقي، وعلى النسيج الداخلي المشكل للقصائد، ويؤكد على أن أحمد بن علوان من المجددين في الشعر العربي، كما يؤكد أنه أول من كتب المبيتات، والمخمسات، أو المربعات في الشعر اليمني، بل من الصعب على غير الصوفي أن يقتحم هذا المجال التجديدي، وأن يهتدي إلى مثل هذه الإيقاعات الغنائية التي تناسب حلقات الذكر وتتطابق مع ميل المتصوفة؛ لاشتياقهم إلى الموسيقى<sup>(٢)</sup>.

## ٢-الإرداف

يعرف بأنه حرف مد أو لين ساكن يأتي قبل الروي مباشرة<sup>(٣)</sup>، أو هو "أحد حروف العلة يسبق الروي دون حاجز بينهما"<sup>(٤)</sup>، وقد أدرك أحمد بن علوان أهمية الإرداف في تكثيف الإيقاع لقصائده بغية التأثير في المتلقي فاستعمله في قوافي شعره، بشكل مكثف، فقد بلغت القصائد المردفة في شعره (132) قصيدة ومقطوعة بنسبة (55%) وهذه النسبة الكبيرة تعكس رغبة أحمد بن علوان في تكثيف إيقاع قصائده ومقطعاته، وحرصه على إيصال صوته إلى المتلقي واضحا مسموعا، لاسيما وأن حروف المدّ مقاطعها طويلة وملائمة للحالة الصوفية، كونها تعطي المتكلم حين النطق بها حالة من الاسترخاء، فضلا عن أنها مناسبة للتعبير عن الحركات الصوفية المصاحبة للإنشاد، وترسخ فعل الشوق والمناجاة وتدلل على معاني الخضوع، وقد جاء الإرداف بألف المد في شعر أحمد بن علوان في المرتبة الأولى، يليه الإرداف بالواو والياء المزدوجتين في المرتبة الثانية، أما الإرداف بالياء مفردة أو الواو

(١) المصدر نفسه: ١٣٦.

(٢) مقدمة الفتح: ٢٢، ٢٣.

(٣) ينظر: كتاب القوافي: ١١٤.

(٤) القافية في العروض والأدب: ٦٦.

مفردة فلم يرد إلا نادرا، وأكثرها في أبيات مفردة، ويمكن أن نوضح ذلك على النحو المبين في الجدول الآتي:

| م | الردف    | عدد القصائد والمقطوعات | عدد الأبيات | النسبة |
|---|----------|------------------------|-------------|--------|
| ١ | الألف    | 65                     | 687         | 46%    |
| ٢ | الواو    | 40                     | 374         | 25%    |
|   | الياء    | 27                     | 432         | 29%    |
|   | الإجمالي | 132                    | 1493        | 100%   |

من الجدول نصل إلى:

أن أحمد بن علوان قد أكثر من الإرداف بالألف المدية التي تتميز بأنها "أوضح كل الحركات في السمع" (١) رغبة منه في أن يصل صوته واضحا مسموعا، فيشاركه المتلقي انفعالاته، ويسارع في التفاعل معه، ومن أمثلة الإرداف بالألف في شعر أحمد بن علوان قوله: [الكامل]

|                                  |                            |
|----------------------------------|----------------------------|
| نبويّة رُفعت لها الأعناق         | علوية علقّت به العشاق      |
| محبوبة كُشفت لنا عن وجهها        | فتلألأت بشموسها الأفاق     |
| تدعو الفروع إلى الأصول بلهجة     | عريية فتميدها الأشواق      |
| رُوحية من أجلها حُلِق الثرى      | والماء والأفلاك والأطباق   |
| تصفو بجوهرها جواهر بحره          | فلها على ظلماتها إشراق     |
| فيإذا صَفّت وصَفّت غرائبُ حسنِها | وجمالها وبدت لها أخلاق (٢) |

فقد جاء الإرداف بالألف في الأبيات السابقة في قوله: (العشاق، الأفاق، الأشواق، الأطباق،

إشراق، أخلاق، الخلاق) بمداه الصوتي الطويل، ليوحى بالحالة النفسية المسيطرة على نفسية أحمد بن

(١) موسيقى الشعر: ٢٦٣.

(٢) التوحيد الأعظم: ٢٦٦، ٢٦٧.

علوان، وليعكس الهدوء النفسي الذي يتمتع به، إنه يشعر بالسعادة والنشوة، وهو يصف الحقيقة المحمدية التي امتلكت من الصفات الإلهية ما لم تمتلكه ذات أخرى، فالألف المردفة هنا تعبر عن النشوة التي يجسدها الاتساع الصوتي، وكأن أحمد بن علوان يريد نشر هذه الصفات التي تتمتع بها الحقيقة المحمدية، وترسيخها في ذهن المتلقي عن طريق هذا التأثير الموسيقي الذي قامت به القافية والوزن، ومن ثم يدعن المتلقي لما يقوله أحمد بن علوان.

- كما يلاحظ من الجدول السابق نزوع أحمد بن علوان إلى استعمال الياء والواو متعاقبتين في قوافي شعره، وهو في هذا يشايح السائد في الشعر العربي، فقد "تناوبت واو المد، وياء المد مكان إحداهما الأخرى، ولم يحس الشعراء في هذا بأي غرابة"<sup>(١)</sup>، ويعلل الأخفش اجتماع الياء مع الواو، وعدم اجتماع أحدهما مع الألف في حالة الرفع بقوله: "إنما جازت الواو مع الياء في الرفع، وفارقتهما الألف، لأن الألف لا يتغير ما قبلها أبداً، ولا يكون إلا فتحاً، وما قبل الياء والواو يتغير، فنقول القَوْل والقُول والقِيل والبيع..... والألف حالها واحد أبداً وحال ما قبلها، فلذلك فارقتهما"<sup>(٢)</sup>، وهذا التعبير هو الذي يمنح القافية إيقاعاً متفاوتاً متناوباً بين الكسر والضم، ومما جاء الأرداف به متناوباً بين الياء والواو قوله: [الطويل].

فما لي في الدنيا سواك ولا الدين  
وما الحق إلا بين كني ومكنوني  
بوجهين باد للأنام ومخزون  
ويدعو إلى طيب الجوار بجيرون  
بني المسجد الأقصى على الماء والطين  
شراباً يعيد الكون في الكاف والنون<sup>(٣)</sup>

خطابك يشفيني ووجهك يكفيني  
وما الملك إلا بين سمعي وناظري  
أبوح وأخفي لاهيا بك ملهيا  
سفير العُلا نحو الملا يكشف البلا  
على طور سينا قاب قوسين من منى  
فيسقي المعاني من سُلافة أحمد

(١) المصدر نفسه: ٢٦٥.

(٢) قوافي الأخفش: ٢٢.

(٣) التوحيد الأعظم: ٣٢٧، ٣٢٨.

وهكذا فإن تعزيز الإيقاع بحروف الإرداف قد كثف الإيقاع في شعر أحمد بن علوان، وعزز حضور الحقيقة الحمديّة من خلال الأوصاف التي يصبغها بصفات تأثيرية، ومما جاء يصف حالة الشهود وما يعتريه قوله: [الخفيف].

|                               |                                      |
|-------------------------------|--------------------------------------|
| يا صحيح الفؤاد قلبي جريحُ     | وبسيف الهوى قتيل ذبيحُ               |
| شَهِدَ الحُسْنَ والجمال فأضحى | كقضيبي الأراك ثنّته ربح              |
| مُزجَ الخمر بالضّي فاحتساها   | وسقاها الميحب فهو يصيح               |
| حَمْر علم كأنها بدر تم        | مازجها الغرام والتبريح               |
| حَنَدَريس لنا حلال مباح       | وعلى غيرنا دم مسفوح                  |
| هاهاهاها وخذا وخذا            | وأدزها على الجبال تنوح               |
| صِفها تصفُ للنديم وصِفها      | للغوادي عن الحبيب تروح               |
| وأقم سوقها على كل سوق         | يا لها متجر وسوق ربيع <sup>(١)</sup> |

وعليه فإن تعزيز الإيقاع بحروف الياء والواو قد كثف الإيقاع، والشعور بالحصول على اللذة المعبرة عنها بالخمرة.

## د- الروي

يعرفه علماء العروض، بأنه الحرف الذي يقع عليه الإعراب، وتبنى عليه القصيدة، فيتكرر في كل بيت إن لم يظهر عليه الإعراب لسكونه<sup>(٢)</sup>. والروي حرف القافية وروحها، وقد يأتي ساكناً أو متحركاً، ويجب أن تشترك فيه كل قوافي القصيدة، والقيمة الإيقاعية للروي تتحقق من خلال تكراره على مسافات ثابتة، فكان المتلقي ينتظر ضربة إيقاعية بعد انتهاء العدد نفسه من التفعيلات في كل بيت، والتأمل في روي أشعار أحمد بن علوان التي بين أيدينا، يظهر أن أحمد بن علوان لم يجد عن هذا المكون الإيقاعي، متبعاً نهج من سبقه من الشعراء، والجدول الآتي يوضح ورود الروي المستعمل عنده:

(١) الفتوح: ٤٦٨، ٤٦٩.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده: ١٥٤/١.



ينظم قصيدة ذات أبيات متعددة فيأتي في أكثرها بالشع الكريه الذي يمجّه السمع لعدم استعماله كما فعل أبو تمام في قصيدته الثائية التي مطلعها: قف بالطلول الدارسات علائنا<sup>(١)</sup> وهذا ما أخذ به أحمد بن علوان في قصائده، حين تجنب استعمال بعض الحروف رويًا كما أشرنا سابقًا.

توزيع الأصوات المستعملة رويًا في شعر أحمد بن علوان، يكشف فضل بعضها عن بعض فقد تقدم روي النون وجاء في المرتبة الأولى بعدد (٤٩٣) وبنسبة (18.092%) بينما جاء الراء في المرتبة الثانية بعد روي الراء، بعدد (٤١٣) بنسبة (15.156%)، ثم يأتي بعدها روي الباء بنسبة (11%) الميم بنسبة (10%) وهو أقل استعمالًا منهما، وهذه الإحصائية تتفق مع ما توصل إليه إبراهيم أنيس<sup>(٢)</sup>، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن نسبة ورود هذه الحروف في أواخر الكلمات للغة، لا إلى انتماء الصوت إلى مخرج يخالف غيره<sup>(٣)</sup>، الأمر الذي يدل على أن الظاهرة الأسلوبية الصوتية أخذت شطرًا هامًا في استعمال صوت النون وقد كثر استعماله مع الباء، وحروف المد بكثرة؛ لأنه يتسع لاستيعاب عواطف أحمد بن علوان الصوفية، ويدل على الآهة، وحرف (الراء) من الروي المستعمل بكثرة في قصائد الشعر العربي<sup>(٤)</sup>، فالراء حرف لثوي تكراري متوسط، مجهور مرقق، يدل على الحركة والاضطراب<sup>(٥)</sup>، واستعماله كروي في أشعار أحمد بن علوان من شأنه أن يقرع أذن المتلقي لا سيما في المواعظ والمدائح والغزل، فبتكراره يكون كل من: الشكوى، والغزل، والمدائح، والوصف، متكررًا على المتلقي.

جاءت معظم أبيات روي (الراء) في شعر أحمد بن علوان بحركة الياء للإيحاء بحالته النفسية التي تعاني الشوق، والضعف، والمناجاة؛ نتيجة البعد، والهجر، ومن ناحية أخرى جاء هذا الروي (الراء)

(١) المثل السائر: ١/١٨١.

(٢) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٤٨.

(٣) ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٤٦.

(٤) ينظر: أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي: ٤٨.

(٥) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٥٢.

منسجما، وطبيعة الموضوعات الشعرية التي عبّر عنها أحمد بن علوان، فمعاني الحنين، والشكوى، والحب الإلهي، هي دلالات نفسية منكسرة تستوجب على الشاعر بناء نسيجه اللغوي بتناسق مع هذه القيم" وليس هناك حرف من حروف اللغة العربية أدق رسما وتصويرا لهذه الجوانب النفسية من حرف الراء بما فيه من تقوّس وتَشْرٍ"<sup>(١)</sup>.

وما يمكن أن يسجل هنا ظاهرة صوتية إيقاعية تخص أحمد بن علوان، هو استعماله حرف الباء، والاحتفاء به رويًا مخالف بذلك نهج الشعراء.

- جاء إحصاؤنا مخالفا لما توصل إليه الباحث جميل سلطان مُجَدِّد حيث يقول: "وقد غلب على استخدامه في روي قصائده حروف النون، ثم الراء، والميم، والباء واللام، وأقلها استخداما حروف الواو والياء، والطاء والجيم، والهمزة والشين"<sup>(٢)</sup>، وهذه النتيجة التي توصل إليها الباحث لا تتفق مع الإحصائية التي قدمها في دراسته، التي نوضحها من خلال الجدول الآتي:

| الروي     | ر | ن | د | ل | م | ه | ق | س | ب | ت | ع | ف | ك | ء | و | ج | ح | غ | ش | ط | الراء |
|-----------|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|-------|
| عدد أبيات | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢     |

فكما هو واضح من الجدول الذي قدمه الباحث جميل سلطان، أن صوت الميم يأتي في المرتبة الأولى بعدد(٤١٣)، يليه حرف اللام بعدد(٢٩٢)، ثم حرف الباء بعدد(٢٥٥)، وهذه النتيجة تتعارض مع النتيجة التي توصل إليها يقول: "وقد غلب على استخدامه في روي قصائده حروف النون، ثم الراء، والميم، والباء واللام، وأقلها استخداما حروف الواو والياء، والطاء والجيم، والهمزة والشين"<sup>(٣)</sup>.

(١) في نظرية الأدب: من قضايا الشعر والنثر في الأدب العربي: ٥٨/٢

(٢) ينظر: شعر التصوف عند أحمد بن علوان: ١١٧.

(٣) ينظر: المصادر نفسه: ١١٧.



- جاء إحصاؤنا موافقا لما توصل إليه (علي حلمي موسى)، في دراسته الإحصائية لجذور معجم (الصحاح) باستعمال الكمبيوتر<sup>(١)</sup>، إذ توصل إلى أن الأصوات ذوات التردد العالي هي (الراء، والنون، والميم، واللام، والواو، والياء) على التوالي بينما جاء إحصاؤنا مخالف لما توصل إليه الدكتور إبراهيم أنيس<sup>(٢)</sup> إذ إن الصوائت الأكثر ترددا عند أحمد بن علوان هي (الراء، والميم، ولام، والنون، والدال) إذ كان من المفترض أن يحل روي الميم في شعره في المرتبة الثانية بدلا من حلوله في المرتبة الثالثة، كما أن روي النون كان من المفترض أن يحل في المرتبة الرابعة بدلا من حلوله في المرتبة الثانية، والملاحظ أن هذه الأصوات ذات صفات قوية، فضلا عما تتمتع به من صفات كالثقل والغنة وهي صفات تتناسب مع موضوعات الشكوى، والغزل والمديح، والثناء، وأيا ما كان الأمر، فإن أي نوع من هذه الصفات، يحتاج إلى قوة ورسوخ وحصانة؛ مما يكون أدعى إلى استعمالها قواف ذات صفات قوية في تأديتها للمعنى، الأمر الذي يكشف عن معرفة أحمد بن علوان بأصوات الروي التي ينبغي تحاشيها في بناء القصائد والقوافي كحرف الثاء، والصاد، والغين، وغيرهن من الحروف، لاسيما وهذه الحروف مقاتل الفصاحة حينما تستعمل رويا للقصائد، كما يرى ابن الأثير<sup>(٣)</sup>.

- وبالنسبة إلى الروي الساكن، فقد كان قليل الاستعمال، وأنه لم يقتصر على البحور المحددة التي ذكرها إبراهيم أنيس (الرم، والطويل، والرجز والمتقارب، والسريع)<sup>(٤)</sup>، فقد ورد الروي الساكن على البحر الكامل، الذي يراه إبراهيم أنيس بأنه يندم فيه وفي بقية البحور.

- تميز الروي بالوضوح السمعي، فقد جاء معظمه من الأصوات الأسنان والشفوية، المجهورة، التي تفرع الأذن بشدة، وتوقظ الإحساس والأعصاب بصخبها، وبذلك يضيف الروي على القوافي

(١) ينظر: دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر: ٢٤.

(٢) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٤٦.

(٣) ينظر: المثل السائر: ١/١٨١.

(٤) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٥٨.

بعض الإثارة، في حين أن الأصوات المهموسة، تشعر المتلقي بالرفاهية والهمس<sup>(١)</sup>؛ ولذا غلب على شعر أحمد بن علوان حروف الجهر؛ لأن هذه الحروف تعبر عن انفعال سريع شديد في الغالب، ولعل هذا ينم عن عاطفة مشبوبة، نائرة متمردة على الواقع النفسي المعيش.

- جاءت حروف الروي: ( ذ، ث، غ، خ، ز، ج ) قليلة الشيوخ ونادرة في شعره، وهي إحصائية تتفق مع ما ذكره إبراهيم أنيس من أن هذه الأصوات قليلة الشيوخ في الشعر العربي<sup>(٢)</sup>.

### النتائج:

مما سبق يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- كتب أحمد بن علوان ديونا شعريا يضم حوالي (٣٣٤٣) بيتا شعري، ما يعني أنه خلف ديوانا شعريا كبيرا، يمثل الشعر اليمني في العصر الوسيط.
- استعمل أحمد بن علوان معظم البحور الشعرية في شعره، وكانت السيادة في شعره للبحر الكامل، ثم تلاه البسيط، والطويل، والرجز.
- خرج أحمد بن علوان عن دائرة البحور الخلية، فكتب قصائد شعرية خارج القانون العروضي المعروف، حتى لا يقف النظام العروضي عائقا أمامه في صب مضامينه وانفعالاته وتأملاته الباطنية، وقد جاء هذا متلائما مع البحر الكامل دون سواه.
- لم يكن أحمد بن علوان ميالا إلى استعمال البحور المجزوءة، فهو لم ينظم على المجزوءات إلا القليل، وقد جاء البحر الكامل في المرتبة الأولى، ثم البسيط، فالطويل فالرجز.
- لم يكن أحمد بن علوان ميالا إلى القوافي المقيدة، والسبب في ذلك يرجع إلى أن القوافي المطلقة أقدر في التعبير عن الحالة الصوفية وما يعتريها من حركات وسكنات.

(١) ينظر: المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنوية: ٩٣.

(٢) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٤٦.

- استعمل أحمد بن علوان القوافي المتنوعة كونها تتناسب مع التدفق الصوفي، وعن حبه للحقيقة الحمديدية، بشكل اختلط فيه الدال بالمدلول، كما أن حضور القافية في بعض الأقطار وغيابها يمثل حالة القبض والبسط التي يعيشها.
- كتب أحمد بن علوان القافية المتنوعة، بأشكال موافقة لشروط العروض كالمربع، وأخرى غير موافقة لشروط العروض، كالتثليث المؤتلف، والمخمس المؤتلف.
- يعد أحمد بن علوان أول من كتب المبيئات، والمخمسات، و المربعات في الشعر اليميني .

### المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزبي (ت ٦٣٧هـ)، المثل السائر، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٩م.
٢. ابن علوان، أحمد، المهرجان والبحر المشكل الغريب المظهر لكل سر عجيب لكل عارف لبيب، تح، عبد العزيز سلطان المنصوب، سلسلة الصفاء، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٩٥م.
٣. ابن علوان، أحمد، التوحيد الأعظم المبلغ من لا يعلم إلى رتبة من يعلم ، سلسلة الصفاء، تح، عبدالعزيز سلطان المنصوب، ط ٣، ٢٠٠٤م.
٤. ابن علوان، أحمد، الفتوح ديوان وكتاب، تح: عبد العزيز سلطان المنصوب، بيروت، سلسلة الصفاء، دار الفكر المعاصر، ط ٢، ١٩٩٥م.
٥. الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ)، قوافي الأخفش، تح، عزة حسن، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦١م.
٦. الأندلسي، ابن عبده ربه، العقد الفريد، تح، محمد العريان، بيروت، دار الفكر، د.ت.
٧. أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، موسيقى الشعر، مصر، ط ٣، ١٩٦٥م.

٨. التنوخي، أبو علي المحسن بن علي، كتاب القوافي، تح، عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر، ط ٢، ١٩٧٨م.
٩. الجندي، مُجَّد بن يعقوب السكسكي (ت ٧٣٢هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح، مُجَّد بن علي بن الحسين الأكوخ الحوَّالي، صنعاء مكتبة الإرشاد، د.ط. ت.
١٠. خلوصي، صفاء، فن التقطيع الشعري والقافية، منشورات مكتبة المتنبي، بغداد، ط ٥، ١٩٧٧م.
١١. السعدني، مصطفى، المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنيوية، منشأة المعارف، ١٩٨٧م.
١٢. السكاكي، يوسف بن أبي بكر (ت ٦٢٦هـ) مفتاح العلوم، المكتبة العلمية بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.
١٣. الشايب، أحمد، الأسلوب، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٩٦٦م.
١٤. الطرابلسي، مُجَّد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م.
١٥. عثمان، جميل سلطان مُجَّد، شعر التصوف عند أحمد بن علوان دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة آل البيت، كلية الآداب والعلوم، الأردن، ٢٠٠١م/ ٢٠٠٢م.
١٦. عيد، رجاء، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، منشأة المعارف، ط ١، ٢٠٠٠م.
١٧. القاضي، النعمان عبد المتعال، أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م.
١٨. القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء تح: مُجَّد الحبيب الخوجه، تونس، ١٩٦٦م.
١٩. القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، مُجَّد محيي الدين عبد الحميد، منشورات دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٩٨١م.

٢٠. القيري، حمود علي، تحقيق ودراسة كتاب الفتوح لأحمد بن علوان اليميني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٨م.
٢١. المجذوب، عبدالله الطيب، المرشد في فهم أشعار العرب، بيروت، دار الفكر، د.ت.
٢٢. موسى، على حلمي، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.
٢٣. نصار، حسين، القافية في العروض والأدب، منشورات المكتبة المدنية، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٢م.
٢٤. اليوسفي، محمد لطفي، محاضرات في اللغة والأدب، الدار العربية للكتاب، تونس، د.ط، ١٩٩٢م.

## اختيارات العلامة عبد الله بن محفوظ الحداد في باب الصيام

### دراسة فقهية مقارنة

د: صالح مبارك دعكيك<sup>(\*)</sup>

#### الملخص

" اختيارات العلامة عبد الله بن محفوظ الحداد في باب الصيام "دراسة فقهية مقارنة" تهدف الدراسة لجمع الاختيارات الفقهية في باب الصوم لأحد فقهاء وقضاة الجهة الحضرية، وهو العلامة عبد الله بن محفوظ الحداد (١٩٢٣-١٩٩٦م) وذلك من كتابه "الوجيز في أحكام الصيام وفتاوى رمضان" من خلال عرض اختياراته الفقهية، وذكر معتمد مذهب الشافعي، ثم مقارنتها مع آراء فقهاء المذاهب الأربعة، وذكر مستنداتهم الدليلية والتعليلية، ثم بالنظر في الترجيح استجلاء للأقرب ترجُّحا.

وقد تميز العلامة الحداد بممارسته القضاء والفتوى لما يزيد عن ثلث قرن، مع الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والموازنة الحكيمة للقضايا الفقهية مع ميل للتوسط والتحرر من التقليد المحض. وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها: رجحان المسائل المختارة للعلامة الحداد، وعلو باعه في العلم الشرعي، وأن اختياراته تعتمد على أسس منها: الاتباع لظاهر الدليل الشرعي غير المعارض، وإعمال قاعدة التيسير، مع مراعاة مقاصد الشريعة الغراء، والترجيح بما ثبت علميا من العلوم الطبية التي تبين رجحان بعض المسائل الفقهية.

(\*) أستاذ الفقه وأصوله المشارك - جامعة حضرموت

وأوصت الدراسة بتوجيه عناية الباحثين لدراسة اختيارات أعلام الفقه والفتوى، لما لاختياراتهم من الأهمية في رفق مسيرة الفتوى والتقنين، والعناية بجمع تراث العلامة الحداد، وإخراجه لاستفادة العلماء والباحثين منه.

**الكلمات المفتاحية:** اختيارات الحداد، الاختيارات الفقهية، فتاوى الحداد، الوجيز في الصوم.

### **The Choices of the Scholar Abdullah Bin Mahfouz Al-Haddaad in the Chapter on Fasting (A Jurisprudential Comparative Study)**

#### **Abstract:**

The study aims at collecting the jurisprudential choices in the chapter on Fasting of one of the scholars and judges of the Hadhrami region, Abdullah Bin Mahfouz Al-Haddaad (1923-1996 AD) from his book “Al-Wajeez on the Rulings of Fasting and Fatwas of Ramadhan”. It aims to present the scholar’s jurisprudential choices, mentioning the approved Shafi’i sect and then comparing the choices of the scholar with the opinions of the scholars of the four schools of thought stating their evidence and reasoning on the basis of authority, besides considering the preponderant ones to clarify the most preferred one.

Al-Haddaad was distinguished through his practice of judgment and fatwas for more than a third of a century, combining authenticity with modernity, and possessing a wise balance with regard to jurisprudential issues with a tendency to adopt the golden mean and liberation from mere imitation.

The study reached to a set of results including preponderance of the issues chosen by Al-Haddaad as well as his possession of sublime knowledge in the science of Islamic law. Moreover, his choices depend on foundations which

include abidance by the apparent non-disputing legal evidence, implementation of the rule of facilitation taking into account the objectives of the noble shariah and giving preference to what has been scientifically proven by the medical sciences that manifest the preponderance of some of the doctrinal issues.

The study recommended directing researchers' attention towards studying the choices of scholars of jurisprudence and fatwas due to the choices' significance in supporting the process of fatwas and standardization. Further, considering the collection and publication of Al-Haddaad's heritage and choices for the benefit of scholars and researchers.

**Keywords:** Scholar Al-Haddaad; Al-Haddaad's choices; Jurisprudential choices; Al-Haddaad's fatwas; Al-Wajeez in fasting.

#### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن علم الفقه علم واسع، وبحر لا ساحل له، والبحث في مسائله ومعرفة اختلاف الفقهاء فيه قضية تستحق عناية الباحثين؛ خصوصا تلك الاختيارات التي ينفرد بها العلماء عن مذاهبهم التي أتقنوا أصولها وفروعها، مما يدل على وجود منزع قوي حدا بهم لاختيارها، وذلك يؤكد توجه عناية الباحثين إليها لمعرفة ما تضيفه من قيمة علمية، حيث يمكن أن تشكل مجموع تلك الاختيارات قوة لتلك المسائل تمكن العلماء من الوثوق والاطمئنان بالفتوى بها، كما يمكن اختيارها عند تقنين أحكام الشريعة باعتبارها ترجيحات توارد عليها فحول من العلماء، بعد تأمل عميق في



المسائل الخلافية ودلالاتها، ونظرات ثاقبة في وقائع الأحوال، وسير لمقاصد الشرع الشريف، نتجت عنه تلك الزبد الفقهية عالية الجودة والتأصيل.

وقد عرف القطر اليماني علماء جهابذة غاصوا في بحور العلم، وجمعوا فوائده ودرره، ودخلوا معترك المناقشات العلمية، ومقارنة الأقوال وتمحيص أدلتها ومعامدها، وخلصوا لاختيارات علمية كانت حصيلة التطواف بين أروقة العلم والقضاء، تحتاج الأمة للاستفادة من تلك الجهود الفقهية الضخمة.

وقد ازدانت جهتنا الحضرمية بفقهاء أفذاذ، كان لهم قدم صدق في المدارس والمناقشات الفقهية، وتركوا ميراثا غزيرا، زبدته تلك الاختيارات الفقهية التي تمثل بحق علو كعبهم، وتعدد معارفهم العلمية.

وعلمنا السيد عبد الله بن محفوظ الحداد (١٩٢٣-١٩٩٦م) أحد أعلام حضرموت، فقيه، لغوي أصولي، متحرر، كان له اختياراته العلمية، بعد أن خاض غمار العلم والتعليم والقضاء والفتوى دهرًا من عمره، مما يجعل الأنظار ترتفع لتلك الاختيارات؛ لصدورها من عالم مارس الفقه درسا وقضاء وإفتاء.

وهذا البحث محاولة لاستجلاء اختيارات العلامة الحداد في باب الصيام المخالفة لمذهب الإمام الشافعي، ومعرفة مراميها ودلالاتها، يُقدم على مائدة الباحثين في الدراسات الشرعية للنظر فيها، والسير على نهجها.

وقد التزمت هذه الدراسة بالمنهج الوصفي والتحليلي والمقارن، وبدأت بعرض اختيار العلامة الحداد في باب الصيام، وذكر معتمد مذهب الشافعي، ثم عرض ومقارنة آراء فقهاء المذاهب الأربعة، وذكر مستنداتهم الدليلية والتعليلية، وحثمت الدراسة بالنظر في الترجيح تكملة في استجلاء الصورة الأقرب ترجحا من مسائل البحث.

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية دراسة اختيارات علماء اليمن العلمية عموماً، وعلماء الجهة الحضرمية خصوصاً.

المبحث الأول: ترجمة العلامة الحداد، ومنهجه في اختياراته العلمية.

المبحث الثاني: اختيارات الحداد في باب الصيام.

المبحث الأول: ترجمة العلامة الحداد ومنهجه في اختياراته

أولاً: اسمه ومولده ونشأته<sup>(١)</sup>

هو العلامة السيد أبو مُجَّد عبد الله بن محفوظ بن مُجَّد بن إبراهيم الحداد باعلوي الحسيني، ولد في مدينة "الديس الشرقية" بحضرموت سنة ١٣٤٢ هـ الموافق ١٩٢٣ م، تولى تربيته ورعايته وتعليمه أساسيات العلوم جده السيد مُجَّد بن إبراهيم الحداد، نظراً لاغتراب والده، وظل في كنف جده حتى بلغ الرابعة عشرة من عمره ثم أرسله جده إلى رباط تريم لإكمال تعليمه هناك.

ثانياً: طلبه للعلم<sup>(٢)</sup>

تتلذذ العلامة عبد الله بن محفوظ الحداد العلم أولاً في مسقط رأسه "الديس الشرقية" على يد أستاذاً الشيخ القاضي أحمد باصلعة، قاضي الديس آنذاك، ثم أرسله جده السيد مُجَّد بن إبراهيم الحداد إلى مدينة تريم، وهي إحدى أكبر مدن العلم بحضرموت المشهورة بالعلم، حيث التحق برباط تريم الذي كان يدرس فيه مجموعة من أفاضل الفقهاء آنذاك، وعلى رأسهم العلامة عبد الله بن عمر الشاطري، فنهل من علمهم ومعارفهم لمدة تزيد عن أربع سنوات، عاد بعدها إلى مسقط رأسه بسبب وفاة جده وتعيينه وصياً على أملاك جده وأولاده.

(١) مقدمة تحقيق رسالة الصيام: ١٢؛ رسالة فتاوى الصلاة: ٣؛ الندوة العلمية في الذكرى ٢٤ لحوالية العلامة الحداد: ٩، ٣٢.

(٢) مقدمة تحقيق رسالة الصيام: ١٤؛ رسالة فتاوى الصلاة: ١٦.

ثم التحق برباط غيل باوزير في دورة تأهيلية لتخريج القضاة في عهد السلطنة القعيطية، وبعد إكمال الدورة التأهيلية تم تعيينه قاضياً شرعياً في سنة ١٩٤٦م، وتنقل خلال عشر سنوات إلى عدة مدن بحضرموت، قاضياً وداعياً ومعلماً. وبعد مرور أكثر من عشر سنوات ابتعث إلى السودان لإكمال الدراسات العليا في القضاء بجامعة الخرطوم قسم الشريعة، وتخرج منها سنة ١٩٥٩م.

### ثالثاً: أبرز مشايخه<sup>(١)</sup>

تلمذ العلامة الحداد على مشايخ عدة من كبار علماء عصره، أبرزهم:

١. القاضي الشيخ أحمد باصلعة، قاضي الديس الشرقية، وهو أول من تعلم على يديه بعد جده.
٢. العلامة القاضي عبد الله بن عوض بُكَيْر، رئيس مجلس القضاء الأعلى في السلطنة القعيطية.
٣. العلامة السيد عبد الله بن عمر الشاطري.
٤. العلامة السيد سالم بن حفيظ، وابنه مُجَدَّ سالم صاحب كتاب (تكملة زبدة الحديث).
٥. العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف مفتي حضرموت.
٦. المحدث السيد علي بن مُجَدَّ بن يحيى، مدير المعهد الديني الجديد بغيل باوزير.
٧. الشيخ مُجَدَّ بن عوض بافضل.
٨. العلامة السيد أحمد بن عمر الشاطري مؤلف (الياقوت النفيس).
٩. العلامة السيد محسن بن جعفر بونمي.

(١) مقدمة تحقيق رسالة الصيام: ١٢؛ تحقيق فتاوى الصلاة: ٢١.

١٠. العلامة الشيخ محمد يوسف موسى، أحد علماء الأزهر.

١١. العلامة الشيخ علي حسب الله، أحد علماء الأزهر.

#### رابعاً: أهم الوظائف والأعمال التي تقلدها<sup>(١)</sup>

١. عين قاضياً شرعياً بعد إكماله لدورة القضاة بغيل باوزير وذلك في سنة ١٩٤٦م.
٢. عُين رئيساً لمحكمة الاستئناف بالملكلا سنة ١٩٦٠م.
٣. تولى رئاسة المجلس العالي للقضاء بحضرموت سنة (١٩٦٥م - ١٩٦٩م) خلفاً لشيخه العلامة القاضي عبد الله بن عوض بكير بترشيح منه.
٤. تولى التدريس والخطابة في جامه السلطان عمر بالملكلا سنة ١٩٧٥م.
٥. عين محاضراً بكلية التربية بالملكلا، وتولى رئاسة قسم اللغة العربية فيها سنة ١٩٧٦م إلى حين وفاته.

#### خامساً: ذكائه وبعض مواقفه<sup>(٢)</sup>

كان العلامة الحداد جاداً في طلب العلم، وكان حاد الذكاء، حريصاً على وقته وعلى الانتفاع به، ومما يؤكد ذلك أن كتاب منهاج الطالبين وعمدة المفتين في فقه الشافعية للإمام النووي كان يُدرّس برباط تريم في حوالي سبع سنوات، أكمله علامتنا في سنتين، ومما يدل على حرصه في طلب العلم أنه لم يجد أثناء تعلمه في الرباط وقتاً لدراسة البلاغة نظراً لانشغال شيخه إلى قبل الفجر. وعند العزم على ابتعائه إلى السودان، شرط على سكرتير الدولة القعيطية السوداني الشيخ "سعيد القدال" رحمه الله أن يستكمل منهج جامعة الخرطوم في سنتين بدلا من أربع، وبالفعل تم التنسيق مع جامعة الخرطوم فاستكمل دراسة المقرر في سنتين.

(١) رسالة فتاوى الصلاة: ١٧، ١٨؛ الندوة العلمية: ١٠.

(٢) رسالة فتاوى الصلاة: ١١ وما بعدها؛ الندوة العلمية: ٣٢ وما بعدها.

وكان ضمن الدراسة في السودان منهج تطبيقي عملي للطلاب الدارسين في دوائر المحاكم في السودان، ووقع أن دخل رجل للقاضي السوداني وبرفته السيد الحداد، واعترف الرجل أمام القاضي أنه طلق زوجته وهو سكران، فأراد القاضي أن يحكم ببطان الطلاق معتمدا على مذهب السادة المالكية في ذلك، فاعترض عليه السيد الحداد وقال إن الإمام مالك لم يوقع على السكران الطلاق حتى لا تجتمع عليه عقوبتان، عقوبة الجلد وعقوبة الطلاق، وأنتم لا توقعون عليه عقوبة السكر! ولو يعلم الرجل أنه سيجلد لسكره لم يعترف بالطلاق، فأمضى القاضي عليه الطلاق.

### سادسا: مؤلفاته<sup>(١)</sup>

ألف العلامة الحداد عدداً من المؤلفات والرسائل النافعة، نذكر منها:

١. كتاب السنة والبدعة: ويقع في جزأين، طبع منه الجزء الأول في مجلد، والجزء الثاني لا يزال مخطوطاً وفيه تحقيقات فريدة نافعة.
٢. رسالة "رفع الستر عن أدلة القنوت في الفجر".
٣. رسالة عن حكم الغناء في الإسلام، وهي رسالة صغيرة بحث فيها أحكام الغناء والموسيقى وما يتعلق بذلك.
٤. الوجيز في أحكام الصيام اعتنى بها الدكتور علي محمد العيدروس وألحق به أيضا فتاوى الصيام.
٥. ديوان خطب المنبرية: وهو يتضمن بعض خطبه المنبرية للجمعة والعيدين التي ألقاها في "مسجد السلطان عمر"، وهي خطب قيمة ناقش فيها كثيراً من قضايا المجتمع المسلم، طبع منها مجلدان.

(١) مقدمة تحقيق رسالة الصيام: ١٧-٢٤؛ رسالة فتاوى الصلاة: ١٩، ٢٠؛ الندوة العلمية: ٤٤، ٤٥.

٦. مجموع فتاوى: تتضمن فتاواه التي ألقاها عبر إذاعة المكلا بعنوان " ما يهم المسلم"،

وقد حُقق منها:

أ- فتاوى الصلاة، حققه في رسالة ماجستير د. سالم عبد الله باقطيان، وقدم له

ترجمة وافية.

ب- فتاوى الصيام، طبع مع كتاب الوجيز في أحكام الصيام بعناية الدكتور علي

مُجد العيدروس.

ج- فتاوى تم المرأة، وبلية مسائل يكثر السؤال عنها، اعتنى به د. فؤاد عمر بن

الشيخ أبوبكر.

ولا تزال بقية الكراسات بحاجة لتحقيق حتى ترى النور، بالإضافة إلى الدروس المسجلة في

عشرات الأشرطة، التي كان يلقيها في بيته لطلاب العلم الشريف.

### سابعاً: وفاته (١)

في يوم صباح الجمعة الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٥ أكتوبر

١٩٩٦م توفي شيخنا العلامة عبد الله بن محفوظ الحداد بمرض ألم به، بعد عمر مبارك قضاه في العلم

والفتوى والقضاء، وضيَّ عليه بجامع السلطان عمر بالمكلا، وقد امتلاء بحشود المصلين وفدت من

كل أنحاء البلاد، وخيمت على حضرموت أجواء الحزن العميق على وفاة مفتيها، وامتألت الصحف

بمقالات الرثاء والقصائد، رحم الله شيخنا رحمة الأبرار، وأسكنه أعالي الجنان مع الأنبياء والصديقين

والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

(١) رسالة فتاوى الصلاة: ٢٩؛ كتيب الندوة العلمية: ٤٤ ، ٤٥.

## ثامنا: منهج العلامة الحداد في اختياراته

مع أن العلامة عبدالله بن محفوظ الحداد منتسب لمذهب الشافعي ، ومتشبع بمعرفة أحكام المذهب ومقرراته، إلا أنه تميز بسعة مقروءاته، وعمق اطلاعه ، ومعرفته بمذاهب الأئمة، وكانت دراسته للعلوم الشرعية غير مقتصرة على النمط التقليدي المتعارف عليه عند فقهاء الجهة، بل كان نمط بنائه الفقهي والمعرفي عميقا حيث جمع بين المنهج التقليدي عند كبار مشايخ حضرموت، والنمط الأكاديمي تلقاه على يد أساتذة أكاديميين في جامعة من أعرق الجامعات في البلاد العربية في مجال الدراسات الشرعية والقضائية ، صاغ علامتنا ذلك كله في بوتقة متينة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، مع ذكاء حاد، وموازنة دقيقة للأفكار والمقالات الفقهية، تستوعب مقررات الماضي ومتطلبات العصر، بروح مقاصد الشريعة الغراء، مع توجه للتوسط والتحرر من ريقه التقليد المحض؛ فكانت تلك المختارات الفقهية المتوازنة.

ومن خلال النظر في تلك المختارات يمكن تحديد منهج العلامة الحداد في اختياراته واعتماده على الآتي:

١. قاعدة التيسير ما دامت المسألة فيها آراء، وليس فيها نص شرعي ملزم، ومثال ذلك اختياره، جواز الصوم أيام نقاء الحائض بترجيح قول اللقط في الحيض، وكذا تقديم فدية الصيام أول الشهر.
٢. الاتباع لظاهر الدليل الشرعي غير المعارض، كاختياره أن مدة النفاس أربعون يوما.
٣. مراعاة مقاصد الشريعة، ومن ذلك اختياره إخراج الرجل زكاة الفطر عن أولاده أو إخوانه دون إخبارهم بذلك، حيث المقصود وهو الإخراج قد تم بفعله.
٤. الترجيح بما ثبت علميا من العلوم الحديثة، وعلوم الطب، كترجيحه بعدم بطلان الصوم بالتقطير في الإذن؛ لما ثبت طبييا أن الأذن ليس منفذا مفتوحا.

وعلى كل فإن علامتنا الحداد فقيه متضلع، فلا غضاضة فيما اختاره من الأقوال التي اقتنع بصحة دليلها وموافقته لمقاصد الشرع والمصالح الشرعية.

## المبحث الثاني: اختيار العلامة الحداد في باب الصيام

### المسألة الأولى: تقديم فدية الصيام أول الشهر

قال رحمه الله: "ومن عجز عن الصيام ولم يكن ينتظر الشفاء كبعض المرضى بالكلية والقلب، أو منعه الطبيب الحاذق منه دائما أخرج الفدية، وهي مد عن كل يوم، إن شاء قدمها وإن شاء أخرها، وإن شاء أخرجها يوما بيوم"<sup>(١)</sup>.

وقال في الفتاوى: "... ويمكنه إخراج هذه الأمداد في كل يوم مد، أو يجمعها كلها ثلاثين مدا، فيخرجها دفعة واحدة أول الشهر أو آخر الشهر أو يفرقها على مدى الشهر"<sup>(٢)</sup>.

### ثانيا: المعتمد عند الشافعية

معتمد الشافعية أنه لا يصح تقديم الفدية عن جميع الشهر للعاجز عن الصوم لكبر أو مرض لا يرجى برؤه في أول الشهر، وإنما يجوز تقديم فدية يوم واحد فقط<sup>(٣)</sup>.

### ثالثا: أقوال العلماء

اختلف القائلون من العلماء بوجوب الفدية في جواز تقديم الفدية للعاجز عن الصوم لكبر أو مرض لا يرجى برؤه على قولين:

(١) الوجيز في أحكام الصيام: ٧٢.

(٢) فتاوى رمضان: ١٥١ - ١٥٢.

(٣) ينظر: المجموع: ٦/ ٢٦٠؛ نهاية المحتاج: ٣/ ١٩٤؛ حاشية الجمل على المنهج: ٤/ ٤٢٧.



## القول الأول:

ذهب الأحناف إلى جواز تقديم الفدية وتعجيلها من أول شهر رمضان كما يجوز له أن يؤخرها إلى آخر الشهر<sup>(١)</sup>، وهو ظاهر مذهب الحنابلة<sup>(٢)</sup>.

ومما استدلوا به أن سبب الفدية هو العجز الدائم ودخول شهر الصيام، وقد عهد من الشارع جواز التقديم عند حصول الأسباب؛ كإخراج زكاة سنين عند ملك النصاب وقبل حلولان الحول، فجاز تقديم فدية الصيام إذا وجد السبب<sup>(٣)</sup>، ومما يدل لذلك ما رواه عند الترمذي: (أن العباس سأل رسول الله ﷺ - في تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له في ذلك).

وروى البيهقي من حديث علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: (إننا كنا احتجنا فاستسلفنا العباس صدقة عامين)<sup>(٤)</sup> ورواه أيضا مراسلا بلفظ: (إننا كنا قد تعجلنا صدقة مال العباس لعامنا هذا عام أول)<sup>(٥)</sup> ورواه الدارقطني بلفظ: (إن العباس أسلفنا صدقة عامين في عام)<sup>(٦)</sup>، وأكثر أهل العلم على جواز تعجيل الزكاة، كما حكاها الترمذي<sup>(٧)</sup>.

ومثل الزكاة فدية الصيام لاشتراك المالية، وعليه فيجوز تقديم الفدية في أول أيام رمضان عن جميع أيام الشهر قياسا على تقديم الزكاة لسنتين.

ونوقش هذا الدليل بأنه أخذ من العباس في أول الحول زكاة العام الماضي وهي الواجبة عليه، وعجل زكاة العام الذي بعده، فنقل الراوي عنه أنه أخذ زكاة عامين<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر: حاشية ابن عابدين: ٤٢٧/٢؛ البحر الرائق: ٣٠٨-٣٠٩.

(٢) ينظر: المغني: ٤٩٢/٢؛ الإيضاح: ٤٩٢/٣؛ والمالكية لا يوجبون على الهرم الكبير فدية، وهي عندهم على جهة الاستحباب. ينظر: منح الجليل شرح مختصر خليل: ١٢٠/٢.

(٣) ينظر: حاشية ابن عابدين: ٢٩٣/٢؛ حاشية الطحطاوي: ٤٦٩؛ بدائع الصنائع: ٥١/٢؛ المغني: ٤٩٥/٢.

(٤) السنن الكبرى، البيهقي برقم (٧١٥٩).

(٥) السنن الكبرى، برقم (٧١٥٨)، ثم قال: "هذا هو الأصح هذه الروايات" وللحديث طرق متعددة مرفوعة ومرسلة، يتقوى الحديث بمجموعها. ينظر: فتح

الباري: ٣٣٤/٣؛ الدر المنير: ٥٠٠-٥٠٤؛ إرواء الغليل: ٣٤٩/٣.

(٦) سنن الدارقطني رقم (٢٠١٣) والطبراني في المعجم الكبير رقم (٩٩٨٥).

(٧) ينظر: سنن الترمذي: ٦٣/٣.

(٨) ينظر: الحاوي، الماوردي، (١٦٠/٣).

وأجيب بأن لفظ الدارقطني السابق: (إن العباس أسلفنا صدقة عامين في عام)، ورواه أيضا موصولا عن ابن عباس بلفظ: (إن العباس قد أسلفنا زكاة ماله العام والعام المقبل)<sup>(١)</sup>، وهي صريحة في تعجيل الزكاة لعامين متتاليين.

### القول الثاني:

لا يجوز تقديم الفدية للعاجز عن الصوم أول الشهر، وإنما يجوز تقديم فدية يوم واحد؛ وهذا مذهب الشافعية<sup>(٢)</sup>.

ومما استدلووا به أن سبب الفدية هو العجز الدائم عن الصوم ودخول شهر رمضان، ولها سبب وجوب وهو غروب شمس كل يوم من رمضان، فلا يجوز تقديمها على سبب وجوبها.

قال الإمام الرملي - رحمه الله تعالى - : " ويتخير في إخراجها بين تأخيرها وبين إخراج فدية كل يوم فيه أو بعد فراغه ولا يجوز تعجيل شيء منها - أي الفدية - لما فيه من تقديمها على وجوبه - أي سبب وجوبه - لأنه فطره"<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الروياني - رحمه الله تعالى - : " والأصل فيه أن سبب وجوب الفدية هو الإياس من القدرة على الصوم وله سبب آخر وهو دخول زمان رمضان وحالة وجوب وهي إذا غربت الشمس ذلك اليوم ألا ترى أنه لو مات قبل غروب الشمس لم يلزم في ماله فدية ذلك اليوم لعدم القدرة، فإذا أدى الفدية بعد وجود السبب الأول وبعد دخول زمان السبب الثاني جاز وإلا فلا يجوز، كما جاز أداء زكاة المال بعد وجود النصاب قبل الحول ولا يجوز قبل النصاب"<sup>(٤)</sup>.

(١) سنن الدارقطني رقم (٢٠١٢) وإسناده ضعيف. ينظر: البدر المنير: ٥ / ٥٠١.

(٢) ينظر: المجموع، النووي: ٦ / ١٤٢؛ نهاية المحتاج: ٣ / ١٩٤؛ حاشية الجمل: ٤ / ٤٢٧.

(٣) فتاوى الشهاب: ٢ / ٦٤.

(٤) بحر المذهب: ٣ / ٢٩٧.

وأجيب عنه: بأن حديث على - رضي الله تعالى عنه- المتقدم قد دل على جواز تقديم زكاة أكثر من عام، فكذلك فدية الصيام يجوز تقديمها للعاجز أول الشهر عن يوم واحد أو عن الشهر كله<sup>(١)</sup>.

والذي اختاره العلامة الحداد من جواز تقديم العاجز عن الصوم للفدية من أول شهر رمضان أظهر، وذلك لأمر:

أحدها: أن حكم فدية الصيام كحكم تعجيل الزكاة، والأحاديث الواردة في تعجيل الزكاة ولها طرق متعددة موصولة ومرسلة تقوم بها الحجة.

الثاني: أنه يجوز في التكفير بالمال تقديمه على كفارته، كتعجيل قضاء الدين قبل حلول أجله<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أن المال إذا وجد سبب وجوبه جاز تعجيله، وسبب الوجوب هنا العجز عن الصوم ودخول موجه وهو شهر رمضان؛ فجاز تعجيله ككفارة اليمين بعد الحلف وقبل الحنث وكفارة القتل بعد الجرح قبل الزهوق<sup>(٣)</sup>.

الرابع: أن الشيء إذا كان لوجوبه وقت، وكان دخول الوقت فيه رفقا بالإنسان جاز له أن يعجله ويترك الإرفاق بنفسه كالدين المؤجل، وكمن أدى زكاة مال غائب وإن لم يكن على يقين من وجوبها<sup>(٤)</sup>.

## المسألة الثانية: عدم قضاء صوم المغمى عليه

أولاً: قول العلامة الحداد: قال رحمه الله: "... بخلاف المغمى عليه بمرض فإنه معذور، وصومه صحيح إذا نواه وصحا في النهار ولو قبيل المغرب، أما إذا عم النهار كله فالصوم باطل،

(١) ينظر: بدائع الصنائع: ٢ / ٥١.

(٢) ينظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام: ٩ / ٢٤٦.

(٣) ينظر: بحر المذهب: ٣ / ٢٩٧؛ المغني: ١١ / ٢٢٣.

(٤) ينظر: المغني: ٢ / ٤٩٥.

والخلاف بين العلماء هل يلزمه القضاء أم لا؟ ومذهبنا يلزمه القضاء، لكن الراجح أنه لا قضاء عليه لعدم التكليف<sup>(١)</sup>.

ثانيا: المعتمد عند الشافعية: المعتمد عند الشافعية أن إغماء الصائم إذا عم جميع النهار فصومه باطل، ويجب على المكلف القضاء<sup>(٢)</sup>.

ثالثا: أقوال العلماء: اختلف العلماء في صوم من نوى الصيام من الليل ثم أغمى عليه جميع النهار على قولين:

القول الأول: أن من نوى الصوم من الليل ثم أغمى عليه قبل طلوع الفجر ولم يفق من إغمائه إلا بعد غروب الشمس فإنه لا يجب عليه قضاء ذلك اليوم، وصومه صحيح؛ وهذا مذهب الأحناف، وقال به المزني وابن سريج من الشافعية<sup>(٣)</sup>.

ومما استدلوا به:

١- إن شرط صحة الصوم وجود النية، وقد وجدت من الليل، وركن الصوم الإمساك، والإغماء لا ينافي أهلية الأداء، وإنما ينافي النية، فصح لوجود ركنه وشرطه<sup>(٤)</sup>.

وأجيب عنه: بأن الصوم هو الإمساك مع النية، لحديث: (كل عمل بن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي)<sup>(٥)</sup>، فقد أضاف ترك الطعام والشراب للصائم، والمغمى عليه لا يضاف إليه الإمساك، فلم يصح صومه<sup>(٦)</sup>.

(١) فتاوى رمضان: ١٣٧. ١٣٨.

(٢) ينظر: تحفة المحتاج: ١٣/ ٣٧٣، ٣٧٤.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع: ٢/ ٩٤؛ شرح فتح القدير: ٢/ ٣٦٩؛ البيان: ٣/ ٥٣٠؛ المجموع: ٦/ ٢٥٥.

(٤) ينظر: المسبوط: ٣/ ٧٠؛ بدائع الصنائع: ٢/ ٩٤؛ شرح فتح القدير: ٢/ ٣٨٠.

(٥) صحيح البخاري: رقم (٧٠٥٤)؛ صحيح مسلم: رقم (١٦٥).

(٦) ينظر: البيان: ٣/ ٥٣٠؛ لروض المربع: ١٦٠.

٢ - قياسا على النوم، فإنه يصح صوم من نام جميع النهار، فكذا من أغمي عليه فإن صومه صحيح<sup>(١)</sup>.

وأجيب عنه: بأنه قياس مع الفارق؛ وذلك لأن النائم أقرب إلى رتبة الغفلة لبقاء أهلية الخطاب، بخلاف المغمى عليه، فالنوم أضعف من الإغماء، ولا يمكن أن نُلحق الأضعف بالأعلى<sup>(٢)</sup>.

**القول الثاني:** من نوى الصوم من الليل ثم أغمي عليه قبل طلوع الفجر ولم يفق من إغمائه إلا بعد غروب الشمس فإنه يجب عليه القضاء؛ وهذا مذهب الجماهير من المالكية، والشافعية، والحنابلة<sup>(٣)</sup>.

ومما استدلوا به:

- ١ - أن المغمى عليه أتى بنية مجردة عريت عن قصد وعمل، فلا يصح صومه<sup>(٤)</sup>.
- ٢- أن الصوم عبارة عن إمساك مع النية، وقد تقدم كما في حديث: (يدع شهوته وطعامه من أجلي)، والمغمى عليه لا يضاف الإمساك إليه.

**رابعاً: النظر في الترجيح:** ينبغي أن نفرق في قضية صيام المغمى عليه بين مسألتين:

- الأولى: حكم صوم من نوى الصيام ثم أغمي عليه قبل طلوع الفجر ولم يفق إلا بعد الغروب.
- الثانية: الحكم ببطلان صوم المغمى عليه ولم يفق يوماً فأكثر، وإيجاب القضاء عليه.

**فالمسألة الأولى** وهي حكم صوم من نوى الصيام ثم أغمي عليه قبل طلوع الفجر ولم يفق إلا

بعد الغروب، تقدم ذكر الخلاف فيه، والذي يظهر هو قول الجمهور ببطلان صوم النواوي مع عدم إفاقته جزء من النهار لمرجحات منها:

(١) ينظر: البيان: ٣ / ٥٣٠.

(٢) ينظر: النجم الوهاج: ٣ / ٣١٤؛ الروض المربع: ١٦٠.

(٣) ينظر: مواهب الجليل: ٣ / ٣٤٢؛ التاج والإكليل: ٢ / ٤٢٢؛ البيان: ٣ / ٥٢٩؛ تحفة المحتاج: ١٣ / ٣٧٣، ٣٧٤؛ المغني: ٣ / ٣٢؛ الروض المربع: ١٥٩.

(٤) ينظر: الحاوي الكبير: ٣ / ٤٤١.

١. عدم صحة نسبة الصوم للمغمى عليه حيث لا يضاف الإمساك إليه، كما هو ظاهر الحديث السابق.

٢. إن النية أحد ركني الصوم، فلا تجزئ وحدها، كما أن الإمساك لا يجزئ وحده<sup>(١)</sup>.

٣. لا بد في الصوم أن يقع المعزوم عليه، بحيث يتصور القصد إليه، وإمساك المغمى عليه لا يقع مقصودا فإذا استغرق الإغماء النهار امتنع تصحيح صومه<sup>(٢)</sup>.

**المسألة الثانية:** الحكم ببطلان صوم المغمى عليه، وهل يجب القضاء عليه؟

عامة العلماء يوجبون القضاء على المغمى عليه في رمضان ولم يفق يوما فأكثر، وعللوا ذلك بعدم وجود النية، وأن الإغماء مرض يعرض للمكلف يؤخر أداء الصوم لكن لا يسقطه، ويُعدُّ مكلف شرعا.

قال الشافعي: (المغمى عليه والحائض لا صوم عليهما ولا صلاة، فإذا أفاق المغمى عليه وطهرت الحائض فعليهما قضاء ما مضى من الصوم في أيام إغماء هذا وحيز هذه)<sup>(٣)</sup>.

قال السرخسي: (الإغماء مرض، وهو عذر في تأخير الصوم إلى زواله لا في إسقاطه، وهذا لأن الإغماء يُضعِفُ القوى ولا يزيل الحجا، ألا ترى أنه لا يصير موليا عليه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتلي بالإغماء في مرضه، وكان معصوما عما يزيل العقل)<sup>(٤)</sup>.

وخالف الحسن البصري، وتبعه ابن سريج من الشافعية، وابن قاضي الجبل من الحنابلة، بأنه لا قضاء على المغمى عليه في رمضان؛ لأنه زائلٌ عقله أثناء النهار فهو غير مكلف؛ وليس هنا ما يدل على وجوب قضاء المغمى عليه<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: المغني: ٣/ ١١٥.

(٢) ينظر: فتح العزيز: ٦/ ٤٠٦.

(٣) الأم: ٧/ ٣٠٢.

(٤) المبسوط: ٣/ ٨٧؛ وانظر: حاشية الدسوقي: ١/ ٥٢٢.

(٥) ينظر: المبسوط: ٣/ ٨٧؛ المجموع شرح المهذب: ٦/ ٢٥٤؛ الإنصاف: ٧/ ٣٨٩.

وأجاب فقهاء المذاهب على القائلين بعدم القضاء بأمور:

منها: أنّ الإغماء عذرٌ في تأخير الصَّوم إلى زواله لا في إسقاطه، لأنَّ سقوطه يكون بزوال الأهلية أو بالحرَج، ولا تزول الأهلية به ولا يتحقَّق الحرَج به، لأنَّ الحرَج إنّما يتحقَّق فيما يكثر وجوده، وامتداده في حقِّ الصَّوم نادرٌ، لأنَّه مانعٌ من الأكل والشَّرب<sup>(١)</sup>.

ومنها: أن الأغماء مرض، والمريض يقضي بالنص، قال ابن حزم: (ووجدنا المصروع والمغمى عليه مريضين بلا شك؛ لأن المرض هي حال مخرجة للمرء عن حال الاعتدال وصحة الجوارح والقوة إلى الاضطراب وضعف الجوارح واعتلالها، وهذه صفة المصروع والمغمى عليه بلا شك، ويبقى وهن ذلك وضعفه عليهما بعد الإفاقة مدة؛ فإذا هما مريضان فالقضاء عليهما بنص القرآن)<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيرازي في المهذب: (فإن أفاق وجب عليه القضاء، لقوله تعالى: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ. [البقرة: ١٨٤] والإغماء مرض)<sup>(٣)</sup>.

ومنها: أن الأغماء مرض لا يزول به العقل، ولا ينافيه أيضا، ولو كان ينافي العقل أو يزول به العقل لعصم منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما عصموا من الجنون<sup>(٤)</sup>.

ومنها: أن المغمى عليه لم يسقط عنه التكليف، وعقله لم يزل وإنما ستره الإغماء، ولهذا قيل إنه إذا شم البنج أفاق، فافترق عن المجنون<sup>(٥)</sup>.

ومنها: إنه كما وجبت على الصبي صدقة الفطر، ووجبت الصلاة على النائم ولا خطاب عليهما بالإجماع، يجب القضاء على المغمى عليه<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: كشف الأسرار شرح أصول البردوي: ٤ / ٢٨١؛ المبسوط: ٣ / ٨٧.

(٢) الخلي بالآثار: ٤ / ٣٦٥؛ وسبقه لذلك القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي في الإشراف على نكت مسائل الخلاف: ١ / ١٤٤.

(٣) المهذب مع المجموع: ٦ / ٢٥٤.

(٤) ينظر: التقرير والتحبير: ٣ / ٤٢٨.

(٥) ينظر: القواعد والفوائد: ٥٧.

(٦) ينظر: أصول البردوي: ١ / ١٣٢.

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم اتفاق الفقهاء على وجوب قضاء الصوم على المغمى عليه، قال ابن قدامة: (لا نعلم خلافاً في وجوب القضاء على المغمى عليه؛ لأن مدته لا تتناول غالباً ولا تثبت الولاية على صاحبه فلم يلزم به التكليف كالنوم)<sup>(١)</sup>، وقال ابن رشد: (وفقهاء الأمصار على وجوبه على المغمى عليه)<sup>(٢)</sup>.

وكأنهم رأوا أن خلاف الحسن البصري كالشاذ، وبما ذكرناه يظهر رجحان القول بوجوب قضاء صوم المغمى عليه، والله تعالى أعلم.

### المسألة الثالثة: جواز صوم الحائض أيام نقائها

أولاً: اختيار العلامة الحداد: قال رحمه الله: " ... أما لو كان عندها أيام نقاء وصامت ثم عاودها الدم فإن الأيام التي صامتها أيام النقاء. فإن صومها صحيح ولا ينتقض مطلقاً، وهذا هو الراجح"<sup>(٣)</sup>.

وقال في موضع آخر: " وأما ما حصل في أثناء الخمسة عشر من دم وطهر، فإن الراجح هو اعتبار أيام الدم أيام حيض وأيام النقاء أيام طهر، فما فعلته في أيام النقاء من صلاة وصوم هو صحيح"<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: المعتمد عند الشافعية: اعتمد الشافعية أن أيام النقاء تعتبر حيضاً أو نفاساً على القول المعتمد وهو قول السحب، فلو صامت فيها أو صلت ثم عاد إليها الدم مرة أخرى تبين بطلانها<sup>(٥)</sup>.

ثالثاً: أقوال العلماء: اختلف العلماء فيما إذا تقطع دم المرأة بأن ترى بعض الأيام دماً ثم ينقطع ثم يعود بعد ذلك، فهل يصح منها الصوم الذي صامتته في أيام النقاء أم لا؟ اختلفوا على قولين:

(١) الشرح الكبير: ٢٢ / ٣.

(٢) بداية المجتهد: ٦١ / ٢؛ وينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: ٥ / ٢٦٨.

(٣) فتاوى رمضان: ١٣٨.

(٤) فتاوى رمضان: ١٨٨.

(٥) ينظر: المجموع شرح المهذب: ٥٠٢ / ٢؛ مغني المحتاج: ١ / ١١٩.



**القول الأول:** ذهب الأحناف والشافعية إلى أن أيام النقاء حكمها حكم الحيض بشروط

معتبرة عندهم، وبالتالي يجب على المرأة قضاء الأيام التي صامتتها في أيام النقاء<sup>(١)</sup>.

واستدلوا بأدلة منها:

١- إن الله سبحانه وتعالى جعل العادة في زمن الحيض أن الدم لا يستمر في السيلان بل له حالان: يسيل تارة ويمسك أخرى، ويسمى في حالة الإمساك بالفترات، وينسحب حكم الحيض عليها اتفاقاً، فما زاد عليها حكمه فتعتبر كزمن الحيض، ويجب عليها أن تقضي الصوم الذي صامتته في زمن الانقطاع<sup>(٢)</sup>.

**وأجيب عن هذا:** بأن الصورتين بينهما فرق من جهة أن الفترات زمنها قريب ففي وقتها إذا أدخلت القطنه في فرجها فإنها تخرج ملوثة بالدم، وهذا دليل على بقاء الحيض، وأما المسألة التي فيها الكلام فإن القطنه تخرج بيضاء، وهذا يدل على انعدام الحيض<sup>(٣)</sup>.  
أيضاً: فإن الانقطاع اليسير لا عبرة به، وإنما متى ما وجد انقطاع طويل يمكن من أداء العبادة فيه كالصلاة والصيام، وجب عليها وصح منها لعدم وجود مانع<sup>(٤)</sup>.

**القول الثاني:** ذهب المالكية والحنابلة إلى أن أيام النقاء حكمها حكم الطهر، وبالتالي فإن صوم المرأة في أيام النقاء صحيح ولا يجب عليها قضاؤه<sup>(٥)</sup>.

**ومما استدلوا به:**

١ - قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌ﴾، [البقرة: ٢٢٢]، فقد وصف الله سبحانه وتعالى الحيض بأنه أذى، وأمر باعتزال النساء حتى يطهرن، وليس هناك ما يستدل به على

(١) ينظر: بدائع الصنائع: ٤٣ / ١ - ٤٤٤؛ تبين الحقائق: ٦٠ / ١ - ٦٢؛ الفتاوى الهندية: ٣٦ / ١؛ المجموع: ٥٠٢ / ٢؛ مغني المحتاج، الشريفي: ١ / ١١٩؛ حاشية إعانة الطالبين: ٨٨ / ١.

(٢) ينظر: نهاية المطلب: ٤١٣ / ١؛ كفاية النبيه في شرح التنبيه: ١٣٩ / ٢ - ١٤٠.

(٣) ينظر: كفاية النبيه في شرح التنبيه: ١٤٠ / ٢.

(٤) ينظر: المغني: ٣٩٩ / ١؛ نهاية المطلب: ٤١٣ / ١.

(٥) ينظر: مواهب الجليل: ٥٤٤ / ١؛ الفواكه الدواني: ٣٥١ / ١؛ المغني: ٣٩٩ / ١؛ الروض المربع: ٤٨.

وجود الحيض إلا الدم، ولا الطهر إلا النقاء، وعلى هذا فإن ما فعلته في أيام النقاء من صوم وغيره صحيح لأنها طاهرة ولا يجب قضاؤه<sup>(١)</sup>.

وأجيب: بأن الإجماع قد انعقد على أن أقل الطهر خمسة عشر يوماً، فلو قلنا بأن اليوم الذي لا ترى فيه الدم طهراً لأدى ذلك إلى كون أقل الطهر يوماً، وكذلك لقلنا بأن العدة تنقضي بثلاثة منه، ولم يقل بهذا أحد<sup>(٢)</sup>.

٢- قال ابن عباس: "أما ما رأيت الدم البحراني فإنها لا تصلي وإذا رأيت الطهر ساعة فلتغتسل"<sup>(٣)</sup>.

وأجيب: أن قول ابن عباس هذا في المستحاضة التي لا تفرق بين دم الحيض والاستحاضة، كما أخرجه عنه أبو داود في سننه<sup>(٤)</sup>.

ومما سبق في عرض الأقوال يظهر: أن ما اختاره شيخنا العلامة الحداد رحمه الله أقرب، وذلك لأمر:

تعليل المحيض بالأذى في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فالحكم يدور مع وجود الأذى وهو الدم، فتكون حائضاً حيثما وجد الدم، وطاهراً حيثما انقطع بعد أن ترى النقاء.

في الحديث: «دم الحيض أسود يعرف»<sup>(٥)</sup>، فالحيض دم، والعبرة بوجوده، فإن وجد الدم فهو حيض، وإن انقطع ورأت النقاء أو القصة البيضاء فهو طهر.

(١) ينظر: المغني: ٣٩٩ / ١؛ البيان: ٣٤٩ / ١.

(٢) ينظر: بداية المحتاج في شرح المنهاج: ١ / ١٩٨؛ كفاية النبي في شرح التنبيه: ٢ / ١٤٠.

(٣) ينظر: معرفة السنن والآثار: ١ / ٣٨١؛ المغني: ٣٩٩ / ١.

(٤) ينظر: سنن أبي داود: ١ / ١٢٥.

(٥) ينظر: سنن أبي داود: حديث رقم (٢٨٦)، سنن النسائي: حديث رقم (٢١٥)، والحاكم: حديث رقم (٦١٨)، قال الذهبي: على شرط مسلم. وقواه ابن

الصلاح، البدر المنير: ٣ / ١١٥.

ما سبق عن ابن عباس: "اما ما رأيت الدم البحراني فإنها لا تصلي وإذا رأيت الطهر ساعة فلتغتسل"، قال الحافظ ابن رجب: "محمول على غير المستحاضة؛ فإن المستحاضة تصلي إذا جاوزت أيام حيضها، سواء انقطع دمها أو لم ينقطع ... وإنما يصح حمل هذا على الدم الجاري في أيام الحيض، وأنه إذا انقطع ساعة فهي طاهر تغتسل وتصلي، وسواء كان بعد تمام عادة الحيض أو قبل تمام العادة"<sup>(١)</sup>.

وتقطع الدم عند المرأة مما عمت به البلوى، فالقول باللقط يسع النساء، وهو أيسر لهن، ويتوافق مع طبيعتهن<sup>(٢)</sup>.

والقول باللقط أو بالتلفيق إنما هو فيما كان النقاء يوما فأكثر، ولا اعتبار بأقل من يوم، قال الإمام أحمد: " لا يكون الطهر في خلال دم الحيض أقل من يوم"<sup>(٣)</sup>.

قال النووي: "واعلم أن القولين إنما هما في الصلاة والصوم والطواف والقراءة والغسل والاعتكاف والوطء ونحوها، ولا خلاف أن النقاء ليس بطهر في انقضاء العدة وكون الطلاق سنيا قال الغزالي في البسيط أجمعت الأمة على أنه لا يجعل كل يوم طهرا كاملا"<sup>(٤)</sup>.

### المسألة الرابعة: أكثر النفاس

أولا: قول العلامة الحداد: قال رحمه الله: " إن النفاس على المعتمد الذي يسنده الدليل هو أربعين يوما"<sup>(٥)</sup>.

ثانيا: المعتمد عند الشافعية: إن أكثر النفاس ستون يوما؛ فالدم الخارج بعد أربعين يوما من الولادة له حكم النفاس إلى الستين يوما<sup>(٦)</sup>.

(١) فتح الباري: ١٤٧/٢.

(٢) ينظر: الإرشاد إلى معرفة الأحكام: ٢٣-٢٦.

(٣) فتح الباري لابن رجب: ١٤٧/٢.

(٤) المجموع شرح المهذب: ٥٠٢/٢.

(٥) فتاوى الصيام: ١٩١.

(٦) ينظر: روضة الطالبين: ١/١٧٤؛ تحفة المحتاج: ١/٤١٣.

ثالثاً: أقوال العلماء: اختلف العلماء في الدم الذي تراه المرأة بعد الأربعين هل يعد من النفاس

أم لا؟ على قولين:

القول الأول: ذهب الأحناف والحنابلة إلى أن أكثر مدة النفاس أربعين يوماً، وما تراه المرأة

بعد الأربعين فهو دم فساد، وهو قول عدد من الصحابة منهم: عمر وابن عباس وعثمان بن أبي

العاص وأنس وأم سلمة - رضي الله تعالى عنهم -، وقال به من الأئمة: الثوري وإسحاق<sup>(١)</sup> رحمهما

الله تعالى.

ومما استدلووا به:

١ - حديث أم سلمة قالت: (كانت النفساء تجلس على عهد رسول الله ﷺ أربعين يوماً فكنا

نظلي وجوهنا بالورس من الكلف)<sup>(٢)</sup>.

وأجيب عنه من وجوه<sup>(٣)</sup>:

أ- أن الحديث يحمل على الغالب، أي أن غالب النساء نفاسهن أربعين يوماً.

ب- أن الحديث يحمل على نسوة مخصوصات لا على جميع النساء، ومما يؤيد هذا المحمل

رواية لأبي داود (كانت المرأة من نساء النبي - ﷺ - تقعد في النفاس أربعين ليلة لا

يأمرها النبي - ﷺ - بقضاء صلاة النفاس)<sup>(٤)</sup>.

ج- أن الحديث ليس فيه دلالة على نفي الزيادة وإنما فيه إثبات الأربعين فقط.

٢ - إن القول بأن غالب النفاس أربعين يوماً، هو قول فقهاء الصحابة كعمر بن الخطاب، ابن

عباس، وعثمان بن أبي العاص، وعائذ بن عمرو، وأنس بن مالك، وأم سلمة وغيرهم، ولم يعلم لهم

مخالف فكان إجماعاً<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: الدر المختار: ١/ ٣٠٠؛ بدائع الصنائع: ١/ ٤١؛ البحر الرائق: ١/ ٢٣١؛ المغني: ١/ ٣٩٢؛ شرح الزركشي: ١/ ١٣٢.

(٢) سنن الترمذي: ١/ ٢٥٦؛ سنن أبي داود: ١/ ١٢٣. حسنه النووي في المجموع: ٢/ ٥٢٥.

(٣) ينظر: المجموع: ٢/ ٥٢٥.

(٤) سنن أبي داود: ١/ ١٢٣.

وأجيب عنه بما نقل عن الإمام ربيعة من التابعين وهو شيخ الإمام مالك أنه يقول: " أدركت الناس يقولون أكثر النفاس ستون" (٢).

**القول الثاني:** ذهب المالكية والشافعية إلى أن أكثر مدة النفاس ستون يوماً، وما تراه المرأة من الدم بعد الأربعين فهو دم نفاس إلى الستين يوماً، وقال به من الأئمة: عطاء والشعبي (٣) - رحمهما الله تعالى.

### ومما استدلوا به:

١. الاستقراء بالوجود، حيث وجد أن بعض النساء ينفسن ستين يوماً، وقد نقل عن الأوزاعي أنه قال: عندنا امرأة ترى النفاس شهرين، وروي مثله عن عطاء والشعبي وغيرهما، فيتعين المصير إلى الوجود، كما تعين المصير إليه في أقل الحيض (٤).

وأجيب بأنه قد وجد أن الدم يتجاوز الستين، فليست الستين حداً، وليس أكثر ما قيل، فقد نقل عن الليث رحمه الله أنه قال النفاس سبعون يوماً (٥).

٢. إن غالب النفاس أربعون يوماً فينبغي أن يكون أكثره زائداً عليه (٦).

وأجيب بأن القول بأن غالب النفاس أربعون يوماً غير مسلم، بل مخالف لما ورد من النصوص فيه.

**رابعاً: النظر في الترجيح:** ما رجحه شيخنا العلامة الحداد بأن مدة النفاس أربعين يوماً أقرب

لأمور منها:

(١) ينظر: الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف: ٢ / ٢٤٨؛ المغني: ١ / ٣٩٢.

(٢) نقلاً عن المجموع: ٢ / ٥٢٥.

(٣) ينظر: الذخيرة: ١ / ٣٩٣؛ شرح مختصر خليل: ١ / ٢١٠؛ منح الجليل: ١ / ١٧٥؛ البيان: ١ / ٤٠٤؛ حاشية الجمل: ١ / ٧٦٣؛ نهاية المحتاج: ١ / ٣٥٧.

(٤) ينظر: المهذب مع المجموع: ٢ / ٥٢٢.

(٥) ينظر: سنن البيهقي الكبرى: ١ / ٥٠٥؛ المجموع: ٢ / ٥٢٤.

(٦) ينظر: البيان: ١ / ٤٠٥؛ المجموع شرح المهذب: ٢ / ٥٢٤.

١- أن أم سلمة السابق في تحديد مدة الأربعين للنفساء حديث صحيح صححه جماعة من الحفاظ، وقد جاء بألفاظ مختلفة يدفع ما قيل إنه مختص ببعض النساء<sup>(١)</sup>، قال الشوكاني<sup>(٢)</sup>: " والأدلة الدالة على أن أكثر النفاس أربعون يوماً متعاضدة بالسنة إلى حد الصلاحية والاعتبار، فالمصير إليها متعين، فالواجب على النفساء وقوف أربعين يوماً إلا أن ترى الطهر قبل ذلك، كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة"

٢- ورد عن جماعات من الصحابة رضي الله عنهم أن النفاس تقعد أربعين يوماً<sup>(٣)</sup>، وأصحها ما ورد عن ابن عباس قال: "النفساء تنتظر نحواً من أربعين يوماً"<sup>(٤)</sup>.

وعن أنس: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقْتُ لِلنِّسَاءِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا أَنْ تَرَى الطُّهْرَ قَبْلَ ذَلِكَ»<sup>(٥)</sup>، وعن عثمان بن أبي العاص قال: " وقت للنساء في نفاسهن أربعين يوماً"<sup>(٦)</sup>.

٤- لم يحفظ عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم القول بمكث النفساء بغير الأربعين يوماً، وكأنه أمر مقرر معروف بينهم، ولا يُعلم لهم مخالف في عصرهم، قال الطحاوي: ولم يقل بالستين أحد من الصحابة وإنما قاله بعض من بعدهم<sup>(٧)</sup>، وقال الإمام الترمذي: " وقد أجمع أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والتابعين، ومن بعدهم على أن النفساء تدع الصلاة أربعين يوماً، إلا أن ترى الطهر قبل

(١) حديث أم سلمة صححه جماعات من أهل العلم، منهم الحفاظ ابن السكن والحاكم والنووي، والذهبي، والألباني، قال ابن الملقن: "والحق صحته قال الخطابي أثني البخاري على هذا الحديث"، قال النووي: "وأما قول جماعة من مصنفى الفقهاء إنه حديث ضعيف فمردود عليهم". ينظر: مستدرک الحاكم: ١/ ١٧٥؛ خلاصة الأحكام: ١/ ٢٤١؛ خلاصة البدر المنير: ١/ ٨٣؛ إرواء الغليل: ١/ ٢٢٧.

(٢) نيل الأوطار: ١/ ٣٥٢

(٣) منهم عمر وعلي وعائشة وأم سلمة وجابر وابن عباس وأنس وأبو هريرة ومعاذ وعبدالله بن عمرو وعثمان بن أبي العاص وعائذ بن عمرو، والأحاديث يسند بعضها بعضاً. ينظر: سنن البيهقي الكبرى: ١/ ٥٠٣-٥٠٥؛ سنن الدارقطني: ١/ ٢٢٠-٢٢٣؛ نصب الراية: ١/ ٢٠٤-٢٠٦؛ البدر المنير: ٣/ ١٤٢.

(٤) سنن الدارمي: رقم (٩٩٨) السنن الكبرى للبيهقي: رقم (٥٠١٥) قال الألباني: "وهذا سند صحيح على شرط الستة" الثمر المستطاب: ٤٧.

(٥) ينظر: سنن ابن ماجه: رقم (٦٤٩) سنن البيهقي الكبرى: رقم (١٦١٩) قال البوصيري في مصباح الرجاء: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رَجَّاهُ ثِقَاتٌ: ١/ ٨٣؛ وتصحيحه على بناء على أن سلام هو الأحوص، ورجح الدارقطني في سننه: ١/ ٢٢٠، وجماعه أنه سلام الطويل قال: وهو ضعيف الحديث.

(٦) رواه الحاكم: رقم (٦٢٤) وقال: إن سلم هذا الإسناد من أبي بلال، فإنه مرسل صحيح، ورواه الدارقطني: رقم (٨٥٦) وقال أبو بلال الأشعري ضعيف، ورواه الدارمي: رقم (٩٩٠) عن الثوري عن يونس عن الحسن، وإسناده جيد إلا أن الحسن لم يسمع من عثمان.

(٧) ينظر: البداية: ١/ ٦٩٥.

ذلك، فإنها تغتسل وتصلّي، فإذا رأت الدم بعد الأربعين فإن أكثر أهل العلم قالوا: لا تدع الصلاة بعد الأربعين، وهو قول أكثر الفقهاء<sup>(١)</sup>، قال أبو عبيد: "وعلى هذا جماعة الناس"<sup>(٢)</sup>.

٥- ويرجح الأطباء المعاصرون أن مدة النفساء أربعون يوماً، "وانتهت المقولات الطبية في الندوة الثالثة للفقهاء الطبي المتعددة في الكويت إلى الاتفاق مع بعض الآراء الفقهية القائلة بأن النفاس: هو ما ينزل من المرأة بعد الولادة أو الإسقاط ريثما يندمل موقع المشيمة المنفصلة من تجويف الرحم، ويبدأ دماً، ثم سائلاً مصفراً حتى يتوقف، ولا حد لأقله. وأقصاه السوي ستة أسابيع (٤٠ يوماً) فإن زاد عليها اعتبر غير سوى، ويلحق بالاستحاضة، وقد يكون من جراء بقايا المشيمة داخل الرحم، أو نتيجة وهن الرحم عن الانقباض الكافي لحبس الدم أو غير ذلك مما يلتمس له التشخيص والعلاج، والنفاس إذا انتهى قد يفضي إلى حيض، وقد يفضي إلى طهر تمتد فترة تطول أو تقصر"<sup>(٣)</sup>.

وعلى ما سبق فما تراه المرأة بعد الأربعين فهو استحاضة، وعليها الاغتسال ثم أداء الصلاة والصوم وسائر مطلوبات الشرع.

### المسألة الخامسة: في الصفرة والكدره هل هما حيض؟

أولاً: قول العلامة الحداد: قال رحمه الله: "والكدره والصفرة التي رأيتهما في اليوم الثالث إلى العاشر لا تعتبر شيئاً، فصومك صحيح"<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: المعتمد عند الشافعية: الصفرة والكدره في وقت إمكان الحيض حيض على المعتمد عند الشافعية<sup>(٥)</sup>.

ثالثاً: أقوال العلماء: اختلف العلماء في عدّ الكدره والصفرة من الحيض أو ليست منها على عدة أقوال، أبرزها:

(١) سنن الترمذي: ٢٠٤/١.

(٢) الأوسط: ٢٥٠/٢.

(٣) الحيض والنفاس والحمل بين الفقه والطب: ٦٣ - ٦٤.

(٤) فتاوى الصيام: ١٩١، وكان السؤال عن النفساء.

(٥) ينظر: روضة الطالبين: ١/١٥٢؛ تحفة المحتاج: ١/٣٤٠؛ تحفة المحتاج: ١/٤٠٠.

القول الأول: الصفرة والكدره حيض؛ وهو مذهب الشافعية وقول عند المالكية<sup>(١)</sup>.

ومما استدلوا به:

١. عن مولاة عائشة أم المؤمنين، أنها قالت: كان النساء يبعثن إلى عائشة أم المؤمنين، بالدرجة فيها الكرسف، فيه الصفرة من دم الحيضة، يسألنها عن الصلاة فتقول لهن: «لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء»<sup>(٢)</sup>.

ووجه الاستدلال أن عائشة رضي الله عنها جعلت الطهر هو ظهور القصة البيضاء، وما عدا ذلك حيض.

وأجيب عنه: بأنه معارض بحديث البخاري عن أم عطية، قالت: «كنا لا نعد الكدره والصفرة شيئا»<sup>(٣)</sup>.

ورد بأن قول عائشة رضي الله عنها أولى لأنها أعلم<sup>(٤)</sup>.

ورد أيضا بإمكان حمله على أنها لا تعدهما طهرا<sup>(٥)</sup>.

٢. قال الله تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض) البقرة: [٢٢٢].

والأذى يتناول الصفرة والكدره.

القول الثاني: الصفرة والكدره في وقت الحيض حيض؛ وهذا مذهب الأحناف، والحنابلة،

وقول عند المالكية<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: مغني المحتاج: ١/ ١١٣؛ مواهب الجليل: ١/ ٥٣٧.

(٢) ينظر: موطأ مالك: ١/ ٥٩؛ مصنف عبد الرزاق: ١/ ٣٠١؛ ورواه البخاري معلقا: ١/ ٧١.

(٣) صحيح البخاري: رقم (٣٢٠).

(٤) ينظر: البيان: ١/ ٣٥١.

(٥) ينظر: الذخيرة: ١/ ٣٨٢.

(٦) ينظر: حاشية ابن عابدين: ١/ ٢٨٩؛ منح الجليل: ١/ ١٦٦؛ المغني: ١/ ٣٨٣.



ومما استدلووا به: حديث أم عطية رضي الله عنها قالت: «كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئاً»

(١)، ووجه الدلالة أن مفهوم الحديث يدل على أن الكدرة والصفرة في وقت الحيض حيض.

ورده يعلم مما سبق عند الكلام على أدلة القول الأول.

القول الثالث: الصفرة والكدرة ليستا بحيض؛ وهذا مذهب الظاهرية (٢).

ومما استلوا به:

١. حديث أم عطية، قالت: «كنا لا نعد الكدرة والصفرة شيئاً» (٣). وقد تقدم الكلام

عليه.

٢. عن فاطمة بنت أبي حبيش أنها كانت تستحاض فقال لها النبي ﷺ: «إذا كان دم

الحيضة فإنه دم أسود يعرف، فإذا كان ذلك فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر

فتوضئي وصلّي فإنما هو عرق» (٤).

ووجه الدلالة منه: أن النبي ﷺ جعل علامة دم الحيض أنه دم أسود ولم يذكر غيره من الدماء،

فدل على أن سواه ليس بحيض (٥).

ورد بما تقدم من حديث عائشة رضي الله عنها.

ويمكن أن يرد أيضاً بأن الحديث نص في الدم الأسود وهذا محل اتفاق، ولم يذكر الصفرة

والكدرة اللذين هما محل الخلاف، وإنما فهم من المفهوم المخالف للقب وهو ليس بحجة عند

الأصوليين.

(١) السنن الكبرى: ١ / ٣٣٧.

(٢) ينظر: الخلی: ١ / ٧٤٤.

(٣) صحيح البخاري: ٣٢٠.

(٤) سنن أبي داود: ١ / ١١٥.

(٥) ينظر: الخلی: ١ / ٧٤٤.

النظر في الترجيح: ما اختاره العلامة الحداد من أن الصفرة والكدرة لا عبرة بها بعد الطهر أظهر لأمر منها:

١. هو ظاهر حديث أم عطية السابق: «كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئاً» وفيه دلالة على أن هذا كان معلوماً عند نساء الصحابة، وحديث عائشة دلالة بالمفهوم لا المنطوق.

٢. لا تنافي بين حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، فيحمل حديث عائشة على الاعتداد بالكدرة والصفرة في أيام الحيض قبل ظهور القصة البيضاء، وحديث أم عطية يؤيده، والجمع بين النصوص أولى.

٣. القول بأن الكدرة والصفرة لا عبرة بها بعد الطهر هو ما عليه جماهير العلماء، ويؤيده ما نُقل عن جماعة من الصحابة والتابعين<sup>(١)</sup>، منها: عن علي رضي الله عنه قال: "إذا رأيت المرأة التريّة بعد الغسل بيوم أو يومين فإنها تطهر وتصلّي" قال عبد الله التريّة: الصفرة والكدرة، وقال ابن سيرين: "لم يكونوا يرون بالكدرة والصفرة بأساً" وعن الحسن: ليس في التريّة شيء بعد الغسل إلا الطهور، وقال سفيان الثوري: "الكدرة والصفرة في أيام الحيض حيض، وكل شيء رأته بعد أيام الحيض من دم أو كدرة أو صفرة فهي مستحاضة".

٤. لحق الصفرة والكدرة بالدم قبل الطهر يعد تابعا للحيض وجزء منه، فمتى وجدت متصلة بدم الحيض فهي منه، وبعده ليست منه.

(١) أورد كل الآثار المذكورة تحت باب "الكدرة إذا كانت بعد الحيض" الإمام الدارمي في سننه: ١ / ٢٣٥ وما بعدها.

## المسألة السادسة: القبلة للصائم

أولاً: قول العلامة الحداد: قال رحمه الله: "إن القبلة للصائم جائزة بشرط ألا تحرك شهوته وإلا كانت مكروهة"<sup>(١)</sup>.

ثانياً: المعتمد عند الشافعية: أن القبلة للصائم إذا حركت شهوته مكروه تحريماً، وأما من لم تحرك شهوته فالأولى له أن يتركها"<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أقوال العلماء: اختلف العلماء في حكم تقبيل الرجل زوجته بشهوة وهو صائم على قولين مشهورين:

القول الأول لا بأس بالقبلة للصائم إذا أمن على نفسه من إنزال المني أو الجماع وتكره إذا لم يأمن؛ وهذا مذهب الأحناف والحنابلة، وزادوا: وتحرم إن ظن إنزالاً"<sup>(٣)</sup>.

ومما استدلوا به: الأحاديث الواردة في ذلك، ومنها:

١ - عن عائشة -رضي الله عنها - قالت: «إن كان رسول الله ﷺ يقبل بعض أزواجه وهو صائم، ثم ضحكت»

ورد بأن النبي ﷺ كان يأمن على نفسه من الإنزال؛ لهذا أشارت في نفس الحديث فقالت: «وكان أملككم لإربه»، ولأن حفظ الصيام عن الإفساد واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وأجيب بأن من يملك إربه جاز له لك، وفعله عليه السلام المتكرر لذلك أراد به التعليم لمن قدر عليه"<sup>(٤)</sup>.

(١) فتاوى رمضان: ٢٠٣.

(٢) ينظر: روضة الطالبين: ٣٦٢ / ٢؛ تحفة المحتاج: ٣٥٨ / ١٣.

(٣) ينظر: حاشية ابن عابدين: ٤١٧ / ٢؛ بدائع الصنائع: ١٠٦ / ٢؛ الإنصاف: ٣٢٨ / ٣؛ مطالب أولي النهى: ٢ / ٢٠٣.

(٤) قاله ابن حبان في صحيحه: ٣١٦ / ٨.

٢ - حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ «رخص في القبلة للصائم»<sup>(١)</sup> ورواه البيهقي بلفظ: «رخص في القبلة للشيخ وهو صائم، ونهى عنها الشاب، وقال الشيخ يملك إربه والشاب يفسد صومه»<sup>(٢)</sup>، ففهم من التعليل: أنه دائم مع تحريك الشهوة بالمعنى المذكور، وأن التعبير بالشيخ والشاب جرى على الغالب من أحوال الشيوخ في انكسار شهوتهم وأحوال الشباب في قوتها، فلو انعكس الأمر لانعكس الحكم<sup>(٣)</sup>.

**القول الثاني:** تكره القبلة للصائم إن علمت السلامة من الإمذاء والإمناء، وتحرم مع عدم السلامة عند المالكية، وعند الشافعية تركها مع السلامة أولى، وتكره تحريماً إن خشى فساد صومه حينئذ<sup>(٤)</sup>.

ومما استدلوا به:

١ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقبلني وهو صائم، وأبيكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ يملك إربه».

فكلامها فيه إشارة إلى علة عدم إلحاق الغير به في ذلك وعلى هذا فيكره لغيره القبلة<sup>(٥)</sup>. وأجيب بأنها أرادت أن من كان يملك إربه جاز له، بدليل قولها لمن سألها ما يحرم علي من امرأتي وأنا صائم قالت "فرجها"، وعن مسروق سألت عائشة ما يجلب للرجل من امرأته صائماً قالت كل شيء إلا الجماع<sup>(٦)</sup>.

٢- عن ميمونة، مولاة النبي ﷺ قالت: سئل النبي ﷺ عن رجل قبل امرأته وهما صائمان، قال: «قد أظن» أي تعرضتا للإفطار لأن التقبيل من مقدمات الجماع.

(١) سنن النسائي: رقم (٣٢٣٧)؛ صحيح ابن خزيمة: رقم (١٩٦٧) وصححه محققه الأعظمي.

(٢) سنن البيهقي الكبرى: رقم (٨٠٨٤) قال: سنده صحح. وانظر: تحفة المحتاج: ٨٥ / ٢.

(٣) ينظر: الزرقاني في شرح الموطأ: ٢ / ٢٢٢.

(٤) ينظر: تحفة المحتاج: ٣ / ٤١١؛ بشرى الكريم: ٥٦٦؛ حاشية الدسوقي: ١ / ٥١٨.

(٥) صحيح مسلم: رقم (١١٠٦).

(٦) ذكر الأثرين: ١٤٩ / ١ الأول رواه البخاري معلقاً ووصله الطحاوي، والثاني رواه عبدالرزاق وصححه إسنادهما.

وأجيب بأن الحديث ضعيف<sup>(١)</sup>، ومعارض بما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام من التقبيل في الصوم.

٢- عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري، وكان رسول الله ﷺ قد مسح على وجهه، وأدرك أصحاب رسول الله ﷺ، قال: "كانوا ينهاون عن القبلة خوفاً أن أتقرب لأكثر منها، ثم المسلمون اليوم ينهاون عنها ويقول قائلهم: إن رسول الله ﷺ كان له من حفظ الله ما ليس لأحد"<sup>(٢)</sup>.  
ويمكن أن يجاب: بأن هذا أثراً، ليس بمرفوع فلا يكون حجة.

رابعاً: النظر في الترجيح: ما اختاره شيخنا العلامة الحداد من جواز قبلة الصائم إن لم تحرك شهوته أظهر لأمر، منها:

١- تعدد الأحاديث الواردة في إباحة القبلة من فعله عليه الصلاة والسلام وهو صائم، منها أحاديث عائشة السالفة، وورد عن غيرها من أمهات المؤمنين كحفصة وأم سلمة  
٢- كما ثبت ذلك من أجوبته ﷺ لمن سأل عن القبلة للصائم، منها حديث عمرو بن أبي سلمة ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ: «سأل هذه» لأم سلمة، فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله! قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال له رسول الله ﷺ: «أما والله إني لأنقاكم لله وأخشاكم له»<sup>(٣)</sup>، وعمرو كان شاباً، وهو يدل على عدم التفريق بين الشاب والكبير.

٣- ترخيصه عليه الصلاة والسلام في القبلة للصائم منها حديث أبي سعيد الخدري السالف.

٤- من الأدلة الظاهرة حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: «هَسَّسْتُ فَقَبَلْتُ وأنا صائم فجننت رسول الله ﷺ فقلت: لقد صنعتُ اليوم أمراً عظيماً قال: وما هو؟ قلت: قَبَلْتُ وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: أَرَأَيْتَ لو مضمضتَ من الماء؟ قلت: إذاً لا يضُرُّ؟ قال: نعم»<sup>(٤)</sup>.

(١) قال الترمذي: سألت عنه البخاري فقال: هذا حديث منكر لا أحدث به، العلل الكبير: ١١٧؛ وقال البوصيري: "هذا إسناد ضعيف، أبو يزيد الضبي قال عنه عبد الغني بن سعيد زاد منكر الحديث، مصباح الرجاجة: ٣/ ١٠١؛ وقال البخاري والذهبي: مجهول، وقال الدارقطني: ليس بمعروف".  
(٢) مسند أحمد: رقم (٢٣٦٦٩) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط البخاري، وفي مجمع الزوائد: ٣/ ٢١٦ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.  
(٣) صحيح مسلم: برقم (١١٠٨).  
(٤) رواه أحمد: (١٣٨) وأبو داود: (٢٣٨٥) والنسائي في الكبرى واستنكره: (٣٠٣٦) وابن حبان: (٣٥٤٤) وصححه الحاكم والذهبي: (١٥٧٢).

لكن ها الترخيص ليس على إطلاقه، فإن رأى من نفسه ضعفا عن التحفظ بما يفسد صومه فلا يقدم عليه، قال ابن عبد البر: "لا أعلم أحدا رخص في القبلة للصائم إلا وهو يشترط السلامة مما يتولد منها، وأن من يعلم أنه يتولد عليه منها ما يفسد صومه وجب عليه اجتنابها"<sup>(١)</sup>.  
ولعل الأقرب القول بأن القبلة في الصوم على درجات ثلاث: الجواز إن لم يصحبها شهوة محرمة، والكرهية إن حركت الشهوة وأمن من إفساد صومه، والتحریم إن خشى من الوقوع في الجماع المحرم<sup>(٢)</sup>.

### المسألة السابعة: الأذن منفذ غير مفتوح

#### أولا: قول العلامة الحداد

قال -رحمه الله تعالى -: "... وقد قرر الإمام الغزالي - وهو من علماء التشريح - أن الأذن منفذ غير مفتوح، فما يدخل منه لا ينفذ إلى الرأس ولا إلى الحلق والمعدة.  
وقد أكد الطب الحديث ما أفاده الإمام الغزالي، ولهذا فلا يفطر ما دخل فيها"<sup>(٣)</sup>.  
وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: "... والإمام الغزالي من الشافعية - وهو من علماء التشريح - قال: بأن الأذن ليس منفذا مفتوحا لا ينفذ منه شيء إلى الرأس، ورأيه هو الراجح؛ لما قرره الطب الحديث من القول بما يوافق رأيه، فالحق أن الأذن لا يفطر الصائم بدخول شيء فيه؛ لأنه لا ينفذ إلى الباطن بل يستقر فترة حتى يخرج"<sup>(٤)</sup>.

ثانيا: المعتمد عند الشافعية: أن الأذن منفذ مفتوح فيفطر الصائم بدخول شيء منه إلى

الرأس<sup>(٥)</sup>.

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار: ١٠ / ٥٨.

(٢) ينظر: شرح منتهى الإرادات: ١ / ٤٨٨؛ الشرح للممتع: ٦ / ٤٢٨.

(٣) فتاوى رمضان: ٢٠٦.

(٤) المرجع السابق: ٢١١ - ٢١٢.

(٥) ينظر: روضة الطالبين: ٢ / ٣٥٧؛ تحاية المحتاج: ٣ / ١٦٧.

**ثالثا: أقوال العلماء:** اختلف العلماء في الأذن هل هو منفذ مفتوح أم لا؟ على ثلاثة أقوال:

**القول الأول:** إن الأذن منفذ مفتوح؛ فيفطر الصائم بإدخال شيء عن طريقه سواء أكان دواء

أو دهنًا؛ وهذا مذهب جمهور الفقهاء من الأحناف، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وإن اختلفوا في دخول بعض الأشياء بخصوصها كالماء عند الأحناف<sup>(١)</sup>.

**ومما استدلووا به:** أن الأذن منفذ مفتوح إلى جوف؛ فيصل ما صب فيه إلى الدماغ فيغذي كما

يغذي الواصل إلى الجوف، وهو كالسعوط، فيفطر به<sup>(٢)</sup>.

**وأجيب عنه:** بأن الأذن ليس من المنافذ المفتوحة؛ لعدم نفاذ شيء من الأذن إلى الدماغ وإنما

الذي ينفذ يصل عن طريق المسام كوصول الكحل عن طريق العين إلى الحلق، ومثله الدهن الذي

يصل إلى البطن عن طريق مسام جلدة البطن عند دهنها مع تحقق وصوله ولا يفطر بهذا، وأما الذي

يصل عن طريق الأنف من سعوط وغيره فإنه يصل من منفذ مفتوح<sup>(٣)</sup>.

**القول الثاني:** أن الأذن لا يعتبر من المنافذ المفتوحة؛ فلا يفطر الصائم بإدخال شيء عن طريق

أذنه سواء أكان دواءً أو دهنًا، وهذا قول عند الشافعية، قال به أبو علي السنجي والقاضي حسين

والفورياني وصححه الغزالي وابن حزم<sup>(٤)</sup>.

**ومما استدلووا به:** أن الأذن ليس من المنافذ المفتوحة، فلا ينفذ من الأذن إلى الدماغ شيء،

وإنما الواصل إلى الدماغ يصل عن طريق المسام، وقد تقدم ذلك.

**رابعاً: النظر في الترجيح:** لا شك أن الفقهاء رحمهم الله يبنون مسألة التقطير في الأذن بوصوله

للجوف باعتبار أن الأذن منفذ مفتوح، وهي مسألة تشريحية طبية، يرجع فيها إلى أهل الاختصاص

(١) ينظر: حاشية ابن عابدين: ٤٠٢ / ٢؛ الفتاوى الهندية: ٢٠٤ / ١؛ الشرح الكبير: ٥٢٤ / ١؛ مواهب الجليل: ٣ / ٣٤٧؛ روضة الطالبين: ٢ / ٣٥٧؛ حاشية

الجمال: ٤ / ٣٦٤؛ المغني: ٣ / ٣٦؛ مطالب أولي النهي: ٢ / ١٩٢.

(٢) ينظر: البيان: ٣ / ٥٠١.

(٣) ينظر: البيان: ٣ / ٥٠١؛ بحر المذهب: ٢٨٥ - ٢٨٦؛ كفاية النبيه: ٦ / ٣١٤.

(٤) ينظر: الوسيط: ٢ / ٥٢٥؛ البيان: ٣ / ٥٠١؛ المجموع: ٦ / ٣١٥؛ الخلى: ٦ / ٢٠٣.

لمعرفة ذلك ، وقد أثبت الطب الحديث أن الأذن ليس منفذا مفتوحا، فالأذن تشريحيا تتكون من ثلاث مناطق : الأذن الخارجية ، الأذن الوسطى ، والأذن الداخلية، والأذن الوسطى وتسمى أيضاً التجويف الطبلي Tympanic Cavity عبارة عن تجويف مستطيل به هواء مغطى بغشاء مخاطي ، ويبدأ بطبلة الأذن التي هي عبارة عن غشاء رقيق شفاف جزئياً ، يبضي الشكل يفصل بين القناة السمعية الخارجية والأذن الوسطى ، وتعمل الطبلة كحاجز مهم يمنع دخول الأجرام الدقيقة الخارجية كالبيكتريا من الدخول إلى الأذن الوسطى أو الداخلية<sup>(١)</sup>.

وعلى ما سبق يكاد ينتهي الخلاف، وتتفق المذاهب على عدم إفساد الصيام بالتقطير في الأذن، وتبقى حالة تحرق طبلة الإذن فعند حوله تتصل الأذن بالبلعوم يمكن للدواء النفاذ عبر عن طريق قناة "استاكيوس" ومنه إلى التجويف البلعومي الأنفي فالحلق ويأتي حينئذ الخلاف فيه كالخلاف في التقطير عبر الأنف<sup>(٢)</sup>.

والذي قرره المجامع الفقهية هو القول بعدم التفطير بالتقطير في الأذن، لما سبق تقريره<sup>(٣)</sup>.

### المسألة الثامنة: القنوت في الوتر كل السنة

أولاً: قول العلامة الحداد: قال رحمه الله: "... وهذا فيه عموم في الوتر في السنة كلها؛ لأنه لم يحدد، وعلى هذا يجوز لك أن تقنت في آخر ركعة في الوتر في كل ليلة، وهذا عمل مجيد؛ لأنه دعاء عظيم"<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: المعتمد عند الشافعية: إن القنوت لا يستحب إلا في النصف الأخير من شهر رمضان<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: أثر التداوي في الصيام: ١٨٨؛ المفطرات في مجال التداوي: ١٤ ، ٣٦ .

(٢) وجهور الفقهاء على الفطر به ، ورأي المجمع الفقهي عدم الفطر. قرارات مجمع الفقه الإسلامي: ١ / ١٠٨ .

(٣) ينظر: قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي: ١ / ١٠٨؛ الندوة الفقهية الطبية التاسعة للعام ١٩٩٧م انظر: موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة: ٥٨٠ .

(٤) فتاوى رمضان: ٢٣٢ .



ثالثاً: أقوال العلماء: اختلف العلماء في وقت قنوت الوتر هل يشرع في كل السنة أو بعضها

أو لا يشرع مطلقاً؛ على أربعة أقوال:

القول الأول: يستحب القنوت في الوتر في جميع السنة؛ وهذا مذهب الأحناف، والمشهور

عند الحنابلة، واختاره الإمام النووي - رحمه الله تعالى - من الشافعية<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: النظر في الترجيح

١ - عن عبد الله بن مسعود قال: (بُتُّ مع النبي - ﷺ - لأنظر كيف يقنت في وتره، فقنت قبل

الركوع، ثم بعثت أُمِّي أم عبد فقلت: بيتي مع نساءه، فانظري كيف يقنت في وتره فأنتني، فأخبرتني:

أنه قنت قبل الركوع)<sup>(٣)</sup>.

وأجيب عنه: بأن فيه أبان بن أبي عياش وهو متروك<sup>(٤)</sup>.

٢ - عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر في القنوت

«اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني

شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»<sup>(٥)</sup>.

وفيه دلالة على أن القنوت يستحب في الوتر مطلقاً من غير تقييد بزمن.

وأجيب: بأن الحديث لم يصرح بالقنوت في جميع وتر السنة، وغاية ما فيه أن النبي صلى الله

عليه وسلم علمه كلمات يقولهن في الوتر<sup>(٦)</sup>.

ورد عليه: بأنه أطلق الوتر ولم يقيده بوقت دون وقت، فيحمل على إطلاقه<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: مغني المحتاج: ١/ ٢٠٥.

(٢) ينظر: بدائع الصنائع: ١/ ٢٧٣؛ البحر الرائق: ٢/ ٤٣؛ شرح الزركشي: ١/ ٢٣٢؛ الشرح الكبير على متن المقنع: ١/ ٧١٩؛ المجموع: ٤/ ١٥.

(٣) سنن الدارقطني: ٢/ ٣٢؛ السنن الكبرى: ٣/ ٤١.

(٤) ينظر: السنن الكبرى: ٣/ ٤١.

(٥) سنن أبي داود: (١٤٢٥) سنن الترمذي: (٤٦٤) وحسنه، سنن النسائي: (١٧٤٥) سنن ابن ماجه: (١١٧٨).

(٦) ينظر: النجم الوهاج: ٢/ ٢٩٩.

(٧) ينظر: البناية شرح الهداية: ٢/ ٤٨٩.

**القول الثاني:** القنوت في الوتر لا يستحب في جميع السنة؛ وهذا مشهور مذهب المالكية<sup>(١)</sup>.

ومما استدلوا به:

١ - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جمع الناس على أبي - رضي الله عنه - وصلى بهم عشرين ليلة ولم يقنت فيها في النصف الأول وقد تخلف في العشر الأخيرة فأقاموا معاذاً مكانه، فصلى بهم ما تبقى من الشهر، ففيه دلالة على أن ترك القنوت في النصف الأول إجماع بدليل عدم إنكارهم على أبي - رضي الله عنه - تركه في النصف الأول، فكذلك لا يسن في النصف الثاني اعتباراً بالأول، ولأن زمان رمضان لا يؤثر فيه زيادة الأدعية في الصلاة<sup>(٢)</sup>.

ويجاب عن هذا بثبوت القنوت أبي رضي الله عنه، ومتابعة الصحابة له، كما سيأتي.

٢ - عدم ثبوت حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في قنوت الوتر<sup>(٣)</sup>. وجوابه يعلم مما تقدم من ثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

**القول الثالث:** القنوت مستحب في النصف الأخير من رمضان؛ وهذا مذهب الشافعية،

ورواية عن المالكية<sup>(٤)</sup>.

ومما استدلوا به:

١ - حديث أنس قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقنت في النصف من رمضان إلى آخره)<sup>(٥)</sup>.

وأجيب عنه: بأنه ضعيف ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup>.

٢ - أثر أبي رضي الله عنه أنه كان يقنت في النصف الثاني من رمضان، واقتداء الصحابة به، وعدم

إنكارهم عليه<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: مواهب الجليل: ٢/ ٢٤٤؛ حاشية الدسوقي: ١/ ٢٤٨.

(٢) المعونة على مذهب عالم المدينة: ٢٤٧.

(٣) ينظر: الاستنكار: ٢/ ٧٧؛ نيل الأوطار: ٣/ ٥١.

(٤) ينظر: المجموع: ٤/ ١٥؛ الذخيرة: ٢/ ٢٣٠؛ المختصر الفقهي: ١/ ٤١٧.

(٥) السنن الكبرى للبيهقي: ٢/ ٤٩٩.

(٦) ينظر: نصب الراية: ٢/ ١٢٦.

**القول الرابع:** القنوت يستحب في كل السنة إلا في النصف الأول من شهر رمضان؛ وهذا

قول الحسن، و قتادة، ومعمر<sup>(٢)</sup>.

**ومما استدلووا به:** حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وفيه أنه كان يترك القنوت في النصف الأول من

رمضان ويقنت في النصف الثاني منه، وقد تقدم الكلام عليه.

**رابعاً: النظر في الترجيح:** يبدو أن ما اختاره شيخنا العلامة الحداد من استحباب قنوت الوتر

في كل ليلة أظهر لأمر، منها:

١- ثبوت أحاديث مرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قنوت الوتر، ومن أشهرها حديثان:

(الأول): حديث أبي بن كعب: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث ركعات، كان يقرأ في

الأولى بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة بقل هو الله أحد، ويقنت

قبل الركوع<sup>(٣)</sup>، وما ذكره الإمام أبو داود وغيره من رواية من رواه من غير ذكر القنوت، لا يرد رواية

من رواه من الثقات بإثباته فهي زيادة ثقة، فلا يصير سكوت من سكت عنه حجة<sup>(٤)</sup>.

(الثاني) وهو عمدة أحاديث الباب، وهو حديث الحسن بن علي السابق في تعلمه من النبي

صلى الله عليه وسلم دعاء قنوت الوتر، وقد صححه وقواه جماعة من الأئمة منهم: الترمذي، والحاكم، والنووي،

والعراقي، والبوصيري، والهيثمي، وابن الملقن، وغيرهم<sup>(٥)</sup>، فالحديث مروى من طرق متعددة، وهو

(١) ينظر: موطأ مالك برقم (٣٨١) صحيح ابن خزيمة: برقم (١١٠٠).

(٢) ينظر: مختصر كتاب قيام الليل: ٣١٦؛ الشرح الكبير على متن المقنع: ١/ ٧١٩.

(٣) سنن أبي داود: (١٤٢٧) والنسائي: (١٦٩٩) وابن ماجه: (١١٨٢) ضعفه أبو داود عند حديث رقم (١٤٢٧)، وابن الملقن في البدر المنير: ٤/ ٣٣٠؛ و صححه العراقي في المعنى عن حمل الأسفار: ١٨٣؛ وابن الترمذي في الجوهر النقي: ٣/ ٤٠؛ و صححه الألباني في إرواء الغليل برقم (٤٢٦) وأبو الحسن عبيد الله الرحباني في مرعاة المفاتيح: ٤/ ٢٨٨.

(٤) ينظر: الجوهر النقي: ٣/ ٤٠؛ المعتصر من مشكل الآثار: ١/ ٦١؛ بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام: ٥/ ٣٥٢؛ شرح سنن ابن ماجه: ١/ ٨٣؛ شرح سنن أبي داود: ٥/ ٣٤٢؛ وانظر تفصيل ذلك في رسالة الأحاديث والآثار الواردة في قنوت الوتر: ٢١.

(٥) ينظر: سنن الترمذي عند حديث رقم (٤٦٤)، مستدرک الحاكم عند حديث رقم (٤٨٠١)؛ تحفة المحتاج: ١/ ٣٠٩؛ إتحاف الخيرة: ٢/ ٣٩٥؛ المجموع: ٣/ ٤٧٩؛ والخلاصة حديث رقم (١٤٩٩)؛ مجمع الزوائد: ٥/ ٤٤١؛ الجوهر النقي: ٣/ ٤٠.

ثابت بفضل الله تعالى، والأمر كما قال الإمام ابن خزيمة: (ولو ثبت الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بالقنوت في الوتر أو قنت في الوتر لم يجز عندي مخالفة خبر النبي ﷺ)<sup>(١)</sup>.

وقد أفرد الدكتور محمد عمر بازمول دراسة وافية لروايات وآثار قنوت الوتر، ومما نتج عن البحث ثبوت حديث الحسن في قنوت الوتر<sup>(٢)</sup>.

٢- ثبوت قنوت الوتر الدائم عن جماعات من الصحابة رضي الله عنهم مما يدل على أن قنوت الوتر كان معهودا بينهم، روى علقمة: (أن ابن مسعود وأصحاب النبي ﷺ كانوا يقنتون في الوتر قبل الركوع)<sup>(٣)</sup>. وهذا الأثر يدل على أن أكثرهم كان يقنت، وإلا فقد ثبت عن بعضهم عدم القنوت مطلقاً، وعن بعضهم القنوت في النصف الأخير من رمضان<sup>(٤)</sup>.

٣- القنوت في النصف الأخير من رمضان يكاد يكون موضع إجماع من عهد الصحابة رضي الله عنهم، قال ابن عبد البر: وهو عمل ظاهر بالمدينة في ذلك الزمان في رمضان لم يأت عن أحد منهم إنكاره<sup>(٥)</sup>.

وهل تركهم القنوت في النصف الأول دال على عدم استحبابه فيه؟ الظاهر نعم، ولعل القول بأن الرجل إن كان إماماً ترك القنوت في النصف الأول، وإن صلى لنفسه فعله سائر العام أظهر، وهو ما جاء عن الحسن البصري " أنه كان يقنت في السنة كلها إلا النصف الأول من رمضان إذا كان إماماً، إلا أن يصلي وحده، فكان يقنت في رمضان كله، في السنة كلها" وكان معمر بن راشد يأخذ بذلك<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح ابن خزيمة: ١٥٢ / ٢، مع تضعيف ابن خزيمة للحديث.

(٢) ينظر: الأحاديث والآثار الواردة في قنوت الوتر رواية ودراية.

(٣) رواه ابن أبي شيبة: ٩٧ / ٢؛ قال ابن حجر: إسناده حسن، الدراية: ١ / ١٩٤؛ وصححه ابن الركناني في الجوهر النقي: ٤٠ / ٣.

(٤) ينظر: الأحاديث والآثار الواردة في قنوت الوتر رواية ودراية: ٥ - ٢٩.

(٥) ينظر: الاستنكار: ٧٧ / ٢؛ سبل السلام: ١٥٩ / ٢؛ واعترض الشوكاني على دعوى الإجماع فيه، نيل الأوطار: ١٠٣ / ٥.

(٦) مختصر كتاب قيام الليل: ٣١٦؛ وانظر: مصنف ابن أبي شيبة: ٩٩ / ٢.

## المسألة التاسعة: إخراج زكاة الفطر بغير نية

أولاً: قول العلامة الحداد: سئل رحمه الله: " مجموعة من الإخوة مصروفهم في المعيشة واحد فقام أحدهم بإخراج زكاة الفطر عن نفسه وعن إخوانه بدون إذن منهم، وهو بالطبع يعتقد رضاهم فهل تجزيهم الفطرة أو لا بد من إذنهم؟

وأجاب بقوله ... ومع كل هذا لو نظرنا إلى الهدف الذي من أجله أمر الشارع بإخراج الفطرة، وهو إسعاف المحتاجين في هذا اليوم العظيم، وهو يحصل بإخراج الأخ الأكبر عن بقية إخوانه فيما مضى، ويحسن منه في المستقبل أن يأخذ بالاحتياط فيأخذ الإذن منهم باعتبار العبادة" (١).

ثانياً: المعتمد عند الشافعية: اعتمد الشافعية أن النية شرط لأداء الزكاة، فلا يصح أن يخرج المكلف الزكاة بغير نية، وإذا أخرجها من دون نية فلا تسقط عنه بل تبقى في ذمته (٢).

ثالثاً: أقوال العلماء: اختلف العلماء في حكم إخراج الزكاة بغير نية على قولين:

القول الأول: ذهب عامة العلماء إلى أن النية شرط في أداء الزكاة؛ وهذا مذهب الأحناف، والمالكية، والشافعية، والحنابلة (٣).

ومما استدلوا به: عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ (إنما الأعمال بالنية وإنما لكل امرئ ما نوى) (٤).

وأجيب عنه: بأن هذا في العبادات، وأما الزكاة فإنها ذين لا تجب النية لها كما في سائر الديون، فيخرجها الولي عن اليتيم ويأخذها الحاكم من الممتنع (٥).

ورد جوابهم من وجهين (١):

(١) فتاوى رمضان: ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) ينظر: أسنى المطالب: ١/ ٣٨٩؛ بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم: ٥١٨.

(٣) ينظر: الدر المختار: ٢/ ٢٥٨؛ شرح مختصر خليل: ٢/ ٢٢٢؛ بشرى الكريم: ٥١٨؛ المغني: ٢/ ٥٠٢.

(٤) صحيح البخاري: برقم (٤٥) صحيح مسلم: برقم (١٩٠٧).

(٥) ينظر: المغني: ٢/ ٥٠٢.

- ١ - أن الحديث صرح بـ (إنما الأعمال بالنيات) وأداء الزكاة عمل فيفتقر إلى نية.
- ٢ - إن أداء الزكاة عبادة منها الفرض ومنها النفل فافتقرت إلى نية كالصلاة، وتفتقر مع قضاء الدين بأنها عبادة وهو ليس بعبادة؛ لأنه يسقط بإسقاط مستحقه له، وأما أن الولي والحاكم ينوبان في ذلك فإنه للحاجة.
- ٣- أن الدين ليس عبادة وإن كان فيه حق لله تعالى وبهذا يسقط بإسقاط صاحبه فالمغلب فيه حقه.

**القول الثاني:** لا تشترط النية عند أداء الزكاة؛ وهذا القول حكى عن الإمام الأوزاعي<sup>(٢)</sup>.  
**وممكن أن يستدل له:** إن أداء الزكاة تعتبر ديناً فلا يجب لإخراجها نية كسائر الديون، وقد تقدم الكلام عليه عند الكلام على أدلة القول الأول.

#### رابعاً: النظر في الترجيح: بعد إيراد ما تقدم نلحظ الآتي:

- ١- أن وجوب النية في أداء الزكاة دلالة حديث (إنما الأعمال بالنيات) السابق عليها ظاهرة، فقوله "إنما الأعمال بالنيات" فهذا التركيب يفيد الحصر عند المحققين، والأعمال جمع محلي بالألف واللام مفيد لاستغراق الجنس، فيدخل فيه جميع الأعمال من الصوم والصلاة والزكاة والحج والوضوء وغير ذلك مما يطلب فيه النية عملاً بالعموم، فهو دليل على أن سائر العبادات لا تصح إلا بنية، قال الخطابي: "معناه أن صحة أحكام الأعمال في حق الدين إنما تقع بالنية، وأن النية هي الفاصلة بين ما يصح وما لا يصح"<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: المجموع شرح المذهب: ٦ / ١٨٠؛ المعنى: ٢ / ٥٠٢.

(٢) ينظر: المجموع شرح المذهب: ٦ / ١٨٠؛ المعنى: ٢ / ٥٠٢.

(٣) ينظر: طرح الثريب في شرح التقريب: ٢ / ٦؛ عمدة القاري: ١ / ٣٠؛ فتح الباري: ١ / ١٢.

٢- أن وجوب النية للزكاة كالإجماع من الفقهاء<sup>(١)</sup>، وما حكي عن الإمام الأوزاعي شاذ، كما صرح به النووي رحمه الله<sup>(٢)</sup>.

٣- أشار الشيخ في فتواه إلى مقصد شرعية الزكاة، وكأن الشيخ أراد تلك الحالة المحددة، وليس بصدد تقرير عدم وجوب النية، لذلك أشار بقوله: " ويجسن منه في المستقبل أن يأخذ بالاحتياط فيأخذ الإذن منهم باعتبار العبادة "، فالظاهر اعتبارها حالة عين ليست للعموم، والله أعلم. هذه تسع مسائل هي مختارات شيخنا الحداد في باب الصيام في كتاب وفتاوى الصيام<sup>(٣)</sup>، وتراث الشيخ بحاجة إلى جمع أولاً ثم استخراج تلك المختارات التي تعد خلاصة فقهه ونتائج بحثه وفتاواه ومناقشاته فيما يقرب من ثلث قرن.

## الخاتمة:

### أولاً: أهم النتائج والتوصيات

١. برز في القطر اليماني عموماً وحضرموت خصوصاً أعلام وفقهاء، تركوا إرثاً علمياً زاخراً، واختيارات فقهية مثلت نضج الحس الفقهي، وحقيق بما أن تأخذ مكانها عند الباحثين وعند التقنين.
٢. العلامة السيد عبد الله بن محفوظ الحداد أحد أعلام حضرموت، عاش ما بين (١٩٢٣-١٩٩٦م)، جمع بين الفقه والفتوى والقضاء، ومارسها ما يقارب من نصف قرن، كما جمع بين الفقه التقليدي والدراسة الأكاديمية فكون بذلك عقلية فقهية ناضجة متحررة متوازنة ظهر أثرها في فتاويه واختياراته العلمية.

(١) قال ابن المنذر في الأوسط: ٢/ ٣٧: لا يجزئ التيمم ولا أداء شيء من الفرائض إلا بنية، وينظر: الإقناع في مسائل الإجماع: ١/ ١٩٤.

(٢) المجموع شرح المهذب: ٦/ ١٨٠.

(٣) هناك مسائل في كتاب الصيام وفتاويه ذكرها الشيخ بما على جهة الاحتياط فليست خروجاً عن المذهب، ومنها الصوم أو إخراج الفدية عن من توفي ولم يتمكن من القضاء احتياطاً ص (١٦٢)، وجواز إخراج زكاة الفطر دقيقاً فإنه لم يجز به هنا في الصوم ص (٢٦٠).

٣. درس العلامة الحداد القضاء، وتدرج في السلم القضائي، قاضيا، ثم رئيسا لمحكمة الاستئناف بالمكلا، ثم رئيسا للمجلس العالي للقضاء بمضرموت.
٤. ترك العلامة الحداد كثيرا من المؤلفات والفتاوى التي ناقشت أوضاع عصره بروح الفقيه الواعي لواقع عصره، منها كتاب "الوجيز في أحكام الصيام ومعه فتاوى رمضان" وهو كتاب بحثنا هذا في اختياراته.
٥. تميزت شخصية العلامة الحداد بالجمع بين الأصالة والمعاصرة، وموازنة حكيمة للأفكار والمقالات الفقهية، وتوجه للتوسط والتحرر من ريقه التقليد المحض، مع استيعاب لروح مقاصد الشريعة الغراء.
٦. منهج الاختيار عند العلامة الحداد كانت يعتمد على الآتي:
  - أ- قاعدة التيسير ما دامت المسائل مجرد آراء وأفهام ليس فيها نص شرعي ملزم.
  - ب- الاتباع لظاهر الدليل الشرعي غير المعارض.
  - ج- مراعاة مقاصد الشريعة الغراء.
  - د- الترجيح بما ثبت علميا من العلوم الحديثة، وعلوم الطب التي تبين بما رجحان بعض المسائل الفقهية.
٧. المسائل المختارة للعلامة الحداد في باب الصيام تسع مسائل، وهي على النحو الآتي:
  - الأولى: جواز تقديم فدية الصيام للعاجز من أول شهر رمضان.
  - الثانية: عدم قضاء صوم المعفى عليه.
  - الثالثة: جواز صوم الحائض أيام نقائها.
  - الرابعة: أكثر النفاس أربعون يوما.
  - الخامسة: الصفرة والكدرة ليست حيضا بعد الطهر.
  - السادسة: جواز القبلة للصائم عند أمن الشهوة.



السابعة: الأذن منفذ غير مفتوح.

الثامنة: القنوت في الوتر كل السنة.

التاسعة: إخراج زكاة الفطر بغير نية.

### ثانياً: أهم التوصيات

١. توجيه عناية الباحثين لدراسة اختيارات أعلام علماء اليمن وعلماء حضرموت خصوصاً لما لاختياراتهم من الأهمية في رفق مسيرة الفتوى والتقنين.
٢. العناية بجمع تراث العلامة الحداد، وتوجيه طلاب الدراسات العليا لدراسة مختاراته العلمية وإخراجها لاستفادة العلماء والباحثين منها.

### المصادر والمراجع:

١. الأشقر، عمر. الحيض والنفاس بين الفقه والطب. دار النفائس. ط١، ١٤١٣ هـ.
٢. الأصبحي، مالك بن أنس (المتوفى: ١٧٩هـ)، موطأ الإمام مالك، صححه وعلق عليه: مُجَدِّ فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.
٣. باعشن، سعيد بن مُجَدِّ (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، بُشْرَى الكرم بشرح مسائل التَّعليم، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٤. البخاري، مُجَدِّ بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط٣، ١٤٠٧ - ١٩٨٧،
٥. البيزوي، علي بن مُجَدِّ، أصول البيزوي، مطبعة جاويد بريس - كراتشي.
٦. البغدادي، عبد الوهاب بن نصر المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ) المعونة على مذهب عالم المدينة، تحقيق: حميش عبد الحق، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز - مكة المكرمة.

٧. البهوتي، منصور بن يونس (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الروض المربع شرح زاد المستنقع، تحقيق: سعيد مُجد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
٨. البيهقي، أحمد بن الحسين، والتركماني، علاء الدين علي بن عثمان، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط ١، ١٣٤٤هـ.
٩. الترمذي، مُجد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م.
١٠. الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (المتوفى: ٤٧٨هـ)، نهاية المطلب في دراية المذهب، حققه: عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.
١١. الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١ - ١٩٩٠.
١٢. ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد المحلى بالآثار، دار الفكر - بيروت.
١٣. الحصكفي، علاء الدين، الدر المختار، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤ م.
١٤. الخطاب، شمس الدين مُجد المغربي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، تحقيق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، طبعة خاصة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.
١٥. ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م.
١٦. الخرشبي على مختصر سيدي خليل، دار الفكر للطباعة، بيروت.
١٧. ابن خزيمة، مُجد بن إسحاق (المتوفى: ٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. مُجد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٨. ابن رشد، أبو الوليد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، بداية المجتهد، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٩. ابن الرفعة، أحمد بن محمد الأنصاري (المتوفى: ٧١٠هـ)، كفاية النبيه في شرح التنبيه، تحقيق: مجدي محمد سرور باسلوم، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٩م.
٢٠. الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢١. الرملي، شهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري (المتوفى: ٩٥٧هـ)، فتاوى الرملي، جمعها: ابنه شمس الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، المكتبة الإسلامية.
٢٢. الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد (ت ٥٠٢هـ)، بحر المذهب، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٩م.
٢٣. الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٢٤. الزيلعي، جمال الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ)، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الأملعي في تخريج الزيلعي، قدم للكتاب محمد يوسف البُنُوري، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز، الديوبندي الفنجاني، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة - السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٢٥. الزيلعي، فخر الدين، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٣١٣هـ.
٢٦. السجستاني، سليمان بن الأشعث (المتوفى: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٢٧. السيواسي، كمال الدين مُجَّد بن عبد الواحد، شرح فتح القدير، دار الفكر، بيروت.
٢٨. الشربيني، مُجَّد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر، بيروت.
٢٩. الشوكاني، مُجَّد بن علي، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، إدارة الطباعة المنيرية.
٣٠. الصنعاني، عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٤٠٣.
٣١. ابن عابدين، علاء الدين مُجَّد بن مُجَّد أمين، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٣٢. عليش، مُجَّد، منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣٣. العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير (المتوفى: ٥٥٨هـ)، البيان في مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: قاسم مُجَّد النوري، دار المنهاج - جدة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٣٤. العيني، محمود بن أحمد الغيتابي بدر الدين (المتوفى: ٨٥٥هـ) البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
٣٥. قدامة المقدسي عبد الله بن أحمد، المغني، دار الفكر - بيروت، ط١، ١٤٠٥م.
٣٦. ابن قدامة المقدسي، شمس الدين أبي الفرج (المتوفى سنة ٦٨٢)، الشرح الكبير على متن المقنع، تحقيق: الشيخ مُجَّد رشيد رضا، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع - بيروت.
٣٧. القرافي، شهاب الدين أحمد، الذخيرة، تحقيق: مُجَّد حجي، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٤م.
٣٨. القشيري، مسلم بن الحجاج (المتوفى: ٢٦١هـ) صحيح مسلم، تحقيق: مُجَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩. الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢.
٤٠. ابن اللحام البعلي، علاء الدين (المتوفى: ٨٠٣ هـ)، القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٤١. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (المتوفى: ٤٥٠ هـ)، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، : دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٤٢. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر (المتوفى: ٨٠٤ هـ)، البدر المنير في تخریج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٤٣. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ.
٤٤. ابن نجيم الحنفي، زين الدين (ت ٩٧٠ هـ)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار المعرفة، بيروت.
٤٥. النسائي، أحمد بن شعيب (المتوفى: ٣٠٣ هـ) سنن للنسائي الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، : مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط٢، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
٤٦. نظام وجماعة من علماء الهند، العالم كبرى، الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، دار الفكر، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٤٧. النمري، أبو عمر بن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى العلوي، مُجدد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.

٤٨. النووي، محيي الدين، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٩. النووي، محيي الدين (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المجموع شرح المذهب، دار الفكر.

٥٠. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ)، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، تحقيق: حسين الجمل، مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥١. الهيتمي، أحمد ابن حجر، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، (مع الحواشي)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

## المجتمع المدني .. الوظيفة والرهان

أ.م.د. محمد الكامل<sup>(\*)</sup>

### الملخص:

تتناول الدراسة المجتمع المدني، والذي حظي باهتمام متزايد؛ بعد فشل آليات الدولة والسوق، من خلال رؤية نقدية حول المفهوم، وعن السياق العام لنشأته والاهتمام الواسع به، والرهان على وظيفته السياسية في الحد من تسلط الدولة، وترسيخ الديمقراطية وتوسيع المشاركة، وعن علاقته بالأحزاب السياسية، وكذلك وظيفته في عملية التنمية والتخفيف من الفقر، وفي دعم النظام الاجتماعي، ونشر قيم التسامح والتعايش ونبذ العنف وضمان الحقوق، وتوصلت الدراسة إلى أن الرهانات على المجتمع المدني وفاعليته تتوقف على بنيته، وعلى مستوى التطور السياسي والاقتصادي والثقافي للمجتمع، والتي تختلف من مجتمع لآخر.

الكلمات المفتاحية: المجتمع المدني، الديمقراطية، الأحزاب، السوق، القيم الاجتماعية.

### The Civil Society... Functions and Stakes

#### **Abstract:**

The study deals with civil society, which has acquired great attention after the failure of the state and market mechanisms, through a critical view of on the concept, the

<sup>(\*)</sup> استاذ علم الاجتماع المشارك - جامعة صنعاء.

general context of its rise and wide attention to it betting on its political function in decreasing the state's domination, consolidating democracy and increasing participation. It also sheds light on its relationship with political parties, as well as its function in the process of development and poverty alleviation, on supporting the social system, spreading values of tolerance, coexistence, rejection of violence in addition to guaranteeing rights. The study concluded that the stakes on the civil society and its efficiency depends on its structure, and on the level of political, economic and cultural development of the society that differs from one society to another.

**Keywords:** Civil Society; Democracy; Parties; Market; Social Values.

#### مقدمة:

تزايد الاهتمام بالمجتمع المدني مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحالي؛ إذ يعتبره البعض حلاً للمشكلات التي تعاني منها المجتمعات، وعقدت عليه الآمال؛ كطريق للنجاح المجتمعي بعد فشل ممارسة الدولة وممارسة السوق المنفردة، والطموح في التخفيف من توحش السوق ومن استبداد وتسلط النظام، ويتوقع من المجتمع المدني أن يحدث نقلة في التحول الديمقراطي؛ بوصفه حاملاً لإمكانيات التغيير، ولا يكفي أن ينتقد العجز الديمقراطي، وإنما الضغط والمطالبة بنظام ديمقراطي يمارس في مختلف مجالات الحياة، وتدور النقاشات وتستمر حول المجتمع المدني في طرح قضاياها وتُفسر الآراء بقليل من الاتفاق وكثير من الاختلاف، والمقولات المتناقضة أحياناً والمتكاملة أحياناً أخرى، لتفتح النقاش وتطرح التساؤلات؛ مما يفرض الحاجة لتحليل نقدي يزيل التشويش، ويكشف الغموض، بدءاً من التعريف ونطاق العمل، ومن يدخل فيه ومن يخرج من توصيفه حسب التوجهات الفكرية، وحول



وظائف وعلاقات المجتمع المدني؛ كنظرة أيديولوجية ومنطلقات فكرية، تنزع نحو قيم الحرية الفردية والمساواة، وعلى تقليص فجوة التفاوت الاجتماعي، والحد من سطوة الإعلام وهيمنة الثقافة؛ كآليات تعيق خيارات الفرد، ومن فرض ديمقراطية الأكتية وعدم مراعاة حقوق الأقلية.

**أهمية موضوع الدراسة:** تأتي الأهمية من تضمين المجتمع المدني في الكثير من الخطابات السياسية والتنموية، وفي أدبيات المنظمات الدولية، كما فرض حضوره كمفهوم اهتمام العلماء والمفكرين، والنظر إلى أن المجتمع المدني يمثل حلا لما تعانيه المجتمعات؛ كما كان دور الدولة القومية مهماً، وما زالت ثمار المجتمع المدني أقل من المأمول، وحتى لا يرتد ذلك مستقبلاً بحية أمل، نتناول أدبيات وممارسة المجتمع المدني على الواقع، وكيفية تنزيله من الفكر والتجريد إلى التطبيق وفق السياق الاجتماعي، وإلى ضرورة إجراء المزيد من الدراسات.

**أهداف الدراسة:** تهدف الدراسة للتعرف على السياق الذي نشأ فيه مفهوم المجتمع المدني، وعن أسباب تزايد الاهتمام به على المستويين الفكري والسياسي، والتعرف على وظائف المجتمع المدني، والرهانات التي توضع على عاتقه، وبما يحمله من مبادئ وقيم.

**تساؤلات الدراسة:** تناقش الدراسة التساؤل الرئيس: ما إمكانية الرهان على وظيفة المجتمع المدني في المجتمع؟ ومن خلال التساؤلات الفرعية الآتية: ما المجتمع المدني؟ وما السياق التاريخي لنشأته والاهتمام به؟ وما الوظائف التي يراهن عليه القيام بها في المجتمع؟

**منهجية الدراسة:** نتناول الموضوع برؤية نقدية؛ كمنهجية تلائم موضوع الدراسة، وبعرض الآراء حول المجتمع المدني وممارساته، وما خرجت به بعض الدراسات في مواضيع معينة ومناطق جغرافية محددة وفترات زمنية مختلفة؛ للحاجة لرؤية نقدية تقوم على الجدل والسجال، والخروج من حالة التشويش والتوصل لحد ما - إلى الوثوقه، وبعيداً عن النظرة الاحتفائية والمبالغة فيها أو تضخيمها.

**تقسيم الدراسة:** أولاً: تعريف المجتمع المدني.

ثانياً: المجتمع المدني: السياق الاجتماعي والتاريخي.

ثالثاً: الرهانات على وظائف المجتمع المدني.

### أولاً: تعريف المجتمع المدني

يمثل تعريف المجتمع المدني إشكالية كمفهوم اجتماعي "قابل للجدل"، يتسع ويضيق؛ فيعرف بالوظيفة عند البعض، وبالغاية عند آخر؛ فهو عند روسو نقيض المجتمع الديني، ويعرف معهد كاتو المجتمع المدني بأنه يعمل على تقليل دور السياسة في المجتمع، وتوسيع الأسواق الحرة ونطاق الحرية الفردية، (إدواردز\_٢٠١٥\_ص١٨) ولم يعد الصراع سياسياً أو عبر مؤسسات حزبية أيديولوجية؛ بل صراع ثقافي، والتعدد يقوم على العامل الاجتماعي والثقافي، والوصول إلى السلطة لم يعد هدفاً، وإنما الممارسة عبر المشاركة في صناعة القرار والتأثير على متخذه، ويعرف معهد المدافعة للمجتمع المدني؛ بأنه أفضل طريق للعمل السياسي في عالم ما بعد الحرب الباردة، وأنه يحمي من ينتظمون للحد من استبداد السلطة، ويمثل البديل للدولة التسلطية والسوق المستبد، ويعتبر مفكرو الطريق الثالث المجتمع المدني التصحيح لمسار متعاقب من فشل الدولة والسوق، وحلقة لنجاح الديمقراطية الاجتماعية، كما أن المجتمع المدني وحدة وأداة تحليل تكشف الغموض الذي يكتنف النظام الاجتماعي، ويعده البنك الدولي أحد أدوات ومفاتيح الحوكمة، والنمو الهادف إلى التخفيف من الفقر. (إدواردز\_٢٠١٥\_ص١٩).

وهنالك مفهوم واسع للمجتمع المدني يشمل جميع المؤسسات خارج إطار الدولة، من الأحزاب والسوق، والمجموعات التي تدافع عن مصالح محددة؛ كالنقابات والاتحادات العمالية والمهنية والغرف التجارية وجمعيات رجال الأعمال والمؤسسات الدينية والتعليمية والبحثية والطلابية والثقافية والفنية حتى جمعيات الكورس والأندية الرياضية والجماعات المحلية.

وتعريف يركز على الهدف بأن المجتمع المدني هو: "مجمّل التنظيمات غير الإريثة وغير الحكومية، وتنشأ لخدمة المصالح العامة أو المبادئ المشتركة لأعضائها"؛ (إبراهيم\_١٩٩١\_ص١٤) أي أنّها طوعية وتتمتع بدرجة من الاستقلال\_غير حكومية\_، وتتمتع بمكانة وسطى بين الدولة من جهة والمجتمع من جهة أخرى، ولا تهدف إلى تحقيق الربح، وما يميّزها أنّها تمارس قدرًا من الديمقراطية داخلها، وتدعو إلى قبول التعدد والاختلاف وممارسة التفاوض والحوار والوصول للتسويات والصفقات، ويطرح تساؤل عن إمكانية اعتماد مفهوم المجتمع المدني في الكتابات الغربية، والذي يختلف سياق تطوره عن سياق تطور المجتمع العربي، (الصلاحى\_٢٠٠٢\_ص٢٩) وتساؤل آخر ارتبط باستخدام المفهوم وأحد إشكاليته، هل المجتمع المدني بالضرورة مجتمع ديمقراطي؟ (هلال & مسعد\_٢٠٠٥\_ص١٧) وتلازم المجتمع المدني والديمقراطية يدعو إلى تعريفها بصيغة التعدد ما دام يتأسس على التعدد، ومادام المجتمع المدني هو حقل تدبير الاختلاف والمطالب المتنوعة، وتُعبّر الحاجة إلى المجتمع المدني عن تطور في مسيرة الصراع التاريخي بين القوى الاجتماعية والسياسية، أو هي حالة زمنية عابرة مرتبطة بالشعار الذي سيختفي في القريب. (شكري\_٢٠٠٨\_ص٢٥)

نحن أمام مواقف متباينة عن المجتمع المدني؛ كمفهوم فضفاض يخلق إرباكًا وتشويشًا ويحمل تناقضًا واضحًا، وهو واحد من القطاعات الثلاثة إلى جانب الدولة والسوق، منفصلاً عنها ومستقلًا، وأحيانًا يكون متداخلًا معها، ويذهب البعض إلى أنّ الحدود والعلاقات المتبادلة غير واضحة بينها تتخللها هجائن من أنواع متعددة بشكل متزايد؛ بينما يرى آخرون أنّ روابط معينة فقط تشكل جزءًا من المجتمع المدني؛ لأنّها طوعية وديمقراطية تنطبق عليها مجموعة من المعايير، ويصر آخرون على أنّ الروابط كافة مؤهلة للعضوية؛ بما فيها الروابط التقليدية القائمة على الوراثة، وهنا" تثار التساؤلات هل العائلة داخل المجتمع المدني أم خارجه، وماذا عن قطاع الأعمال؟ وهل المجتمع المدني محصن ضد الدولة؟ أم هو داعم لإصلاح الجهاز الحكومي، أم أنه يعتمد على تدخل الدولة للحفاظ على

وجوده؟ وهل هو مفتاح حرية الفرد من خلال تجربة التعدد المضمونة، أم يشكل تهديداً للديمقراطية من خلال سياسة ذات مصالح خاصة. " (إدواردز\_٢٠١٥\_ص١٩)

يرجع تعدد وتباين مفهوم المجتمع المدني إلى الاختلاف في المرجعيات الفكرية والإيديولوجية، واستخدام المفهوم عند الرواد في القرن الثامن عشر يرتبط بنظريات فلسفية وسياسية اجتماعية متميزة عن بعضها، ومختلفة في الغاية والمعنى اللذين يشكلان أساساً وإطاراً لاستخدام المفهوم؛ لذا يكون التاريخ الفكري بمثابة العمود الفقري لتوضيح المفهوم والوظيفة التي يقوم بها. (كومار\_٢٠٠١\_ص٤٤)

#### ثانياً: المجتمع المدني: السياق الاجتماعي والتاريخي

ظهر مفهوم المجتمع المدني في الفكر اليوناني متلازماً مع قيام دولة المدينة، إذ شكّلت الدولة مفهوماً مدنياً من المجتمع، وحددت متطلبات المواطنة، وظلت الفكرة على نفس المسار في العصور الوسطى، من تداخل بين المجتمع المدني والدولة، و كان هذا التداخل لأن الناس كانوا يعيشون في مجتمع يحتكم للقانون وتحميه الدولة، وفي القرن الثامن عشر بدأ رسم الحدود بين الدولة والمجتمع المدني ليتخذ المجتمع المدني حالة مغايرة، ويصبح المجتمع المدني أداة نقدية لإصلاح الوضع الإنساني من تأثير التغير الاجتماعي، وازدهار اقتصاد السوق، وبفعل أزمة النظام الاجتماعي، وتمايز المصالح وحدت التفاوت الاجتماعي، وعندما حلت مجتمعات محلية من الغرباء محل مجتمعات محلية من الأقارب والجيران، وأهيار النظرية التقليدية للسلطة نتيجة الثورتين الفرنسية والأمريكية؛ ليكون المجتمع المدني من منتجات الدولة القومية والرأسمالية، أو تعبيراً عالمياً عن الحياة الاجتماعية لأفراد عاملين وناشطين في جميع البلدان، وفي مراحل التطور كافة، والتغيير يجري بطرائق مختلفة وفق السياق التاريخي والثقافي، ولما كانت الدولة في البلاد النامية نتاجاً لفترة الاستعمار، ويتميز اقتصاد السوق فيها بالهشاشة، فإن المجتمع المدني في هذه البلدان؛ لا بد أن يكون مختلفاً عن أمثاله في الغرب، واعتبر مفكرو الأنوار أن

المجتمع المدني خط دفاع ضد تجاوزات الدولة غير المبررة على حقوق الفرد وحياته؛ التي نالها بواسطة الجمعيات الطوعية، وكان ينظم ذاته بروابط ملتزمة بالأهداف والقيم التي تحميه من الدولة، ومن أجل الحفاظ على دوره في مقاومة الاستبداد.

برز التأصيل للمجتمع المدني في فلسفة الحق ونظريات العقد الاجتماعي، وتطور على يد (هيجل)، الذي ميز بين المجتمع المدني بوصفه شبكة من التفاعلات القائمة على العرف والعادات والتقاليد، وبين الدولة كمجموعة المؤسسات السياسية والقانونية؛ التي يمارس المجتمع المدني في إطارها التفاعلات والعلاقات التي تربط بين المواطنين بحسب رغباتهم ومصالحهم، ويعتبر هيجل الدولة روح عارفة فوق مادية المجتمع المدني، (الصلاحى\_٢٠٠٢\_ص٢٩) و"شكل الدولة وطبيعتها هو نتاج للطريقة التي يتشكل بها المجتمع المدني، الذي يقف بين المواطنين والسلطة، ويمثل مصالح المواطنين مع الدولة، والصراعات التي تحدثها تلك العمليات داخل المجتمع المدني تؤدي إلى تدميره في حالة غياب الدولة القوية، ونظرة هيجل إلى وجود الدولة إنما لحماية المصالح العامة\_ كما تحددها هي\_ من خلال التدخل في أنشطة المجتمع المدني." (الحشت\_٢٠١٤\_ص٥٦) ليكون المجتمع المدني عند هيجل مجالاً موازياً للدولة ومنفصلاً عنها، يأتي هذا التفسير في السياق الاجتماعي والاقتصادي مع صعود البرجوازية، وتوسع الملكية الخاصة والمنافسة، وتزايد المطالب الشعبية بالحرية.

يعتبر (ماركس) المجتمع المدني مجالاً للصراع الطبقي، "خذ أي مجتمع مدني وسيكون لديك دولة سياسية ما، ليست إلا التعبير الرسمي عن المجتمع المدني." (بالأندية\_٢٠٠٧\_ص١٥٧) أي أن الدولة الخلاصة الرسمية للمجتمع، أو هي جزء من المجتمع تنتصب فوقه، وافترض أن المجتمع المدني في النظام الرأسمالي ينشأ بواسطة البرجوازية، ما يجعله أسيراً للبنية الاقتصادية؛ التي لا يستطيع بنفسه تغييرها، والثورة التي تتجاوز الحدود المدنية للمجتمع المدني تكون بذلك ضرورية لإحداث مشروع التغيير، (الحشت\_٢٠١٤\_ص٥٧) ويخفت الاهتمام بالمجتمع المدني بعد ذلك؛ ليعود إلى المشهد

بعد الحرب العالمية الثانية، تحت تأثير كتابات (جرامشي) على المناضلين في أوروبا الغربية وأمريكا اللاتينية.

ويرى (جرامشي) المجتمع المدني فضاء للتنافس الإيديولوجي، ومن آليات ممارسة السيطرة على المجتمع، ويمكن أن يكون آلية لتغيير أوضاع الفلاحين والعمال عن طريق خلق نظام التحالفات، والمحافظة عليها عبر النضال السياسي والإيديولوجي، والسلطة التي تمارسها الطبقة المسيطرة على غيرها من الممكن الانقلاب عليها، وذلك بتنمية الجمعيات التي تمثل طريقاً بديلاً لتنمية المجتمع، وقوة ترمد ضد ما هو تقليدي، وساحة لإقامة ثقافة وايدولوجية، والمجتمع المدني مؤسسات مهمة في تحديد السلوك السياسي للمواطنين. (إدواردز\_٢٠١٥\_٢٨ ص ٢٨)

وصياغة مفهوم المجتمع المدني جاءت لإبراز تحول أوروبا الغربية من الاستبداد إلى الديمقراطية متعلقاً بسيرورة التطور الليبرالي، وظهور الحركات الاجتماعية، ولم تندمج في أي قوة سياسية تقليدية، وأعطى المفهوم زخماً مع تحول المثقفين من مساندة الطبقة العاملة إلى إقامة تحالفات جديدة وقيادتهم لتلك التنظيمات. (قرنفل\_٢٠٠٠\_٥٤ ص ٥٤).

إن فشل آلية السوق والتخطيط المركزي، هو ما دفع إلى التفكير في رؤية جديدة؛ تعالج ذلك الفشل؛ بالشراكة بين القطاعات الثلاثة، مع تخفيض الدولة لنفقاتها واللجوء للخصخصة، والدعوة إلى الديمقراطية المباشرة بدلاً عن الديمقراطية التمثيلية، واكتسبت الرؤية الجديدة زخماً قوياً خلال التسعينات، مع اتجاه الرأسمالية نحو مرحلة العوالة كنظام أظهر حالة انعدام الأمن الشخصي لغالبية سكان العالم، مع غياب هوية جمعية سوى أن العالم مجرد مستهلك، ما زاد من عدم اليقين وهشاشة الوضع؛ فكان لابد من العودة إلى العمل التطوعي؛ لتأكيد التضامن والدعم المتبادل بين الناس المتشابهين في التفكير، ويدعم بعضهم عاطفياً ومادياً، والوصول إلى يقين بأن الحياة الترابطية لها شأن مهم. (إدواردز\_٢٠١٥\_٣٤ ص ٣٤)

أ- المجتمع المدني: العودة والحضور الواسع: برزت مبكراً دعوات تتخوف من الدولة وتغولها، وتدعو إلى اختفائها؛ يقول لينين: "استنتج ماركس من تاريخ الاشتراكية وتاريخ الصراع السياسي أنه يجب على الدولة أن تختفي، وأن الشكل الانتقالي لاختفائها سيكون هو البروليتاريا المنظمة في طبقة سائدة"؛ (لينين\_١٩١٨\_ص ٣٣) كما عند الفوضوية، وعند المحافظين الجدد "تقوم الرأسمالية الفوضوية بالدفع بالمنطق الرأسمالي إلى الحدود القصوى لإنشاء نظام للرأسمالية المطلقة، بخصخصة كل شيء بما في ذلك الدولة نفسها، فالدولة تنظم يتعارض في العمق مع منطق الرأسمالية؛ لأن الدولة تعتبر بمثابة الشر المطلق،...، ومن حيث أنه لا وجود لشيء عمومي في هذا المجتمع، فلا حاجة إلى الدولة ولا حتى للحد الأدنى من الدولة،...، في المطالبة بالحرية الفردية والعداء للدولة كجهاز." (سبيلا\_٢٠٠٠-ص ٩٣).

إن السلطة في حاجة إلى نظام لضبط مفاصل المجتمع وخلق التوازن الضروري فيه، وتزود المعرفة السلطة بما تحتاجه من عناصر التحكم في الأشياء والأجساد؛ لهذا يصبح العقل العلمي أو السياسي عقلاً أداتياً؛ (أفاية\_١٩٩٨\_ص ٣٣) ما حمل مدرسة فرانكفورت إلى اعتبار أن الدولة الشمولية هي نتاج التنظيم اللاعقلاني للمجتمع الصناعي، وبأن الشر الاجتماعي متماهاً مع السيطرة.

يشير (ماركيوز) إلى أنه قد حصل دمج لكل القوى والمصالح الاعتراضية داخل النظام، وتم دون أدنى مقاومة، وعملية الدمج تحصل بدون ضغط واضح\_ فالديمقراطية تكرس السيطرة، بقوة، أكثر من الحكم المطلق؛ فالعقلانية في المجتمع الصناعي تهمش الحرية وتفرد الفرد، ومن ثم الحرية بمعناها الليبرالي باعتبارها تحليلاً لإرادة الفرد؛ لم تعد مع النظام السياسي الذي شيدته العقلية الصناعية حرية فعلية مادام النظام مؤسساً على الضبط والمراقبة، وبالتالي فإن ما يسمى استقلال الفرد أصبح من قبيل الوهم؛ فالنمط الحضاري أنتج ثقافة خاصة تتخذ أشكالاً ديمقراطية، ولكنها لا تستجيب في عمقها للنزوع الديمقراطي للفرد ولا للمضمون الجماعي للثقافة.

وتصل المدرسة النقدية لنتيجة تفضي إلى الانسحاب من دعوة إنقاذ الفرد من انحطاطه من خلال مشروع اجتماعي تغييري؛ لأن سلطة الحداثة التقنية أصبحت محايدة لكل تغيير ولكل تطور، ومادامت معاناة الفرد آتية من الثقافة العامة التي تنتجها الحداثة؛ فإن الفرد حتى لو تشبث بكل ما يملك من قوى يذوب في الكتلة، ويزداد بذلك شقاء ومعاناة. وأمام السيطرة الكاسحة للهوية الواحدة والمطلقة، تلجأ النقدية إلى المغايرة لخلق نوع من التفاوت مع الواقع، وتوفير بعض الحرية على هامشيتها للفرد الواعي. (أفاهيه\_١٩٩٨\_ص٣٧)

قدم مفكرو أوروبا الشرقية المجتمع المدني إلى النظرية الاجتماعية الحديثة في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، في حين كان مايزال مفهوماً محافظاً، ومهملاً، إلى أن بدأ الشغف به مع التسعينيات؛ (كومار\_٢٠٠١\_ص٣٥) ليعود المفهوم مع المحافظين الجدد؛ كتيار من المفكرين ينتمون لمدارس فكرية متعددة وتوجهات سياسية متباينة، ويلتقون حول تبني نظام العولمة والترويج له؛ فهم ليبراليون في مجال الاقتصاد ومحافظون في مجال الثقافة، ويمينيون ويساريون جدد في الجانب السياسي؛ يرفضون القوى السياسية التقليدية يمينها ويسارها، ومطالبتهم بإصلاح النظام الرأسمالي ورفضهم للبيروقراطية الاشتراكية، مطالبين باشتراكية رأسمالية تمثل خليطاً منهما.

يرى (تورين) أن الصراعات تقوم بين الجماعات المختلفة، وتنتهي بالتوافق في حلول وسط، وحالة الفوضى التي تسيرها هي فوضى خلاقة، ويرجع ذلك إلى أن المجتمعات الغربية رغم تعدداتها الثقافية؛ إلا أن العامل الأكثر لتوجه السلوك للأفراد هو الروابط والعلاقات الأفقية، ولذلك يرى المحافظون الجدد أن الوحدة الأولية للمجتمع هي الجماعة، ويشير مفهوم المجتمع المدني للاتجاه المحافظ إلى التنظيمات التقليدية من الأسرة والقرابة والسلالة والطائفة، وتأثر المحافظون الجدد بنظرية النخبة، فيدافعون عن النخبة غير الوراثية؛ بينما كان المحافظون التقليديون يدافعون عن النخبة الارستقراطية القائمة على الوراثية، وإضافة إلى ميولهم للديمقراطية والترابطية التي تجسد التعددية الثقافية على



الديمقراطية القائمة على التعددية الحزبية والأيدولوجية، تبرز هيمنة الثقافي على الاجتماعي، يُرجح (تورين) سوسيولوجية الفاعل على سوسيولوجية الفعل، جراء ما حصل من اختلالات الترتاب الاجتماعي - السياسي داخل البنية، وإبراز الفاعل الثقافي الذي تمثله الحركة الطلابية عام 1968\_ في بعض الدول الغربية خاصةً فرنسا، وهو طرحٌ يهدف إلى إظهار أهداف الفاعلين في ما بعد الصراع، والحركات الاجتماعية طبقية المنشأ، على أنها "حركة المجتمع، وقدرته الذاتية على تجديد ذاته من خلال آلياته الخاصة بالصراع الذي يمر بالمفاوضة؛ لينتهي إلى إعادة التوازن" (بعلبكي\_ ٢٠١٢\_ ص ١٠١).

### ثالثاً: الرهانات على وظائف المجتمع المدني:

ينشط المجتمع المدني في وسط اجتماعي وثقافي وقانوني يتيح مساحة وقدرة الحركة، وتنوع وظائفه بتنوع مجال اهتماماته؛ فالوظيفة الاقتصادية للمجتمع المدني والرهان على تأمين سبل العيش وتقديم الخدمات في مجتمع تكون فيه الدولة وآلية السوق ضعيفتان، والرهان الاجتماعي على وظيفته تتكمن في تعزيز قيم اجتماعية من الثقة و التعاون، والرعاية الاجتماعية، وتشجع الإبداع في الحياة الثقافية والمحافظة على التراث والتقاليد، ودعم العمل الجمعي والخيري للصالح العام، وصون العلاقات الاجتماعية، أما الرهان السياسي للمجتمع المدني؛ فيكون في مواجهة سيطرة السلطة وتهديد استقلالية الفرد وحق الاختيار، كما يقوم بتوفير قنوات لإيصال أصوات الناس لصانع القرار؛ ليعمل على حماية الحقوق المدنية والسياسية، وتشجيع الشفافية والمساءلة الاجتماعية، وتأهيل قيادات مجتمعية، كما يحمي الممارسة الديمقراطية، ويدعم قيام انتخابات نزيهة وعادلة، ونشر الثقافة المدنية والديمقراطية. (إدواردز\_ ٢٠١٥\_ ص ٢٥).

فما إمكانية أن يقوم المجتمع المدني بتلك الوظائف والتي يراهن عليه القيام بها؟

## ١ - المجتمع المدني والرهان السياسي

يمارس المجتمع المدني دوراً مهماً في الضغط على الحكومة وتحديد السياسات، وتقديم رأي وخبرة متخصصة لصانع القرار، وكما يسهم في التنمية السياسية، وتوسيع المشاركة، وتأهيل القيادات الشبابية من يميلون للعمل في الشأن العام، ولا يرغبون العمل من خلال الأحزاب؛ ليلعب دوراً في ترسيخ الديمقراطية ومبادئها ويحد من التسلط ويؤمن الحقوق والمصالح العامة، وفي الدول الديمقراطية التي أصيبت بالرتابة والجمود؛ فإنه ينعشها عن طريق الديمقراطية المباشرة، كما يمكن أن يؤثر على الديمقراطية ويشكل تهديداً لها.

أطلق المحافظون الجدد على المجتمعات الديمقراطية الغربية بأنها مجتمعات تعددية، في مقابل المجتمعات الشمولية، التي تشترك في سيطرة الدولة على المجالات المختلفة وعلى المجتمع، وبناء السلطة في المجتمع الأمريكي يأخذ شكلاً بولياركياً، أي يضم عدداً من الجماعات المزودة بمصادر سياسية متنوعة وموزعة فيها دون تساوي، وتستخدم بدرجات متفاوتة النشاط، ولكن الحقوق السياسية متساوية، ويتخذ القرار عبر التوافق بين ممثلي الجماعات، والحكام في المجتمعات المعقدة هم عادة جماعات معترضة نادراً ما يكون لها مبادرة أو اقتراح ولكن لديها القدرة على رفض اقتراحات الآخرين؛ بمعنى أن المجتمع المفتت تسود فيه عمليات صناعة اللاقرار أكثر مما تسوده صناعة القرار، وصناعة اللاقرار فكرة اجتماعية جاءت من التسوية الاقتصادية؛ فلا يستطيع أي من طرفي الصفقة فرض شروطه على الآخر وتنتهي المساومة بينهما بالتسوية، (الشرجي\_٢٠٠٩\_ص١٢٠) والمجتمع المدني يعمل على التسويات، وصياغة التوافقات وفق قواعد ومبادئ واضحة.

تخلى الدولة عن بعض الوظائف التي كانت تحتكرها، وتكتفي بعقد شراكات مع المجتمع المدني والقطاع الخاص؛ دفع إلى طرح اختفاء الدولة وضعفها مقابل قوة المجتمع المدني، وقصور هذه النظرة يكمن في أن تخلي الدولة عن وظائفها، ولن يكون المجتمع المدني فاعلاً؛ إلا في دولة حاضرة

بمؤسسات قوية و متماسكة، وبالتالي يتحقق النجاح، والدولة الضعيفة قدرة وكفاءة، هو ما يعيق المجتمع المدني ويضعف نشاطه؛ فلا يقدم المجتمع المدني موقفاً ويؤكّن رأياً واضحاً حول سياسة الحكومة، وإن تقدم بمشورة ورؤية؛ فلا يمكن أن تطبقها الدولة أو تتقاعس في تنفيذها، ما يفشل المجتمع المدني، ولذلك يكون للدولة دوراً ناظماً بوضع أطر قانونية وآليات تنفيذية وتبني مؤسسات لها القدرة، وتملك الكفاءة في حلحلة القضايا والإشكالات، وكما تقدم الدولة للمجتمع المدني حوافز ضريبية وتمويلية بإجراءات شفافة؛ ليقوم المجتمع المدني بالمشاركة في رسم السياسات العامة وفي الرقابة والمساءلة، ويفرض حضوره ودوره، ليكسب تعاطفاً ودعمًا شعبياً، ولأن كلاهما بحاجة للآخر ويتطوران بالتوازي والتناغم، أي أن العلاقة طردية لا علاقة عكسية بقوة طرف يضعف الآخر.

يمثل المجتمع المدني عند آخرين تكتلاً مقابل الدولة ليكون (المزيد من المجتمع ضد قليل من الدولة) أو (المزيد من المجتمع ضد قليل من السياسة)، فالصراع الذي خاضه المثقفون والمنظمات المستقلة والحركات الاحتجاجية، تعارض بعض السياسات العامة، ولكن تظل دون هوية سياسية رسمية أو تحمل توجهاً إيديولوجياً، ويلعب المجتمع المدني دوراً في مواجهة السلطة الاستبدادية واسقاطها؛ كما حصل في أوروبا الشرقية، وكان المجتمع المدني لاعباً رئيسياً في الربيع العربي، وأسقطت النظام ودولة الأشخاص (شكل الدولة غير المؤسسية المرتبطة بالأشخاص أو العائلات)، ولم تنجح بعض الحركات الاحتجاجية في تحقيق أهدافها؛ لأن سياق التشكل التاريخي والحضاري للمجتمعات يختلف، ولذلك لا يجب أن يُقارن سياق تشكل المجتمعات الأوروبية بسياق تشكل المجتمعات العربية، فقد عاشت المجتمعات الغربية مخاضاً تاريخياً طويلاً لتحقيق بنائها القومي الديمقراطي، الذي ينتج الأغلبية الحاكمة له، وتتوفر فيه حقوق المواطن الأساسية والتعددية واستقلال القضاء، (الجابري\_١٩٩٣\_ص٨) فدور الدولة يأتي من التأطير القانوني والتنظيمي، ودور المجتمع المدني بممارسة الضغوط والمساءلة

الاجتماعية لضمان سير الحكومة على الطريق الصحيح، وناقش علاقة المجتمع المدني بالعملية الديمقراطية وعلاقته بالأحزاب السياسية.

أ- المجتمع المدني و ترسيخ الديمقراطية: إن الحركات الاجتماعية تشكلت - غالباً - في ظل مجتمعات تحكمها أنظمة ديمقراطية فرضت قيوداً على الحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية، وتحد من حرية التعبير والمشاركة ومن تدفق المعلومات، (Tilly-٢٠٠٧) والواضح أن العلاقة بين الديمقراطية والمجتمع المدني، تبقى علاقة طارئة؛ فلم يكن تفكير رواد النظام التمثيلي يسمح بطرحها، ويكون مطلب المدافعين عن الديمقراطية المباشرة، ويوجد داخل مسار الديمقراطية؛ لا بداخل لحظة الليبرالية، ويرتبط بحاجس الديمقراطية التشاركية وديمقراطية الحوار والتداول. (طارق-٢٠٠٩).

يقوم المجتمع المدني بترسيخ الديمقراطية وتثبيت دعائمها وتوسيع المشاركة المدنية والسياسية، ويشير (بوتنام) إلى انحسار وضعف المجتمع المدني الذي يؤدي إلى غياب "الالتزام المدني" و"الثقة الاجتماعية" (Putnam-٢٠٠٠)؛ كمفهوم يقابله عند (فوكوياما) "ثقافة الثقة" وعند (جيدنز) "علاقات التعايش التكافلي"، بينما تطرح (بيرمان) خلاف ذلك من أن المجتمع المدني القوي يمكن أن يشكل كعب أخيل، ونقطة ضعف خطيرة، منطلقة من دراستها للمجتمع المدني في فيمار بالعشرينات والثلاثينات وكشفت تعدده وقوته، والتي يُعتقد أنها تشكل دعائم الديمقراطية، ولم يخفق في توطيد الديمقراطية والقيم الليبرالية؛ إنما قام بتخريبها أيضاً، وأن المؤسسات السياسية الضعيفة كانت عاجزة عن الاستجابة للمطالب؛ التي كانت تطرحها المنظمات الكثيرة عليها دفعة واحدة، مما أدي بالمنظمات إلى نقل ولاءها لتنظيمات شعبية وللحزب النازي، ومهدت الطريق للحزب لبناء مآكنة سياسية ودينامية؛ حتى في الديمقراطيات الراسخة والمؤسسات السياسية القوية، هنالك أسباب للشك في ما يتعلق بالمجتمع المدني بأنه كلما زادت منظماته كان ذلك أفضل، وحذر البعض من أن انتشار المنظمات التي تعمل من أجل مصالح محدّدة في ديمقراطيات ناضجة، يمكن أن يخنق عمل المؤسسات

التمثيلية ويشوّه بصورة منهجية نتائج السياسات المتبعة لصالح الأثرياء وأصحاب الحظوة، ولصالح الأكثر تنظيماً، وإصابة الديمقراطية بتصلب الشرايين والأنسجة مع استمرار منظمات الدفاع عن قضية ما وجماعات الضغط في تكاثر، كما أحدث صعود (ترامب) من خارج النخبة السياسية وعن طريق الانتخابات الديمقراطية أرباكاً للوضع السياسي الداخلي الأمريكي، وشكل تهديد لعملية الديمقراطية بالتحويل إلى الشعبوية، وبينما تتمتع اليابان بديموقراطية مستتبة مع مجتمع مدني ضعيف نسبياً، وفرنسا العريقة في الفكر الليبرالي والديمقراطية الراسخة، يلعب المجتمع المدني دوراً ثانوياً؛ إذ تتكفل الأحزاب والانتخابات بضمان الديمقراطية غير المباشرة، والليبرالية الفرنسية صنعت تاريخاً عالمياً في حين الليبرالية الأمريكية ظلت حدثاً لا تتجاوز أهميته المحلية إلا قليلاً، وفي إسبانيا مازال المجتمع المدني ضعيفاً. (كاروثرز\_٢٠٠٠\_ص ٣٠) ما يؤكد أن الديمقراطية أنماط مختلفة، تختلف في أمريكا عنها في مجتمع آخر، ويدحض مسيرة الديمقراطية الأمريكية. "فلا بد أن نكون أكثر تاريخية في الفهم والمقاربة؛ فمفهوم المجتمع المدني واستخداماته المتنوعة والمتعددة جداً حدّ التباعد، يثبت أهمية أخذ السياق التاريخي والظروف الاجتماعية لنشأته وتطوره في الاعتبار". (كومار\_٢٠٠١\_ص ٤٣).

تتبنى الدراسات في الدول العربية المجتمع المدني كمفهوم لتحليل ما تشهده من تحولات اجتماعية وسياسية؛ كما تتبناه شعاراً لبناء مستقبل ديمقراطي تعددي، وتقدم تصوراً لمستقبل المجتمع العربي يشبه المجتمع الأوروبي الحديث، دون أن تعمل على ربط ذلك بمدى التشابهات، وطرح الاختلافات والتمايزات بينهما، ويذهب البعض إلى وجود اختلافات جذرية بين المجتمعات الأوروبية والعربية، وهو ما يحول دون قيام المجتمع المدني أو فاعليته، دون أن يسبقه تحولات عميقة وجذرية، وهذا لن يحدث ما لم يكن هنالك تطور نوعي خارج بنية المجتمع المدني والتي يتميز بها كما ظهر في أوروبا؛ كما أن سياق التشكل التاريخي والحضاري للمجتمعات في أوروبا الشرقية قبل العهد السوفياتي، وفي ظل النهج النيولبرالي الذي أخرج تلك المجتمعات إلى التعددية الليبرالية؛ لا يجب أن

يُقارن بسياق تشكل المجتمعات العربية، ولا يحرص هذا النهج ذاته على دعم الأنظمة العربية المستبدة سياسياً ونخبها المحافظة أيديولوجياً، وقد عاشت تلك المجتمعات مخاضاً تاريخياً طويلاً؛ لتحقيق بنائها القومي الديمقراطي، الذي ينتج الأغلبية الحاكمة له، وتتوفر فيه حقوق المواطن الأساسية والتعددية واستقلال القضاء". (بعلبكي\_٢٠١٢\_١٠٥)

يحمي المجتمع المدني الحريات الفردية والديمقراطية، كذلك يمكن أن يجعلها أسيرة المصالح الخاصة، كما أن الطائفة قد تدعوا للديمقراطية، ويمكنها أن تدمرها بمبدأ التجانس القومي أو الديني، (تورين\_٢٠٠٠\_ص ٣٠) ولا يكون المجتمع المدني دائماً داعماً للديمقراطية؛ فهناك منظمات تفضل التركيز على الدفاع عن مصالح أعضائها الثقافية والدينية والاقتصادية، أما الذين يحملون الالتزام الديمقراطي، فجذورهم ضعيفة شعبياً، ويتوفر لهم أنصار في النخبة الحضرية، لذلك فتأثيرهم محدود في المجال العام والعمل المدني الشامل المبني على قاعدة عريضة، هذه القاعدة العريضة إن ظهرت فهي لحظة في الأزمة، ويصعب استدامتها، والاعتماد على المانحين الخارجين، يفتح باب الشك حول "الأجندات الخارجية" ما يعرض المجتمع المدني للهجوم ويجعل منه هدفاً للنقد، والمعونة الرسمية مرتبطة بأجندات ومصالح سياسية مع السلطة الحاكمة، وهذا ينفي التجرد التام في مجتمع مدني مُسيس، كما أن التمويل لمنظمات ضعيفة على مستوى القواعد الشعبية وتحصل على تمويل محلي، وتنقصها الشرعية المحلية، ما يسهم في عدم الاستقرار السياسي، وتراجع الممارسة الديمقراطية.

المجتمع المدني؛ كعلاقات ومؤسسات يوفر بيئة تعمل بمعايير وقيم إيجابية، ووسائل لتحقيق هدف وغاية المجتمع؛ فكل تعميم يواجه بعشرة الاستثناءات على الأقل، فالوصول للإجماع الديمقراطي لا يكون دون نظم ترابطية ومجالات مستقلة توفر آليات وبنى وسيطة من خلالها تقوم المشاركة السياسية والمساءلة، ومقاومة الحكم التسلطي حتى في مجتمع مدني ضعيف نسبياً، وأيضاً يلعب المجتمع المدني دوراً رئيساً في إعادة النظر في طبيعة المجتمعات الديمقراطية الليبرالية، فإن بدت الديمقراطية

جامدة، والمواطنون سلبين وبعيدين عن المؤسسات السياسية، فالخطأ ربما يكمن في حالة البنى والممارسات الخاصة بالمجتمع المدني. (كومار\_٢٠٠١\_ص٣٥)

**ب- المجتمع المدني والأحزاب:** يتداخل المجتمع المدني والدولة وتظهر منطقة توحيه يطلق عليها المجتمع السياسي من الأحزاب والتنظيمات السياسية والبرلمانات، ولتحديد مكونات المجتمع المدني ومجال نشاطاته هناك موقفان: الأول: يرى أن المجتمع السياسي من مكونات المجتمع المدني، لأنه يحدث تأثيراً في السياسة من خلال الترابطية والمناقشة المفتوحة والتداول في المجال العام، فالمجتمعات الديمقراطية اعتمدت على جذورها الممتدة زمنياً لفترة سابقة في المجتمعات الطوعية المستقلة في أوساط الجماهير؛ فجمعية التضامن في بولندا كانت نقابة عمالية وحزباً سياسياً تحت التأسيس، كما أن الحركات الاجتماعية تخفي في العادة أجندة سياسية، وفي بلدان ذات نظم حزبية ضعيفة، أو أن الأحزاب محظورة كما في دول الخليج، أو لا يسمح للأحزاب بالقيام على نطاق محلي، وتقوم تحالفات من الأحزاب والنقابات والفلاحين لتكون مؤثرة في الحشد والتعبئة وفي الترابط بين أقاليم الدولة، كما تكون طبيعية عند مرحلة الانتقال الديمقراطي كما في دول المعسكر الشرقي والدول العربية، لذلك يعد الترابط بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي حاجة طبيعية وضرورية ومفيدة، وخاصة في فترة جمود الديمقراطية التمثيلية وإعادة إنتاج نفسها وبقاء قضاياها دون حسم، ويكون التوازن هنا بين الديمقراطية التمثيلية والمباشرة ولصالح الديمقراطية المباشرة، ويعمل المجتمع المدني على التأهيل السياسي للمواطنين، وتقديم القادة في المجالات المختلفة أهمها السياسي والإداري مثال (هافل) في بولندا، وأيضاً القادة في تشيلي والفلبين والبرازيل (الرئيس لولا)، فيتحركون من منظمات غير حكومية نحو الحكومة. أما الثاني: وهو الذي لا يدرج الأحزاب ضمن المجتمع المدني، والفارق بينهما من أن الأحزاب السياسية تسعى للوصول إلى السلطة، وتقوم بكافة الأعمال والتدابير التي تراها مناسبة لتحقيق ذلك؛ بينما المجتمع المدني أقصى ما يطمح إليه هو مراقبة العنف البدني الشرعي، وكما

في جمعيات حقوق الإنسان؛ حتى لا يستعمل استعمالاً اعتبارياً أو مصلحياً، وأما الرغبة في احتكار هذا العنف فلا يطالب بها أي من مكونات المجتمع المدني، وأن ممارسة الإضرابات والاحتجاجات وتدخلها في التوجهات السياسية العامة للبلاد، فإن هدفها ليس القبض على زمام السلطة السياسية، بل التأثير على توجهات السلطة ومراقبتها عبر المساءلة الاجتماعية.

إخراج هذا الفريق للأحزاب من المجتمع المدني تنطلق من مخاوف التأثير المفسد للسياسة على المجتمع المدني، ويفترض أن تكون مستقلة عن المصالح السياسية الموالية لحزب ما، لتؤدي وظائفه في تدعيم الثقة والتسامح بين الأحزاب السياسية المختلفة، وتركز هدفها على الصالح العام، ولن تنجح المهمة إلا إذا كان مستقلاً عن الأحزاب، والدخول معها في تحالفات يضع شعار عملها للمصلحة العامة في خطر. " إن المنظمات غير الحكومية تعمل في قطاعات مجتمعية جزئية، وتتلمس مصالحها المشتركة ومساهمتها المشتركة في قضايا المجتمع بشكل عام، و(أن تأطيرها) ليس تأطيراً لأحزاب أو للاتحادات النقابية، وإذا تم الخلط بين هذه الجوانب، فسوف تكون النتيجة أن تخسر هذه المنظمات خصوصيتها، كما تخسرها النقابات والأحزاب، وبالتالي تفقد جميعاً مساهمتها في عملية ديمقراطية المجتمع". (بشارة\_٢٠٠٨\_ ص ٢٣).

ويرفع شعار "نحن تعبنا من السياسة"، والمجال السياسي للدولة والحكومة التي تتنافس الأحزاب ديمقراطياً للوصول إلى الحكم بخلاف المجتمع المدني الذي لا يسعى للحكم بل للتأثير في القرار السياسي، والنظرة السياسية للمجتمع المدني ليس لمن يحكم؛ إنما كيف يحكم، وتكون الثقة أداءه لحركة المجتمع المدني وتساعد على تخفيف التوترات، فإن التلون- النفاق عند إدواردز- أداة التلين بالنسبة للأحزاب، وتغيير مبادئها وتحالفاتها؛ لكسب أصوات تمكنها من الحكم.

وتأتي النزعة المضادة للسياسة من الاعتقاد بأن المجتمع المدني قادر على تنظيم نفسه بنجاح دون الحاجة للدولة أو تدخلها، وقد يكون هذا صحيحاً في مجتمع محلي صغير؛ لكن ليس على



مستوى وطني، وسيكون أقل تأثيراً في أنظمة الحكم العالمية؛ على الرغم من تزايد الأهمية للديمقراطية المباشرة في "ملء الفراغ"، وبما أن الدولة خارج نطاق المجتمع المدني، يكون النشاط السياسي اللاحزبي داخله، ويبقى كل شيء بين هذين النقيضين موضوعاً للخلاف، والحل أن تكون الأحزاب داخل المجتمع المدني عندما تكون خارج السلطة، وخارجة عنه عندما تكون في السلطة.

## ٢- المجتمع المدني والرهان الاقتصادي

يقدم المجتمع المدني بأنه ضمان لنجاح النمو الاقتصادي، ويسهم في السياسة الاقتصادية والخطط التنموية، ونمو المشروعات الخاصة، ويضمن أن الدولة لن تحقق الاقتصاد، ويحمي حقوق العاملين والمستهلكين، ويكشف عن الغش والتلاعب والفساد، والرهان عليه بهذه الوظيفة الاقتصادية يتوقف على درجة قوته؛ على الرغم من أن التجربة الكورية الجنوبية قامت على عاتق مجتمع مدني مرموق وقطاع عمالي محاصر، ولم يشهد المجتمع المدني ازدهاراً إلا في الثمانينات؛ عندما شعر النظام الحاكم بالاطمئنان أرخى قبضته عن المجتمع المدني، ولا فضل للمجتمع المدني في بناء أسرع الاقتصاديات نمواً، التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، وعلى النقيض من ذلك بنجلادش التي تعرف كماً وتطوراً في المنظمات غير الحكومية وجماعات الدفاع عن قضية معينة ومنظمات الخدمة الاجتماعية التي تنشط على المستوى الوطني أو المحلي، هذه الثروة لم تترجم إلى ثروة للشعب؛ لتظل بنجلادش من أفقر بلدان العالم.

تحولت الدول الغنية في خيارات دعمها للمجتمعات الفقيرة؛ إذ صارت تركز على دعم ما يُسمى برامج تخفيف الفقر، وصار تنفيذ البرامج يمول عبر منظمات المجتمع المدني، وتتجاوز الدول المانحة بهذا التمويل دور الدولة، بعد اتهامها بالفساد والإفساد، وتركز على دور هذه المنظمات وفعاليتها؛ بزعم أنها تقوم على الطوعية والشفافية، وأنها أقرب إلى الناس من الإدارات الحكومية، (الكامل\_٢٠٢١) واختلاف أهداف الدول المانحة التي تختار النخب المحلية الناشطة فيها؛

في الغالب، لا تكون ميوّلة تلك النخب تطوُّعيةً، ولا تتم تدخلاتها المتنافرة لتخفيف الفقر عن إحساسٍ مرهفٍ بمشاكل الفقراء؛ لاسيما وأن الفقر قد تسببت فيه سياساتُ الأنظمة المدعومة من تلك الدول". (بعلبكي \_ ٢٠١٢).

ويمكن للمجتمع المدني أن يكون شريكاً طبيعياً لاقتصاد ناجح، فعندما يحصل المواطنون على مستوى معيشي مريح؛ توفر له قدرًا من التعليم والموارد لدعم الانتساب والمشاركة المجتمعية، ويمكن أن يدفع المجتمع المدني بعملية التنمية بإتباع سياسة اقتصادية سليمة وزيادة الرقابة والشفافية وتدقيق المعلومات، ومع أن طريق التنمية ليس بهذه السهولة والبساطة، وليس مفروضاً بالضرورة على بساط المجتمع المدني؛ فيمكن أن يتعايش مجتمع مدني قوي مع اقتصاد ضعيف نسبياً، والعكس أن يتعايش مجتمع مدني ضعيف مع اقتصاد قوي.

يرى البعض أن الإفراط في المجتمع المدني؛ يمكن أن يكون ضاراً اقتصادياً، كما كانت مدرسة البنائية تنظر إلى أن الديمقراطية ستعزز احتمال النمو والرفاهية، وكثير من الدلائل لا تؤكد ذلك النموذج الارتجاعي، أو بناء النمط الخطأ منه؛ فدول أمريكا اللاتينية المعروفة بنقابات عمال هي دعامة المجتمع المدني هناك، وكانت واحدة من عقبات الاستقرار الاقتصادي، وعائق في طريق التنمية. (كاروثرز\_ ٢٠٠٠\_ ص ٣٣).

وتحقيق أهداف مثل الحد من الفقر، والمنافع والخدمات الاجتماعية؛ ماتزال محيية للتوقعات، ولم تحقق المرجو، ونشهد تراجعاً في مسار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية؛ مع أن للديمقراطية فضلاً لتقوية عقود اجتماعية وتحالفات سياسية يسهل متطلبات التنمية، ولا يوجد دليل على أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية تستلزم حكماً تسلطياً مع وجود تجارب مثل كوريا الجنوبية والصين؛ بينما تذهب دراسات إلى أن المجتمع المدني له أثر على الجانب الاقتصادي.

أ- المجتمع المدني والسوق: توجهت الدولة إلى عملية الخصخصة، والتي تقوي حرية السوق وقطاع الأعمال؛ ليقوم المجتمع المدني بشكل بارز ملء الفراغ الذي خلفته العملية، وبالتالي فإن أجهزة الدولة تكون قوية ومهيمنة بالقدر الذي ترضي تطلعات وآمال أكبر عدد من المواطنين، وكل تقليص في أدوار الدولة الاجتماعية؛ لا بد أن يكون من نتائجه تقلص في مراقبتها للمجال السياسي والثقافي، والحدود ملتبسة بين المجتمع المدني والسوق، ومازالت أقل وضوحاً خاصة في المجتمعات التي لم يتطور بها السوق بشكل جيد، وحول هذه العلاقة هنالك اتجاهان: **الاتجاه الأول**: يخشى على نقاء الروح المدنية من أن تضمحل باتصالها بالسوق، **والاتجاه الثاني**: يرى أن قطاع الأعمال جزء لا يتجزأ من المجتمع المدني ويشدد على ضرورة ازدهار قطاع الأعمال على الأقل ازدهار العلاقات بين الملكية الخاصة ومؤسسات أعمال السوق، وهذا الاتجاه امتداد لـ (جون لوك) الذي يجعل النشاط الاقتصادي الخاص ضمن المجتمع المدني، ويظهر صداه باستخدام المؤسسات غير الربحية في تقديم خدمات اجتماعية واقتصادية، وكذلك مع صعود الرأسمالية الخيرة، أو المشاريع الخيرية، والتبني المتزايد بالتفكير والأعمال وآليات السوق من خلال الجمعيات الخيرية والوقفية. والاتجاه الأول ينظر إلى المجتمع المدني بوصفه ظاهرة سياسية تدخل مزودي الخدمة ضمن القطاع غير الربحي في السوق وتصر على استقلالية مجموعات المواطنين عن المصالح الاقتصادية كافة؛ على أن المجتمع المدني هو مجال الحياة أي ساحة خالية من الأسواق تخفض فيها قيمة العملة، كما خلصوا إلى أن المجتمع المدني المتميز عن الاقتصاد، ويصبح وحدة المحور لنظرية سياسية اجتماعية نقدية في اقتصاديات السوق، ومن الصعب أن تبين وحدة هذا الاختلاف، يمثل هذه الطريقة المحكمة فمؤسسات الأعمال وروابط المصالح الاقتصادية بين المسلمين والهندوس في الهند لها دور في تخفيض العنف بين الطوائف، وكذلك ارتفاعها، وأيضاً ما تقوم به أو توفره المشاريع غير الرسمية من حيز لإنشاء منظمة مستقلة، وكما يكون القطاع الاقتصادي الرسمي صغيراً جداً في المجتمعات النامية، والعلاقات متشابكة بين قطاع الأعمال والمجتمع المدني ويصعب فكها، والتمييز بين نشاط يسعى للربح لمشاريع فردية، وبين الدور السياسي والمدني للجمعيات

رجال الأعمال من تشجيع التعاون وبناء الثقة، وتمثل أعضائها والدفاع عنهم. (إدواردز\_٢٠١٥\_ص٥٣).

وعموماً فمنطق السوق يحركه الحرص على التراكم والامتلاك للسلع الفردية، ودون اعتبار لما سوف يسببه ذلك من آثار في المستقبل، إما بالمعنى الإيجابي لزيادة ثروة الأمم (اليد الخفية لسميث)، أو بالمعنى السلبي من ظهور الأزمات والمظالم، وزيادة التفاوت الاجتماعي والصراع الاجتماعي والأضرار البيئية والتي لا يُحاسب عليها أحد، كما أن السوق يدمر نفسه بنفسه، ويفتقر إلى آلية ضبط النفس؛ فلا بد من دور للدولة والمجتمع المدني في ذلك. (أوفه\_٢٠٠١\_ص٥٥).

فالركض اللامحدود وراء الربح، الذي يشكل أساس سياسات النيوليبرالية، ويهمل السياق التاريخي الذي تطبق فيه هذه السياسات، وتطبق هذه الأفكار على المجتمعات الغربية الرأسمالية، وتكون المجازفة في تطبيقها على المجتمعات غير الرأسمالية الغربية الأوربية في ظل الأوضاع القائمة للدولة الهشة، وعدم الفصل بين السلطة السياسية والسلطة الاجتماعية، ولم تستكمل الدولة القومية بناءها، ولم تحتفِ البنى التقليدية في ممارستها وثقافتها اللاديمقراطية، مجتمعات أخذت بالشكل للدولة والديمقراطية، وقبلت بالانتخابات ليس من أجل الوصول للسلطة، ولكن للوصول للدولة وقبولها للديمقراطية؛ كعمليات، وليس كمنظومة قيم وممارسة وثقافة. (الشرجي\_٢٠٠٩\_ص١٢٤).

### ٣- المجتمع المدني والرهان الاجتماعي

ينظر البعض للمجتمع المدني على أنه من وسائل إعادة بناء قيم تقليدية أخلاقية؛ بينما ينظر آخرون إليه كوسيلة لإعادة خلق مجتمعات كاملة، وحذر (فيبر) من إضفاء ملامح رومانسية على تأثير هذه المنظمات، فهل العمل المدني والتطوعي هو أفضل سبيل لإصلاح المجتمع؟ (إدواردز\_٢٠١٥\_ص٤٠).

أ- المجتمع المدني والقيم الاجتماعية: يحمل المجتمع المدني قيماً أخلاقية وإنسانية من التعايش والتسامح، وعدم الاستبداد والتسلط، قيم ثقافية تمارس داخل المجتمع المدني، وفي الحياة الاجتماعية العامة، لذلك تدرج العائلة والأسرة والمدارس والجامعات كمؤسسات تربوية وتعليمية ضمن المجتمع المدني؛ لأنها تقوم بغرس الثقافة المدنية والديمقراطية، وترسخ مبادئ ومعايير تمثل قيماً إنسانية بالفطرة؛ فعند (روسو) المجتمع المدني هو ضد المجتمع الديني الكنسي، وفي الحياة العامة المدني هو المذهب والأخلاقي والتسامح، ونقيض البربري والمتوحش، وفي العالم العربي والشرق يعني المدني نقيض العسكري، ووظيفة القوة والسيطرة السياسية، ونقيض القوي الشمولية والاقصائية الدينية أو العلمانية أو الحدائية، فهل يعني مجتمع مدني قوي، أن يكون المجتمع قوياً؟ وهل العلاقة طردية أم عكسية؟ فالروابط العرقية والطائفية والجمعيات الدينية تكون قوية الفاعلية، وفي الانتساب إليها، ولكن لا تعمل للصالح العام؛ بل لمصلحة الجماعة أو الفرد لجلب المصلحة الخاصة، ولا تقر بالتسامح وحق الاختلاف والتعدد، ما يجعل المجتمع المدني قوياً، وكما أن المجتمع المدني يحمل قيماً إنسانية كونية، ويعمل ويناضل من أجل تلك القضايا متجاوزاً الجغرافيا والحدود السياسية، وهناك منظمات المافيا والإرهاب تنشط وتنتشر عالمياً، وبعضها تعتمد العنف والتمييز ولا نكرس الديمقراطية في ممارساتها، وفي المجتمع عامة فيه من يعمل لمصلحة خاصة، ولا يمارس البعض الديمقراطية، أو لا يناهض الفساد بل يمارسه، ولذلك لا بد من تحالف الأختيار؛ لأجل الخير والصالح العام، وفضح الأشرار أعداء المصلحة العامة.

والقول أن المجتمع المدني يمثل الصالح العام تمثيلاً متأصلاً فكرة خاطئة فالمصلحة العامة فيها كثير من الالتباس فالهواء النظيف وحماية البيئة مصلحة، ولكن التصنيع والاستثمار للحصول على الطاقة والخدمات الاستهلاكية مصلحة عامة، وبين حرية التعبير والرأي والنقد وبين الشتم والقذف والتشهير، أو القضايا التي تحملها منظمات كقضايا خاصة وتغالي في التركيز على برامجها الخاصة إلى

حد قصر النظر، ولا تأبه بالموازنة بين الرؤى المختلفة إلى الصالح العام، فالحد بين المصالح الخاصة والعامية يكون كغريبال تسمح بالنفذ وتقبل تفسيرات مختلفة، (كاروثرز\_ ٢٠٠٠\_ص ٣٣) وقد تقوم الصراعات وتخاص النضالات داخل المجتمع المدني نفسه، وليس بين المجتمع المدني من جهة، والأشراك من جهة ثانية، وكذلك يولي المجتمع المدني المصالح الخاصة اهتماماً بالغاً؛ فالنقابات دعامة المجتمع المدني تعمل لحماية مصلحة أعضائها، وقد تكون مطالب لامادية؛ لبعض منظمات المجتمع المدني إذ تنادي بمبادئ وقيم، لكن الكثير منها يبحث عن مصالح خاصة ضيقة أو تكون غايات ابتزاز ديني، وقد تفتقر بعض المنظمات لمصادر تمويل محلية، أو لها قاعدة حقيقية بين المواطنين، وخاصة في البلدان التي مازالت في حالة الانتقال الديمقراطي؛ فتقع تحت سيطرة نخبة ليس لها ارتباط بالمواطنين، وتعتمد على تمويل خارجي، وهنالك منظمات تتلقى تمويلاً من الحكومة، تصفها (سكوكبول) بـ"ديمقراطية منقوصة" لأن الجمعيات المعنية بقضايا محددة، تضخم قضيتها ما يدفع إلى اتخاذ سياسة متحيزة لصالحها، (إدواردز\_ ٢٠١٥\_ص ١٣٢) وقد تم إعفاء الحكومات من مسؤولية الالتزام بسياسات الرعاية الاجتماعية، واستبعاد مسؤولية المجتمع المدني عن إحراج الحكومات بمتابعة سياساتها وتقييمها، وبذلك تكون شاركت - بقصد أو دون قصد - في انحرفها عن مبرر وجودها؛ كضمان للجماعات المعرضة لخطر الإفقار، وكمؤسساتٍ معنيةٍ بمساءلة الحكومة؛ فجعلتها متكيفة مع توجهات الحكومات، ومستوعبة لتململ الناس من سياساتها. (بعلبكي\_ ٢٠١٢\_ص ١١).

توصل (بوتنام) إلى أن التنوع المتصل بالتمركز العرقي في أمريكا ينتج عنه ميل إلى خفض التضامن ورأس المال الاجتماعي، وهو ما يتعارض في المدى القصير مع زيادة الجمعيات الأهلية العابرة للإثنيات، (Putnam-٢٠٠٠) وي طرح المنتقدون لـ (بوتنام) أنه أخطاء في دمج القيم المدنية بالقيم الليبرالية، وأن الحياة الترابطية أداة تعميم لمعايير يمكن أن تكون مسيطرة، ولكنها ليست بالضرورة ديمقراطية.

ودور المجتمع المدني في فرض التسويات الخاصة بإتباع قواعد وسلوك طوعي وتنظيم ذاتي واستقلالية؛ تبرز وظيفته في دعم التماسك والسلم الاجتماعي، ونجاحه يشكل عائقاً أمام التشطي والتمزق، ويذيب الاختلاف العرقي والديني والمذهبي والجنسي، ويشعر الجميع بالولاء؛ كأعضاء في كل متكامل أوسع انسجاماً، يمثل "نضجاً أخلاقياً" في تقبل الآخر والتعايش معه كمواطنين يسعون للخير العام، وكما يصبح التهميش والإقصاء والتمييز مجافٍ للمواطنة من الأصولية والعنصرية وكل صفة تعبر عن نفسها بالعنف وتؤمن بذلك، وليشكل المجتمع المدني نظرياً سباجاً شاملاً من المعايير والقيم أمام تلك المعوقات والتهديدات للمجتمع.

### ب- المجتمع المدني والنظام الاجتماعي: يمثل الاستقرار والاندماج الاجتماعي الخطوة الأولى

للتنمية، ورفع المستوي المعيشي، وفرص الحصول على الخدمات، والعدالة والكرامة والمشاركة كحقوق للمواطن، وما يقع على عاتقه من واجبات، والهوية المجتمعية تتشكل أساساً من التعدد، والمواطنة تمارس من مشاركة كافة شرائح المجتمع دون تمييز بحسب العرق أو الدين أو اللون أو النوع الاجتماعي، يصف (توكفيل) المجتمع الأمريكي بأن لديه نزعة قوية لتشكيل روابط وجمعيات، وهنا يكون المجتمع المدني جزءاً من المجتمع، ومختلفاً عن الدولة والسوق، ومع ذلك فالصين تتقدم مع ضعف الحياة الترابطية - حسب المفهوم الغربي للترابط الاجتماعي -، وفي أمريكا مجتمع مدني فاعل؛ وما يزال الإقصاء والتمييز قائم.

يصر البعض على أن المجتمع المدني، يرسخ ويعمم الثقة والتعاون، ويتم فيه تعلم المهارات، وتطور القيم والولاءات، ونبذ العنف، وطريق لعقلنة السلوك، وتصب المعايير المعممة في فاعلية الديمقراطية؛ لأن الديمقراطية هي الإجماع حول الأهداف السياسية، وتضع (بروزنيلام) فضائل الديمقراطية "السلوك المدني"، أو معاملة الناس سواسية، وبإنصاف أو الوقوف ضد الظلم التعسفي، صحيح أن الانتساب للمجتمع المدني والتفاعل المنتظم؛ يقوي السلوك المدني، والدافع للتعاون يقوي

الانصاف، لكن أن الانتساب إلى المجتمع المدني يولد فعلاً هذه الفضائل أمر مختلف عليه وفيه نظر؛ فركيزة العمل التطوعي هو الحماس؛ وليس بالضرورة حراكاً مدفوعاً برؤية اجتماعية، كما أن المجتمع المدني ساحات للطموح الشخصي والسلطة، وهو ساحة للخدمة والتضحية؛ فالمجتمع الصالح يعتمد على ماذا يعمل المتطوعون، ولماذا يعملون؛ وليس على مناهجهم؛ (Rosonblum\_١٩٩٨) فالتنظيمات الدينية والطائفية بعضها تحث على العنف ضد الآخر، وليس هذا فقط، وكذلك الآثار الأخلاقية الغامضة للتنظيمات غير العنيفة، وبشكل عام تكون السياسة الجماعية الخاصة بالهوية لها وجهات نظر وأهداف وخصائص مختلفة\_ منغلقة ومعادية للمساواة ولا تتوافق مع المبادئ المدنية من التسامح وحق الاختلاف والاعتراف بالفروق، (أوفه\_٢٠٠١\_ص٧٦) وهو النتيجة الحتمية؛ فالتعددية يفترض أن يحميها المجتمع المدني؛ فهو عالم الخصوصية والمكان الذي نستطيع أن نجد فيه موطناً بغض النظر عن من نحن ومن دون طلب إذن من أحد.

توصلت دراسة إلى أن الجمعيات التي تربط المصالح والنشاط الاقتصادي للهندوس والمسلمين كانت عاملاً في تقليص العنف بينهم، والتعامل بنجاح في إدارة أعمال الشغب حال وقوعها، (Varshney-٢٠٠٠) ولذا فإن الاشتراك الإثني بجمعية واحدة يلعب دوراً في تقليل وقوع العنف والتوسط في مصالح الجميع؛ على خلاف الجمعيات الحصرية لإثنية واحدة؛ ترفع من احتمال العنف، ولا تستطيع التوسط أو تصل إلى تسويات ممكنة بين الإثنيات، وكما أن لها أهمية في تحديد أثر المجتمع المدني في أهداف اجتماعية أوسع، والتأثير في المعايير الاجتماعية الإيجابية، ومع قوة هذه الحجة؛ إلا أنها لاقت نقداً مفاده أن التغييرات الاجتماعية كالتوظيف والصناعة والهجرة ومسؤوليات الدولة مهمة في وتيرة وقوع النزاعات تماماً؛ كما هي مهمة للحياة المدنية في حد ذاتها، ولكن المؤسسات العابرة للأقليات والمحلية وجماعات القواعد الشعبية، لا تعتبر ضامنة لتأمين أهداف المجتمع.



هناك من يرى أن الحياة الترابطية قوة محركة للمعايير الاجتماعية الايجابية التي يقوم عليها المجتمع، ولتأمين إصلاح السياسة العامة الضرورية للمجتمع، ويساور آخرون الشك في حلقات الوصل بين الأشكال والمعايير، ويكون في صالح تفاعل أكثر تعقيداً بين نظم بيئية ترابطية مختلفة والسياق الذي يكون فيه المجال العام يوفر " الوعاء" الذي تؤدي من خلاله عملها بالممارسة؛ فالتحول من الرعايا إلى مواطنين فاعلين وملتزمين بتوظيف قدراتهم وخبراتهم، لإيجاد الحلول للمشكلات العامة بطرق تشاورية، وفق منطق التعلم الجمعي، وهم قادرون على ذلك، ويسعون لخدمة المصلحة العامة. (أوفه\_٢٠٠١\_ص٤٩).

يواجه المجتمع المدني عملية نشطة ومتواصلة أدت إلى ضعف فرصه وانعدام الظروف الملائمة عن طريق سيطرة الإعلام والتجبير وتركز الملكية وسيطرة أنظمة تعيق الحصول على المعلومات إلى جانب النزوع إلى إجماع على أساس القاسم المشترك الأدنى، وتبادل الشتائم بدلاً للحوار الجاد والمثمر، وتشوية السياسة بالمال، ومع أنظمة التعليم النخبوية الممثلة في التخصص التي تحول البلهاء إلى علماء، والإجحاف والتمييز ضد الصوت العام والمشاركة، والتفسير الضيق لحقوق الملكية الفكرية الذي يحايي الأعمال على حساب حق الوصول إلى الأفكار، وأيضاً آثار الاقتصاد الرأسمالي في خفض الجهد واستنفاد الطاقة؛ التي يمكن أن يكرسها الناس لمواطنة نشطة. (إدواردز\_٢٠١٥).

تشهد علاقات المجتمع المدني حالة من التعقيد، ومحاولة التأثير فيها من خلال الدعم الخارجي أو الحكومي، والذي يزيد الصعوبات لحد الخطر، إلى جانب محاولة بناء وصناعة مجتمع مدني ومحاولة استغلاله بما يخدم النموذج الليبرالي الغربي وعلى الطريقة الأمريكية، هي محاولة فجوة، والتركيز على منظمات يعتقد المانحون أن لها أهمية أكثر من غيرها، متجاهلين وسائل التعبير المحلي وتنظيماته؛ التي لا تشبه التوقعات الغربية مثل: القبيلة والعشيرة والحركات الراديكالية، وجماعات ما قبل السياسية؛ لتظهر عدم الثقة، وتشعل التنافس حول الدعم الخارجي المولد لردة فعل تجاه الجمعيات وعلاقتها

بالمصالح الخارجية، وهناك أيضاً محاولات تقوم بها الحكومات لتشكيل القطاع بما ينسجم مع احتياجاتها وأولوياتها، وفي البلدان الأكثر فقراً يكون المجتمع المدني مشلولاً، كما أن المحاباة لجماعات على حسب أخرى، تشوه التنوع والتعدد، وتعيق العلاقات التكاملية والدفع بها للأمام، وتسهم في تخفيض الانفاق العام، وتحرير السوق، وتضع في السياق أهدافاً غير ملائمة، وهو ما يريح المانحون من قصر اجراءات تأسيس الجمعيات وعلى ما يسهل قياسه، ولا يهدف لسهولة تطور أنواع الانتساب والانتماء الجمعي، وتكون مضللة لصناعتها طبقاً لمعايير محددة سلفاً" الحتمية في المجتمع المدني"؛ كما أن المانحين لا تطاهم المساءلة عن قراراتهم ولا ما يدفعهم لموقف شفاف بشأن نظريات التغيير الاجتماعي التي يستخدمونها، ويخرج ما يُقدم من دائرة المعونة والإحسان، والمعونة الرسمية مرتبطة بأجندات ومصالح سياسية مع السلطة الحاكمة، و أن التمويل لمنظمات ضعيفة على مستوى القواعد الشعبية، وتنقصها الشرعية المحلية، يسهم في عدم الاستقرار السياسي، وتراجع الوضع الديمقراطي، وهذه سمة التمويل الخارجي المقدم للمجتمع المدني؛ لهذا فإن دعم منظمة محلية منظمة مسبقاً تنظيمياً جيداً، وتحمل أهدافاً محددة وواضحة؛ فكميات قليلة من المال ومساعدة ودعم فني والتوقيت الصحيح، يكون لها فارق فيما تفعله. (إدواردز\_٢٠١٥\_ص ١٧١)

يفصل (هابرماس) بين الحقول باعتبار أن لكل حقل منطقته الخاص؛ فالحقل السياسي يتعلق بالسلطة والإدارة، والحقل الاقتصادي بالثروة وتراكمها، ويكون التضامن والتواصل المفتوح والحر مجال المجتمع المدني، ولا يتواجد المجتمع المدني في فراغ ومستقل تماماً؛ فيتداخل مع الحقول الأخرى ويستفيد من مواردها، وقد يتعرض للمداهمة منها تجعله يعمل وفق منطقتها بمعايير مغايرة لمعاييره، ومن الواضح أن الحكومة يمكن أن يكون لها أثر على شكل ووظائف المجتمع المدني، ولذلك لا بد من خلق التوازن بين استقلاليتها وبين حاجاته للموارد التي يستمدتها من تلك الحقول، (كومار\_٢٠٠١\_ص ٣٩) ولا يمكن الاعتماد على حقل منها دون سواه؛ كما لا يمكن إنكار أن لكل منها وظيفة ضمن عملية

مركبة ومعقدة في النظام الاجتماعي، وترتبط بينها علاقة غير مستقرة أو منسجمة، وإلى حد التعارض أحياناً، فهيمنة أحدها يهدد بتقويض الحقلين الآخرين، ولذلك يعتمد عمل كل من الحقلين الثلاثة على بعضها بعضاً.

#### الخاتمة:

نحتم إلى أن المجتمع المدني مفهوم جدلي، وتعريفه يتعلق بالتوجهات الفكرية والسياسية، وتنعكس تفسيراته في السياسات و الممارسات المختلفة، وتداوله بشكل مكثف في نهاية القرن الماضي، كان سمة لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، وأفول الأنظمة الشمولية، وظهور توجهات فكرية، مع رغبة في الاندماج في وقت يزداد فيه الشعور بعدم الأمان والأمن، ويمتد دوره على المستوى الدولي؛ أي من المحلية إلى العالمية، ويلعب دوراً محورياً في سياق الديمقراطية والتعددية، التي رفعت وتيرة الانتقال الديمقراطي في كثير من المجتمعات، وأجبرت الديكتاتوريات أن تتحدث عن الديمقراطية، وتضمنها في خطابها السياسي.

مع أنه يمكن أن يوجد نظام بدون ديمقراطية وحرية؛ لكن لا يمكن أن توجد ديمقراطية دون نظام، وتحميل المجتمع المدني ما لا قدرة له على تحمله، وفوق طاقته في واقع أكثر تشابكاً وتعقيداً وديناميكية؛ فالنظر إليه بأنه حل سحري؛ قد يكون رهاناً غير واقعي، في التعميم بإمكانية ترسيخه للديمقراطية، ودوره في التخفيف من الفقر، ونشره لقيم التسامح والتعايش والحفاظ على تماسك المجتمع؛ وإنما تكون النظرة الواقعية إليه بوصفه فكرة ووسيلة للتغيير الاجتماعي؛ إذ تتكأ فاعليته على رؤية تكاملية وعلاقة متوازنة بينه وبين كل من الدولة والسوق، والرهان على نجاحه يختلف من مجتمع لآخر، ويتوقف على السياق العام للمجتمع ومستوى التطور السياسي والاقتصادي والثقافي، والتحولات خارج بنية المجتمع المدني، وأيضاً على مستوى تطور بنيته الداخلية وعلاقات التجسير والتشبيك بين منظماتها.

## المصادر والمراجع:

١. إبراهيم، سعد الدين، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، مركز دراسات التنمية السياسية، القاهرة، ١٩٩١.
٢. إدواردز، مايكل، المجتمع المدني النظرية والممارسة، ت: عبد الرحمن شاهين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٥.
٣. أفاية، محمد، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، أفريقيا الشرق، بيروت، ١٩٩٨.
٤. أوفه، كلاوس، المجتمع المدني والنظام الاجتماعي، ت: أحمد محمود، الثقافة العالمية، ع١٠٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١.
٥. بالأندية، جورج، الانثروبولوجيا السياسية، ترجمة: علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧.
٦. بشارة، عزمي، المجتمع المدني دراسة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨.
٧. بعلبكي، أحمد، مفهوم المجتمع المدني المروج في أدبيات التنمية، عمران للعلوم الاجتماعية، عدد (١) المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٢.
٨. تورين، آلان، ماهي الديمقراطية، ت: عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٠.
٩. الجابري، محمد، إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي، المستقبل العربي، عدد ١٦٠، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣.
١٠. الخشت، محمد، فلسفة المواطنة وأسس بناء الدولة الحديثة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.
١١. سييلا، محمد، للسياسة، بالسياسية، إفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠٠.
١٢. الشرجي، عادل، الفوضى المدمرة في مجتمع التربص، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد ١، مجلد ٣٢، جامعة صنعاء، ٢٠٠٩.

١٣. شكري، مُجَّد، المجتمع المدني بين الواقع والإيديولوجيا، عالم الفكر، عدد ٤، مجلد ٣٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ٢٠٠٨.
١٤. الصلاحي، فؤاد، ثلاثية الدولة والقبيلة والمجتمع المدني، مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، تعز، ٢٠٠٢.
١٥. طارق، حسن، المجتمع المدني والبرلمان: أية تقاطعات وظيفية؟، مجلة فكر ونقد، عدد ٩٣، المغرب، ٢٠٠٩.
١٦. قرنفل، حسن، المجتمع المدني والنخبة السياسية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.
١٧. كاروتز، توماس، مجلة أبواب، عدد ٢٤، دار الساقى، بيروت، ٢٠٠٠.
١٨. الكامل، مُجَّد، المجتمع المدني ومكافحة الفساد في اليمن، ورقة غير منشورة، قدمت للهيئة العامة لمكافحة الفساد، صنعاء، ٢٠٢١.
١٩. كومار، كريشان، حول مصطلح المجتمع المدني، ت: عدنان جرجس، الثقافة العالمية، عدد ١٠٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١.
٢٠. لينين، فلاديمير، الدولة والثورة، الحياة والمعرفة، موسكو، ١٩١٨.
٢١. هلال، علاء الدين & مسعد، نيفين، النظم السياسية العربية، قضايا الاستمرار والتغير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥.

### المراجع الأجنبية:

- Putnam, R; Bowling Alone. The Collapse and Revival of American Community. New York: Simon & Schuster. (2000).
- Rosonblum, N; Marbership and Morals. The Personal Uses of Pluralism in America. Princeton NJ; Princeton UN. (1998).
- Tilly. Charles; Democracy, Cambridge University Press. (2007)
- Varshney. A; Ethnic Conflict and Civic Life: Hindus and Muslims in India. New Haven, CT: Yale University Press. (2000).

## درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية

أ.م.د. عمر عبود سعيد عقيلان<sup>(\*)</sup>

### الملخص:

سعت الدراسة إلى الكشف عن درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية، المعتمدة في العام الدراسي 2020 / 2021م، من خلال عرض المحتوى، والرسوم والأشكال، والأنشطة التعليمية، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، واستخدام بطاقة تحليل المحتوى تبعاً لمجالات رومي وفقراته ومعادلاته الإحصائية.

وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة إشراكية عرض المحتوى للطلبة في كتاب الجغرافيا بلغت (0.52)، وفي كتاب التاريخ بلغت (0.55)، وهي تقع في المدى المقبول الذي حدده رومي، في حين بلغت في كتاب الوطنية (0.26)، وهي لا تقع في المدى؛ مما يعني ضعف إشراكيته للطلبة.

كما أظهرت النتائج ارتفاع درجة إشراكية كتب الاجتماعيات: الجغرافيا والتاريخ والوطنية للطلبة في الرسوم والأشكال، إذ بلغت درجاتها (0.41، 0.5، 0.58)، وأشارت النتائج إلى ارتفاع درجة إشراكية كتاب التاريخ للطلبة في الأنشطة، إذ بلغت (0.4)، وانخفاضها في كتابي الجغرافيا والوطنية، إذ بلغت (0.24، 0.21) على الترتيب.

**الكلمات المفتاحية:** درجة إشراكية، كتب الاجتماعيات، الصف الخامس

(\*) أستاذ المناهج وطرق التدريس المشارك - جامعة سيئون.

## The Degree of Students' Involvement in the Social Studies Textbooks of the Fifth Grade in the Republic of Yemen

### **Abstract:**

The study aimed to find out the degree of students' involvement in the social studies textbooks of the fifth grade in the Republic of Yemen for the academic year 2020/2021 through presenting the content, the diagrams and the figures, and the educational activities. The researcher adopted the descriptive-analytical method, content analysis card and Romy's domains, items and statistical equations.

The results of the study show that the degree of content presentation involvement for students in the geography textbook reached (0.52), and (0.55) in the history textbook, which is within the acceptable range set by Romy, while it reached (0.26) in the civics textbook, which is not within the range, signifying weakness of the students' involvement in it.

The results also demonstrated a high degree of involvement of the social studies textbooks: geography, history and civics for students in terms of diagrams and figures as its degrees reached (0.41, 0.5, 0.58) respectively. Further, the results indicated a high degree of involvement of the history textbook for st

students in terms of the activities reaching (0.4) and a low degree in both geography and civics textbooks reaching (0.24, 0.21) respectively.

**Keywords:** Degree of Involvement; Social Studies Textbook; Fifth Grade.

### المقدمة:

تمثل الكتب الدراسية محوراً مهماً في العملية التربوية والتعليمية، فهي بشكلها وتجديدها المتسارعة في ظل مجتمع التكنولوجيا وعصر ثورة المعرفة، تهدف إلى مواكبة احتياجات الطلبة وميولهم واتجاهاتهم، وقدراتهم، واحتياجات مجتمعاتهم، وهي أيضاً الأداة الفاعلة في تحقيق غايات النظام التربوي وأهدافه ونتاجاته التعليمية.

وبما أن للكتاب المدرسي أثراً فعالاً في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة؛ ولا سيما في مرحلة التعليم الأساسي بوصفه يشتمل على الحد الأدنى لمجموعة الحقائق والأفكار والمفاهيم الأساسية التي تحتضن تلك الأهداف وتترجمها إلى الواقع العملي (العبدالكريم والعبدالكريم، 2016، 2)، فهو من أهم أدوات العملية التربوية والتعليمية، وأحد أهم مدخلاتها، وأكثر تأثيراً في الموقف التربوي والتعليمي، فالكتاب المدرسي جزء أساسي في محتوى المناهج التعليمية (السويدي والخليلي، 1997، 13)، سواء أكان ذلك مطبوعاً أم الكترونياً فهو المرجع الأول الذي يعود إليه الطلبة لإكساب معلوماتهم وقدراتهم الوجدانية والمهارية في أي مجال من مجالات الدراسة بكافة تفصيلاتها العلمية (يوسف، 2009، 4).



وتزداد قيمة الكتاب المدرسي بالنسبة للطلبة بمقدار ما يبذل فيه من جهد في التأليف والإخراج، وعرض المادة التعليمية بطريقة تثير تفكير الطلبة وتحفزهم على المشاركة الفاعلة، وتراعي فروقهم الفردية (مرعي والحيلة، 2004، 262). الأمر الذي يجعل منه وثيقة للتعليم والتدريس، يتوخى منها إحداث التغييرات السلوكية المطلوبة عند الطلبة (القضاة وعساف وأبو لطيفة، 2014، 268)، ويمكن استخدامها داخل الصف وخارجه، فردياً وجماعياً، فهو يعمل بمنزلة مخزن أو مستودع للمعلومات والخبرات التي ينهل منها الطلبة (طعيمة، 2004، 80).

لذا ينبغي أن يصمم الكتاب المدرسي بعناية من حيث اختيار مكوناته من المادة العلمية وخبراته التعليمية وصوره وأشكاله التوضيحية وأنشطته الإثرائية، أي شكلاً ومضموناً، بما يتلاءم مع الأسس المعرفية والنفسية والاجتماعية والمعرفية والفنية والتقنية، ليكون أداة تربوية تعليمية فاعلة تسهل عملية التعلم على الطلبة، وتساهم في تحقيق الأهداف التربوية (الحوالدة، 2007، 310؛ القضاة وآخرون، 2014، 262)، وليأخذ موقعه المهم في منظومة النظام التربوي والتعليمي عامة، ومنظومة المناهج التعليمية خاصة (يوسف، 2009، 15).

ويرى مرعي ومُجد (2007، 252) أن الكتاب المدرسي المصدر الرئيس لتعليم الطلبة، الذي يعكس في محتواه فلسفة المجتمع ومنظومة قيمه، وأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية، فضلاً عن حاجة الطلبة وميولهم؛ لأجل ذلك ينبغي اتباع سياق جديد في تأليف الكتاب المدرسي يتعد عن السرد ويعتمد على أساسيات المعرفة والتفكير الناقد والتحليل والربط والتفسير، ويزود بالأنشطة المعتمدة على البيئة المحلية بالإضافة إلى الرسوم والصور التوضيحية؛ مما يجعله يبعث على التعلم الذاتي (دروزة، 2000، 103).

وفي ضوء ما سبق، يمكن القول إن الكتاب المدرسي يجب أن يوفر الشروط المادية والنفسية التي تساعد الطلبة على التفاعل النشط مع عناصر البيئة التعليمية في الموقف التعليمي، أي مساعدة الطلبة

على اكتساب الخبرات والمعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التي يحتاج إليها وتناسبه، بأبسط الطرق الممكنة.

وهذا ما يؤكد أن التفاعل النشط هو الطريقة التي تسمح للطلبة بالمشاركة الفاعلة داخل الحجرة الدراسية، وتأخذهم إلى ما هو أبعد من الأثر السمي السلي (أبو سنينة وعشا وقطاوي، 2009، 52)، أي يجعلهم يشاركون ويتبادلون الخبرات مع المعلم من جانب ومع بعضهم بعضا من جانب آخر، ويخلق لهم فرصًا متكافئة على اختلاف خصائصهم المختلفة (UNESCO، 2013، 30).

وعليه فإن الكتاب المدرسي عامة وكتب الاجتماعيات خاصة تقع عليها العديد من الوظائف، أبرزها إكساب الطلبة مهارات التعبير والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين، سواء أكانت هذه التفاعلات لفظية أم غير لفظية، بوصف هذه التفاعلات واحدة من أهم ملامح صناعة التميز للإنسان في إطار الربط بين التعلم والحياة (طوبالة وعبيدات، 2012، 305)، كما أن كتب الاجتماعيات تمثل أحد ميادين المعرفة والاتجاهات الضرورية للمواطن الصالح، فهي تعنى بتنمية المواطنة وتحقيق مفهوم الذات وتنمية الأنماط السلوكية المرغوب فيها (جري، 2017، 27).

ويرى المجلس الوطني للدراسات الاجتماعية (NCSS) في الولايات المتحدة الأمريكية أن من أهم أهداف الدراسات الاجتماعية هي تطوير المفاهيم، وتنمية المواطنة لدى الطلبة الصغار، وإكسابهم الطابع الاجتماعي في إطار عملي، يمكنهم من المشاركة الاجتماعية المسؤولة في الصف والمدرسة والمجتمع والعالم (خضر، 2014، 32)؛ ذلك لطبيعة كتب الاجتماعيات التي تشمل على الجغرافيا، والتاريخ، والاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، وهذه كلها ميادين لها علاقة مباشرة بحياة الطلبة (خضر، 2014، 23).

ولكي تحقق كتب الاجتماعيات كل ذلك، لا سيما في مرحلة التعليم الأساسي التي تمثل الحد الأدنى من التعليم الذي لا غنى عنه لتهيئة الطلبة؛ لكي يكونوا مواطنين قادرين على أن ينطلقوا بمسؤولياتهم الفردية والاجتماعية (جري، 2017، 26)، لابد من إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات، إذ تعد إشراكية الكتب للطلبة عنصراً مهماً في اتجاهات تطوير الكتب المدرسية، حتى تؤدي عملية التعليم إلى تعلم استقصائي، وذو معنى، وهذا ما تسعى إليه الاتجاهات الحديثة في التدريس على المستوى العالمي (حاجي، 2019، 50).

وتعني إشراكية الكتب للطلبة؛ الأسلوب الذي يتم فيه عرض المادة التعليمية في الكتب المدرسية بشكل يساعد الطلبة على الاستيعاب ويفرزهم على الاستقصاء والاستفسار وحل المشكلات مُتَحَدِّين بذلك تفكيرهم ومفسحاً لهم الفرصة؛ ليناقشوا ويعبروا عن آرائهم من خلال تضمين الكتب المدرسية المحتوى والأشكال والرسوم الهادفة، التي تشجع على تبادل وجهات النظر بين المعلم والطلبة من جهة، والطلبة أنفسهم من جهة أخرى، مبتعدة عن أسلوب السرد والتلقين الذي يقيد أفكار الطلبة (العبدالكريم والعبدالكريم، 2016، 7)، وهذا يعني إعطاء الكتب المدرسية للطلبة بيانات خام أولية وتفسيرات خاصة، ومواقف في صياغة من التحدي، ولكنها مرتبطة ببيئتهم لتلائم الفروق الفردية وتشجعهم على التعلم الذاتي (خطايب، 2008، 191).

وعلى ضوء ذلك، ونظراً للأهمية التي تتميز بها كتب الاجتماعيات في المرحلة الأساسية، يرى الباحث أنه من الضروري أن يأخذ واضعو كتب الاجتماعيات في هذه المرحلة بعين النظر المشاركة الفعالة للطلبة في الكتب من خلال طريقة عرضها للمحتوى التعليمي والرسوم والأشكال، والأنشطة التعليمية؛ لكونها تمكنهم من المشاركة في عالمهم ومساعدتهم على فهم علاقاتهم مع الآخرين، ومع مؤسسات المجتمع المختلفة؛ ليكونوا مواطنين فاعلين في خدمة أنفسهم وأسرهم ووطنهم والإنسانية بأسرها.

ونظراً لأهمية إشراك الطلبة في الكتب المدرسية، فقد أجريت بعض الدراسات والأبحاث للكشف عن مستوى إشراكية الكتب للطلبة، وفي هذا الإطار يمكن أن نستعرض بعض الدراسات السابقة في اتجاهين: أحدهما عام يتناول بعض الدراسات السابقة لإشراكية الطلبة في الكتب المدرسية عامة، والآخر خاص بإشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات ، ففي الاتجاه العام أجرى نوافلة (2012) دراسة هدفت إلى الكشف عن درجة إشراكية كتب العلوم لطلبة المرحلة الأساسية في الأردن، من خلال كل من عرض المحتوى، والرسوم والأشكال، والأنشطة، كما هدفت إلى الكشف عن الفروق في درجة إشراكية الكتب وفقاً للصف الدراسي، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمت طريقة رومي Romy ، واختبار كاي تربيع. أظهرت النتائج أن إشراكية المحتوى جاءت مقبولة، وإشراكية الأنشطة منخفضة، أما إشراكية الرسوم والأشكال فقد كانت جيدة عدا كتاب الجزء الأول للصف السابع، كما أظهرت النتائج أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) وأوصت الدراسة بزيادة الاهتمام بإشراكية كتب العلوم للطلبة، وخصوصاً الأنشطة، وإجراء المزيد من الدراسات التحليلية لكتب العلوم في ضوء الإشراكية.

وفي دراسة أخرى أجراها العبد الكريم (2016) سعت إلى الكشف عن درجة إشراكية الطلاب في كتاب العلوم المطور للصف السادس الابتدائي في السعودية من خلال كل من : عرض المحتوى والرسوم والأشكال ، والأنشطة ، وتم حسابها بمعادلات رومي التي تقيس معامل الإشراكية. وأظهرت النتائج أن إشراكية الطلبة في المحتوى يقع في المدى المقبول، وانخفاضه في إشراكية الرسوم والأشكال، وارتفاعه في الأنشطة.

وفي دراسة قام بها الأسدي (2019) سعت إلى معرفة درجة إشراكية كتاب البلاغة والتطبيق لطلبة الصف الخامس الإعدادي في العراق في مجال عرض المادة والنشاطات. ولتحقيق هدف الدراسة استعمل الباحث المنهج الوصفي، واتبع صيغة رومي، وتكون مجتمع الدراسة من كتاب البلاغة

والتطبيق، واختار الباحث (5) موضوعات عشوائياً بما نسبته (26.32%) في مجال عرض المادة، أما النشاطات فقد اعتمدها الباحث جميعاً والبالغ عددها (39) نشاطاً. وبعد إجراء التحليل والتأكد من ثباته أسفرت النتائج عن أن معامل الإشرافية في عرض المحتوى بلغ (0.02) وهو أقل من الحد الأدنى لقبول، أما معامل إشرافية النشاطات فقد بلغ (1.15) وهو ضمن الحد المقبول.

ويهدف معرفة إشرافية كتب الرياضيات لطلبة المرحلة الأساسية العليا في فلسطين، أجرى الأشقر (0.4 - 1.5) دراسة، اعتمد في إجراءاتها على المنهج الوصفي التحليلي مستخدمة أسلوب تحليل المحتوى. وتوصلت الدراسة إلى أن درجة إشرافية كل من عرض المحتوى، والرسوم والأشكال في الكتب المختارة مقبولة حسب المعيار الذي حدده رومي، فهي تتراوح بين (0.4 - 1.5). أيضاً أسفرت النتائج عن عدم فروق ذات دلالة إحصائية لإشرافية كتب الرياضيات للكتب المختارة في كل من عرض المحتوى والرسوم والأشكال والأنشطة.

وعلى صعيد الاتجاه الخاص الدراسات التي تناولت إشرافية الطلبة في كتب الاجتماعيات، فقد قام العنزي (2006) بدراسة سعت إلى تقييم كتاب الدراسات الاجتماعية للصف التاسع في دولة الكويت في ضوء المعايير المعاصرة الواجب توافرها في الكتب المدرسية، وفعاليتها في إشراك الطالب وتنمية مهاراته المختلفة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تقييم الكتاب مستخدماً أداة قام بإعدادها والتأكد من صدقها وثباتها، كما استخدم معادلة رومي لحساب معاملات إشرافية الكتاب للطلاب. وقد توصلت الدراسة إلى تباين مراعاة الكتاب لمعايير ومواصفات الكتاب المدرسي الجيد؛ إذ تحققت فيه معظم المعايير بدرجات متفاوتة، وافتقر إلى تحقيق بعضها، كما جاء الإخراج الفني في المرتبة الأولى من حيث تحقق البنود المعيارية، وأشارت نتائج الدراسة إلى ضعف إشرافية الكتاب للطلاب في عرض المادة العلمية والأنشطة والوسائل التعليمية والرسوم والصور وخلاصات الفصول.

كما قام العوضي (2010) بدراسة سعت إلى تقييم كتاب التاريخ للصف العاشر في دولة الإمارات العربية المتحدة في ضوء المعايير المعاصرة، والكشف عن مدى إشراكية الكتاب للطالب، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي المسحي مستخدماً أداة قام بإعدادها، وتأكد من صدقها وثباتها، كما استخدم معادلة رومي لحساب إشراكية الكتاب للطالب. وقد توصلت الدراسة إلى تباين درجة مراعاة الكتاب لمعايير ومواصفات الكتاب الجيد، وأظهرت النتائج ضعف إشراكية الكتاب للطالب في عرض المحتوى، وإشراكيته بدرجة ممتازة في مجال الصور والأشكال والرسومات ومجال الأنشطة.

وأجرى أحمد (2018) دراسة سعت إلى التعرف على مدى إشراكية الطالب في كتاب التاريخ للصف الثاني عشر الثانوي في الصومال، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، كما استخدم في المعالجة الإحصائية معادلة رومي. وأظهرت نتائج الدراسة أن معامل إشراكية الطالب في الكتاب من حيث عرض المادة العلمية الجيدة، وأن درجة الإشراكية من حيث الأشكال والرسومات والصور والنشاطات متدنية.

وقام حاجي (2019) بدراسة سعت إلى تحديد مستوى إشراكية الطالب في محتوى كتاب التاريخ الحضاري للصف العاشر الإعدادي في إقليم كردستان العراق، من خلال طريقة عرضه لكل من المحتوى التعليمي، والرسوم والأشكال، والأنشطة التعليمية، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم في المعالجة الإحصائية معادلة رومي. وأظهرت النتائج أن مستوى إشراكية الطالب في المحتوى التعليمي والرسوم والأشكال كان ضعيفاً، أما فيما يتعلق بإشراكية الطالب في الأنشطة التعليمية فقد كان ضعيفاً جداً.

ومن خلال استعراض الباحث للدراسات السابقة تبين أن هناك أهمية لدراسة درجة إشراكية الكتب الدراسية للطلبة في جميع المراحل الدراسية، كما يتضح من الدراسات السابقة أيضاً اعتمادها

بدرجة أساسية على معادلات رومي (Romey`s Formula)، وهو الأسلوب نفسه الذي استخدمته الدراسة الحالية.

أما الفرق بين هذه الدراسة وسابقتها فيتمثل في تناولها إشراكية الكتب المدرسية للتعليم في اليمن وتحديدًا في كتب الصف الخامس من المرحلة الأساسية، وهذا ما لم تبحثه أي دراسة من الدراسات السابقة في حدود علم الباحث وإطلاعه.

واستناداً لما سبق ذكره وبالرغم مما حققته وزارة التربية والتعليم اليمنية من إنجازات في مجال قطاع المناهج التعليمية؛ حرصاً منها على جعل التعليم مواكباً لمستجدات الحياة في هذا العالم. إلا أن الأمر يستدعي تقويم كتبها بين مدة والأخرى للوصول إلى مستوى عالٍ من الجودة لتحقيق أفضل النتائج المرغوب فيها؛ وحتى تكون هذه الكتب كذلك فإنه لا بد من تقديم محتوى تعليمي ورسوم وأشكال وأنشطة تعليمية يشارك فيها الطلبة بمستوى عالٍ، ومنها كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي في الجمهورية اليمنية.

وعليه، فإن هذه الكتب بوصفها ضمن الكتب المطورة المنبثقة عن الاستراتيجية الوطنية لتطوير التعليم الأساسي في الجمهورية اليمنية (2003 - 2015)؛ مما يستدعي إجراء دراسة تقييمية لإشراكيتها للطلبة؛ ولإعطاء صورة عن واقعها بغرض تحسينها وتطويرها، وهذا ما دفع الباحث للقيام بهذه الدراسة.

### مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تعد إشراكية الكتب للطلبة من الاتجاهات التربوية الحديثة في تطوير الكتب المدرسية، التي تسعى إلى تمركز التعليم والتعلم نحو الطلبة، أي جعل الطلبة مشاركين بفعالية في العملية التعليمية، وهذا ما يصطلح عليه بالتعلم الفعال الذي يعتمد على تفاعل الطلبة مع بعضهم، ومع ما يعرض

عليهم من معلومات وحقائق، بما يتلاءم مع قدراتهم العقلية ويخلق لهم فرصاً متكافئة للتفاعل مع المادة العلمية (Cooper et al، 2011، 83).

ولقد أظهرت نتائج مجموعة دراسات سابقة أجريت عن إشراكية الكتب للطلبة (نوافلة، 2012؛ العبد الكريم والعبدالكريم، 2016؛ الأسدي، 2006؛ العوضي، 2010؛ حاجي، 2019) أن هناك ضعفاً شديداً في إشراكية الكتب للطلبة سواء أكان ذلك في عرض المحتوى التعليمي في بعض الدراسات أم الرسوم والأشكال أو الأنشطة التعليمية في بعض البلدان التي أجريت فيها تلك الدراسات، الأمر الذي يستدعي أخذ عينات من الكتب الدراسية في اليمن ولا سيما كتب المرحلة الأساسية.

وقد اختيرت كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي؛ لأنها تمثل بداية تدريس كتب الاجتماعيات بصورة مستقلة في هذه المرحلة، أي كل كتاب مستقل عن الآخر (الجغرافيا، التاريخ، الوطنية) بخلاف الذي هو في الصف الثالث والرابع (التربية الاجتماعية)، وتأمل الجهات المسؤولة فيها إكساب الطلبة الكثير من الجوانب الاجتماعية التي ينشدها المجتمع، بمعنى آخر إعداد الطلبة لممارسة الحياة المجتمعية بجوانبها المختلفة. فضلاً عن ما يشير إليه خضر (2014، 23) من أن المواد الاجتماعية تصنف من أبرز المواد التي يمل منها الطلبة؛ والتي قد يرجع ذلك إلى أسلوب عرض محتواها وطبيعة رسومها وأشكالها وأنشطتها، بالإضافة إلى ما أكد عليه اللقاني (1981، 52) من تركيز كتب الاجتماعيات على الحقائق المجردة التي لا تترك للطلبة فرصة للمشاركة. وعليه يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية؟

ويتفرع عنه الأسئلة الفرعية الآتية:



١. ما درجة إشراكية الطلبة في عرض محتوى كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي

بالجمهورية اليمنية؟

٢. ما درجة إشراكية الطلبة في رسوم وأشكال كتب الاجتماعيات للصف الخامس

الأساسي بالجمهورية اليمنية؟

٣. ما درجة إشراكية الطلبة في تنفيذ أنشطة كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي

بالجمهورية اليمنية؟

### أهداف الدراسة:

سعت الدراسة الحالية إلى قياس درجة إشراكية الطلبة في عرض محتوى، ورسوم وأشكال،

وتنفيذ أنشطة كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية.

### أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة الحالية في:

١. تناولها موضوع يمثل اتجاهًا حديثًا في تحول تمرکز عملية التعليم والتعلم من المعلم إلى

المتعلم.

٢. قد تقدم مؤشراً للحكم على درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات في التعليم

العام، ولا سيما المرحلة الأساسية.

٣. قد تفيد الجهات ذات الاختصاص في الإدارة العامة للمناهج بالوزارة في إثراء كتب

الاجتماعيات بالعرض والرسوم والأشكال والأنشطة التي تعتمد على فعالية الطلبة

وجذب انتباههم.

٤. تعد فريدة ومتخصصة في مجالها؛ إذ لم تجر أية دراسة على كتب الاجتماعيات للمرحلة الأساسية عامة، وكتب الصف الخامس خاصة. في حدود علم الباحث.

### حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة الحالية على الحدود الآتية:

- الحد الموضوعي: إشرافية الطلبة في عرض المحتوى، والرسوم والأشكال، والأنشطة.
- الحد المكاني: كتب الاجتماعيات للصف الخامس من مرحلة التعليم الأساسي بالجمهورية اليمنية.
- الحد الزماني: الفصل الثاني من العام الدراسي 2020 / 2021م.

### مصطلحات الدراسة:

لغرض الدراسة الحالية فإنه يمكن توضيح المصطلحات الآتية:

. الإشرافية: يعرفها رومي (Romey، 1986، 47) بأنها " الطريقة التي يتم فيها تصميم المادة التعليمية في الكتاب المدرسي بشكل يساعد الطالب على الفهم، ويجفزه على اكتشاف المعرفة، ويشجعه على التفكير فيما يعرض عليه من معلومات، وأشكال وأنشطة تعليمية، مبتعدة عن أسلوب السرد والتلقين الذي يقيد فكر الطالب". كما يعرفها نوافلة (2012، 2377) بأنها " درجة مخاطبة عرض المحتوى والأنشطة والرسومات والأشكال، وتقاس بطريقة رومي".

ويعرفها الباحث إجرائياً بأنها: درجة مخاطبة كتب الاجتماعيات لطلبة الصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية بطريقة تسمح بتفاعلهم ومشاركتهم في المواقف التعليمية الصفية ووجير

الصفية، مستخدمين المحتوى العلمي والرسوم والأشكال والأنشطة التعليمية المتضمنة في دروس هذه الكتب، ويمكن قياسها بمعادلات رومي.

. كتب الاجتماعيات : يعرفها الخضر (2006، 15) بأنها " المناهج المدرسية التي تُدرس في

المرحلتين الأساسية والثانوية، والتي تعني بدراسة الإنسان، والعلاقات الإنسانية من ناحية، وعلاقات الإنسان ببيئته من ناحية أخرى، والوسائل التي تجعل هذه العلاقة على أحسن وجه ممكن".

ويعرفها الباحث إجرائيًا بأنها: الكتب المدرسية لمواد الجغرافيا والتاريخ والوطنية، وتضم مجموعة من الخبرات التعليمية المتعلقة بالطبيعة الجغرافية والتاريخية والوطنية، ذات البعد الاجتماعي المتعلق بالمواطن اليمني، والبعد القيمي المتعلق بقيم المجتمع وعاداته وتقاليده، والتي يسعى في إكسابها الطلبة والاستفادة منها في تنمية معارفهم واتجاهاتهم وقدراتهم المرغوب فيها.

. المرحلة الأساسية: هي المرحلة الثانية من السلم التعليمي في اليمن بعد المرحلة التمهيدية،

وهي مرحلة إلزامية ومجانبة وموحدة لمدة تسع سنوات تبدأ بالصف الأول وتنتهي بالصف التاسع، وتعد شرطًا للالتحاق بالمرحلة الثانوية.

## طريقة الدراسة وإجراءاتها:

### منهج الدراسة:

اتبع الباحث في دراسته المنهج الوصفي المسحي القائم على وصف الظاهرة كما هي، وذلك من خلال رصد واقع كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي وتحليلها، باستخدام معامل رومي لمعرفة درجة إشراكية تلك الكتب للطلبة من حيث عرض المحتوى، والرسوم والأشكال والأنشطة.

## مجتمع الدراسة وعينتها:

اشتمل مجتمع الدراسة على جميع كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية؛ وهي كتب الجغرافيا والتاريخ والوطنية، والتي تم تدريسها في العام الدراسي 2020 / 2021م، والبالغ عددها ثلاثة كتب؛ وكل كتاب تتوزع وحداته ودروسه على فصلين، أي الفصل الأول والفصل الثاني من العام الدراسي، وقد بلغ عدد صفحات الكتب الثلاثة ( 252 ) صفحة، كما يوضح ذلك الجدول الآتي :

جدول رقم (1) بيانات مجتمع الدراسة

| جهة النشر            | الناشر                 | سنة الطبع | عدد الصفحات | عدد الدروس | عدد الوحدات | الفصل  | الكتاب    |  |
|----------------------|------------------------|-----------|-------------|------------|-------------|--------|-----------|--|
| مطابع الكتاب المدرسي | وزارة التربية والتعليم | 2014      | 86          | 10         | 2           | الأول  | الجغرافيا |  |
|                      |                        |           |             | 9          | 2           | الثاني |           |  |
|                      |                        | 2014      | 86          | 13         | 2           | الأول  | التاريخ   |  |
|                      |                        |           |             | 7          | 2           | الثاني |           |  |
|                      |                        | 2014      | 80          | 7          | 2           | الأول  | الوطنية   |  |
|                      |                        |           |             | 8          | 2           | الثاني |           |  |
|                      |                        |           |             | 252        | 54          | 12     | الإجمالي  |  |

أما عينة الدراسة المستخدمة لتحديد إشرافية كتب الاجتماعيات للصف السادس الأساسي، فقد اختيرت بالطريقة العشوائية المنتظمة، بمعدل صفحة بعد كل صفحتين بشكل متوالٍ ومتسلسل من كل كتاب من الكتب الثلاثة، وتم تجاوز الصفحة إذا كانت تهيئة لوحدة أم تقويم وحدة، وأخذ الصفحة التالية لها، وذلك لضمان تحليل صفحات كاملة؛ مما يعطي دقة أكبر في الحكم، إذ بلغ عدد

الصفحات المحللة عينة الدراسة (74) صفحة بما نسبته (33.3%) من مجموع صفحات الكتب الثلاثة مجتمعة، كما يوضح ذلك الجدول الآتي:

جدول رقم (2) بيانات عينة الدراسة

| النسبة المئوية | عدد الصفحات في العينة | عدد الصفحات في المجتمع | الفصل    | الكتاب    |
|----------------|-----------------------|------------------------|----------|-----------|
| 32.43%         | 12                    | 37                     | الأول    | الجغرافيا |
| 33.33%         | 13                    | 39                     | الثاني   |           |
| 32.60%         | 15                    | 46                     | الأول    | التاريخ   |
| 33.33%         | 10                    | 30                     | الثاني   |           |
| 30.95%         | 13                    | 42                     | الأول    | الوطنية   |
| 36.66%         | 11                    | 30                     | الثاني   |           |
| 33.03%         | 74                    | 224                    | الإجمالي |           |

### أداة الدراسة:

تتمثل أداة الدراسة في صيغة رومي (Romey)؛ وتتكون من (16) فقرة موزعة على ثلاثة مجالات رئيسة هي: مجال عرض المحتوى ويضم (10) فقرات، ومجال الرسوم والأشكال ويضم (4) فقرات، ومجال الأنشطة ويضم (2) فقرات. وتعد هذه الأداة أنسب الأدوات لتحديد إشراكية الكتاب للطلبة، وقد استخدمتها جميع الدراسات السابقة الواردة في الدراسة الحالية.

### صدق الأداة:

للتأكد من صدق الأداة، قام الباحث بعرضها على مجموعة من المحكمين بلغ عددهم (5) محكمين من ذوي الاختصاص والخبرة في المناهج وطرائق التدريس واللغة العربية واللغة الإنجليزية، وذلك للتأكد من سلامة الأداة ووضوح رموز الفقرات ومعانيها ومناسبتها لكتب الاجتماعيات.

وفي ضوء ملاحظات المحكمين وآرائهم تم تعديل بعض صياغة المعاني لتناسب مع كتب الاجتماعيات، مع إهمال الفقرات التي لا تأثير لها في إشراكية الكتب للطلبة، كما تمت الإشارة إلى ذلك سابقاً عند الحديث عن قياس الإشراكية، وبذلك أصبحت الأداة في صورتها النهائية مكونة من (12) فقرة موزعة على الثلاثة المجالات؛ عرض المحتوى (8)، والرسوم والأشكال (2) فقرتان، والأنشطة (2) فقرتان.

### ثبات الأداة:

للتأكد من ثبات أداة الدراسة، قام الباحث باختيار درسين من كل كتاب بطريقة عشوائية، وقد تكونت تلك الدروس من نحو (23) صفحة، كما يوضح ذلك الجدول الآتي:

جدول رقم (3) بيانات عينة ثبات الأداة

| الكتاب    | الفصل  | عنوان الدرس                       | أرقام الصفحات | عدد الصفحات |
|-----------|--------|-----------------------------------|---------------|-------------|
| الجغرافيا | الأول  | الخريطة والصورة الجوية            | 14 - 13       | 2           |
|           | الثاني | التعدين والصناعة                  | 68 - 65       | 4           |
| التاريخ   | الأول  | الدول اليمنية القديمة             | 11 - 9        | 4           |
|           | الثاني | الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية    | 78 - 75       | 4           |
| الوطنية   | الأول  | التقسيم الإداري للجمهورية اليمنية | 30 - 27       | 4           |
|           | الثاني | السلطة التنفيذية                  | 57 - 53       | 5           |
| الإجمالي  |        | 6                                 |               | 23          |

ولحساب الثبات تم تحليل الدروس الستة مرتين متتاليتين بفارق زمني قدره شهر، ورصدت مرات الاتفاق والاختلاف بين التحليل الأول والتحليل الثاني، ومن ثمَّ تمَّ حساب الثبات باستخدام

معادلة كوبر (عبد الرحمن، 1998، 53)، وقد بلغ ثبات الأداة نحو (0.91)، وهو ثبات مناسب لضمان دقة الأداة، وثبات التحليل عينة الدراسة، والجدول الآتي يوضح درجات ثبات الأداة:

جدول رقم (4) معاملات ثبات أداة التحليل

| الرقم | موضوع التحليل   | مرات الاتفاق | مرات الاختلاف | معامل الثبات |
|-------|-----------------|--------------|---------------|--------------|
| 1     | عرض المحتوى     | 92           | 6             | 0.94         |
| 2     | الرسوم والأشكال | 16           | 4             | 0.80         |
| 3     | الأنشطة         | 7            | 1             | 0.88         |
| 4     | الإجمالي        | 115          | 11            | 0.91         |

### إجراءات التحليل:

- اتبع الباحث في تحليل صفحات عينة الدراسة من الكتب الثلاثة الإجراءات الآتية:
1. صنف الباحث كل جزء من الأجزاء الستة وحدة واحدة.
  2. جدد الباحث مجالات التحليل في المجالات الثلاثة التي حددها في عرض المحتوى، والرسوم والأشكال، والأنشطة.
  3. حدد الباحث فئات التحليل للدراسة في الفقرات التي حددها رومي، وبلغ عددها (12) فقرة بعد إهمال الفقرات التي لا تأثير لها في إشراكه الطلبة.
  4. اعتمد الباحث الفكرة وحدة لتحليل الصفحات موضوع الدراسة والتحليل.
  5. التزم الباحث خلال عملية التحليل بعدد من الضوابط منها؛ التحليل في إطار فئات التحليل المحددة، ورصد تكرارها ونسبتها، وتخصيص استمارة لكل جزء على حده أثناء عملية التحليل.

٦. استبعد الباحث من عملية التحليل صفحات الغلاف، والمقدمة، والتقويم، فهارس المحتويات والصفحات التمهيدية للوحدات، وقوائم المراجع.

### قياس الإشراكية:

تقاس إشراكية الكتب للطلبة بطرق متعددة منها طريقة رومي، وهو أول من استخدم المصطلح، فعرفت هذه الطريقة باسمه، ويحسب معامل إشراكية الكتب وفقاً لهذه الطريقة من خلال عرض المحتوى والرسوم والأشكال والأنشطة، ويتم ذلك عن طريق الاختيار العشوائي لبعض صفحات الكتب وتحليلها، ويتم احتساب إشراكية الكتب من خلال معادلات خاصة لحساب معامل الإشراكية (خطايبية، 2008، 191؛ حاجي، 2019، 54). وبالاعتماد على ما جاء في الدراسات السابقة، يمكن تلخيص معادلات حساب معامل الإشراكية كالاتي :

#### 1. معامل حساب إشراكية الكتب للطلبة في عرض المحتوى:

$$\text{معامل "درجة" الإشراكية في عرض المحتوى} = \frac{\text{ه} + \text{و} + \text{ز} + \text{ح}}{\text{أ} + \text{ب} + \text{ج} + \text{د}}$$

حيث إن:

- أ- عبارات الحقائق والمفاهيم الاجتماعية.
- ب- الاستنتاجات أو التعميمات الصريحة.
- ج- التعريفات.
- د- الأسئلة التي تسأل ويجب عنها الكتاب مباشرة.
- هـ- الأسئلة التي تتطلب قيام الطالب بتحليل المعلومات.
- و- الجمل الإخبارية التي تتطلب من الطالب القيام بتحليل المعلومات.



- ز- الإرشادات التي تتطلب من الطالب أداء نشاط ما وتحليله، أو العبارات التي تطرح مشكلة ليقوم الطالب بحلها.
- ح- الأسئلة التي تسأل لإثارة اهتمام الطالب ولا يوجد لها إجابة مباشرة في الكتاب.
- ط- الجمل التي توجه القارئ للنظر إلى الشكل أو الرسم، والتعليمات الإجرائية في النشاط والجمل التي لا تلائم أيًا من التصنيفات السابقة.
- ي- الأسئلة التي تطرح لمجرد التأثير في النفوس، وليس المقصود منها الحصول على جواب.
- الفقرات (أ، ب، ج، د) لا تحتاج إلى مشاركة الطلبة، وهي تمثل المستويات الدنيا.
- الفقرات (هـ، و، ز، ح) تحتاج إلى مشاركة الطلبة وتخلق المتوجة الاستقصائي لديه، وهي تمثل مستويات عليا.
- أما الفقرات (ط، ي) فهي لا تؤثر بشكل حقيقي في فائدة الكتاب وإشراكه للطلبة؛ فتم تجاهلها.

## 2. معامل حساب إشراكية الكتب للطلبة في الرسوم والأشكال :

معامل " درجة " الإشراكية في الرسوم والأشكال =

مجموع تكرارات الفئة ب ( تشرك الطالب في تعلمه ) أ

مجموع تكرارات الفئة أ ( لا تشرك الطالب في تعلمه ) ب

حيث إن :

أ- تعني رسوماً أو أشكالاً تستخدم بشكل مباشر لغرض توضيحي.

ب- تعني رسوماً أو أشكالاً لا تحتاج من الطالب أداء نشاط، أو استخدام معلومات إجابة عن سؤال.

ج- يوضح كيفية تركيب جهاز لنشاط ما.

د- لا تلائم أيًا من السابقة.

### 3 - معامل حساب إشرافية الكتب للطلبة في الأنشطة:

معامل إشرافية الأنشطة = عدد الأنشطة التي يطلب من الطالب أدائها

عدد الصفحات المحددة للتحليل عن الأنشطة

#### تفسير قيم المعاملات :

تشير الدراسات السابقة إلى أنه عند استخدام القوانين السابقة لحساب معامل إشرافية الكتب ، فإنه يتم عند تفسير النتائج اعتماد المعايير الآتية :

١ . إذا كان معامل إشرافية الكتاب للطالب يساوي صفرًا ، فهذا يعني عدم إشرافية الكتاب للطالب .

٢ . إذا كان معامل إشرافية الكتاب للطالب يساوي واحدًا ، فهذا يعني أن نصف عبارات الكتاب تشرك الطالب وتحته على التفكير والنصف الآخر لا يشركه .

٣ . كلما زادت قيمة المعامل الإشرافية ارتفعت نسبة إشرافية الكتاب للطالب ، وزادت نسبة المادة التي تتطلب الاستقصاء والبحث موازنة بالمادة التي لا تتطلبه .

٤ . إذا قل معامل إشرافية الكتاب عن (0.4) فيعد الكتاب تسلطيًا ، أي إنه يتضمن تحديًا قليلاً لفكر الطالب .

٥ . إذا كان معامل إشرافية الكتاب أكثر من (1.5) فهذا يعني أن الكتاب لا يحوي إلا أسئلة ، ومثل هذا الكتاب لا يعطي الطالب البيانات الكافية ليتعامل معها بفعالية .

٦. إذا كان معامل إشراكية الكتاب بين (0.4) و (1.5) فيعد معاملاً مقبولاً ، ويعني أن الطالب يستطيع أن يتعامل مع الكتاب بفاعلية .

### الأساليب الإحصائية:

تم استخدام مجموعة من الأساليب الإحصائية ، وهي : التكرارات ، والنسب المئوية ، معادلات رومي بنماذجها الثلاثة ، المشار إليها سابقاً.

### عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما درجة إشراكية الطلبة في عرض محتوى كتب الاجتماعيات

للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية؟

للإجابة عن هذا السؤال ، تم رصد التكرارات المتعلقة بفقرات النموذج الأول لرومي ( عرض

المحتوى)، ومجموعها ونسبتها المئوية ، في دروس كل فصل دراسي على حده ، ثم قام الباحث بحساب معامل إشراكية عرض المحتوى ، كما يوضح ذلك الجدول الآتي :

جدول رقم ( 5 ) تكرارات فقرات عرض المحتوى ونسبها المئوية في كتب الاجتماعيات

للصف الخامس

| مجموع تكرارات الفقرات ونسبها المئوية |                |                 |                |                 |                | الفقرات                                | م |
|--------------------------------------|----------------|-----------------|----------------|-----------------|----------------|--|---|
| الوطنية                              |                | التاريخ         |                | الجغرافيا       |                |  |   |
| الفصل<br>الثاني                      | الفصل<br>الأول | الفصل<br>الثاني | الفصل<br>الأول | الفصل<br>الثاني | الفصل<br>الأول |  |   |
| 10                                   | 29             | 12              | 17             | 8               | 18             | عبارات الحقائق والمفاهيم<br>الاجتماعية | أ |
| %28.6                                | %50.0          | %27.9           | %32.1          | %15.1           | %34.6          |  |   |
| 3                                    | 2              | 2               | 1              | 4               | 5              | الاستنتاجات أو التعميمات               | ب |

| م  | الفقرات  | مجموع تكرارات الفقرات ونسبها المئوية |                |                 |                |                 |                |
|----|--|--------------------------------------|----------------|-----------------|----------------|-----------------|----------------|
|    |  | الوطنية                              |                | التاريخ         |                | الجغرافيا       |                |
|    |  | الفصل<br>الثاني                      | الفصل<br>الأول | الفصل<br>الثاني | الفصل<br>الأول | الفصل<br>الثاني | الفصل<br>الأول |
|    | الاجتماعية الصريحة   | 8.6%                                 | 3.5%           | 4.7%            | 1.9%           | 7.5%            | 9.6%           |
| ج  | التعريفات الاجتماعية   | 1                                    | 4              | 2               | 1              | 7               | 8              |
|    |  | 2.9%                                 | 6.9%           | 4.7%            | 1.9%           | 13.2%           | 15.4%          |
| د  | الأسئلة الاجتماعية التي تُسأل<br>ويجب عنها الكتاب مباشرة   | 13                                   | 12             | 13              | 14             | 10              | 9              |
|    |  | 37.1%                                | 20.6%          | 30.1%           | 26.4%          | 18.9%           | 17.3%          |
| هـ | الأسئلة الاجتماعية التي تتطلب<br>قيام الطالب بتحليل المعلومات  | 2                                    | 2              | 8               | 10             | 9               | 4              |
|    |  | 5.7%                                 | 3.5%           | 18.6%           | 18.9%          | 17.0%           | 7.7%           |
| و  | الجمل الاجتماعية الإخبارية التي<br>ترشد الطالب لصياغة<br>استنتاجاته الخاصة   | 0                                    | 1              | 0               | 0              | 3               | 2              |
|    |  | 0.0%                                 | 1.7%           | 0.0%            | 0.0%           | 5.7%            | 3.8%           |
| ز  | الإرشادات الاجتماعية التي<br>توجه إلى الطالب وتطلب منه<br>أداء نشاط، وتحليله، والعبارة<br>تطرح مشكلة ليقوم الطالب<br>بحلها | 2                                    | 5              | 4               | 4              | 7               | 3              |
|    |  | 5.7%                                 | 8.6%           | 9.3%            | 7.5%           | 13.2%           | 5.8%           |
| ح  | الأسئلة الاجتماعية التي تسأل<br>لإثارة اهتمام الطالب ولا يوجد<br>لها إجابة مباشرة في الكتاب                                | 4                                    | 3              | 2               | 6              | 5               | 3              |
|    |  | 11.4%                                | 5.2%           | 4.7%            | 11.3%          | 9.4%            | 5.8%           |
|    | المجموع  | 35                                   | 58             | 43              | 53             | 53              | 52             |

يلاحظ من الجدول رقم ( 5 ) أن الفقرة ( أ ) : ( عبارات الحقائق والمفاهيم الاجتماعية )

حصلت على المرتبة الأولى في ثلاثة ( فصول دراسية )؛ هي الفصل الأول لكتاب الجغرافيا، والفصل الأول لكتاب التاريخ والفصل الأول لكتاب الوطنية ، بنسب مئوية ( 34.6% ، 32.1% ،

50.0% ) على الترتيب، فيما حصلت الفقرة (د) ( الأسئلة الاجتماعية التي تسأل ويجب عنها الكتاب مباشرة ) على المرتبة الأول في ثلاثة فصول دراسية، هي الفصل الثاني لكتاب الجغرافيا والفصل الثاني لكتاب التاريخ والفصل الثاني لكتاب التربية الوطنية ، بنسب مئوية (18.9% ، 30.1% ، 37.1% ) على الترتيب .

ولمعرفة درجة معامل إشراكية عرض المحتوى للطلبة تم استخدام معادلة رومي المتعلقة بهذا الشأن، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول الآتي:

جدول رقم ( 6 ) معامل إشراكية عرض المحتوى في كتب الاجتماعيات  
للفصل الخامس الأساسي

| الكتاب    | الفصل        | معامل إشراكية عرض المحتوى<br>للفصل | معامل إشراكية عرض المحتوى<br>للكتاب |
|-----------|--------------|------------------------------------|-------------------------------------|
| الجغرافيا | الفصل الأول  | 0.3                                | 0.52                                |
|           | الفصل الثاني | 0.83                               |                                     |
| التاريخ   | الفصل الأول  | 0.60                               | 0.55                                |
|           | الفصل الثاني | 0.48                               |                                     |
| الوطنية   | الفصل الأول  | 0.23                               | 0.26                                |
|           | الفصل الثاني | 0.3                                |                                     |

يلاحظ من الجدول رقم ( 6 ) أن معامل إشراكية عرض المحتوى لكتابي الجغرافيا والتاريخ مقبولة ومناسبة بالنسبة للكتاب كاملاً، إذ بلغت درجة معاملي الكتابين (0.52 ، 0.55) على الترتيب ، وهذه القيم تأتي في الحد المقبول للإشراكية التي حدده رومي ويتراوح بين (0.4 - 1.5) ، أما معامل إشراكية كتاب الوطنية فقد بلغ (0.26) ، وهذه القيمة أقل من الحد المقبول، أي يعد هذا المحتوى للكتاب تسلطياً؛ لأنه يتضمن تحديداً قليلاً لفكر الطلبة .

ويلاحظ من الجدول نفسه أن معامل إشراك الطلبة في دروس الفصل الثاني لكتاب الجغرافيا، والفصل الأول والثاني لكتاب التاريخ مقبولة ومناسبة لكل فصل على حده؛ إذ بلغت درجات معاملاتهما (0.83، 0.60، 0.84) وهذه القيم تأتي في الحد المقبول للإشراك المشار إليه سابقاً، أما معامل إشراك الطلبة في دروس الفصل الأول لكتاب الجغرافيا والفصل الأول والثاني لكتاب الوطنية؛ جاءت أقل من المدى المقبول، إذ بلغت قيم معاملاتهما (0.3، 0.32، 0.3) على الترتيب.

وتشير النتائج السابقة إلى أن الطلبة يستطيعون التعامل بفاعلية مع كتابي الجغرافيا والتاريخ، وأن هذين الكتابين يساعدان الطلبة على التفكير والتحليل والاستقراء وأنهما يعطيان قدرًا مناسباً من المشاركة للطلبة من خلال عرض المادة التعليمية، ويفسر الباحث ذلك بأن كتابي الجغرافيا والتاريخ تحتويان على قدر مناسب من عبارات الحقائق والمفاهيم الاجتماعية، والاستنتاجات أو التعميمات الاجتماعية الصريحة، والتعريفات الاجتماعية، وفي الوقت نفسه يحث هذان الكتابان على التفاعل والمشاركة من خلال تحليل الأسئلة الاجتماعية وصياغة الاستنتاجات الاجتماعية، وأداء بعض الأنشطة وتحليلها، وهذا يعني أن كتابي الجغرافيا والتاريخ يوجد فيهما توازن في عرض المادة العلمية.

وفي حين يفسر الباحث تدني معامل إشراك الطلبة في كتاب التربية الوطنية إلى طبيعة الدروس الاجتماعية التي يطلب فيها سرد الحقائق والمفاهيم والاستنتاجات الاجتماعية، وهذا يعني أن هذا الكتاب لا يتصف بالتوازن في عرض المادة العلمية.

وتتفق هذه النتيجة فيما يتعلق بمعامل الإشراك المقبول لعرض المحتوى لكتاب الجغرافيا والتاريخ مع نتائج دراسات كل من ( الأشقر، 2020؛ عبدالكريم وعبدالكريم، 2016م؛ ونوافله، 2012م)، وتتفق مع نتائج دراسة كل من ( الأسدي، 2019م؛ الحاجي، 2019م؛ العوضي، 2010م؛ العنزي، 2006م) في تدني معامل عرض المحتوى بالنسبة لكتاب الوطنية.

## النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني: ما درجة إشراكية الطلبة في رسوم وأشكال كتب

الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية.

للإجابة عن هذا السؤال تم رصد التكرارات المتعلقة بفقرات النموذج الثاني لرومي (الرسوم والأشكال ) ، ومجموعها ونسبتها المئوية ، في دروس كل فصل على حده، ثم قام الباحث بحساب معامل إشراكية الرسوم والأشكال ، كما يوضح ذلك في الجدول الآتي :

جدول رقم ( 7 ) تكرارات فقرات الرسوم والأشكال ونسبها المئوية في كتب الاجتماعيات

للصف الخامس

| م | الفقرات  | مجموع تكرارات الفقرات ونسبها المئوية |                 |                |                 |                |                 |
|---|--|--------------------------------------|-----------------|----------------|-----------------|----------------|-----------------|
|   |  | الوطنية                              |                 | التاريخ        |                 | الجغرافيا      |                 |
|   |  | الفصل<br>الأول                       | الفصل<br>الثاني | الفصل<br>الأول | الفصل<br>الثاني | الفصل<br>الأول | الفصل<br>الثاني |
| أ | الرسوم والأشكال التي تستخدم بشكل مباشر لغرض توضيحي                               | 8<br>%57.1                           | 3<br>%60.0      | 5<br>%71.4     | 10<br>%83.3     | 7<br>%58.3     | 4<br>%80.0      |
| ب | الرسوم والأشكال التي تحتاج من الطالب أداء نشاط، أو استخدام معلومات إجابة عن سؤال | 6<br>%42.9                           | 2<br>%0,40      | 2<br>%28.6     | 2<br>%16.7      | 5<br>%41.7     | 1<br>%20.0      |
|   | المجموع  | 14                                   | 5               | 7              | 12              | 12             | 5               |

يلاحظ من الجدول رقم ( 7 ) أن الفقرة (أ) : ( الرسوم والأشكال التي تستخدم بشكل

مباشر لغرض توضيحي ) حصلت على المرتبة الأولى في جميع دروس الفصول الدراسية للكتب الثلاثة

، وهي ( الفصل الأول والثاني لكتاب الجغرافيا، والفصل الأول والثاني لكتاب التاريخ، والفصل الأول

والثاني لكتاب الوطنية )، بنسب مئوية (58.3%، 83.3%، 71.4%، 60%، 57.1%، 80% ) على الترتيب، فيما حصلت الفقرة ب: ( الرسوم والأشكال التي تحتاج من الطالب أداء نشاط، أو استخدام معلومات إجابةً عن سؤال ) في جميع دروس الفصول الدراسية للكتب الثلاثة على المرتبة الثانية، وهي ( الفصل الأول والثاني لكتاب الجغرافيا، والفصل الأول والثاني لكتاب التاريخ، والفصل الأول والثاني لكتاب الوطنية ) بنسب مئوية (41.7%، 16.7%، 28.6%، 40%، 42.9%، 20%) على الترتيب .

ولمعرفة درجة معامل إشراك الرسوم والأشكال للطلبة تم استخدام معادلة رومي المتعلقة بهذا الشأن، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول الآتي:

جدول رقم ( 8 ) معامل إشراك الرسوم والأشكال في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي

| الكتاب    | الفصل        | معامل إشراكية عرض المحتوى للفصل | معامل إشراكية عرض المحتوى للكتاب |
|-----------|--------------|---------------------------------|----------------------------------|
| الجغرافيا | الفصل الأول  | 0.71                            | 0.41                             |
|           | الفصل الثاني | 0.2                             |                                  |
| التاريخ   | الفصل الأول  | 0.4                             | 0.5                              |
|           | الفصل الثاني | 0.67                            |                                  |
| الوطنية   | الفصل الأول  | 0.75                            | 0.58                             |
|           | الفصل الثاني | 0.25                            |                                  |

يلاحظ من الجدول رقم ( ٨ ) أن معامل إشراكية الرسوم والأشكال للكتب الثلاثة: الجغرافيا ، والتاريخ، والوطنية مقبولة ومناسبة للكتاب كاملاً ، إذ بلغت درجة المعاملات (0.41، 0.5، 0.58) على الترتيب، وهذه القيم تأتي في الحد المقبول للإشراكية التي حدده رومي ويتراوح بين (0.4-1.5)، كما تقع في الحد نفسه معاملات الإشراكية للفصل الأول لكتاب ، والفصل الأول



والثاني لكتاب التاريخ ، والفصل الأول لكتاب الوطنية ؛ إذ بلغت درجات معاملاتهما (0.71، 0.4، 0.67، 0.75) .

ويلاحظ من الجدول نفسه أن معاملات إشراكية الرسوم والأشكال للطلبة في الفصل الثاني لكتاب الجغرافيا، والفصل الثاني لكتاب الوطنية جاءت أقل من الحد المقبول الذي حدده رومي، أي تعد الرسوم والأشكال تسلطية في هذه الفصول.

تشير هذه النتائج إلى أن الرسوم والأشكال الواردة في كتب الاجتماعيات للصف الأول والأساسي تساعد الطلبة على التفكير والتحليل والاستقراء، وتعطي قدراً مناسباً من المشاركة، ويفسر الباحث ذلك بأن غالبية الرسوم والأشكال في الفصول الدراسية لهذه الكتب مرتبطة بأنشطة اجتماعية في حياة الطلبة، أو أن هذه الرسوم والأشكال تتضمن أيضاً مجموعة من الأسئلة التي تحتاج من الطلبة المشاركة والتفكير فيها من أجل استيعابها وفهمها.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسات كل من (الأشقر، 2020م؛ نوافلة، 2012م؛ العوضي، 2010م)، وتختلف مع نتائج دراسة كل من ( حاجي ، 2019م، أحمد، 2018م؛ العزني، 2006م).

### النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: ما درجة إشراكية الطلبة في تنفيذ أنشطة كتب الاجتماعيات

للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية؟

للإجابة عن هذا السؤال تم رصد التكرارات المتعلقة بفقرات النموذج الثالث لرومي (الأنشطة)، ومجموعها ونسبتها المئوية، في دروس كل فصل على حدة، ثم قام الباحث بحساب معامل إشراكية الأنشطة، كما يوضح ذلك في الجدول الآتي:

جدول رقم ( 9 ) تكرارات فقرات الأنشطة ونسبها المئوية في كتب الاجتماعيات للصف الخامس

| مجموع تكرارات الفقرات ونسبها المئوية |                |                 |                |                 |                | الفقرات                                    | م |
|--------------------------------------|----------------|-----------------|----------------|-----------------|----------------|--|---|
| الوطنية                              |                | التاريخ         |                | الجغرافيا       |                |  |   |
| الفصل<br>الثاني                      | الفصل<br>الأول | الفصل<br>الثاني | الفصل<br>الأول | الفصل<br>الثاني | الفصل<br>الأول |  |   |
| 4                                    | 1              | 3               | 7              | 3               | 3              | عدد الأنشطة التي يطلب<br>من الطالب عملها   | أ |
| %26.6                                | %7.1           | %23.1           | %31.8          | %18.8           | %20.0          |  |   |
| 11                                   | 13             | 10              | 15             | 13              | 12             | عدد الصفحات المحللة في<br>البحث عن الأنشطة | ب |
| %73.4                                | %92.9          | %29.9           | %68.2          | %81.2           | %80.0          |  |   |
| 15                                   | 14             | 13              | 22             | 16              | 15             | المجموع                                    |   |

يلاحظ من الجدول ( 9 ) أن الفقرة (أ) التي تمثل: عدد الأنشطة التي يطلب من الطالب عملها، حصلت على تكرارات متدنية قياساً بالفقرة (ب) التي تمثل عدد الصفحات المحللة في البحث عن الأنشطة؛ في دروس الفصول الدراسية للكتب الثلاثة جميعاً وهي: ( الفصل الأول والثاني لكتاب الجغرافيا ، والفصل الأول والثاني لكتاب التاريخ ، والفصل الأول والثاني لكتاب الوطنية ) بنسب مئوية (20% ، 8.18% ، 31.8% ، 23.1% ، 7.1% ، 26.6% ) على الترتيب.

ولمعرفة درجة معامل إشراك الطلبة للطلبة تم استخدام معادلة رومي المتعلقة بهذا الشأن، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول الآتي:

جدول رقم ( 10 ) معامل إشراك الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي

| الكتاب    | الفصل        | معامل إشراكية عرض<br>المحتوى للفصل | معامل إشراكية عرض<br>المحتوى للكتاب |
|-----------|--------------|------------------------------------|-------------------------------------|
| الجغرافيا | الفصل الأول  | 0.25                               | 0.24                                |
|           | الفصل الثاني | 0.23                               |                                     |
| التاريخ   | الفصل الأول  | 0.47                               | 0.4                                 |

|      |      |              |         |
|------|------|--------------|---------|
|      | 0.3  | الفصل الثاني |         |
| 0.21 | 0.07 | الفصل الأول  | الوطنية |
|      | 0.36 | الفصل الثاني |         |

ويلاحظ من الجدول رقم ( 10 ) أن معامل إشراكية الأنشطة غير مقبول بالنسبة لكتابي الجغرافيا والوطنية ؛ إذ بلغ معاملا إشراكيتهما للطلبة في الأنشطة (0.24، 0.21) على الترتيب وهذه القيم أقل من الحد المقبول الذي حدده رومي ويتراوح بين (0.4 - 1.5)، أما معامل إشراكية الأنشطة لكتاب التاريخ، يعد مقبولا ومناسبا لكونه يقع في المدى المقبول الذي حدده رومي ، والمشار إليه سابقاً، إذ بلغ معامل إشراكية كتاب الوطنية (0.4) .

أما معاملات إشراكية الطلبة على مستوى دروس الفصول الدراسية، فقد جاءت جميعها أقل من الحد المقبول عدا معامل إشراكية الفصل الأول لكتاب التاريخ، الذي جاء معامل إشراكية الأنشطة لهذا الفصل في الحد المقبول، إذ بلغ معامل الإشراكية لهذا الفصل (0.47) ، وبلغت معاملات إشراكية الأنشطة لباقي الفصول : (الفصل الأول والثاني لكتاب الجغرافيا ، والفصل الثاني لكتاب التاريخ ، والفصل الأول والثاني لكتاب الوطنية) ، (0.25، 0.23، 0.3، 0.07، 0.36) على الترتيب .

وتشير هذه النتائج في معظمها إلى أن كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي تغطي عليها ندرة أو قلة الأنشطة التي يطلب من الطلبة حلها ، ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى أن نظرة مؤلفي الكتب إلى صعوبة توفير متطلبات تنفيذ الأنشطة سواء أكان ذلك في البيئة الصفية أم المدرسية أو بيئة المجتمع عموماً، وقد يعود ذلك إلى الاهتمام الفعلي بالمحتوى أكثر من الأنشطة انطلاقاً من فلسفة الكتب الدراسية القديمة، التي تركز على الجانب المعرفي الفعلي أكثر من الجانب الوجداني والمهاري؛ إذ يلاحظ في أغلب الدروس الاكتفاء بنشاط واحدٍ نهاية كل درس .

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسات كل من (حاجي، 2019م؛ أحمد، 2018م؛ نوافلة، 2012م، العنزي، 2005م)، وتختلف مع نتائج دراسات كل من (الأشقر، 2020م؛ العبدالكريم والعبدالكريم، 2016م؛ العوضي، 2010م).

### الاستنتاجات :

في ضوء عرض نتائج الدراسة ومناقشتها تم التوصل إلى استنتاج الآتي:

1. أن كتابي الجغرافيا والتاريخ للصف الخامس الأساسي يشركان الطلبة بشكل جيد في عرض محتوى المادة العملية.
2. أن كتاب الوطنية للصف الخامس تسلطي يعتمد أسلوب التلقين، في عرض محتوى المادة العلمية.
3. أن كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي تشرك الطلبة بشكل جيد في الرسوم والأشكال التعليمية التعليمية.
4. أن كتابي الجغرافيا والوطنية للصف الخامس الأساسي، لا يشركان الطلبة في الأنشطة، أي لا يسمحان للطلبة بالتعلم الذاتي.
5. أن كتاب التاريخ للصف الخامس يشرك الطلبة في الأنشطة بشكل جيد، ولذا فهو يسمح بالتعلم الذاتي والبحث.

### التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة واستنتاجاتها، يوصي الباحث بالآتي:

1. تطوير أسلوب عرض محتوى المادة العلمية لكتاب الوطنية ليصل إلى درجة جيدة من إشرافية الطلبة، وزيادة إشرافية عرض المحتوى لكتابي الجغرافيا والتاريخ للطلبة بشكل أفضل.

٢. الحفاظ على الدرجة الجيدة لإشراكية كتب الاجتماعيات للصف الخامس للطلبة في الرسوم والأشكال؛ لما تعطيه من فرص لمشاركة الطلبة وتفاعلهم في المواقف التعليمية التعليمية.
٣. إثراء كتابي الجغرافيا والوطنية للصف الخامس بالأنشطة المتنوعة التي تتحدى عقول الطلبة وتحفز تفكيرهم، والابتعاد عن النمطية في الأنشطة وصياغتها العلمية، والمحافظة على الدرجة الجيدة للإشراكية في كتاب التاريخ.
٤. اعتماد نتائج الدراسة الحالية مرشداً وموجهاً في تحسين درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي، عند إعادة تنقيح هذه الكتب وتطويرها.

### المقترحات:

في ضوء نتائج الدراسة واستنتاجاتها وتوصياتها، يقترح الباحث الآتي:

١. دراسة درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصفوف الأخرى من مرحلة التعليم الأساسي.
٢. دراسة درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للمرحلة الثانوية.
٣. دراسة درجة إشراكية الطلبة في الكتب الأخرى للصف الخامس من المرحلة الأساسية.

### المصادر والمراجع:

١. أبو سنيّة، عودة عبد الجواد وعشا، انتصار خليل وقطاوي، مُجد إبراهيم. (2009). درجة ممارسة مبادئ التعلم النشط في تدريس مادة الاجتماعيات من وجهة نظر معلميه في مدارس وكالة الغوث الدولية في الأردن، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، 9 (2)، ص 51 – 70.

٢. أحمد، سعيد أبو بكر شيخ (2018). تقييم محتوى كتاب التاريخ للصف الثاني عشر الثانوي في الصومال في ضوء درجة إشراكية الطالب، مجلة جامعة مقديشو، (4)، ص 95 – 113.
٣. الأسدي، عقيل رشيد عبد الشهيد. (2019). درجة إشراكية كتاب البلاغة والتطبيق لطلبة الصف الخامس الإعدادي في العراق، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، (45)، ص 170 – 184.
٤. الأشقر، أيمن. (2020). إشراكية كتب الرياضيات لطلبة المرحلة الأساسية العليا في فلسطين، مجلة الجامعة العربية الأمريكية، 6 (1)، ص 90 – 124.
٥. جري، خضير عباس. (2017). دراسات متنوعة في مناهج وطرائق تدريس الاجتماعيات على عينات في المجتمع العراقي، ط2. العراق، بغداد: الفراهيدي للنشر والتوزيع.
٦. حاجي، ستار جبار. (2019). مستوى إشراكية الطالب في محتوى كتاب التاريخ الحضاري للصف العاشر الإعدادي في إقليم كردستان العراق " دراسة تحليلية في ضوء معيار الإشراكية ". مجلة جامعة زاخو للعلوم الإنسانية ، 23 (3)، ص 48 – 62 .
٧. خضر، فخري رشيد. (2006). طرائق تدريس الدراسات الاجتماعية. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.
٨. خضر، فخري رشيد. (2014). طرائق تدريس الدراسات الاجتماعية. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.
٩. خطايبية، عبدالله محمد. (2008). تعليم العلوم للجميع ، ط2. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.

١٠. الخوالدة، مُجد محمود. (2007). أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي، ط2. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.
١١. دروزة، أفنان نضير. (2000). النظرية في التدريس وترجمتها عملياً، ط2. عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
١٢. السويد، خليفة والخليلي، يوسف. (1997). المنهاج : مفهومه وتصميمه وتنفيذه وصيانتته. دبي : دار القلم.
١٣. طعيمة، رشدي أحمد. (2004). تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
١٤. طوالة، هادي مُجد وعبيدات، هاني حتمل. (2012). اتجاهات طلبة المرحلة الأساسية في الأردن نحو مباحث الدراسات الاجتماعية من خلال الرسم. المجلة الأردنية في العلوم التربوية، 8 (4)، ص ص 303 – 314.
١٥. عبد الرحمن، سعد. (1998). القياس النفسي: النظرية والتطبيق. مصر، القاهرة: دار الفكر العربي.
١٦. العبد الكريم، ندى بنت عقيل عبد العزيز. والعبد الكريم، صالح بن عبد الله بن مُجد. (2016). درجة إشراكية الطلاب في كتاب العلوم المطور للصف السادس الابتدائي. مجلة العلوم التربوية الرياض، 28 (3)، ص 475 – 500.
١٧. العنزي، عبد الرحمن طريقي. (2006). تقييم كتاب الدراسات الاجتماعية للصف التاسع المتوسط في الكويت في ضوء المعايير المعاصرة. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، الأردن.

١٨. العوضي، إبراهيم. (2010). دراسة تحليلية تقويمية لكتاب التاريخ للصف العاشر في دولة الإمارات العربية المتحدة في ضوء المعايير المعاصرة. الإمارات، أبوظبي: مجلس أبوظبي للتعليم، مدرسة الاتحاد النموذجية للتعليم الثانوي.

١٩. القضاة، بسام وعساف، مُجَّد وأبو لطيفة، رائد والحوالدة، مؤيد. (2014). مقدمة في المناهج التربوية الحديثة: مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، ط1. عمان، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.

٢٠. اللقاني، أحمد حسين. (1981). المناهج بين النظرية والتطبيق. مصر : عالم الكتب للطباعة والتوزيع.

٢١. مرعي، توفيق والحيلة، مُجَّد. (2004). المناهج التربوية الحديثة وعناصرها وأسسها وعملياتها، ط 4. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.

٢٢. مرعي، توفيق أحمد والحيلة، مُجَّد محمود. (2007). المناهج التربوية الحديثة : مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، ط 5. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.

٢٣. نوافلة، وليد. (2012). إشراكية كتب العلوم العامة لطلبة المرحلة الأساسية المتوسطة في الأردن، مجلة جامعة النجاح لأبحاث العلوم الإنسانية، 26 (10) ، ص 2369 – 2398.

٢٤. يوسف، ماهر إسماعيل صبري مُجَّد. (2009). المدخل للمناهج وطرق التدريس، ط 1. مصر : سلسلة الكتاب الجامعي العربي، السعودية : مكتبة الشقري.

25. Cooper, James M, et al. (2011). Classroom Teaching Skills. 9<sup>th</sup> Edition, Wadsworth, Cengage Learning, Belmont, U S A.



26. Horsley, M, Knight, B. & Huntley, H. (2010). The role of text books and other teaching and resources in higher education in Australia : change and continuity in supporting leaning. IARTEM e-Journal. 3 (2), 43 – 61.
27. Romey, William D. (1986). Inquiry Techniques for Teaching Science. Englewood Cliffs, NJ : Prentice – Hall, Inc.
28. UNESCO International Bureau of Education. (2013). Glossary of Curriculum. Geneva, Switzerland.

## المؤسسات التربوية في العصر العباسي ودورها في نشر العلم (المكتبات نموذجاً)

د. أحمد المهدي محمد أحمد<sup>(\*)</sup>

### مستخلص البحث:

هدف البحث إلى: التعرف على أسباب ازدهار الحياة العلمية في العصر العباسي، وإحصاء المؤسسات التربوية، والوقوف على دور المكتبات في نشر العلم، وتوضيح أنواع المكتبات في العصر العباسي، والتعرف على موظفي المكتبات ودورهم في نشر العلم. واستخدم الباحث المنهج التاريخي. وتوصل إلى عدة نتائج منها: أن أسباب ازدهار الحياة العلمية يكمن في حث الإسلام على طلب العلم، وتشجيع الخلفاء للحركة العلمية، والاستقرار الداخلي، واختلاط العرب بغيرهم، وزيادة المؤلفين والكتب، وازدهار صناعة الورق، ووجود عشر مؤسسات تربوية. كما بين البحث أنواع المكتبات في العصر العباسي وهي: مكتبات عامة، ومكتبات بين العامة والخاصة، ومكتبات خاصة، ودورها في نشر العلم وتمثل في توفير الكتب، وحركة الترجمة والتأليف والنسخ، وإذكاء روح المنافسة بين العلماء، وتدريب المترجمين، كما شهدت أروقتها المناقشات العلمية بين العلماء.

الكلمات المفتاحية: التربية، المكتبات، العباسي.

(\*) الأستاذ المشارك بكلية التربية - جامعة أم درمان الإسلامية - ورئيس قسم أصول التربية.

## Pedagogical Organizations in the Abbasid Era and their Role in Spreading Knowledge (Libraries as a Case Study)

### **Abstract:**

The aim of the research is to identify the reasons for the flourishing of scientific life in the Abbasid era, to enumerate educational institutions, to identify the role of libraries in spreading science, to clarify the types of libraries in the Abbasid era, and to identify library employees and their role in spreading science. The researcher followed the historical approach and reached several conclusions, including: The reasons for the prosperity of scientific life lies in urging Islam to seek knowledge, encouraging caliphs for scientific movement, internal stability, mixing Arabs with others, increasing authors and books, the flourishing of paper-making, and the existence of educational institutions. The types of libraries in the Abbasid era in general and between the public and the private and in particular the role of libraries in spreading science were to provide books and the movement of translation, authorship and copying, and to fuel competition between scholars and training translators. It also witnessed scientific discussions between scholars.

## مقدمة:

شهد عصر صدر الإسلام أنواعاً متعددة من المؤسسات التربوية، وكذلك العصر الأموي والذي عرف المكتبات بوصفها مؤسسة تربوية؛ حيث ظهرت في هذا العصر أنواع من خزائن الكتب، بعضها يخص الخلفاء الأمويين، وبعضها الآخر يخص أصحابها من العلماء، فكانت تلك البذور والبداية للمؤسسات التربوية لا سيما المكتبات في العصر العباسي والتي تطورت بفضل ازدهار حركة التدوين ونشاط التأليف، كما أوجد الخلفاء مجالس للبحث والمناقشة في المسائل المتعددة مفسحين المجال لإبداء وجهات النظر المختلفة، واتجه أصحاب الثقافات غير العربية إلى تعلم اللغة العربية والتعرف على أسرارها حتى ظهر منهم العلماء الذين كان لهم الدور الأكبر في الحركة العلمية سواءً في العلوم الشرعية أو العلوم العقلية.

العصر العباسي الذي امتد في الفترة من (١٣٢-٦٥٦هـ، ٧٥٠-١٢٥٨م) به فترات ناصعة من التعليم أطلق عليها العصور الذهبية لاهتمام الخلفاء بالعلم حيث لم ييخلوا على النهضة العلمية، فقدموا للبشرية ما حقق لها التقدم إلى الأمام مستغلة التراث القديم، ومجددة ومبتكرة ومهيأة للمستقبل، فازدهرت المؤسسات التربوية والتي كانت المكتبات من بينها فأسهمت في نشر العلم.

## مشكلة البحث:

تعد المكتبات من أهم المؤسسات التربوية في نشر العلم في العصر العباسي، لما لها من علاقة وطيدة ببعض المؤسسات الأخرى مثل: (القصور- المساجد - حوانيت الوراقين - المدارس - منازل العلماء - البيمارستانات - الخانات) حيث إنها تمثل القاسم المشترك لتلك المؤسسات، هذا ما شجع الباحث على الكتابة عن المؤسسات التربوية لا سيما المكتبات ودورها في نشر العلم.

## أسئلة البحث:

تتمثل أسئلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

ما المؤسسات التربوية في العصر العباسي وما دور المكتبات في نشر العلم؟

وتتفرع من هذا السؤال الأسئلة التالية:

١. ما أسباب ازدهار الحياة العلمية في العصر العباسي؟
٢. ما المؤسسات التربوية في العصر العباسي؟
٣. ما أنواع المكتبات في العصر العباسي؟
٤. ما دور المكتبات في نشر العلم في العصر العباسي؟
٥. ما دور موظفي المكتبات في نشر العلم؟

## أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث في أنه:

١. تناول العصر العباسي الذي اتسم بازدهار الحياة العلمية.
٢. أحصى المؤسسات التربوية في العصر العباسي التي تُعنى بالعلم الذي حث وشجع عليه الدين الإسلامي.
٣. تحدث عن المكتبات في العصر العباسي بوصفها مؤسسة تربوية تمد المؤسسات التربوية الأخرى بروافد استمرارها.
٤. أوضح أنواع المكتبات في العصر العباسي وموظفيها ودورهم في نشر العلم.

## أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. التعرف على أسباب ازدهار الحياة العلمية في العصر العباسي.
٢. إحصاء المؤسسات التربوية في العصر العباسي.
٣. الوقوف على دور المكتبات في نشر العلم.
٤. توضيح أنواع المكتبات في العصر العباسي.
٥. التعرف على موظفي المكتبات ودورهم في نشر العلم.

## حدود البحث:

تتمثل حدود البحث في:

الحدود الزمانية: فترة العصر العباسي من ١٣٢ - ٦٥٦ هـ الموافق ٧٥٠ - ١٢٥٨ م.

الحدود المكانية: أرجاء الدولة العباسية (مدن العراق والقاهرة وتونس والأندلس).

الحدود الموضوعية: دور المكتبات في نشر العلم، مع التركيز على مفهوم المكتبات وأنواعها

وموظفيها.

## منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج التاريخي، وذلك عن طريق سرد المعلومات المتعلقة بالمؤسسات التربوية ودورها في نشر العلم في العصر العباسي، وهو المنهج الذي يركز على أحداث سبق وأن حدثت وسرت عليها فترة من الزمن، كما يستخدم الوصف في عرض هذه الأحداث وتسجيلها وربطها

باستنتاجات تجعلنا نستفيد من الماضي في تطوير الحاضر، ووضع تصور مستقبلي بناءً على الأحداث التي وقعت<sup>(١)</sup>.

## مصطلحات البحث:

يُعرف الباحث المصطلحات الواردة في عنوان البحث تعريفاً إجرائياً على النحو التالي:

المؤسسات التربوية: هي أماكن التعليم في العصر العباسي.

العصر العباسي: يقصد به الفترة التي حكم فيها العباسيون من ١٣٢-٦٥٦ هـ الموافق ٧٥٠-

١٢٥٨ م.

المكتبات: هي مؤسسة تربوية فاعلة وغنية بالكتب القيمة تُعنى بالتعليم والاطلاع والمعرفة.

## الدراسات السابقة:

تناول الباحث عدداً من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث على النحو التالي:

### ١. دراسة: سمية يونس سعيد (٢٠١٩م)

هدفت الدراسة إلى: التعرف على أنواع المكتبات في العصر الإسلامي، والتعرف على المكتبات في العصر الأموي، والعباسي، ودور المكتبات في الحضارة الإسلامية، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التاريخي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: شهد العصر الإسلامي تطوراً واضحاً في مجال المكتبات، تأثرت الحركة والنشاط الاقتصادي بنشاط الحركة العلمية وشراء الكتب، تنوعت المكتبات في العصر الإسلامي فكان هناك مكتبات عامة ومدرسية ومكتبات خاصة.

(١) منهجية البحث العلمي: ٤٠

٢. دراسة: ناصر أحمد طه ( ١٩٩٩م )

هدفت الدراسة إلى: التعرف على دور العصر العباسي في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي، وذلك من خلال التعرف على مؤسسات العصر العباسي، والمناهج السائدة فيه، والمعلمين، وحركة الترجمة. واستخدم الباحث المنهج التاريخي. وتوصل إلى عدة نتائج منها: ازدهرت المؤسسات التربوية في العصر العباسي خاصة المكتبات، ازدهرت حركة الترجمة وأصبح للمترجمين مكانة مرموقة.

٣. دراسة: طالب حامد حسن ( ١٩٩٦م )

هدفت الدراسة إلى: إلقاء الضوء على واقع التربية والتعليم في العصر العباسي الأول من خلال معرفة المؤسسات التربوية، بما فيها المكتبات، وأحوال المعلمين، والمؤدبين، وتعليم الصبيان، وتعليم المرأة، وأماكن التعليم، ومعرفة الوسائل المعينة على التعلم، وأدوات الكتابة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: أن للمعلمين مكانة اجتماعية متميزة، وأنه كان للمكتبات نظم إدارية، ومالية. وقد وفرت هذه المكتبات الكتب لطالبيها، كان هناك اهتمام بتعليم المرأة؛ مما انعكس على ثقافتها الدينية والعلمية والأدبية.

مقارنة بين البحث والدراسات السابقة:

اتفق البحث الحالي مع دراسة (سمية) في تناول المكتبات، واختلف معها في أنها هدفت إلى التعرف على المكتبات وأنواعها في العصر الإسلامي، ودورها البارز في الحضارة الإسلامية، بينما هدف البحث إلى التعرف على المؤسسات التربوية في العصر العباسي لا سيما المكتبات ودورها في نشر العلم، أما دراسة (ناصر) و(طالب) فقد تناولتا التربية والتعليم في العصر العباسي وتعرضتا



للمكتبات من خلال المؤسسات التربوية، بينما أحصى البحث المؤسسات التربوية، ووضح مفهوم المكتبات وأنواعها وموظفيها ودورها في نشر العلم.

## الإطار النظري للبحث

### أولاً : الظروف السياسية والحياة العلمية في الدولة العباسية

#### ١. الظروف السياسية

بسبب انشقاق البيت الأموي على نفسه، حيث خرج يزيد بن الوليد على عمه الوليد بن يزيد ثم خروج مروان ابن مُجَدِّ عليه<sup>(١)</sup> وبمناداة بعض الأحزاب المعارضة للحكم الأموي بأحقية بني العباس في الخلافة لاعتقادهم أن الرسول ﷺ ذكر للعباس بن عبد المطلب أن الخلافة تؤول إلى ولده<sup>(٢)</sup> لتلك الأسباب وغيرها خلفت دولة بني أمية الدولة العباسية في الفترة من ١٣٢-٦٥٦ هـ الموافق ٧٥٠-١٢٥٨ م. وقد اختار العباسيون خراسان نقطة ارتكاز لدعوتهم، ويعود الاختيار إلى تلك المنطقة دون غيرها لأسباب استراتيجية منها<sup>(٣)</sup>:

أ/ بعدها عن الخلافة الأموية وبالتالي بعد خطر القوة والنفوذ الأموي عن الدعوة العباسية، لأن الاقتراب من النفوذ والسلطة يجعل الخطر يزداد على الدعوة أكثر مما لو كانت بعيدة عنها.

ب/ الظلم السائد بين أهلها، فمتى شعرت النفوس بالظلم من جهة معينة سرعان ما تتكاتف للتخلص من ذلك الظلم، وهذا ما كان في أهل خراسان، فإنهم أصيبوا بالذل والهوان والتفرقة، لأنهم لم يكونوا من أصل عربي فعملوا ما في وسعهم لزعزعة القوة الأموية وسحب الخلافة منهم إلى رجال

(١) مروج الذهب ومعادن الجواهر: ٢/ ٢٦٩

(٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية: ١٣

(٣) الوثائق السياسية والإدارية للعصر العباسي الأول: ١٧

يقدرّون هذا النوع من الجنس البشري الذي لم يكن ينحدر من أصل عربي، وقد ساعدتهم على ذلك الكثرة والقوة التي يتمتعون بها.

ج/ إنكارهم للأصل غير العربي والتفرقة بين المجتمع، أما المبادئ التي جاء بها العباسيون لم تكن عفوية الخاطر، وإنما كانت صادرة من رجال لديهم من الحنكة والحكمة ما جعلت القيادة تسير نحوهم فكانوا يعرفون أماني الشعوب وتطلعاتهم.

د/ انتشار التشيع بين الفرس واعتقاد العباسيين أن الرايات السود تخرج من أرض خراسان، وهذه الرايات هي كناية عن شعار العباسيين الذي اتخذوه لدولتهم.

تلك الأسباب وغيرها أسهمت في أن تؤول الخلافة للدولة العباسية حيث كانت قمة الحضارة العربية الإسلامية والتي سيتناول الباحث من خلالها المؤسسات التربوية لا سيما المكتبات ودورها في نشر العلم.

## ٢. أسباب ازدهار الحياة العلمية

إن أسباب ازدهار الحياة العلمية في العصر العباسي تكمن في:

أ/ تمسك الخلفاء بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من أهمية العلم والحث على طلبه، قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)<sup>(١)</sup>، وقال: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)<sup>(٢)</sup> وفي ذلك إشارة إلى أهمية العلم وشرفه وتقديمه على غيره، قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)<sup>(٣)</sup> وقال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في

(١) الزمر: ٩

(٢) فاطر: ٢٨

(٣) سنن بن ماجه، باب فضل العلماء والحث على العلم، حديث رقم ٢٢٤: ٨١

الدين<sup>(١)</sup>. وقال: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)<sup>(٢)</sup>.

ب/ تشجيع الخلفاء، حيث شهد هذا العصر مجموعة من الخلفاء ذوي الشخصيات العلمية الواعية التي تدرك دور العلم في بناء الدولة والمحافظة على كيانها، فكان لتشجيع هؤلاء الخلفاء للحركة العلمية الأثر البارز في ازدهارها، وكان هذا التشجيع مادياً ومعنوياً<sup>(٣)</sup>.

ج/ الاستقرار الداخلي، حيث شهد العصر العباسي بعض الاستقرار بعد أن انتهت مرحلة الفتوحات العسكرية بنهاية العصر الأموي، ورغم وجود بعض المواجهات مع البيزنطيين إلا أن هذه المواجهات لم تكن حرباً منظمة تهدف إلى توسيع الدولة بل كان الهدف منها تثبيت الحدود وحماية الثغور<sup>(٤)</sup>.

د/ اختلاط العرب بغيرهم من الأمم، حيث كانت بغداد عاصمة لدولة تضم عدة قوميات تعايشت مع بعضها البعض وكان من النتائج الإيجابية لهذا التعايش، تمازج الثقافات العربية والفارسية والهندية واليونانية، وظهرت المدارس العلمية في بلاد العراق والشام والتي ساهمت في تطوير الحياة العلمية كما ساهم الفرس بدور بارز في النهضة العلمية التي شهدها العصر العباسي حيث أعطوا للثقافة العربية عقولهم وتجاربهم، وأصبحوا طليعة حركة الترجمة من الفارسية إلى العربية<sup>(٥)</sup>.

هـ/ تزايد عدد المؤلفين والكتب، وصلت أغلب العلوم في العصر العباسي إلى مرحلة النضج الفكري وانفصلت عن غيرها واستقلت بنفسها، وكان هذا الزخم في التأليف من عوامل ازدهار الحياة

(١) صحيح البخاري: ٢٧

(٢) صحيح مسلم: ١٧٨٧

(٣) مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية: ٣٤

(٤) الخلافة العباسية: ٨١

(٥) العالم الإسلامي في العصر العباسي: ١٩٥

العلمية، حيث أصبح الشغف باقتناء الكتب وقراءتها من الظواهر المنتشرة على نطاق واسع، فيذكر أن كتب إسحق الموصلي في بغداد بلغت ثمانية عشر صندوقاً، كما بلغ عدد الكتب في مكتبة صاحب بن عباد في قرطبة حوالي (٢٠٦٠٠٠) كتاب<sup>(١)</sup>، وهذا دليل على أن الشغف بالكتب لم يقتصر على مدينة بغداد وحدها بل تعداها إلى بقية أرجاء البلاد الإسلامية حتى وصل قرطبة .

و/ ازدهار صناعة الورق، عندما فتح المسلمون سمرقند وجدوا مصنعاً للورق فتعلموا صناعته وانتقل إلى بغداد وسائر البلاد الإسلامية، وكان للفضل بن يحيى البرمكي الفضل في تأسيس أول مصنع لصناعة الورق في بغداد سنة ١٧٨هـ - ٧٩٤م حيث ساعد الورق على زيادة التأليف في مختلف العلوم<sup>(٢)</sup>.

ز/ المؤسسات التربوية، إن ازدهار المؤسسات التربوية في العصر العباسي ارتبط بظهورها في فترة صدر الإسلام، وازدهارها النسبي في العصر الأموي، وقد ازدهرت بفعل التعاليم الإسلامية التي تحث على طلب العلم، وسوف يتناول الباحث هذه المؤسسات التربوية بشيء من التفصيل.

## ثانياً: المؤسسات التربوية

تعددت المؤسسات التربوية في العصر العباسي ليتلقى فيها الناس العلم وفق قدراتهم وميولهم يبتغون بذلك التقرب إلى الله عز وجل، والافتداء بالأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، والمساهمة في بناء مجتمعاتهم وتطويرها، وتمثلت تلك المؤسسات فيما يلي:

### ١. الكتاب

وهو موضع تعليم الصبيان، والجمع كتاتيب، ولم يكن وليد العصر العباسي، بل كان موجوداً في المجتمع قبل البعثة المحمدية، ولكن تزايد عدد الكتاتيب بحكم فترة الازدهار العلمي التي ميزت العصر

(١) لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات: ٩.

(٢) المقدمة: ٤٢٢.

العباسي، وقد تركز التعليم فيه على القرآن الكريم والاطلاع على مبادئ بسيطة من بعض العلوم الأخرى<sup>(١)</sup>.

## ٢. المسجد

كان المسجد أحد أبرز المؤسسات التربوية قبل العصر العباسي، ومن الطبيعي أن تتطور هذه المؤسسة خلال العصر العباسي كماً وكيفاً حيث زاد عدد المساجد تبعاً لازدياد عدد المسلمين واستجابة للحاجة الملحة لهذه المساجد لأداء الشعائر الدينية، واتخاذها مكاناً للتعليم حيث اتسع نطاق العلوم التي تدرس في المسجد وتنوعت بين علوم القرآن، الحديث، الفقه، النحو، الشعر، والمناظرات، وأبرز المساجد في العصر العباسي من حيث الشهرة، المسجد الذي بناه أبو جعفر المنصور<sup>(٢)</sup>.

## ٣. منازل العلماء

تعتبر منازل العلماء من المؤسسات التربوية التي كان لها الأثر البارز في نشر العلم بين الناس على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، ذلك لأن العلماء وما توصلوا إليه من التواضع والرغبة في نشر العلم لم يضعوا الحواجز بينهم وبين طلاب العلم، ففتحوا لهم منازلهم، فعبداً لله بن المبارك كان منزله وعلى الرغم من سعته يزدحم بطلاب العلم وكانوا يجتمعون كل يوم حلقاً يتذاكرون حتى إذا خرج انتظموا إليه وسألوه وهو يجيبهم،<sup>(٣)</sup> والإمام محمد بن الحسن الشيباني كان إذا حدث عن مالك امتلاً منزله وكثر الناس عليه حتى يضيق عليهم الموضع<sup>(٤)</sup>.

## ٤. حوانيت الوراقين

لم تكن حوانيت الوراقين مختصرة على مهمة بيع الكتب بهدف الربح المادي، وإنما كانت مؤسسات تعليمية يلتقي فيها العلماء والشعراء وطلاب العلم، وتعد فيها المناظرات<sup>(٥)</sup>، ويذكر أن

(١) معاهد التعليم الإسلامي: ٣٧.

(٢) المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول: ٦٩.

(٣) صفة الصفوة: ١٣٥.

(٤) تاريخ بغداد: ١٣٨.

(٥) انباء الرواة على أنباء النحاة: ١٣٤.

الجاحظ كان يتنقل بين حوانيت الوراقين ليقراً ما وقع بين يديه من الكتب الجديدة خاصة أنه لا يستطيع شراءها، فيعزم نفسه على المبيت في تلك الحوانيت رغبة في الاستزادة العلمية<sup>(١)</sup>.

## ٥. القصور

المقصود بقصور الخلفاء والأمراء في العصر العباسي، والتعليم في القصور له هدفان: الأول: تأهيل أبناء الخلفاء والأمراء للمهام التي سينهضون بها في المستقبل، مما يتطلب أن تكون مواد التدريس مكثفة وشاملة، ومن أجل انتقاء مؤدبين لهم<sup>(٢)</sup>، وقد دأب الخلفاء على اختيار المؤدبين الذين يتحلون بمكارم الأخلاق، إلى جانب غزارة العلم والاطلاع الواسع في الثقافة العربية والإسلامية وآدابها وكلام الملوك والحكماء وعلوم الأمم السابقة<sup>(٣)</sup> أما الثاني: فيتمثل في مجالس المناظرات وقد برز هذا النوع من المجالس في العصر العباسي متأثراً بالحضارات الأجنبية آنذاك من حيث التأثيث ونظام الدخول والخروج<sup>(٤)</sup>.

## ٦. البادية

إن التعليم في البادية كان يقتصر إلى حد كبير على اللغة العربية، حيث كان لها دور في المحافظة على أن تكون اللغة سليمة خالية من الأخطاء التي ظهرت بعد اختلاط العرب بغيرهم، ومن هنا أصبحت البادية مقصداً لطلاب العلم من أجل تعلم اللغة العربية من مصادرها الأصلية، كما ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أنه أخذ العلم من بوادي الحجاز ونجد وتمامة<sup>(٥)</sup>. كما كانت مقصداً لأبناء الخلفاء ليتعلموا الفصاحة، فقد وجه الرشيد بالاعتصم إلى البادية لتعلم الفصاحة<sup>(٦)</sup> كما أن فصحاء

(١) تاريخ التربية والتعليم: ١٣٨

(٢) تاريخ التربية الإسلامية: ٣٧

(٣) تاريخ التعليم في الأندلس: ٤٣

(٤) التربية عبر التاريخ: ١٤٩

(٥) البداية والنهاية: ٢٠٩

(٦) العقد الفريد: ٢٧٥

البادية قد وفدوا إلى المدن الكبيرة لتعليم الناس اللغة العربية بشكل سليم خال من الأخطاء، وكان بالبصرة سوق خاص بالبدو اسمه (المريد) كان بالإضافة إلى أغراضه التجارية يلتقي فيه الخطباء والشعراء والنسابون وأرباب البلاغة من مختلف القبائل<sup>(١)</sup>.

## ٧. البيمارستانات

تأثرت الدولة العباسية بالحضارة الفارسية في معظم المجالات، حيث إن كلمة بيمارستان أصلها فارسي تعني مستشفى. وإلى جانب مهمتها الجليلة فإنها قامت بمهمة عظيمة عندما عمل الخلفاء والأغنياء على إيجاد قاعات دراسية فيها للأغراض التعليمية، فأصبحت بذلك من المؤسسات التربوية<sup>(٢)</sup>.

## ٨. الخانات

هي أماكن أعدت على الطرق الرئيسة كمحطات لراحة المسافرين وحمايتهم من التعرض لقطاع الطرق، وقد ساهمت إلى حد ما في تعليم النازلين بها، وإن كان هذا التعليم محدوداً إذا ما قيس بالمؤسسات الأخرى، ومن الذين عملوا بها الحسن بن حماد الضبي، حيث كان يعلم في خان اليمانية سنة ٢٣٠هـ، مما كان له الأثر الإيجابي على النازلين بهذه الخانات<sup>(٣)</sup>.

## ٩. المكتبات

تعتبر المكتبات من أهم المؤسسات التربوية لأنها تمد المؤسسات الأخرى بروافد استمرارها، لذلك جعل الباحث هذه المؤسسة النموذج الذي سوف يتحدث عنه بالتفصيل في هذا البحث.

(١) معجم الأدياء: ٩٨.

(٢) دور العصر العباسي في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي: ١١٩.

(٣) تقييد العلم: ٢٩٥.

## ١٠. المدرسة

تم تأسيس المدارس في منتصف القرن الخامس الهجري حيث افتتحت أول مدرسة في بغداد عام ٤٥٩ هـ ثم تزايد عدد المدارس حتى لم تبق مدينة مهمة في العراق إلا وأسست فيها مدرسة أو أكثر، لها من المدرسين والمعيددين والأوقاف ما يكفي لاستمرار دورها الثقافي، وغدا واضحاً أن المدرسة أصبحت مركز الثقل الأساسي لحركة التعليم، ومن أهم المدارس: المدرسة النظامية في بغداد والمدرسة النورية الكبرى في دمشق<sup>(١)</sup>.

## المكتبات كمؤسسة تربوية ودورها في نشر العلم

### تمهيد:

إن تناول الباحث للمكتبات كمؤسسة تربوية نابع من الاقتناع بأهميتها التي أولاها لها الخلفاء العباسيون وقد وعوا بأهمية إنشاء مؤسسة علمية تشرف على النشاط العلمي وترعى جهود المترجمين والمؤلفين، فاهتموا بإنشاء هذه المكتبات في أرجاء الدولة الإسلامية وشجعوا طلاب العلم على الاستمرار في تلقي العلوم والبحث العلمي، حيث كانت المكتبات غنية بالكتب القيمة التي حرص الخلفاء على توفيرها لطلبة العلم، وسوف يتناول الباحث مفهومها وأنواعها وموظفيها من أجل معرفة الدور التربوي الذي قامت به هذه المؤسسة.

### أولاً: مفهوم المكتبات

المكتبات هي أنواع من خزائن الكتب ولكن لم يقتصر دورها على ذلك، بل أصبحت مؤسسة تربوية فاعلة وغنية بالكتب القيمة حيث عمل الخلفاء والأمراء والأغنياء على توفير المكان المناسب

(١) تطور الفكر التربوي: ٢٢٠



للمكتبة والقاعات التي بحاجة إليها من أجل توفير الجو المناسب للمناقشات العلمية والأدبية والدينية بين العلماء والأدباء والفقهاء الذين يجتمعون في كل يوم للبحث والدراسة والتعليم، وللمكتبات علاقة وطيدة مع المؤسسات التربوية الأخرى باستثناء الكتاب والبادية، حيث إنها تمثل القاسم المشترك لطلاب المساجد وحوانيت الوراقين ومنازل العلماء ومرتادو القصور من العلماء وطلاب البيمارستانات والخانات والمدارس<sup>(١)</sup>.

قد ازدهرت المكتبات في العصر العباسي بفعل التعاليم الإسلامية التي تحث على طلب العلم، ونشاط حركة الترجمة، وازدهار صناعة الورق، وتشجيع الحركة العلمية، واهتمام خلفاء العصر العباسي باقتناء الكتب وتكريم مؤلفيها، فالمأمون كان ينام والكتب حول فراشه ينظر فيها متى انتبه من نومه أو قبل أن ينام<sup>(٢)</sup> وقد أصبحت ظاهرة اقتناء الكتب بأعداد كبيرة من الأمور المألوفة في ذلك العصر. وبناءً على هذا المفهوم للمكتبات نجد أن دورها في نشر العلم تمثل في: أنها أصبحت مراكز إشعاع ثقافي، وملتقى طلاب العلم، وأنها أسهمت بدور فعال في عملية الاتصال بين العلماء حيث عملت على إمداد المؤلفين بمصادر المعلومات وكان لها تأثير على مؤلفاتهم فيما بعد، كما وفرت الكتب النادرة<sup>(٣)</sup>.

## ثانياً : أنواع المكتبات

من أجل دراسة هذه المؤسسة بكل أبعادها، لا بد من تحديد أنواعها ومعرفة كل صنف ودوره في زيادة النشاط العلمي، ويمكن تحديد أنواع المكتبات التي انتشرت في العصر العباسي بما يلي:

(١) التربية الإسلامية وفلاسفتها: ١٠١

(٢) تقييد العلم: ١٢٤

(٣) سمية يونس، المكتبات بالعصر الإسلامي دراسة توصيفية: ٥

## ١. المكتبات العامة

انتشرت هذه المكتبات بشكل واضح في المساجد والجوامع والمدارس والمشافي وأحيانا تكون مستقلة في أبنية خاصة جميلة، تستقبل جمهور المطلعين والباحثين، كما توجد بها حجر متعددة تربط بينها أروقة فسيحة خصصت للاطلاع كما خصصت بعض الحجرات للنسخ والبعض الآخر للاجتماعات، ووضعت الكتب على رفوف مثبتة على الجدران مع كتابة اسم الكتاب ومؤلفه على أطراف الصفحات من أسفل وجعل رؤوس الحروف تجاه جلدة بدء الكتاب، كما كان بها فهرس منظمة حسب موضوعات الكتب، وقد لصقت على جانب كل دولا ب ورقة بها أسماء الكتب التي فيه، وقد سمح بالاستعارة الخارجية ولكن تحت قيود مشددة، وكثيراً ما كان المستعير يدفع ضماناً إلا أفاضل الناس والعلماء فقد أعفوا منها<sup>(١)</sup>.

## ومن أهم المكتبات العامة

### أ- خزانة الحكمة أو بيت الحكمة

وكلمة خزانة تشير إلى الموضوع الذي يخزن فيه الشيء، فخزانة الكتب عند العباسيين الأوائل أشارت إلى موضع حفظ الكتب، وتسميتها ببيت الحكمة تشير إلى المكان الذي تحفظ فيه الكتب كبيت المال حيث يحفظ المال، أما تسميتها بالحكمة ففيها إشارة إلى الفلسفة حيث قل عدد الكتب الدينية بها وزاد عدد الكتب التي عني بنقلها من الأمم الأخرى وأكثرها فلسفة أو حكمة<sup>(٢)</sup>.

لم يتحدد تاريخ دقيق لتأسيس بيت الحكمة ولكن أغلب الباحثين يجمعون على تأسيسه في عهد الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) وقد أورد المؤرخون إشارات تؤكد ذلك، وربما كان نواة بيت الحكمة

(١) تطور الفكر التربوي: ٢٢٢

(٢) المرجع السابق: ٢٢٣

تلك الكتب التي ترجمت من اللغات الأعجمية إلى العربية عند بدء حركة الترجمة في عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) الذي احتفظ بها في قصره<sup>(١)</sup>.

قد ازدهر بيت الحكمة في عهد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) الذي أولى اهتماماً كبيراً لاقتناء الكتب حيث أرسل جماعة من النقلة فأحضروا الكتب الأجنبية، وكان يعطي وزن الكتاب المترجم ذهباً، هذه المؤسسة لم تكن مؤسسة خاصة وإنما تم تأسيسها من قبل الخلفاء وهم الذين رعوا نشاطها العلمي فأخذت الطابع الرسمي وقد أفاد ذلك هذه المؤسسة من عدة نواحي منها<sup>(٢)</sup>:

١- أن الصفة الرسمية لبيت الحكمة قد وفرت له الإمكانيات المادية اللازمة للقيام بدوره العلمي فأعمال التأليف والترجمة والنسخ تستلزم إمكانيات مادية قد يعجز عنها الفرد مهما كانت ثروته، والأمثلة كثيرة على أن الخلفاء العباسيين لم يخلوا بالأموال على هذه المؤسسة والقائمين عليها، حيث كان المأمون يعطي حنين بن اسحق وزن ما يترجم من كتب ذهباً.

٢- أنها كانت تشجيعاً معنوياً لطلاب العلم، بإشراف الخلفاء الشخصي على بيت الحكمة كان حافزاً كبيراً لإذكاء روح المنافسة بين العلماء لنيل شرف مجالسة الخلفاء.

٣- إن تبعيته المباشرة للدولة قد ساعد في الحصول على الكتب الأجنبية حيث أصبحت مسألة تزويد بيت الحكمة بالكتب تدخل ضمن دائرة التعامل الدبلوماسي بين الدولة العباسية والدول المجاورة، فقد أرسل المنصور إلى ملك الروم أن يعث إليه بكتاب التعاليم. كما استخرج المأمون كتب الفلاسفة واليونان من قبرص.

تعد بيت الحكمة من أعظم المكتبات، ويعود ذلك إلى أهميتها التي اكتسبتها من خلال دورها

الرائد في نشر العلم والمتمثل فيما يلي:

(١) الفهرست: ١٥٦

(٢) المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول: ١٠٥

١- الإشراف على حركة الترجمة: ففي عهد الرشيد جُلب إلى بيت الحكمة الكثير من الكتب مما وجد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سبهاها المسلمون<sup>(١)</sup>، وقد كلف الرشيد مجموعة من المترجمين بترجمة هذه الكتب للعربية منهم يوحنا بن ماسويه، كما استمرت حركة الترجمة في عهد الخلفاء العباسيين وقد نظمت في بيت الحكمة حسب مخطط منسق يشرف عليه أمين الترجمة وقد وزع العمل بين كبار المترجمين<sup>(٢)</sup>.

٢- الإشراف على حركة التأليف: ففي عهد المأمون كان محمد بن موسى الخوارزمي منقطعاً للتأليف والمطالعة في بيت الحكمة، ومما يؤكد المهمة التعليمية لبيت الحكمة أن الخليفة قد يتعمد أحياناً أن يعين بعض الطلاب المهوبين إلى جانب بعض العلماء في بيت الحكمة ليتدربوا على أيديهم<sup>(٣)</sup>.

٣- وقد شهدت أروقتها مناقشات علمية بين العلماء الذين ترددوا عليها بصفة غير منظمة أو عملوا فيها كموظفين معينين من قبل الدولة. هكذا كان بيت الحكمة من أعظم المؤسسات التربوية في نشر العلم.

## ب- دار الحكمة بالقاهرة

قد أمر الحاكم بأمر الله الفاطمي بإنشائها سنة ٣٩٥هـ، وأراد لها أن تكون أفضل من بيت الحكمة ببغداد. وقد حملت الكتب إلى دار الحكمة من خزائن القصور ومن مصادر متعددة، وقد وصفت بأنها من عجائب الدنيا، وقد حوت مليوناً وستمئة ألف كتاب، وتمثل دورها في نشر العلم في توفر الكتب النفيسة والمخطوطات النادرة في الدين والآداب والعلوم بفروعها المتعددة لطلاب

(١) طبقات الأمم: ١٠١

(٢) دور الكتب العربية العامة وشبه العامة: ٦٥

(٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ١٨٧

العلم، كما كانت تزخر دائماً بالفقهاء والقراء والنحاة والمنجمين والأطباء من أجل نشر العلم عن طريق المناقشات والمحاضرات، كما أمدتها الحاكم بأمر الله بكل مستلزمات النساخين من أقلام ومحابر وورق. وقد أمر بفتح أبوابها لمن يشاء الاستفادة مما فيها من كنوز علمية<sup>(١)</sup>.

### ج- مكتبة بيت الحكمة في رقادة بتونس

وهي من المكتبات العامة في الجناح الغربي من الدولة الاسلامية وقد أسسه إبراهيم بن الأغلب، وكان ينافس بيت الحكمة في بغداد وكان الأغلبة يرسلون من يأتيهم بالكتب من بغداد<sup>(٢)</sup>.

### د- مكتبة قرطبة في الأندلس

أسست في عام ٣٥٠هـ، وكان لها الأثر الواضح في نشر الفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية والطب<sup>(٣)</sup>.

### هـ- المدرسة الحيدرية بالنجف في العراق

سميت بالحيدرية نسبة إلى حيدر وهو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهي من المكتبات العامة التي قدمت خدماتها التعليمية لطلاب العلم من خلال توفر الكتب<sup>(٤)</sup>.

### و- مكتبة ابن سوار بالبصرة

والتي أسسها أحد رجال عضد الدولة، وكان يودى فيها التدريس بجانب الكتب<sup>(٥)</sup>.

(١) تطور الفكر التربوي: ٢٢٤

(٢) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ٢٥٢

(٣) المكتبات بالعصر الإسلامي دراسة توصيفية: ١٤

(٤) تطور الفكر التربوي: ٢٢٤

(٥) المرجع السابق: ٢٢٤

## ز- خزانة سابور بالكرخ

التي انشأها سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة عام ٣٨٣هـ، وكان بها حوالي عشرة آلاف وأربعمائة مجلد، وكانت مركزاً ثقافياً ممتازاً أفاد طلاب العلم أيما فائدة<sup>(١)</sup>.

## ح- مكتبات المشافي أو البيمارستانات

عمل الخلفاء والأغنياء على إيجاد مكتبات مزودة بقاعات دراسية ألحقت بالبيمارستانات للأغراض التعليمية، كبيمارستان العقدي الذي ألحقت به مكتبة ضخمة كانت مصدراً أساسياً للطلاب والأساتذة على السواء<sup>(٢)</sup>.

## ط- مكتبات المدارس

ألحقت مكتبات بالمدارس والتي انتشرت انتشاراً واسعاً في مدن الدولة العباسية، وهذه المكتبات كانت عبارة عن خزائن كتب لتكون مرجعاً لطلبة العلم ليقفوا على آخر ما صنف في فنون العلوم والآداب، وتسابق السلاطين والعلماء بل والمجتمع المدني من كبار التجار وغيرهم في إنشاء هذه المكتبات، ومن أمثلة ذلك مكتبة المدرسة النظامية في بغداد<sup>(٣)</sup>.

## ٢- مكتبات بين العامة والخاصة

هذا النوع من المكتبات قام بإنشائه الخلفاء والملوك لطبقة خاصة دون عامة الناس، وكان الدخول إليه يتم بعد إذن مسبق من القائمين عليها، ومن الطبيعي أن تكون الفائدة من هذا الصنف من المكتبات محدودة الجانب، وتحقق أهدافاً خاصة وربما تسعى إلى توجيه العلماء نحو عمل معين، أو

(١) المرجع السابق: ٢٢٤

(٢) دور العصر العباسي في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي: ١١٩

(٣) المكتبات بالعصر الإسلامي دراسة توصيفية: ٨

تبنى فكرة معينة، أو مذهب معين دون غيره، لأن مثل هذه الاتجاهات أو الأفكار الجديدة ليس من السهل الاستجابة لها من قبل عامة الناس، وفي المقابل ربما تكون هذه المكتبات تتناول قضايا على مستوى رفيع لا يستطيع جميع الناس أن يتفاعل معها، وبالتالي شجع الخلفاء على إيجاد فئة محددة، لديها من الثقافة الواسعة، والقدرة على التفاعل مع القضايا المطروحة، ومن هذه المكتبات مكتبة الناصر لدين الله ومكتبة المعتصم بالله. (١)

### ٣- المكتبات الخاصة

هي مكتبات أنشأها العلماء والأدباء لاطلاعهم الخاص، فوجودها أمر طبيعي يتمشى مع الفكر أو السياسة التي ينتهجها ذلك الشخص، وباعتبار أن المكتبة رافداً أساسياً وزاداً لكل من سلك طريق العلم، لكن هذه المكتبات كانت محدودة الإمكانيات إلى حد ما إذا ما قيست بالمكتبات العامة من حيث مدى الاستفادة منها، وتوفير الخدمات العامة والقاعات المتعددة، وقد كثر عدد هذه المكتبات وكان من الصعب أن نجد عالماً أو أديباً لا يفتني في بيته مكتبة تزخر بالكتب (٢). ومن هذه المكتبات الخاصة على سبيل المثال: مكتبة إسحق ابن إبراهيم الموصلية التي قال عنها أبو العباس: رأيت لإسحق الموصلية ألف جزء من لغات العرب وكلها بسماعه. وكذلك مكتبة أبي عمرو بن العلاء الذي كانت دفاتره ملاء بيت إلى السقف. ومكتبة محمد بن عمرو الواقدي التي كانت تضم أعداداً كبيرة من الكتب بدليل ما ذكره الحموي من أنه: عندما انتقل من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي من بغداد حمل كتبه على عشرين ومائة وقر. وكذلك مكتبة الفتح بن خاقان التي وصفها بن النديم بقوله: لم ير أعظم منها كثرة وحسناً. ومكتبة حنين بن إسحق الذي كان من أبرز المترجمين في عهد الأمين وقد سافر إلى بلاد عديدة ووصل إلى أقصى بلاد الروم طلباً للعلم (٣).

(١) تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب: ٤٣

(٢) تطور الفكر التربوي: ٢٢٥

(٣) المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول: ١٠٣

## ثالثاً : موظفو المكتبات

إن المكتبات التي احتوت على موظفين اقتصرت على مكتبات محددة هي المكتبات الضخمة التي كانت تحتوي كتباً كثيرة أو تسند إليها مهام متعددة من ترجمة وتأليف وتعليم يتطلب وجود موظفين للقيام بالمهام التي أنيطت بها، وحتى نتعرف على الموظفين الذين عملوا في المكتبات لابد من تناولهم على النحو التالي<sup>(١)</sup>:

١. أمين المكتبة: وهو موظف يشرف على الكتب وينظمها تنظيمًا مناسباً بحيث يتمكن طالب العلم أو أمين المكتبة استخراج الكتاب المطلوب بأسرع وقت وأقل جهد ممكن، كما يقوم بتوجيه أصحاب المعرفة القليلة للكتب التي تفيدهم في الموضوع المحدد وهنا يتضح دوره في نشر العلم.

٢. المترجمون: أدرك الخلفاء والأغنياء أهمية الترجمة في انتعاش الفكر التربوي الإسلامي، فعملوا على تخصيص نخبة من العلماء الذين يجيدون اللغات الأخرى، بترجمة علومها التي بحاجة إليها ولا تتعارض مع عقيدة الأمة الإسلامية، مما كان لهذه الخطوة الأثر الواضح في تقدم العلوم وتعدد التخصصات التي كانت سمة واضحة للعصر العباسي، وقد تم تخصيص جناح خاص للمترجمين في المكتبة كما دفعت لهم الأموال الطائلة.

٣. النساخون: إن تأخر اختراع آلات الطباعة فرض على العلماء والباحثين استخدام طريقة النسخ ليطم تداول الكتب بينهم، وقد بذل الجهد لنسخ الكتب لتوسيع دائرة الاستفادة من العلوم وحفظ المادة التعليمية في الكتب التي أشرفت على التلف نتيجة لكثرة

(١) تاريخ التربية الإسلامية: ١٣٨



استخدامها، وكان النساخ من ذوي الخط الجيد ومعرفة القواعد الإملائية والأمانة العلمية  
ليتمكن طلاب العلم من قراءة الكتب المنسوخة بكل يسر وسهولة.

٤. المجلدون: إن وجود فئة من الموظفين للتجديد فيه إشارة إلى درجة الإقبال على العلم  
وإستخدام الكتب، وبالتالي تتعرض بعض الكتب للتلف مما يجعل لزاماً أن تتولى فئة من  
الموظفين مسؤولية معالجة هذه الحالات حتى تسهم في استمرار ونشر العلم.

٥. المناولون: عمل القائمون على المكتبات كل ما في وسعهم لتوفير الراحة لطلاب العلم  
والعلماء، فإحضار الكتاب المقصود لطالب العلم كانت إحدى الوسائل التي أشعرت رواد  
المكتبات بالراحة والطمأنينة، لأنهم يشعرون بالإجلال والتقدير من جميع الأطراف القائمة  
على أعمال المكتبة وغيرها.

٦. المشرفون: كان لابد من وجود مشرف في تلك المكتبات الضخمة التي يوجد بها عدد من  
الموظفين، وذلك لمتابعة عملهم والإشراف عليهم من قرب حتى تتحقق الفائدة التي من  
أجلها وضع هؤلاء الموظفين والمتمثلة في تذليل الصعاب لطلاب العلم والإسهام في نشره.  
وربما كان المشرف بمثابة المدير المسئول عما يجري في المكتبة.

## النتائج والتوصيات والمقترحات:

### أولاً: النتائج

توصل البحث إلى عدة نتائج هي:

١. إن أسباب ازدهار الحياة العلمية يكمن في حث الإسلام على طلب العلم، وتشجيع الخلفاء للحركة العلمية، والاستقرار الداخلي، واختلاط العرب بغيرهم، وزيادة المؤلفين والكتب، وازدهار صناعة الورق، ووجود مؤسسات تربوية.
٢. المؤسسات التربوية في العصر العباسي تمثلت في: الكتاب، المسجد، منازل العلماء، حوانيت الوراقين، القصور، البادية، البيمارستانات، الخانات، المكتبات، المدرسة.
٣. أنواع المكتبات في العصر العباسي هي: مكتبات عامة، ومكتبات بين العامة والخاصة، ومكتبات خاصة
٤. دور المكتبات في نشر العلم تمثل في توفير الكتب، وحركة الترجمة والتأليف والنسخ، وإذكاء روح المنافسة بين العلماء، وتدريب المترجمين، كما شهدت أروقتها المناقشات العلمية بين العلماء.
٥. يكمن دور الموظفين بالمكتبة في تهيئة الجو المناسب للعلم، استخراج الكتب للمطلعين، ترجمة الكتب الأجنبية، نسخ الكتب لتوسيع دائرة الاستفادة من العلوم، إعادة تجليد الكتب التالفة، توفير سبل الراحة لرواد المكتبة عن طريق إحضار الكتاب لطالب العلم، متابعة موظفي المكتبة لتقديم خدمة مريحة للطلاب.

## ثانياً: التوصيات

يوصي الباحث في ظل النتائج التي توصل إليها البحث القائمين على أمر التعليم بما يلي:

١. تنويع المؤسسات التربوية خدمة لطلاب العلم.
٢. فتح مزيد من المكتبات بجميع المؤسسات التربوية للاستفادة منها في نشر العلم.

٣. إعداد قاعات بالمكتبات للنقاش تكون ملتقى للعلماء وطلاب العلم.
٤. إلحاق مطابع بالمكتبات تعمل على طباعة الكتب النادرة وتوفيرها لطلاب العلم.
٥. توفير أجهزة حاسوب حديثة تساعد في الحصول على المعلومات المطلوبة بأسرع وقت وأقل جهد.

### ثالثاً: المقترحات

يقترح الباحث إجراء أبحاث في الموضوعات التالية:

١. دراسة إحدى المؤسسات التربوية التي ذكرت بالبحث.
٢. واقع المكتبات في السودان ودورها في نشر العلم.
٣. حركة الترجمة في العصر العباسي ودورها في نشر العلم.

### المصادر والمراجع:

١. الأبراشي، محمد عطية، التربية الإسلامية وفلاسفتها، القاهرة، دار الحلبي، ط٥، ١٩٨٦م.
٢. أبيض، ملكة، تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب، دمشق، مطبعة الإنشاء، ١٩٨٢م
٣. ابن الأثير، علي أحمد، الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م
٤. أحمد، سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، القاهرة، عالم الكتب، ط٥، ١٩٨٣م.
٥. إسماعيل، سعيد، معاهد التعليم الإسلامي، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٨م.

٦. الأندلسي، صاعد بن أحمد ، طبقات الأمم، تحقيق حياة أبو علوان، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥م.
٧. البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، د.ت.
٨. البغدادي، أبوبكر أحمد بن الخطيب ، تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، بيروت، د.ت.
٩. البغدادي، أبوبكر أحمد بن الخطيب ، تاريخ بغداد، القاهرة، ١٩٣١م
١٠. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ، صفة الصفوة، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٥م.
١١. حسن، طالب حامد، التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة مؤتة، ١٩٩٦م.
١٢. ابن الحسين، علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٢م.
١٣. حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية للعصر العباسي الأول، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧١م.
١٤. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.
١٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.
١٦. دياب، مفتاح محمد، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، طرابلس، الهيئة القومية للبحث العلمي، ١٩٩٢م.
١٧. الرباضي، مفتاح يونس، المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، مصراتة، دار ٧ أكتوبر، ٢٠١٠م.

١٨. سعيد، سمية يونس، المكتبات بالعصر الإسلامي دراسة توصيفية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الموصل، كلية الآداب، العدد ٦٤، مارس ٢٠١٩ م.
١٩. شلي، أحمد ، تاريخ التربية الإسلامية، الكشاف للنشر والتوزيع، ١٩٥٤ م
٢٠. الصوفي، عبد اللطيف ، لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات، دمشق، دار طلس، ١٩٨٧ م.
٢١. طه، ناصر أحمد ، دور العصر العباسي في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٩٩٩ م.
٢٢. عبد الدائم، عبد الله، التربية عبر التاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢، ١٩٧٥ م.
٢٣. ابن عبدربه، أحمد بن مُجَّد ، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٨ م
٢٤. العش، يوسف، الخلافة العباسية، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٨ م.
٢٥. العش، يوسف، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة، بيروت، دار الكتب، ١٩٩١ م.
٢٦. عيسى، مُجَّد عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس، بيروت، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٨٨ م.
٢٧. الفادني، عبد القادر أحمد الشيخ ، منهجية البحث العلمي، دار جامعة أم درمان الاسلامية، ٢٠٠٠ م.
٢٨. القفطي، جمال الدين علي ، أخبار العلماء بإخبار الحكماء، القاهرة، دار الكتب، د.ت.
٢٩. القفطي، جمال الدين علي ، إنباء الرواة على أنباء النحاة، تحقيق مُجَّد أبو الفضل، بيروت، دار الكتب الثقافية، ١٩٨٦ م.

٣٠. ابن كثير، إسماعيل ، البداية والنهاية، تحقيق أحمد ملحم وآخرين، بيروت، دار الكتاب، د.ت.
٣١. ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن بن ماجة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٣٢. المحامي، محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٧م.
٣٣. محمود، حسن أحمد، و إبراهيم، أحمد ، العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٥م.
٣٤. مرسي، سعد، وإسماعيل، سعيد ، تاريخ التربية والتعليم، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م.
٣٥. مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٧٢م.
٣٦. ابن النديم، محمد بن إسحق، الفهرست، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٩م.

## التنظيم القانوني لقبول الكمبيالة بالتدخل ( دراسة مقارنة )

د. مكسيم معاون السباعي (\*)

د. محمد علي الجوهي (\*\*)

### الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على المركز القانوني للشخص المتدخل في قبول الكمبيالة، وكذا توضيح الشروط الشكلية والموضوعية للقبول. وتتبع أهمية دراسة قبول الكمبيالة التجارية بالتدخل وبيان وتحديد مفهوم القبول بالتدخل، والتعرف على الحالات التي يجوز فيها القبول. وتتمحور مشكلة البحث حول بيان التنظيم القانوني المترتب عن قبول الكمبيالة التجارية بالتدخل، في حين يتمحور حل المشكلة في توضيح المركز القانوني للشخص أو للغير الذي يقوم بقبول الكمبيالة بالتدخل تمهيداً للوفاء بها في تاريخ الاستحقاق للمساهمة في سداد الالتزام وتحقيق الاستقرار في المعاملات.

وقد تم اتباع المنهج المقارن بالإضافة إلى المنهجين التحليلي والوصفي من خلال وصف وتحليل النصوص القانونية ومقارنتها بنصوص قانونية أخرى، وذلك استناداً للقانون التجاري اليمني مُدعماً بالشروحات والآراء الفقهية، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: لا يشترط القانون

(\*) عميد كلية الحقوق والعلوم الإنسانية - جامعة سيئون - أستاذ القانون التجاري والبحري المساعد.

(\*\*) نائب عميد كلية القانون سابقاً - جامعة حضرموت - أستاذ القانون التجاري المساعد.

التجاري اليمني رقم (٣٢) لسنة ١٩٩١م أن يكون القابل بتدخل أحد أطراف الكمبيالة، فقد يكون أجنبياً عنها، أو متعهداً سابقاً أو لاحقاً بموجب الكمبيالة، وأوصت الدراسة بتوصيات منها: نقتراح على المشرع اليمني أن يضع تعريفاً واضحاً لمعنى القبول بالتدخل ليسهل على الباحثين والمهتمين في فهم ماهيته وإطاره العام، كون هذا التعريف لمفهوم القبول بالتدخل يؤدي إلى تحديد الإطار الخاص من الناحية القانونية.

الكلمات المفتاحية: تنظيم، الكمبيالة، بالتدخل.

## The Legal Regulation for the Acceptance of the Intervention of the Bill of Exchange (A Comparative Study)

### **Abstract:**

This study aims to identify the legal status of the interfering person in accepting the bill of exchange, as well as clarifying the formal and objective conditions for acceptance. The significance of the study also traces the acceptance of the commercial bill of exchange by interfering, in addition to clarifying and defining the concept of acceptance by intervention and identifying the cases in which acceptance is permissible.

The research problem revolves around the clarification of the legal regulation resulting from accepting the commercial bill of exchange by intervention. As for the solution of the problem, it revolves around clarifying the legal status of the person or third party, who accepts the bill of exchange by intervention, in preparation of their fulfillment on the due date,



to contribute to the payment of the liability and to achieve stability in transactions.

A comparative, analytical and descriptive approach was adopted through describing and analysing legal texts and comparing them with other legal texts based on the Yemeni commercial law, advocated with explanations and jurisprudential views. The study reached to a number of results, the most important of which is: The Yemeni Commercial Law No. (32) of 1991 does not stipulate that the person accepting the intervention be one of the parties to the bill of exchange, he could be unfamiliar to it, a former or latter contractor in conformity with the bill of exchange. The study has presented a set of recommendations including a suggestion to the Yemeni legislator to set a clear definition of the meaning of acceptance of intervention to make it easier for researchers and those interested in understanding what it is and its general framework, since this definition of the concept of acceptance by intervention leads to defining the specific framework from a legal point of view.

Keywords: Regulation; Bill of exchange; By intervention

مقدمة:

يعدُّ موضوع قبول الكمبيالة بالتدخل واحداً من المواضيع الجوهرية للأوراق التجارية المهمة من الناحية العلمية والعملية، كون الكمبيالة تؤدي أهم وظيفتين فهي أداة للوفاء وأداة للائتمان، حيث يتسلم المستفيد من الكمبيالة من الساحب متضمناً أمراً للوفاء إلى المسحوب عليه بدفع مبلغ معين في

ميعاد الاستحقاق، إلا أن المشرع أجاز أن يتدخل شخص ليقبل الكمبيالة بدلاً من المسحوب عليه، وذلك لصالح أحد الملتزمين فيها، بهدف حمايته من رجوع الحامل قبل موعد الاستحقاق للمحافظة على سمعة وائتمان من حصل القبول بالتدخل لصالحه، سواء من ناحية تخفيف الأعباء التي تقع على الكمبيالة أو كضمان على أحد أطرافه، لذا يجب علينا أن نوضح النظام القانوني للقبول بالتدخل، والحدود الفاصلة بينه وبين المسحوب عليه القابل وبينه وبين الضامن الاحتياطي، وهي مسائل تثير اهتمام أي باحث يتناول دراسة موضوع الكمبيالة التي تعد أحد أنواع الأوراق التجارية وفقاً للقانون التجاري اليمني رقم (٣٢) لسنة ١٩٩١م.

### مشكلة البحث:

تتركز مشكلة البحث حول بيان النظام القانوني المترتب على قبول الكمبيالة التجارية بالتدخل.

### أهمية البحث:

أولاً: تعود أهمية قبول الكمبيالة بالتدخل كموضوع لبحثنا هذا كضمان إضافي للوفاء بالكمبيالة حتى ولو لم يكن المسحوب عليه القابل مديناً للساحب بمقابل الوفاء وذلك من أجل تحقيق الاستقرار في المعاملات التجارية.

ثانياً: كما يعد القبول بالتدخل وسيلة هامة لتسهيل عملية خصم الأوراق التجارية، وتأكيد حق الحامل الاحتمالي على مقابل الوفاء الموجود لدى المسحوب عليه القابل.

### أهداف البحث:

١. إن الهدف الرئيس من قبول الكمبيالة بالتدخل التعرف على المركز القانوني للشخص المتدخل.

٢. من خلال توضيح الشروط الشكلية والموضوعية لذلك القبول والتعرف على الحالات التي يجوز فيها القبول، وكذا التفرقة بين القول بالتدخل والضمان الاحتياطي من خلال العمل على وتحليل النصوص التي جاء بها المشرع التجاري اليمني، وتوضيح مدى أهمية هذا القبول والآثار القانونية المترتبة عليه.

### منهج الدراسة:

إن بحث موضوع النظام القانوني المترتب عن قبول الكمبيالة التجارية بالتدخل يصعب فيه الالتزام بمنهج معين، ومن ثمَّ فإنَّ ضرورة البحث وأهميته تقتضي في دراسة هذا الموضوع الجمع بين عدة مناهج، حيث استعنا بالمنهج المقارن والوصفي والتحليلي، وذلك من خلال مقارنة ووصف وتحليل للنصوص القانونية التي تناولتها بموضوع الدراسة استناداً إلى أحكام القانون التجاري رقم (٣٢) لسنة ١٩٩١م، مدعماً بالأحكام القضائية والآراء الفقهية.

### محتويات البحث وخطته:

عند دراستنا لموضوع بحثنا الذي يتناول التنظيم القانوني لقبول الكمبيالة بالتدخل فإننا انتهجنا

خطة البحث الآتية:

المبحث الأول: مفهوم القبول بالتدخل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القبول بالتدخل

المطلب الثاني: شروط القبول بالتدخل

المبحث الثاني: تقديم الكمبيالة للقبول

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حالات عرض تقديم الكمبيالة للقبول

المطلب الثاني: قواعد امتناع تقديم الكمبيالة للقبول

المبحث الثالث: الفرق بين القبول بالتدخل والضمان الاحتياطي

المبحث الرابع: الآثار القانونية للقبول بالتدخل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة الحامل القابل بالتدخل بالحامل

المطلب الثاني: علاقة القابل بالتدخل بالشخص الذي تم القبول لمصلحته

المطلب الثالث: علاقة الحامل بالملتزمين في الكمبيالة.

الخاتمة : وتضمنت الخاتمة التي قمنا بتقسيمها على قسمين تناولنا في القسم الأول أهم ما توصلت إليه من استنتاجات، أما القسم الثاني من هذه الخاتمة فقد رأينا أن تبرز فيها مجمل المقترحات والتوصيات التي نتمنى أن تكون جديرة بالاهتمام ويتم العمل بها.

## المبحث الأول: مفهوم القبول بالتدخل

تمهيد:

القبول بالتدخل هو ذلك القبول الذي يتم تلقائياً من طرف شخص ما كأداة للوفاء<sup>(١)</sup>، وذلك بعد رفض المسحوب عليه قبول الكمبيالة، فيسمى هذا الشخص المتدخل " قابلاً بالتدخل " وهناك نوع آخر من القبول ويسمى " قبول بالوساطة " ومفاده أن يُعيّن أحد الملتزمين بالكمبيالة شخصاً آخر لقبول الكمبيالة عندما يرفض المسحوب عليه قبولها ويسمى " القابل بالوساطة " .

(١) الأوراق التجارية في التشريعين الليبي والعراقي : ١٩ .

ويعدُّ قبول المسحوب عليه للكمبيالة من الضمانات التي تبعت الثقة بهذه الكمبيالة وتؤكد جديته، إلا أن المطالبة بالقبول لا تُعد في الأصل التزاماً مترتباً على عاتق الحامل، كما أن الاستجابة لهذه المطالبة لا تعدّ في الأصل التزاماً على عاتق المسحوب عليه<sup>(١)</sup>.

ويحقق القبول بطريق التدخل ضماناً جديداً للحامل، غير أن هذا الضمان قد لا يرقى الى درجة الضمان الذي يحققه قبول المسحوب عليه، لأن القابل بطريق التدخل قد يكون شخصاً لا يعرفه الحامل ولا تتوفر لديه الملائة الكافية بخلاف المسحوب عليه الذي أجرى الحامل تدقيق لوضعه المالي ووثق به عند قبوله انتقال الكمبيالة اليه، وسوف نتعرف على ذلك في ثلاثة مطالب كما يلي:

### المطلب الأول: تعريف القبول بالتدخل

يمكن أن نعرّف القبول بالتدخل هو تعهد المسحوب عليه بدفع قيمة الكمبيالة في الاستحقاق، وهو تصرف قانوني يشكل إحدى قواعد الصرف تشجيعاً للتعامل بالأوراق التجارية والائتمان التجاري<sup>(٢)</sup>.

كما يعرف القبول بالتدخل بأنه: قيام شخص أو أكثر بالقبول عند السحب عن أحد الموقعين الذي يكون معرضاً للرجوع عليه من الحامل، وبذلك لا يتمكن الحامل من الرجوع قبل ميعاد الاستحقاق عن الشخص الذي وقع القبول بالتدخل لمصلحته<sup>(٣)</sup>.

والقبول في التشريع اليمني وفقاً للمادة (٢) من القانون التجاري اليمني التي تنص على أنه (القبول: تقديم الكمبيالة للمسحوب عليه حتى تاريخ استحقاقها للتأشير عليها بالقبول).

كما نصت المادة (٥١١) منه على أنه (يقع القبول بالتدخل في جميع الأحوال التي يكون فيها لحامل كمبيالة حائزة القبول حق الرجوع قبل ميعاد استحقاقها)<sup>(٤)</sup>، ويتبين من نص المادة بأن

(١) الأسناد التجارية أو الأوراق التجارية: ٣١٨.

(٢) المبسوط في الأوراق التجارية: ٢٥.

(٣) الأوراق التجارية والعملية المصرفية: ١٢٠.

(٤) القانون التجاري اليمني رقم (٣٢) لسنة ١٩٩١م

المسحوب عليه عندما يرفض قبول الكمبيالة يحق للحامل الرجوع على الموقعين لدفع قيمتها قبل موعد الاستحقاق، ومن شأن المطالبة بدفع قيمة الكمبيالة قبل موعد الاستحقاق، وبالتالي سوف تخلق ضماناً جديداً للحامل.

وعليه فإن القبول بالتدخل هو إجراء وقائي من أجل منع الحامل من الرجوع الى المدين سواء كان الساحب أو أحد الموقعين الآخرين .

ويمكن أن نعريف القبول بالتدخل من وجهة نظرنا: " أنه عقد معبر عن التزام صاحبه القيمة النقدية لحامل الكمبيالة لصالح أحد الاشخاص الملتزمين بها حماية له من رجوع الحامل عليه فوراً ومطالبته بالوفاء والقبول بالتدخل ".

حيث يطلق عليه الفقه في بعض الأحيان القبول بالواسطة ولما كان يقع غالباً وقت تحرير احتجاج عدم القبول، وللمحافظة على سمعة وائتمان الشخص الذي حصل القبول لمصلحته، فإنه يسمى أحياناً: القبول وقت تحرير الاحتجاج والقبول للتشريف<sup>(١)</sup>.

لذا فإن القبول بالتدخل هو التزام شخص يسمى " القابل بالتدخل " بوفاء قيمة الكمبيالة لحاملها حين الاستحقاق، عند امتناع المسحوب عليه عن قبول الكمبيالة أو إفلاسه، أو توقفه عن الدفع، أو حجز أمواله.

ولاشك أن القبول يمثل فائدة جوهرية بالنسبة للحامل حيث يمنحه ضماناً إضافية للوفاء بالكمبيالة حتى ولو لم يكن المسحوب عليه القابل مديناً للساحب بمقابل الوفاء. كما أن القبول يعد وسيلة هامة لتسهيل عملية خصم الأوراق التجارية، علاوة على أنه يؤكد حق الحامل الاحتمالي على مقابل الوفاء الموجود لدى المسحوب عليه القابل<sup>(٢)</sup>.

(١) القانون التجاري: ١١٩.

(٢) القانون التجاري والأوراق التجارية: ١٤٥.

## المطلب الثاني: شروط القبول بالتدخل:

القبول تصرف قانوني يعبر من خلاله المسحوب عليه عن إرادته التعهد حرفياً بالوفاء بالكمبيالة، ومن ثمَّ فهناك شروط شكلية ينبغي أن تتوافر لصحة المعاملة، وشروط موضوعية يجب أن تتوفر في الالتزام الصرفي.

### أولاً: الشروط الشكلية

#### ١. كتابة القبول

إن القبول بالتدخل يمثل التزاماً صرفياً للقبال بالتدخل، فهو إذاً ككل التزام صرفي يخضع للشكلية والمتمثلة بالكتابة، فقد نصت المادة (٤٦١) من القانون التجاري اليمني على أنه (... يكتب القبول على الكمبيالة ذاتها ويؤدي بلفظ " مقبول " أو بأي عبارة أخرى تدل على هذا المعنى...)، وعليه لا بد من إبراد القبول بالتدخل كتابة، ولا يمكن تصويره شفاهاً، ويجب أن تكون هذه الكتابة على ذات الكمبيالة، تطبيقاً لمبدأ الكفاية الذاتية التي تتمتع بها الأوراق التجارية، أما إذا ورد في ورقة مستقلة عدَّ كأن لم يكن.

وقد كان القضاء قبل صدور قانون جنيف الموحد يساير بعض الفقهاء ويعدُّ القبول صحيحاً إذا تم على ورقة مستقلة، وذلك بهدف تدعيم ضمانات الحامل<sup>(١)</sup>. لكن رؤي أن هذا الحل يتعارض مع ضرورة أن تكون كافة البيانات المادية التي يترتب عليها التزاماً صرفياً مدونة على الكمبيالة ذاتها<sup>(٢)</sup>.

#### ٢. التوقيع على القبول

أوجب القانون أن يوقع المسحوب عليه على الكمبيالة بإحدى الوسائل المقررة قانوناً سواء كان إمضاه خطأً بقبوله على الكمبيالة، أو أن يضع بصمة إصبعه إذا كان يجهل الكتابة، ولا يجوز له

(١) الكامل في القانون التجاري: ٣٣٦.

(٢) القانون التجاري والأوراق التجارية: ١٥٥.

الاكتفاء بالتأشير إلا إذا تبين أن المسحوب عليه معتاد على التوقيع بهذه الطريقة في معاملاته التجارية، ويمكن للمسحوب عليه التوقيع على وجه الكمبيالة أو ظهرها. لأن توقيعه يدل على مضمون التزامه.

### ٣. صيغة القبول

في الأصل أن تتضمن صيغة القبول ما يفيد صراحة اتجاه نية المسحوب عليه إلى الالتزام في ميعاد الاستحقاق، وقد نصَّ القانون التجاري اليمني في المادة (٤٦١) على وضع لفظ كلمة مقبول أو أي لفظة أخرى تدل على هذا المعنى، على أن يضع المسحوب عليه توقيعه بجانب هذه العبارة. كما يجب أن يكون القبول غير معلق على شرط. وأي تعديل لبيانات الكمبيالة يقع في صيغة القبول يعد رفضاً لها وذلك وفقاً للمادة (٤٦٢) من القانون التجاري اليمني<sup>(١)</sup>.

### ٤. تاريخ القبول

تنص المادة (٤٦١) في القانون التجاري اليمني على أنه ( ... إذا كانت الكمبيالة مستحقة الوفاء بعد مدة من الاطلاع عليه أو كانت واجبة التقديم للقبول في مدة معينة بناء على شرط خاص، ويجب بيان تاريخ القبول في يوم تقديم الكمبيالة، فإذا خلا القبول من التاريخ جاز لحامل الكمبيالة حفظاً لحقوقه في الرجوع على المظهرين أو على الساحب ...).

ويتضح لنا مما سبق أن شرط تاريخ القبول يقتصر على حالتين هما: الكمبيالة المستحقة الوفاء بعد مدة معينة للاطلاع، والكمبيالة المشروطة تقديمها للقبول خلال مدة محددة، إذ ينبغي على المسحوب عليه أن يثبت تاريخ قبوله على الكمبيالة بمقتضاها، حتى يمكن وبالاستناد لهذا التاريخ احتساب ميعاد الاستحقاق في الكمبيالة الأولى، وللتأكد من مدى مراعاة الحامل للمدة المقررة المشروطة تقديم الكمبيالة للقبول خلالها في الكمبيالة الثانية، وما عدا ذلك فلا يلزم أن يكون القبول مؤرخاً.

(١) تنص المادة (٤٦٢) من القانون التجاري اليمني على أنه (يجب أن يكون القبول غير معلق على شرط، ومع ذلك يجوز للمسحوب عليه قصره على جزء من مبالغ الكمبيالة وأي تعديل لبيانات الكمبيالة يقع في صيغة القبول يعتبر رفضاً لها ومع ذلك يظل القابل ملزماً بما تضمنته صيغة القبول).



## ثانياً : الشروط الموضوعية

### ١ . الأهلية

يشترط فيمن يضع توقيعه على الكمبيالة بالقبول أن تكون له سلطة هذا التوقيع، وأن يكون أهلاً راشداً للالتزام الصرفي وغير محجور عليه، ما لم يكن قاصراً مأذوناً له على وجه قانوني بممارسة التجارة. فالأهلية هي صلاحية الشخص لثبوت ومباشرة الحقوق له وعليه<sup>(١)</sup>، والتي يطلبها المشرع اليمني عند بلوغ سن الثامنة عشرة مع عدم وجود عارض من عوارضها، مثل الجنون والعتة<sup>(٢)</sup> والسفه<sup>(٣)</sup>.

### ٢ . التوقيع

يمكن أن يحصل القبول من وكيل المسحوب عليه، شرط أن يكون حائزاً وكالة قانونية، تخوله صراحة حق التوقيع بالقبول على السند، وشرط أن يكون المسحوب عليه هو نفسه أهلاً للقبول .  
أما بالنسبة للشخص المعنوي " الشركة " فيجوز قبول الكمبيالة ممن يمثلها وفق حدود بينها القانون، أو النظام الأساسي للشركة.

وتوقيع الوكيل بصفة القبول بالتدخل في حدود سلطته ملزم للموكل المسحوب عليه وإذا تجاوز سلطته فيكون مسؤولاً شخصياً وفقاً للقواعد العامة المتعلقة بالوكالة.

### ٣ . الرضا<sup>(٤)</sup>

يجب أن يكون التزام المسحوب عليه بالقبول سليماً خالياً من عيوب الرضا التي ذكرها القانون المدني اليمني، وهي الإكراه، والغلط، والغبن، والتدليس، فإن تحقق أي منها يعد معيباً لرضا الموقع مما يجعل تصرفه باطلاً أو موقوفاً حسب القواعد العامة.

### ٤ . المحل

(١) المادة (٤٩) من القانون المدني اليمني.  
(٢) وفقاً لنص المادة (٦٠) من القانون المدني اليمني تنعدم الأهلية بالنسبة للشخص الجنون والمعوتة ( تصرف فاقد الأهلية غير صحيح).  
(٣) وفقاً للمادة (٦٣) من القانون المدني اليمني تصرف السفه ( هو تبذير المال خلاف ما يقضي به العقل والشرع).  
(٤) تنص المادة (١٤٩) من القانون المدني على أنه ( الرضى هو بيد طرفي العقد فيما يتعاقدان عليه).

يجب أن يرد القبول على محل الكمبيالة أي على المبلغ النقدي الثابت فيها، وهو كل ما يلزم به المدين القابل بالتدخل، وللمحل صور ثلاث<sup>(١)</sup>، ولذا يتضح لنا أنه لا يجوز أن يتعهد المسحوب عليه بشيء آخر غير لتسليم مبلغ الكمبيالة لحاملها عند الطلب، وإلا عُدَّ بمثابة رفض للقبول يجعل للحامل مباشرة إجراءات الرجوع، والأصل أن يرد القبول على إجمالي مبلغ الكمبيالة كاملاً، ومع ذلك فقد أجاز القانون للمسحوب عليه أن يقصر قبوله على جزء من مبلغ الكمبيالة<sup>(٢)</sup>.

ولاشك أن هذا الرأي فيه مراعاة من المشرع للملتزمين الآخرين الموقعين على الكمبيالة حيث إن القبول الجزئي من شأنه التخفيف عليهم من عبء الضمان، وفي هذه الحالة يعدُّ المسحوب عليه مديناً صرفياً في حدود القدر المقبول، ويجوز للحامل الرجوع بما تبقى على الضامين بعد توجيه الاحتجاج لعدم القبول<sup>(٣)</sup>.

## ٥. السبب

لابد لصحة القبول من توفر سبب صحيح دافع لهذا القبول، والسبب هو الباعث الدافع الذي يقصد المسحوب عليه الوصول إليه من وراء التزامه يمكن يدركه في حالة القبول بالتدخل، فقد يكون ديناً في ذمة القابل بالتدخل للشخص المتدخل عنه، وقد يكون القابل بالتدخل قاصداً من وراء القبول هذا تحقيق فائدة معينة أو ربح، وفي كل الأحوال يجب أن يكون السبب موجوداً أولاً ثم مشروعاً، فإذا كان القبول بالبطلان في مواجهة الحامل حسن النية.

## المبحث الثاني: تقديم الكمبيالة للقبول

### تمهيد:

الأصل أن تقديم الحامل الكمبيالة للقبول هو حق له وليس التزاماً عليه، فالتقديم للقبول لا يعدو كونه رخصة بسيطة يقدمها المشرع إلى أي حامل يريد أن يتأكد من استعداد المسحوب عليه للوفاء بالكمبيالة في ميعاد الاستحقاق.

(١) تنص المادة (١٨٤) من القانون المدني على أن يكون المحل مالاً أو منفعة أو ديناً أو عملاً أو الامتناع عن العمل.

(٢) المادة (٤٦٢) من القانون التجاري البيتي.

(٣) المادة (٤٨٩) من القانون التجاري البيتي.

وهذا ما تؤكدُه المادة (٤٥٧) من القانون التجاري اليمني التي تنص على أنه (يجوز لحامل الكمييالة أو لأي حائر لها، حتى ميعاد الاستحقاق تقديمها إلى المسحوب عليه في موطنه لقبولها). ويتضح لنا من خلال هذا النص أن تقديم الكمييالة للقبول هو في الأصل اختياري من حق الحامل أو أي شخص حائر لها، إلا أن هناك استثناءات ترد في حالات تقديم الكمييالة وحالات أخرى يمتنع فيها التقديم. ويمكننا توضيح ذلك من خلال المطالب الآتية:

### المطلب الأول: حالات عرض تقديم الكمييالة للقبول

يمكن أن يقع عرض تقديم الكمييالة للقبول عندما تكون معدة لذلك، وذلك بأن تشتمل على شروط يكون للساحب وحده دون المظهرين، والغاية من ذلك قد تكون تفادي نفقات احتجاج عدم القبول أو الاحتفاظ بحق التصرف بمقابل الوفاء حتى تاريخ الاستحقاق، سوف نتناول في هذا المطلب فرعين أساسين:

### الفرع الأول: شروط القبول

تنص الفقرة الأولى من المادة (٤٥٨) من القانون التجاري اليمني على أنه (يجوز لساحب الكمييالة أن يشترط وجوب تقديمها للقبول في ميعاد معين أو بغير ميعاد). ونستنتج من هذا النص أن الساحب إذا وضع في الكمييالة شرط القبول قد يحدده بميعاد معين، يجب عليه خلال ذلك الميعاد تقديمها للقبول، وأن يتقيد بهذا الشرط. والهدف من شرط القبول هو معرفة الساحب الموقف الذي سيتخذه المسحوب عليه لمواجهة استعداده لوفاء بقيمة السند، وذلك من أجل اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة رفض القبول. ويجب على الساحب تدوين هذا الشرط في الكمييالة نفسها بأي صيغة كانت تفيد بالقبول، لكي يطمئن إلى موقف المسحوب عليه منها، ومدى اتجاه نيته إلى الوفاء بها عند الاستحقاق.

وفي حال اشتراط القبول، يتوجب على الحامل عرض الكمبيالة للقبول، وهو يثبت تنفيذ هذا الشرط أما بتوقيع المسحوب عليه على الكمبيالة، أو بتنظيم احتجاج عدم القبول في المهلة القانونية، فإذا قام بما هو مترتب عليه لجهة عرض الكمبيالة للقبول، احتفظ بحقوقه في الرجوع على المظهرين والساحب، أما إذا لم يتقيد بهذا الشرط، سقط حقه بالرجوع على الملتزمين بالكمبيالة في حال عدم وفاء قيمته في الاستحقاق.

إذا لم يشترط الساحب عرض الكمبيالة للقبول، يمكن للمظهر أن يشترط هذا الشرط، إذا كان الساحب لم يمنع القبول. ويجب أن تدون صيغة الشرط عند تدوين صيغة التظهير<sup>(١)</sup>.

### الفرع الثاني : استحقاق الكمبيالة لمهلة بعد الاطلاع

تنص المادة (٤٥٩) من القانون التجاري اليمني على أن ( الكمبيالة المستحقة الوفاء بعد مضي مدة معينة من الاطلاع عليها يجب تقديمها للقبول خلال سنة من تاريخها، وللساحب تقصير هذا الميعاد أو إطالته ولكل مظهر تقصير هذا الميعاد)<sup>(٢)</sup>.

ويتضح لنا من نص هذه المادة ما يأتي:

أ. وجوب عرض الكمبيالة للقبول

فيجب على الحامل أن يعرض الكمبيالة للقبول إذا كان استحقاقه لمهلة ما بعد الاطلاع، وذلك لتفادي استمرار ضمان الساحب والمظهرين، بسبب إهمال الحامل.

ب. مدة عرض الكمبيالة للقبول

هل هناك مدة معينة لعرض الكمبيالة للقبول؟

يلتزم الحامل أيضاً بعرض الكمبيالة للقبول خلال سنة من تاريخ إنشائها، إذا كانت مستحقة الدفع بعد مدة معينة من الاطلاع عليها، وذلك لأن تاريخ الاستحقاق في الكمبيالة إنما يتحدد بناء

(١) الكامل في القانون والتجارة: ٣٢٢.

(٢) تقابل هذه المادة وتتضمن الحكم المصدر نفسه المواد (٣٣٨) تجاري لبناني، (٤١١) تجاري مصري، (٤٤٠) تجاري سوري، (٤٤٢) تجاري كويتي، (٧٢) تجاري عراقي، (٤٥٣) تجاري عماني، (٤٠٣) تجاري جزائري، (١٧٤) من المدونة التجارية العربية، الفصل (٢٨٣) من المجلة التجارية التونسية.

على تاريخ قبولها، وذلك وفقاً للمادة (٤٧٢) من القانون التجاري اليمني، على ألا يدخل في حساب هذه المهلة اليوم الأول، وهو يوم السحب.

## المطلب الثاني: قواعد امتناع تقديم الكمبيالة للقبول

لا يجوز للحامل تقديم الكمبيالة للقبول إذا تضمنت شرط عدم القبول، وعندما تكون مستحقة الدفع لدى الاطلاع.

## الفرع الأول: شروط عدم القبول

يتفق شرط عدم القبول مع متطلبات بيانات الأوراق التجارية، كما يضع الساحب مثل هذا الشرط في الحالات التي لا يكون فيها قد قدم مقابل الوفاء للمسحوب عليه، فيخشى امتناعه عن القبول، أو يكون قدمه ولكنه يريد أن يحتفظ لنفسه بحق استرداده أو التصرف فيه قبل ميعاد الاستحقاق. وقد يكون الساحب على يقين من اتجاه نية المسحوب عليه إلى الوفاء بالكمبيالة في ميعاد الاستحقاق، لكنه يخشى رفض المسحوب عليه التوقيع على الكمبيالة بالقبول حتى لا يلتزم صرفياً بها<sup>(١)</sup>. وغير ذلك من الأسباب التي يعود تقديرها للساحب، طالما أن شرط عدم القبول، هو شرط اختياري يعود للساحب وضعه في الكمبيالة.

حيث يمنع على الساحب عرض الكمبيالة للقبول قبل الفترة المحددة أو قبل موعد الاستحقاق، ويجب أن يكون شرط عدم القبول واضحاً على الكمبيالة، وهذا كله يقع على عاتق الساحب وحده دون المظهرين وفقاً لنص المادة (٤٥٨) من القانون التجاري اليمني. هذا ويجوز أيضاً للساحب إدراج شرط عدم القبول في كافة الكمبيالات إلا في حالات معينة منها: إذا كانت الكمبيالة قابلاً للدفع عند شخص ثالث، أو في محل غير الذي يقيم فيه المسحوب عليه، أو إذا كانت الكمبيالة مسحوباً

(١) القانون التجاري والأوراق التجارية: ١٤٨.

بعد مدة الاطلاع عليها، حيث تم تحديد موعد استحقاق هذا النوع من أنواع الكمبيالة لتقديمها للقبول وفقاً لنص المادة (٤٥٩) من القانون التجاري اليمني.

### الفرع الثاني: استحقاق الدفع لدى الاطلاع

إذا كانت الكمبيالة مستحقة الدفع عند الاطلاع بحسب طبيعتها فلا حاجة إلى عرضها للقبول، طالما أن الحامل يحق له أن يقبض قيمة الكمبيالة بمجرد اطلاع المسحوب عليه، والوفاء بقيمتها.

أما إذا رفض المسحوب عليه الوفاء بقيمة الكمبيالة لدى الاطلاع عليه، فعلى الحامل أن ينظم الاحتجاج لعدم الدفع.

### المبحث الثالث: الفرق بين القبول بالتدخل، والضمان الاحتياطي

تنص المادة (٤٦٦) من القانون التجاري اليمني على أنه ( يجوز ضمان وفاء مبلغ الكمبيالة كله أو بعضه من ضامن احتياطي، ويكون هذا الضمان من أي شخص ولو كان ممن وقعوا الكمبيالة).

يتضح من نص هذه المادة أن الضامن الاحتياطي بالكمبيالة هو عبارة عن كفالة شخص ثالث أو أحد الموقعين على الكمبيالة، بحيث يلتزم الضامن أو المتكفل صرفياً بالوفاء بقيمة الكمبيالة بتاريخ الاستحقاق، ويطلق عليه بالمتكفل أو الضامن الاحتياطي.

حيث يتضح لنا أن الضامن الاحتياطي هو شبيهاً للقبول بالتدخل، من حيث الآثار والمركز القانوني لكل من الضامن الاحتياطي والقابل بالتدخل، فكلاهما يلتزم التزاماً ثانوياً احتياطياً عن من تم التدخل لمصلحته " القبول بالتدخل " أو عن المضمون " الضامن الاحتياطي " وهذا الالتزام يتصف بالتبعية حيث ينص القانون التجاري على ذلك في المادة (٥١١)، كما نصت المادة (٤٦٨) من

القانون التجاري اليميني على أن (يلتزم الضامن الاحتياطي على الوجه الذي يلتزم به المضمون، ويكون التزام الضامن الاحتياطي صحيحاً، ولو كان الالتزام الذي ضمنه باطلاً لأي سبب آخر غير عيب في الشكل). وهنا يؤكد أصلية التزام الضامن الاحتياطي وصفته المزدوجة في آن واحد، تبعياً وأصلياً معاً، في حين يكتفي في تحديد التزام القابل بالتدخل بالتأكيد على صفة التبعية، والحقيقة أن الصفة الأصلية في الالتزام الصرفي هنا لا تحتاج بالضرورة إلى نص المشرع نظراً لطبيعة التوقيع على الكمبيالة التجارية، واستقلاليتها على وفق القواعد العامة.

إذاً كلا الالتزامين أصلي وتبعي معاً، ويؤكد الفقه ذلك في العموم أن المركز القانوني للقابل بالتدخل يكون كفيلاً للشخص الذي تم التدخل لمصلحته<sup>(١)</sup>، كما أن الضمان الاحتياطي ليس إلا كفالة تجارية، والكفيل مُلزم بأداء ما التزم به تجاه من أعطي الضمان لمصلحته، وأن الحامل تتحدد حقوقه بالنسبة للقابل بالتدخل والضامن الاحتياطي بموجب الحقوق التي له تجاه من جرى القبول بالتدخل لمصلحته أو المضمون، فالاثنان إذاً الضامن الاحتياطي، والقابل بالتدخل لا يتعدى مركزهما حدود مركز الكفيل، ولكنه يلاحظ بأن الكفالة هنا، ليست كفالة عادية، إنما كفالة تجارية تمتاز بقدر كبير من التجريد، فالكفالة العادية تبرز فكرة تبعية التزام الكفيل لالتزام المدين الأصلي، ومنها تتفرع سائر أحكام الكفالة المدنية، أما الكفالة التجارية فتتراجع هذه الفكرة وتقوم على أساس من التضامن ومما هو أقوى من التضامن، على أساس من اعتبار الكفيل ملتزماً بضمان الدين المكفول بمحض إرادته المنفردة، ومع ذلك فلا تتوارى فكرة التبعية بل تبقى قائمة، وإن يكن وجودها في حالة ضمور لما جدد من أعراف تجارية في أحكام الكفالة التجارية<sup>(٢)</sup>.

وتتجلى حقيقة التشابه الكبير بين طبيعة التزام الضامن الاحتياطي والتزام القابل بالتدخل، والمركز القانوني لكل منهما في حالة كون المتدخل عنه موقِعاً على الكمبيالة، وليس الساحب ذاته،

(١) القانون التجاري الأوراق التجارية: ٣٠١.

(٢) أهم القرارات والاجتهادات القضائية: ١٩٧.

فدور القابل بالتدخل ومركزه هو دور ومركز الكفيل لمن تدخل عنه، وهو يختلف بكل تأكيد عن دور ومركز المسحوب عليه الأصلي، كما تقدم أن القابل بالتدخل لن يحل محل المسحوب عليه، الذي لو قبل الكمبيالة لأصبح المدين الصرفي الأول فيها، لأن القابل بالتدخل ليس إلا كفيلاً<sup>(١)</sup>.

ويتضح لنا في النهاية أن الفرق الحقيقي بين القبول بالتدخل والضمان الاحتياطي هو ليس في طبيعة الالتزام ولا في المركز القانوني بقدر ما هو في أمور شكلية وهي كما يلي:

١. القبول بالتدخل يحصل عند امتناع المسحوب عليه عن قبول الكمبيالة، ولجوء الحامل إلى إجراءات احتجاج عدم القبول، أما الضمان الاحتياطي فيمكن أن يقدم في أي وقت، عند سحب الكمبيالة لضمان الساحب أو عند التظهير لضمان المظهر.

٢. كما أن القبول بالتدخل لا يمكن أن يتحقق بمجرد التوقيع على الكمبيالة إذ لا بد من إضافة صيغة معينة أو عبارة ما تفيد معنى القبول بالتدخل، في حين أن الضمان الاحتياطي يمكن أن يكون بالتوقيع المجرد على وجه الكمبيالة حيث استقر العرف التجاري ثم أقر ذلك التشريع بأن كل توقيع مجرد على وجه الكمبيالة يفيد الضمان الاحتياطي.

٣. يمكن إعطاء الضمان الاحتياطي على ورقة مستقلة يبين فيها المكان الذي تم فيه، وعندها لا يلزم الضامن إلا تجاه من أعطى له الضمان وفقاً لنص المادة (٤٦٨) من القانون التجاري اليمني، في حين لا يمكن إعطاء القبول بالتدخل على ورقة مستقلة وإلا عُدد كأن لم يكن.

٤. وفي الحالتين يمكن أن يكون القبول بالتدخل وكذلك الضمان الاحتياطي، بكل مبلغ الكمبيالة أو جزء منه كما يمكن أن يكون كل منهما أجنبي عن الكمبيالة أو ممن وقعوا عليها سابقاً.

(١) الأسناد التجارية في القانون التجاري الجزائري: ١٦٢.



## المبحث الرابع: الآثار القانونية للقبول بالتدخل

تناولت المادة (٥١٣) من القانون التجاري اليمني آثار القبول بالتدخل إذ نصت على أنه يلتزم القابل بالتدخل نحو الكمييالة، ومظهريها اللاحقين لمن حصل التدخل لمصلحته بما يلتزم به هذا الأخير، ويجوز لمن حصل التدخل لمصلحته ولضامنيه على الرغم من حصول القبول بالتدخل، أن يلزموا حامل الكمييالة مقابل وفائهم للمبلغ المعين في المادة (٤٩٩) بتسليمهم الكمييالة والاعتراض والمخالصة إن وجدت).

لذلك من الطبيعي أن يرتب القبول بالتدخل أثراً صرفياً في ذمة المتدخل، فيصبح ملزماً أمام الحامل بدفع قيمتها عند حلول الاستحقاق، ويكون ذلك في الحدود التي يكون المتدخل لمصلحته ملتزماً بها، كما يلزم بذلك في مواجهة الموقعين اللاحقين لهذا الأخير. أما الموقعون السابقون فلا يلتزم اتجاههم شيء، وأن القابل بالتدخل لا يقوم مقام المسحوب عليه الممتنع عند القبول وأنَّ الحامل ينتظر ليقوم بتقديم الكمييالة الى هذا الأخير فيها واستحقاقها المطالبة بالدفع وقد يقوم المسحوب عليه بالامتناع عن القبول، ولكن لا يمنع عن الأداء، وبالتالي يرجع إلى القابل بالتدخل، وخلاصة ما تقدم يمكن لنا القول إن القابل بالتدخل يلتزم التزاماً أصلياً وتبعياً في الوقت ذاته. حيث يتضح لنا أن الآثار القانونية المترتبة على القبول بالتدخل تختلف باختلاف أطراف الكمييالة، فالآثار التي تترتب على قبول الكمييالة بالتدخل في علاقة القابل بالتدخل مع الحامل تختلف عن تلك المترتبة بين القابل بالتدخل مع الشخص الذي تم قبول التدخل لمصلحته، كما أن العلاقة التي تربط الحامل بالملتزمين بالكمييالة تختلف الآثار القانونية المترتبة عن غيرها من العلاقات الناشئة عن الكمييالة. ويمكن دراسة ذلك من خلال المطالب الآتية:

## المطلب الأول: علاقة الحامل القابل بالتدخل بالحامل

يترتب على قبول المسحوب عليه للكمبيالة تأكيد الحامل، وفي حالة امتناعه عن قبول الكمبيالة، والذي غالباً ما يكون ينصرف إلى إضعاف الثقة، ووجود الشك والريبة بالنسبة للحامل، فيشرع المتدخل "القابل بالتدخل" إلى عرض قبوله على الحامل، ولهذا الأخير الأحقية القانونية في قبول أو رفض التدخل، فقد يرى الحامل أن القابل بالتدخل شخص لا يمتلك الملاءة المالية<sup>(١)</sup> فيعتمد إلى رفض القبول بالتدخل عدّه شيئاً لم يحصل، ولا يؤثر هذا الرفض من الناحية القانونية على المركز القانوني للحامل، كون القبول بالتدخل يعد بحد ذاته حقاً له، سواء بالقبول أو الرفض.

وعندما ينتهي عرض القابل بالتدخل للحامل للقيام بالإجراءات القانونية التي أجازها القانون، أي القيام بإجراءات الرجوع، أما إذا قبل ولم يرفض هذا التدخل فلا يتيح له القانون بعدئذ الرجوع قبل تاريخ الاستحقاق على المدين الصرفي للكمبيالة التجارية، كما لا يجيز القانون له الرجوع على الموقعين اللاحقين له<sup>(٢)</sup>.

إن القابل بالتدخل يُعدّ مُلزماً التزاماً صرفياً بمبلغ الكمبيالة، لكن السؤال الذي يثار فيما إذا كان التزامه التزاماً أولياً بحتاً؟ أو أن التزامه يعد التزاماً ثانوياً، الحقيقة في ذلك أن التزام القابل بالتدخل هو التزام ثانوياً، وهذا الالتزام لا يمنع الحامل من حق الرجوع مباشرة على المتدخل عنه، إذا ما كانت مصلحة هذا الحامل تتحقق بالرجوع، شريطة أن يعبر صراحة عن رفضه عند وقوعه.

وعلى الحامل عند حلول ميعاد استحقاق الكمبيالة أن يتقدم بطلب الوفاء إلى المسحوب عليه الأصلي لأنه قد يكون رفض التدخل لعلاقات تربطه بالساحب ومدى وجود مقابل وفاء الورقة التجارية لدى المسحوب عليه، وأيضاً لكي لا يتعامل معه مستقبلاً<sup>(٣)</sup>.

(١) الملاءة المالية: هي القدرة على الوفاء بالديون.

(٢) المادة (٥١١) من القانون التجاري اليمني.

(٣) القانون التجاري الأوراق التجارية: ١٢١.

## المطلب الثاني: علاقة القابل بالتدخل بالشخص الذي تم القبول لمصلحته

إن العلاقة بين القابل بالتدخل والموقع الذي تم القبول لمصلحته هي علاقة غير صرفية، فهي علاقة مستندة إلى الوكالة إذا تم القبول بالتدخل بناءً على طلب المدين أو الفضالة إذا تم التدخل القابل من تلقاء نفسه ودون أن يطلب منه ذلك<sup>(١)</sup>.

وليس للقابل بالتدخل أن يطالب المدين بشيء قبل تاريخ الاستحقاق، وقبل قيامه بالدفع الفعلي، فلو كان المتدخل لمصلحته هو الساحب فلا يستطيع القابل بالتدخل المطالبة بمقابل الوفاء، أما إذا حل أجل الاستحقاق وأجبر المتدخل على الدفع فله حق الرجوع بمقتضى وفائه هذا، على من أوفى عنه<sup>(٢)</sup>.

ويتضح لنا بأن القابل بالتدخل في رجوعه على المتدخل عنه يكون له الحق وذلك في دعويين: الأولى: وهي الدعوى العادية " المدنية " الناشئة عن الوكالة أو الفضالة<sup>(٣)</sup> وفقاً للقواعد العامة في القانون المدني، والثانية: هي الدعوى الصرفية الناشئة عن الكمبيالة نفسها، والتي تعود له كأى ضامن آخر، أرغم على الوفاء بقيمة الكمبيالة<sup>(٤)</sup>.

## المطلب الثالث: علاقة الحامل بالملتزمين في الكمبيالة

إن الحامل له الحق في رفض القبول بالتدخل، كما له الحق في الموافقة على القبول بالتدخل، وفي حال لم يرفضه فليس له أن يرجع على قبل استحقاق ميعاد الكمبيالة على من جرى قبول التدخل لمصلحته، إلا أن الحامل يحتفظ بحقه في الرجوع قبل الاستحقاق بالنسبة للمظهرين السابقين لمن حصل القبول بالتدخل لمصلحته<sup>(٥)</sup>.

(١) الأسناد التجارية أو الأوراق التجارية: ٣٦٥.

(٢) المادة (٥١٤) من القانون التجاري اليمني.

(٣) الأسناد التجارية أو الأوراق التجارية: ٣٦٦.

(٤) ينظر المادة (٣٣٨) من القانون المدني اليمني.

(٥) القانون التجاري الأوراق التجارية: ٢٢٠.

أما إذا تم تعيين القابل بالتدخل ابتداءً من قبل الساحب أو أحد المظهرين الموقعين على الكمبيالة، الحق في الزام الحامل بقبول مبلغ الكمبيالة، وهو يشمل أصل المبلغ مع الفوائد والمصاريف، وتسليم أصل الكمبيالة والاحتجاج والمخالصة إن وجدت<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن في الحلول المتقدمة تمكيناً لمن تم التدخل لمصلحته والموقعين السابقين له من مباشرة حقهم في الرجوع بدورهم على ضامنيهم، والقبول بالتدخل لا يمنع من تم التدخل لمصلحته من أن يقوم هو بدفع قيمة الكمبيالة .

### الخاتمة:

بعد أن انتهينا من كتابة هذا البحث بفضل وتوفيق من الله وحسن إرادته، على الرغم التحديات التي واجهتنا ونحن نسلك كتابة هذا البحث إلا أننا توصلنا الى جملة من النتائج والتوصيات، والتي يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

### أولاً : النتائج

١. لا يشترط القانون التجاري اليمني رقم (٣٢) لسنة ١٩٩١م أن يكون القابل بالتدخل أحد أطراف الكمبيالة، فقد يكون أجنبياً عنها، أو متعهداً سابقاً أو لاحقاً بموجب الكمبيالة.
٢. يستلزم القانون التجاري في القبول بالتدخل ما يلزمه القواعد العامة فيما يتعلق بالشروط الموضوعية وبعض الشروط الشكلية.
٣. إن الطبيعة القانونية لقبول بالتدخل تذهب الى عدة تصرفات قانونية، فالتدخل ليس إلا كفيلاً عن من تم التدخل عنه، سواء كان الساحب أو المظهر، وكفالاته هذه ليست كفالة عادية وإنما تتسم بقدر كبير من التجريد.

(١) ينظر المادة (٥١٣) والمادة (٤٩٩) من القانون التجاري اليمني.

٤. إن الالتزام القابل بالتدخل ليس التزاماً تبعياً دائماً مثل الكفالة العادية أي (المدنية)، فهو التزام أصلي في وأقات محددة، وهنا يظهر الفرق جلياً وتظهر أهمية التوقيع وخطورته بهذه الصفة لما يمكن أن يتحمل القابل بالتدخل التزاماً بعد عملية التوقيع ينتج عنه عدة التزامات.
٥. قد يتسع دور القابل بالتدخل ليحل محل دور المسحوب عليه الأصلي عندما يكون معيناً من قبل الساحب ومتدخلاً لمصلحته.

### ثانياً : التوصيات

١. نقترح على المشرع اليمني أن يضع تعريفاً واضحاً لمعنى القبول بالتدخل ليسهل على الباحثين والمهتمين فهم ماهيته وإطاره العام، كون هذا التعريف لمفهوم القبول بالتدخل يؤدي إلى تحديد الإطار الخاص من الناحية القانونية.
٢. نوصي المشرع اليمني أن يأخذ بعين الاعتبار قاعدة التظهير من الدفع عند قيامه بأي تعديل يتعلق بالقبول بالتدخل، وأن يحدد الدفع التي يمكن التمسك به، والتي لا يمكن التمسك بها عند القيام بأي تعديل.
٣. نوصي المشرع اليمني أن يساير التشريعات التي عدّلت قواعدها الخاصة بالقبول بالتدخل، كالقانون المصري والأردني، كون هذه التعديلات تساهم في زيادة العمل بالقبول بالتدخل على اعتباره ضماناً احتياطياً للكمبيالة، فيؤدي ذلك إلى زيادة العمل بهذا النظام سواء من قبل الأشخاص الطبيعيين أو الاعتباريين.
٤. نقترح على المشرع اليمني أفراد نصوص قانونية تبين الآثار القانونية المتعلقة بأطراف الكمبيالة عند حصول القبول بالتدخل، إذ من شأن ذلك أن يحول دون زيادة النزاعات بين الأطراف (أطراف الكمبيالة)، وزيادة الوعي على ما يترتب من آثار إجراء القبول بالتدخل.

## المصادر والمراجع:

١. إبراهيم، بن داود، الأسناد التجارية في القانون التجاري الجزائري، دار الكتاب الحديثة، القاهرة، ط ١، ٢٠١١م.
٢. سامي، فوزي محمد، الشماع، د. فائق، القانون التجاري الأوراق التجارية، بغداد، ١٩٨٢م.
٣. الشاوي، خالد، الأوراق التجارية في التشريعين الليبي والعراقي، مطابع دار الكتب بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
٤. طه، مصطفى كمال، و فهميم، مراد منير، القانون التجاري، الدار الجامعية للنشر، بيروت.
٥. الفقهي، محمد السيد، القانون التجاري والأوراق التجارية، منشورات الحلبي الحقوقية، ط ١، ٢٠١٠م.
٦. القانون التجاري اليمن رقم (٣٢) لعام ١٩٩١م.
٧. القانون المدني اليمني رقم (١٤) لعام ٢٠٠٢م.
٨. موسى، طالب حسن، الأوراق التجارية والعملية المصرفية، دار الثقافة والنشر والتوزيع، عمان ط ١، ٢٠١١م.
٩. ناصيف، إلياس، الاسناد التجارية أو الأوراق التجارية، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان ط ١، ٢٠١٨م.
١٠. ناصيف، إلياس، الكامل في القانون التجارة، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت.
١١. الناهي، صلاح الدين، أهم القرارات والاجتهادات القضائية، مطبعة الحوادث، بغداد، ١٩٧٦م.
١٢. الناهي، صلاح الدين، المبسوط في الأوراق التجارية، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٥م.

## حركة المواد الأرضية ومخاطرها الجيومورفولوجية

على أسطح المنحدرات الجبلية المطلة على طريق نقييل سُمارة إب- اليمن

د. عادل حمود لطف ناجي (\*)

### المستخلص:

يتناول البحث دراسة المخاطر الجيومورفولوجية التي يتعرض لها طريق نقييل سُمارة الناجمة عن حركة المواد الأرضية المكونة لأسطح المنحدرات الجبلية المطلة والموازية للطريق، ومسلطاً الضوء على أهم العوامل الطبيعية التي تزيد من نشاط حركة المواد، وتسهم في حدوث الانزلاقات والانحيارات الأرضية، وبالتالي تحديد التوزيع المكاني لأنواع الانزلاقات والانحيارات الأرضية على الجوانب المطلة للطريق. ومن خلال النزول الميداني لمنطقة الدراسة وباستخدام المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي تم التوصل إلى مجموعة من النتائج: أن أكثر المخاطر الجيومورفولوجية للانزلاقات والانحيارات الأرضية تتركز معظمها في الجانب الأيمن لطريق نقييل سُمارة، وأغلب توزيعها المكاني يتركز في المنطقة الثالثة الوسطى، والمنطقة الرابعة الشمالية للطريق، بنسبة (41.51%)، (50%) على التوالي من إجمالي عدد الحالات المشاهدة والمرصودة في المنطقة البالغة (212) حالة، فهي من أكثر المناطق خطورة لحدوث الانزلاقات والانحيارات الأرضية، بسبب الميل الشديد للمنحدرات، ولقرب المسافة من الطريق، ولضخامة الكتل الصخرية المنهارة والمحملة الانحيار. وأن أكثر نشاط حركة المواد الأرضية: ظاهرة

(\*) أستاذ الجيولوجيا المساعد، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن.

السقوط بنسبة (37.7%) من إجمالي عدد الحالات الانهيارات الأرضية، ثم يليه الانزلاق المتضمن (الانزلاق المستوي، الدوراني، الإسفيني)، بنسبة (30.7%)، الزحف بنسبة (18.4%).

الكلمات المفتاحية: طريق نقييل سُمارة، حركة المواد الأرضية، المخاطر الجيومورفولوجية، التوزيع المكاني، طرق الحماية من المخاطر.

## The Movement of Ground Materials and their Geomorphological Risks on the Surfaces of the Mountain Slopes Overlooking the Naqil Samara Road, Ibb-Yemen.

### **Abstract:**

This study examines the geo-morphological risks to which the Smara Naqeel road is exposed to, resulting from the movement of ground materials that form the surfaces of the mountain slopes overlooking and parallel to the road, and highlighting the most important natural factors that increase the activity of the movement of materials contributing to the occurrence of landslides, and thus determine the spatial distribution of the types of landslides (Landslips) on the side overlooking the road. Through a field trip to the study area and by using the descriptive and analytical approach, a set of results were reached: the most geo-morphological risks of slips and landslides are mostly concentrated on the right side of the Naqil Samara road, and most of their spatial distribution is concentrated in the third central region, and the fourth northern region of the road, with a percentage (41.51%) and (50%), respectively, of the total number of observed cases in



the region of (212) cases. It is one of the most dangerous areas for landslips and landslides, due to the steep slope of the slopes, the proximity of the distance from the road, and the huge collapsed and potentially collapsing rock masses. Further, the most active movement of ground materials include the phenomenon of falling reaching (37.7%) of the total number of landslides, followed by sliding which include (plane, rotational, wedge slip) by (30.7%) in addition to crawling by (18.4%).

**Keywords:** Samara Transfer Route; Movement of Ground Materials; Geo-morphological Hazards; Spatial Distribution; Methods of Protection against Hazards.

### 1. جبل سُمارة الموقع، الطريق، المخاطر:

جبل سُمارة الواقع شمال مدينة إب عاصمة محافظة إب، وسط الجنوب الغربي لليمن، يُعد جزءًا من السلسلة الجبلية البركانية التي تمتد من جنوب اليمن إلى شماله، ويصل ارتفاعها إلى حوالي 3650م فوق مستوى سطح البحر، تكونت بفعل النشاط البركاني في العصر الثلاثي، ويمتد في جبل سُمارة أهم الطرق الحيوية، والأكثر حركة مرورية هو المعروف بطريق نقييل سُمارة إب-صنعاء يبدأ من الجنوب من ارتفاع حوالي 1600م ويأخذ شكلاً حلزونيًا ويلتف على الجهة الغربية للجبل، ويستمر بالارتفاع ليصل إلى حوالي 3000م عند مشارف مدينة (كتاب) بعد أن مرَّ بمناطق شديدة الانحدار، وعرة التضاريس؛ ما يجعل طريق نقييل سُمارة يتعرض للعديد من المخاطر الجيومورفولوجية أبرزها: المخاطر الناجمة عن حركة المواد الأرضية من على أسطح المنحدرات المطلة والموازية للطريق ذات التأثير السلبي على الطريق، وعلى حركة المارة ومستخدمي الطريق؛ وقد تؤدي كذلك إلى توقف الحركة عليه أو إلى

حدوث أضرار بشرية ومادية. علمًا بأن ظاهرة الانزلاقات والانحيارات الأرضية (حركة المواد الأرضية من على أسطح المنحدرات) تعد من العمليات الجيولوجية الطبيعية الخطرة التي تحدث بكثرة في المنحدرات الجبلية، وفي فترة زمنية قصيرة وسريعة ومفاجئة؛ وترتبط هذه الظاهرة بعدد من العوامل الطبيعية والبشرية التي تحفز وتزيد من نشاط حركة المواد الأرضية المكونة لأسطح المنحدرات، وبالتالي سقوط هذه المواد أو انقلابها أو انزلاقها أو زحفها ... الخ.

وبناءً على ما سبق ذكره؛ تتبع أهمية دراسة المخاطر الجيومورفولوجية لحركة المواد الأرضية، وأنواعها، وتوزيعها المكاني على طول الامتداد الطولي لطريق نقييل سُمارَة، وتسليط الضوء على هذه المشكلة من أجل تفادي مخاطرها على الطريق؛ وتقديم حلول ومقترحات للحد من التأثير السلبي لهذه المخاطر، والتقليل من خطورتها، والحفاظ على سلامة الطريق وحركة السير التي تمر عليه. ومنطقة الدراسة (طريق نقييل سُمارَة) قريبة من المنطقة التي حدث فيها أحدث وأشهر زلزال المعروف بزلزال دمار عام 1982م الذي أدى إلى حدوث انهيارات أرضية متعددة مسبباً أضرار بشرية ومادية كبيرة، وأحدث حدث ظهور التشققات الأرضية في دمار، في يوم 2021/8/8م ظهر انشقاق كبير ومفاجئ وعميق بمنطقة مديرية ضوران آنس التابعة لمحافظة دمار، ويعزى السبب إلى الإجهادات والضغط الأرضية التي تتحرر بشكل دوري على شكل تشققات تظهر للسطح (جمعان، 2021).

### مشكلة الدراسة:

حركة المواد الأرضية المكونة للمنحدرات الجبلية تنشط عند توافر الظروف الملائمة للحركة، التي تؤدي إلى تحرك المواد المكونة للمنحدرات مسببة في حدوث بعض الأخطار الجيومورفولوجية وهو ما يصدق على ما يشاهد على طريق نقييل سُمارَة إب الجبلي فقد تؤدي إلى إعطاب الطريق أو توقف أو عرقلة الحركة المرورية عليه أو إغلاق مجاري تصريف المياه فتكون المحصلة النهائية لتلك المخاطر الجيومورفولوجية حدوث أضرار بشرية ومادية ومن هنا برزت مشكلة البحث بالتساؤلات الآتية:

١. ما العوامل المؤثرة على حركة المواد الأرضية المكونة للمنحدرات الجبلية المطلة والموازية لطريق نقييل سُمارة الجبلي؟
٢. ما التوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات الجبلية المطلة على طريق نقييل سُمارة الجبلي؟
٣. ما الحلول والمقترحات المطلوبة لمعالجة المخاطر الجيومورفولوجية في منطقة الدراسة؟

### أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى ما يأتي:

١. التعرف إلى الخصائص الطبيعية لمنطقة الدراسة وأثرها على المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عن حركة المواد الأرضية.
٢. تحديد أنواع حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات المطلة على طريق نقييل سُمارة وتوزيعها المكاني.
٣. إيجاد الحلول والمقترحات لتقليل وتفادي الآثار الناتجة عن المخاطر الجيومورفولوجية لحركة المواد الأرضية على منحدرات طريق نقييل سُمارة.

### أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من كون طريق نقييل سُمارة الجبلي من الطرق الرئيسة والمهمة في اليمن؛ إذ تربط بين المناطق الشمالية والجنوبية من اليمن فهي بمنزلة شريان الحياة لتلك المناطق لكثرة الحركة عليها إلا أن هذا الطريق يعرف بطريق الموت لكثرة الحوادث المرورية التي تحدث فيه لعدة أسباب أبرزها المخاطر الجيومورفولوجية التي لم يتم دراستها لا من قريب ولا من بعيد؛ إلا التوصية الموجودة في بحث (ناجي، 2021، ص472) الذي أوصى بضرورة دراسة المخاطر الجيومورفولوجية للانزلاقات

والانحدرات الأرضية على جانبي طريق نقييل سُمارة، وبذلك تأتي هذه الدراسة نتاجًا لتلك التوصية وتُعد الدراسة الأولى التي تناقش المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عن حركة المواد الأرضية المكونة للمنحدرات الجبلية التي ينجم عنها إغلاق أو إعاقة الحركة المرورية على طريق نقييل سُمارة، ما يشكل خطراً عليه، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة التي تحاول الوصول للحلول والمقترحات للحد من هذه المخاطر التي يتعرض لها طريق نقييل سُمارة إب-اليمن.

### منهجية الدراسة:

اقتضت طبيعة الموضوع وهدفه من الباحث النزول الميداني لمنطقة الدراسة فكان أن تم ذلك في تاريخ (2021/8/12م) وعلى ضوء ذلك تم تحليل البيانات المتحصل عليها لحالات الانزلاقات والانحدرات الأرضية المشاهدة في الأقسام الرئيسية لمنطقة الدراسة وبيان مواقعها وأنواعها ونسب تواجدها، كما اقتضت استخدام المنهج الوصفي لوصف وتحديد خصائص الظواهر الطبيعية الموجودة في منطقة الدراسة، كذلك تم الاعتماد على بعض النتائج التي توصلت إليها دراسة (ناجي، 2021، ص 436-474) لأشكال المنحدرات الجبلية على جانبي طريق نقييل سُمارة إب-اليمن، التي تناولت بشكل مفصل مع الخرائط الخصائص والعوامل المناخية، والطبوغرافية، والجيولوجية (التركيبية والصخرية)، والانحدرات لمنطقة الدراسة، وتم التركيز في هذا البحث على بيان أثر تلك العوامل الطبيعية في نشاط عمليات الانزلاقات الأرضية.

### منطقة الدراسة:

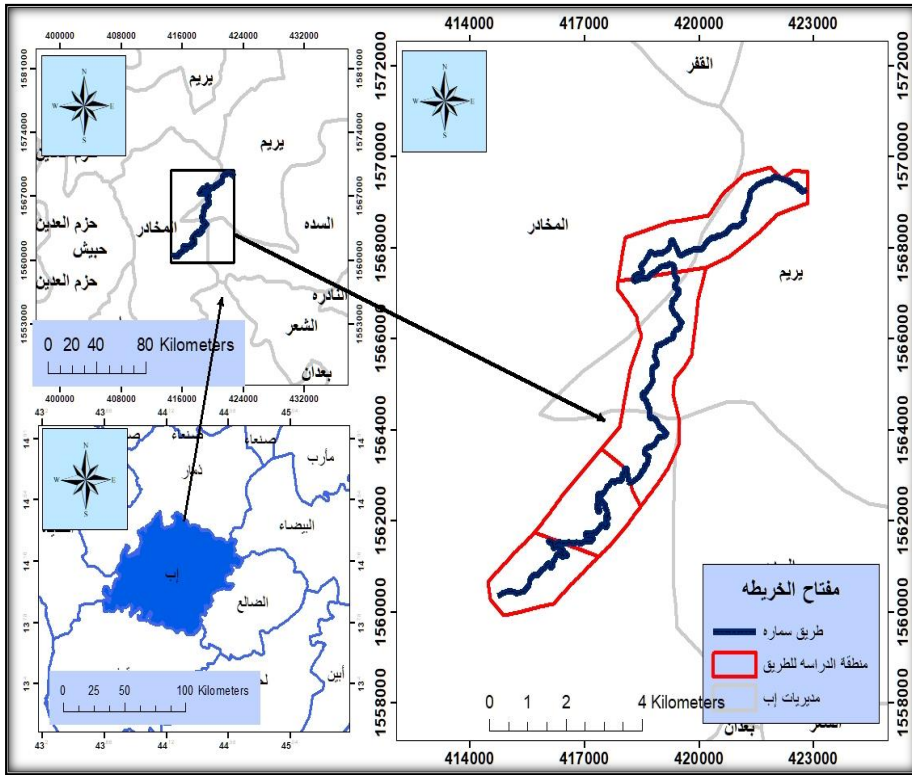
منطقة الدراسة جزء من جبل سُمارة الواقع في الجهة الشمالية لمدينة إب، وإدارياً تقع ضمن مديرية المخادر، شكل (1). ويبلغ طول الطريق المدروس حوالي 22.32 كم واعتماداً على طبوغرافية

المنطقة فقد تم تقسيم منطقة البحث إلى أربعة أقسام رئيسة تتفاوت في الارتفاع عن مستوى سطح البحر، والجدول (1) يوضح ذلك لتسهيل الدراسة بتحديد موقع الظواهر ووصفها.

جدول (1): الأقسام الرئيسية لمنطقة البحث حسب الارتفاع عن مستوى سطح البحر

| م | الأقسام الرئيسية               | الارتفاع (م) |         | الفرق التي يمر بها الطرف |                                    | مساحة المنطقة<br>كم <sup>٢</sup> | طول<br>الطريق<br>في كم | النسبة<br>المئوية |
|---|--------------------------------|--------------|---------|--------------------------|------------------------------------|----------------------------------|------------------------|-------------------|
|   |                                | النهاية      | البداية | النهاية                  | البداية                            |                                  |                        |                   |
| 1 | المنطقة الأولى- الجنوبية       | 1600         | 2000    | جسر الدليل               | قرية جن عربين                      | 3                                | 3.54                   | 16%               |
| 2 | المنطقة الثانية - قرية دار حبة | 2000         | 2400    | قرية جن عربين            | قرية دار حبة                       | 3.5                              | 4.73                   | 21%               |
| 3 | المنطقة الثالثة - الوسط        | 2400         | 2600    | قرية دار حبة             | قرية رباط هبوه                     | 7                                | 7.79                   | 35%               |
| 4 | المنطقة الرابعة الشمالية       | 2600         | 2800    | قرية رباط هبوه           | مشارف مدينة كتاب<br>قرية بيت هديان | 5.5                              | 6.26                   | 28%               |

المصدر: (ناجي، 2021، ص 440).



الشكل (1): موقع منطقة الدراسة. المصدر: (ناجي، 2021، ص 441).

## الدراسات السابقة:

### الدراسات المحلية:

من الدراسات المحلية ما يأتي:

1-دراسة (ناجي، 2021)، دراسة جيومورفولوجية تطبيقية لأشكال المنحدرات على جانبي طريق نقيل سُمارة إب اليمن، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ذمار، اليمن، العدد (20)، هدف البحث إلى معرفة أشكال المنحدرات على جانبي طريق سُمارة في محافظة إب، ومدى درجات الانحدار، واتجاه المنحدرات، و أهم استخدامات المنحدرات، ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: سيادة الأراضي شديدة الانحدار مع التضرس الشديد في معظم أجزاء منطقة البحث، وسيادة

المنحدرات التي تزيد درجة انحدارها عن 18 درجة وأكثر على ما نسبته (41.75%) من مجموعة المساحة الكلية للمنطقة، وأن معظم الامتداد الطولي لطريق نقييل سُمارة يقع ضمن فئة المناطق شديدة الخطورة. وأوصى بإجراء دراسة مفصلة عن المخاطر الجيومورفولوجية، خاصة المخاطر الناشئة عن تحرك المواد الأرضية على أسطح المنحدرات الجبلية على جانبي طريق نقييل سُمارة.

2-دراسة (حمران، 2020)، تنمية الأشكال الأرضية والمرتفعات الجبلية بحوض صنعاء، المجلة العربية للبحث العلمي، ((2020(2, Vol), (11, Art)، توصلت الدراسة إلى أن معظم المخاطر والتحديات المتمثلة بالانزلاقات والانهيارات الأرضية المتعددة التي حدثت في منطقة حوض صنعاء كانت بسبب التفاعلات والعوامل والعمليات الطبيعية والبشرية التي أثرت في بناء الأشكال والظواهر الأرضية وتغيراتها مع مرور الزمن. إضافة إلى ذلك أدت هذه المخاطر والتحديات إلى ظهور العديد من المشكلات البيئية كاستنزاف الموارد الطبيعية وخلل في التوازن البيئي، وهذا شكل عائقاً أمام تحقيق التنمية المستدامة في المنطقة. وأيضاً توصلت الدراسة إلى أن الانزلاقات والانهيارات الأرضية تتركز في جنوب غرب حوض صنعاء؛ التي ترتبط بتفاعل العوامل والعمليات الطبيعية والبشرية، حيث أثرت العمليات البشرية بنسبة عالية بتغير أشكال سطح الأرض خلال الفترة (1973-2019).

3-دراسة (موجان والجبلي، 2017)، مخاطر الانهيارات الأرضية وقابلية التعرض لها في وادي ظهر غرب صنعاء-اليمن باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، المجلد (س43) العدد (ع165)، بينت الدراسة أنواع الانهيارات المحتملة بحسب مستويات الأخطار، ففي المستوى العالي جداً يحتمل حدوث التساقط الصخري والانقلاب الكتلي والدحرجة في المستوى الذي يليه، وحدوث الانزلاقات المستوية في المستوى المتوسط.

4-دراسة (جميل ناجي، 2014)، الانزلاقات الأرضية في الطرق الجبلية اليمينية أسبابها وكيفية الحد من تكرارها، مجلة جامعة العلوم والتكنولوجيا، صنعاء، اليمن، المجلد (13)، العدد (1)، هدف

البحث إلى دراسة حالتين من حالات الانزلاقات الأرضية المتعلقة بإنشاء الطرق الجبلية في اليمن، وتوصلت إلى أن المسببات الرئيسة لها كانت من صنع الإنسان بعدم التزام المنفذ للطرق بمعايير الأمان أثناء التنفيذ، وضعف الدور الإشرافي حيث تم وضع مخلفات شق الطرق على جانب الطريق في مكان غير آمن، علاوة على القطع الرأسي المفرط وما صاحبه من تفجير، واختيار فترة الشق في موسم مطير وبدون أي دراسة جيولوجية للمنطقة، بالإضافة إلى بعض العوامل الطبيعية المساعدة كالأمطار، وتلخص هذه الدراسة إلى أن حوالي (75%) من سكان اليمن يعيشون في إقليم المرتفعات الجبلية وبتشتت سكاني كبير، ومعظم التجمعات السكانية تتركز في مناطق شديدة الوعورة ما يجعل من إيصال الطرق إليها أمراً فيه الكثير من الصعوبات خاصة في موسم الأمطار، وذلك بسبب الميول الشديد للكثير من المنحدرات، التي تصل بعضها إلى أكثر من (80) درجة في بعض الأحيان، كذلك يسهم الإنسان في حدوث مخاطر الانزلاقات الأرضية عند إنشاء الطرق الجبلية مثل: ضعف التصميم والإشراف أو لسوء إدارة التنفيذ.

5- دراسة (العبيدي ومجوحان، 2009)، التوزيع الجغرافي لانزلاق الكتل الصخرية في محافظتي

عمران والمحويت شمال غرب اليمن، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، المجلد (32)، العدد (2) أوضحت الدراسة الطرق والأساليب المتبعة من قبل الباحثون لتقييم أخطار الانهيارات الأرضية، بما يتناسب مع طبيعة المنطقة، ووسائل البحث، وهدف البحث والإمكانات المادية، واستعانت هذه الدراسة بمنهجية (LPI) عند دراسة المخاطر في بعض مناطق اليمن.

6- دراسة (العبيدي، 2003)، ظاهرة الانزلاق والتساقط الصخري وأثرها على المجتمع

السكني في منطقة مذبح منخفض صنعاء، المجلة الجغرافية اليمنية، العدد (2). أوضحت الدراسة أن العوامل الجيولوجية والحركات الباطنية العنيفة، وكذلك عمليات التعرية والمناخ القديم والحديث، لعبت



جميعها دوراً في تحديد جيومورفولوجية المنحدرات الجبلية وهو ما انعكس بدوره على استقرارية المنحدرات الصخرية، ونشاط ظاهرة الانهيارات الأرضية، خاصة على منحدرات حوض صنعاء.

الدراسات العربية:

من الدراسات العربية ما يأتي:

1-دراسة (العكام وحسين، 2015)، حركة المواد الأرضية ومخاطرها في محافظة أربيل، مجلة كلية التربية، جامعة المستنصرية، العراق، العدد (6)، ومن نتائجها تعرض المنحدرات الجبلية في محافظة أربيل إلى نشاط حركة المواد الأرضية والتي من أهمها: الانزلاقات الأرضية والتساقط الصخري والانقلاب الصخري والدرجحة والتدفق الحطامي والتدفق الطيني وزحف التربة.

2-دراسة (اللهبي، 2019)، تحليل جيومورفولوجي لمخاطر الانزلاقات الأرضية على طريق خدران الجبلي شمالي العراق، مجلة مداد الآداب، كلية الآداب، الجامعة العراقية، العراق، عدد خاص بالمؤتمر (2018-2019م)، تسود أنواع مختلفة من الانزلاقات الارضية في منطقة الدراسة، منها الانزلاق الدوراني والهبوط الارضي، والانزلاق الاسفيني، والمركب، والانقلابية، والمستوي، وتسود الانزلاقات الدورانية والهبوط الارضي على باقي أنواع الانزلاقات الارضية.

3-دراسة (الأخضر، 2019)، المخاطر الجيومورفولوجية لحركة الكتل الصخرية على منحدرات الطريق الجبلي أبو غيلان بمنطقة غريان، أطروحة دكتوراه، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، ومن أهم النتائج لهذه الدراسة: أهم الانهيارات التي حدثت تتمثل في السقوط للصخور، والانقلاب للتربة والصخور، والزحف للصخور والتربة السلتية والحطام، أما الانزلاق فرصدت حالة واحدة فقط.

1. أنواع حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات الجبلية المطلة على طريق نقيل

شمارة:

اعتمد في دراسة حركة المواد الأرضية التي تحدث على المنحدرات المطلة على طريق نقييل سُمارة على تصنيف المخاطر الجيومورفولوجية لـ Varnes, 1978، وهو من التصنيفات الأكثر استخداماً وعلى نطاق واسع، وهو يقسم حركات المواد الأرضية إلى أنواع مختلفة وفقاً للمادة المكونة للمنحدر، ونوع الحركة. وفيما يأتي عرض لأهم أشكال حركة المواد الأرضية، ونوع المواد المساهمة في الحركة والمنتشرة في منحدرات منطقة الدراسة جدول (2).

جدول (2): تصنيف الحركات ونوع المواد المساهمة في الحركة على أسطح المنحدرات حسب تصنيف Varnes, 1978.

| نوع المواد              | نوع الحركة              |                         |  |
|-------------------------|-------------------------|-------------------------|--|
| الصخور                  | التربة                  | العظام                  | التربة                                 |
| سقوط صخري               | سقوط التربة             | سقوط العظام             | السقوط                                 |
| الانهيار لانفلاي للصخور | الانهيار لانفلاي للتربة | الانهيار لانفلاي للعظام | الانهيار لانفلاي                       |
| انزلاق الصخور           | انزلاق التربة           | انزلاق العظام           | الانزلاق (المسنوي، الدوراني، الإسفنجي) |
| انتشار الصخور           | انتشار التربة           | انتشار العظام           | الانتشار جانبي                         |
| ندفك الركاب             | ندفك الطيني والأرضي     | ندفك العظام             | الندفك الانسيابي                       |
| زحف الصخور              | زحف التربة              | زحف العظام              | الزحف                                  |

وفي ضوء ذلك التصنيف قام الباحث برصد أنواع المواد والحركة الأرضية في منحدرات جبل سُمارة على النحو الموضح في الجدول (3).

جدول (3): إجمالي الحالات المشاهدة لكل نوع من أنواع حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات في المناطق الرئيسة لمنطقة الدراسة.

| النسبة المئوية | مجموع عدد الحالات المرصودة | المواد المكونة للحركة              | عدد الحالات المشاهدة والمرصودة في المناطق الأربع لمنطقة الدراسة |   |  |  | نوع حركة المواد الأرضية                    |
|----------------|----------------------------|------------------------------------|---|---|--|--|--|
|                |                            |                                    | المنطقة الثانية (قرية رباط هيوة- قرية بيت هديان)                | المنطقة الثالثة الوسطى (قرية دار حبة- قرية رباط هيوة) | المنطقة الثانية (قرية جن عرين- قرية دار حبة) | المنطقة الأولى الجنوبية (كسارة العنسي- قرية جن عرين) |  |
| 37.7%          | 80                         | حطام+ كتل                          |   |   |  | 5  | السقوط Falls                               |
|                |                            | حطام+ كتل                          |   |   | 4  |  |  |
|                |                            | صخور<br>حطام<br>صخور+ حطام         |   | 15<br>10<br>15  |  |  |  |
|                |                            | صخور<br>حطام<br>صخور+ حطام         | 15<br>4<br>12   |   |  |  |  |
| 22.2%          | 47                         | صخور                               |   |   |  | 1  | الانزلاق المستوي<br>Plane<br>Sliding       |
|                |                            | الحطام + كتل                       |   |   | 4  |  |  |
|                |                            | الحطام + كتل<br>صخرية              |   | 2<br>5  |  |  |  |
|                |                            | كتل صخرية<br>حطام                  |   | 7   |  |  |  |
|                |                            | ترية<br>صخور<br>حطام<br>صخور+ حطام | 4<br>4<br>5<br>15   |   |  |  |  |
| 5.7%           | 12                         | الحطام                             |   | 8   |  |  | الانزلاق الدوراني<br>Rotational<br>Sliding |
|                |                            | صخور+ حطام                         | 4   |   |  |  |  |

| النسبة المئوية | مجموع عدد الحالات المرصودة | المواد المكونة للحركة                 | عدد الحالات المشاهدة والمرصودة في المناطق الأربع لمنطقة الدراسة |   |  |  | نوع حركة المواد الأرضية            |
|----------------|----------------------------|---------------------------------------|---|---|--|--|------------------------------------|
|                |                            |                                       | المنطقة الثانية (قرية رباط هبوة- قرية بيت هديان)                | المنطقة الثالثة الوسطى (قرية دار حبة- قرية رباط هبوة) | المنطقة الثانية (قرية جن عرين- قرية دار حبة) | المنطقة الأولى الجنوبية (كسارة العنسي- قرية جن عرين) |                                    |
| 2.8%           | 6                          | صخور                                  | 4   | 2   |  |  | الانزلاق الإسفيني<br>Wedge Sliding |
| 3.3%           | 7                          | كتل صخور                              | 4   | 3   |  |  | الانحيار الانقلابي<br>Toppling     |
| 9%             | 19                         | ترسبات مختلفة من كتل صخرية إلى حبيبات | 8   | 7   |  | 4  | تدفق الركام<br>Debris Flow         |
|                |                            | صخور                                  |   | 6   |  |  |                                    |
|                |                            | حطام                                  |   | 6   |  |  |                                    |
|                |                            | صخور                                  | 10  |   |  |  |                                    |
|                |                            | حطام                                  | 12  |   |  |  |                                    |
| صخور+حطام      | 5                          |                                       |   |   |  |  |                                    |
| 0.9%           | 2                          | صخور                                  |   | 2   |  |  | الانتشار الجانبي<br>Lateral        |
| 100%           | 212                        |                                       |   |   |  |  | المجموع                            |

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م

الجدول (3) يوضح إجمالي عدد الحالات المشاهدة لأنواع حركة المواد الأرضية وأنواع المخاطر

الجيومورفولوجية الناجمة عنها وتوزيعها المكاني في منطقة الدراسة، وفيما يأتي نبذة مختصرة لتلك

المخاطر حسب نسبة تواجدها في المنطقة المدروسة:

## 1.1 السقوط:

يقصد به: سقوط المواد الأرضية المفككة مهما كان حجمها من المنحدرات شديدة الميل بحركة سريعة وفجائية. وقسمت حركة السقوط استنادًا إلى شكل الحركة فتكون سقوطًا حرًا إذا كانت زاوية المنحدر جرفية بزاوية تصل إلى 90 درجة، أما إذا كانت زاوية المنحدر بين 45 درجة وأقل من 70 درجة فتتخذ الصخور أسلوب القفز، وإذا كانت الزاوية 30 درجة وأقل من 45 درجة فالمواد ستتخذ الدحرجة سلوكًا (Dorren, 2003, pp 71-73).

تتجمع المواد الساقطة (الصخور، الحطام، التربة) أسفل المنحدرات لتكون الركامات الساقطة (Debris fall). وقد سجلت في منطقة الدراسة (المناطق الأربع الرئيسية) وعلى جانبي طريق تقيل شمارة سقوط جلاميد صخرية مختلفة الأحجام، والحطام كما هو موضح بالجدول (3) حيث بلغ إجمالي عدد حالات السقوط المشاهدة حوالي (80) حالة، ما شكل نسبته (37.7%) من عدد حالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية المرصودة والمحتملة الوقوع في منطقة الدراسة والبالغة حوالي (212) حالة، وبذلك تحتل ظاهرة السقوط الترتيب الأول بالمنطقة.

## 1.2 الانزلاق:

الانزلاقات الأرضية من الظواهر الجيولوجية الطبيعية التي تكثر في مناطق المنحدرات الجبلية، خاصة المنحدرات غير الجرفية، ويحدث الانزلاق عندما تكون المنحدرات مائلة أو تكون الفواصل والشقوق موازية لسطح المنحدر. وتحدث حركة المواد الأرضية المنزلقة بصورة سريعة ومفاجئة؛ سواءً كانت صخوراً (Rock Slide) أم حطاماً (Debris Slide) أم تراباً (Soil Slide)، وتكون هذه المواد ملاصقة للمنحدر مباشرة، وتحدث الانزلاقات على طول المنحدر وليست مقصورة على منطقة محددة مثل السقوط، والانقلاب الصخري (Arthurl, 1978, pp177). ويشمل الانزلاق أنواعاً عدة منها: الانزلاق المستوي، والانزلاق الدوراني والانزلاق الإسفيني. حيث بلغ إجمالي

عدد حالات الانزلاق (المستوي، الدوراني، الإسفيني) المشاهدة حوالي (65) حالة، ما شكل نسبته (30.7%) من عدد حالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية المرصودة والمحتملة الوقوع في منطقة الدراسة، وبذلك تحتل ظاهرة الانزلاق الترتيب الثاني في منطقة الدراسة من حيث عدد الحالات المرصودة، الجدول (3).

### 1.2.1 الانزلاق الصخري المستوي:

يسمى الانزلاق المستوي (Plane Slide) بالانزلاق الانتقالي ( Translation Slide)، ويحدث على سطح يميل باتجاه أسفل المنحدر بزواوية تكون أصغر من زاوية المنحدر؛ إذ يشكل سطحًا بارزًا في وجه المنحدر (Goodman., et al, 2003, pp 1980). حيث تحدث حركة المواد الأرضية على سطح مستو بوصفها فاصلاً أو صدعاً أو سطح طبقة ولا يرافقها دوران (Singh and Goel, 1999, pp164-166). ومثلت حالات الانزلاقات المستوية المشاهدة في منطقة الدراسة حوالي (47) حالة، ما نسبته (22.2%) من إجمالي عدد حالات حركة المواد الأرضية المشاهدة بالمنطقة، الجدول (3).

### 1.2.2 الانزلاق الدوراني:

تتحرك المواد الأرضية (الصخور، الحطام، التربة) على مستوى مقعر (يشبه الملعقة) أو منحني موازي لاتجاه المنحدر بحيث يكون اتجاه حركة المواد إلى أسفل تصحبها استدارة للكتلة إلى الأعلى وإلى الخارج، ويحدث الانزلاق الدوراني (Rotational Slide) في المنحدرات الصخرية ذات الشقوق والفواصل الكثيرة (الانقطاعات) وباتجاهات مختلفة فوق التكوينات الجيولوجية شديدة الميل؛ وغالبًا ما يحدث في التكوينات الفتاتية والتربة وينتج عنها كتل هابطة. وفي منطقة الدراسة لوحظ وجود (12) حالة لظاهرة الانزلاق الدوراني على منحدرات المنطقة (المنطقة الثالثة الوسطى وفي المنطقة الرابعة الشمالية فقط) مشكلة ما نسبته (5.7%).

### 1.2.3 الانزلاق الإسفيني:

يحدث الانزلاق الإسفيني (Wedge Slide) عندما تلتقي مجموعتان من الفواصل (مستويا الانزلاق)، تفصل بينهما زاوية، ويحدث الانزلاق على طول هذه الفواصل فكلما قلت الزاوية بين الفواصل كانت الفرصة أكبر لحدوث الانزلاق، ويعتمد الانزلاق الإسفيني على أكثر من فاصل على عكس الانزلاق المستوي الذي يعتمد على فاصل واحد ( Singh and Goel, 1999, pp164-166). الجدول (3) يوضح المناطق التي ظهر فيها حدوث الانزلاق الإسفيني في منطقة الدراسة حيث بلغ عدد الحالات المشاهدة للانزلاق الإسفيني حوالي (6) حالات بنسبة (2.8%) من إجمالي العدد الكلي لحالات حركة المواد الأرضية المرصودة بمنطقة الدراسة.

### 1.3 الزحف:

يُعد الزحف (Creep) من مظاهر نشاط حركة المواد الأرضية على المنحدرات الجبلية، بطيئة الحركة، وفي منطقة الدراسة تم رصد هذا النوع الذي يتميز بأن الجلاميد الصخرية تتحرك دون اختلاطها بأي رواسب أخرى، وأهم أسباب حدوث الزحف انفصال الكتل الصخرية وزحفها على سطح مائل أو حدوث انحناء للجزء العلوي للطبقات الصخرية (كاظم، 2017، ص125)؛ إذ بلغ عدد الحالات المرصودة لظاهرة زحف الصخور والحطام حوالي (39) حالة بنسبة (18.4%) من إجمالي أنواع الحركة الأرضية المشاهدة بالمنطقة محتملة الترتيب الثالث بمنطقة الدراسة من حيث العدد، الجدول (3).

### 1.4 التدفق أو الانسياب:

الانسياب أو التدفقية (Flows) هي حركات سريعة الحدوث، وتستغرق فترة زمنية طويلة نسبياً، وتحدث عندما تتحرك المواد الأرضية على المنحدرات (مثل خليط إسمنتي)، وتكون معظم

الانسيابات مشبعة بالماء وتتحرك على شكل لسان أو فص أو مروحة، ومن الانسيابات (التدفقات) التي تم ملاحظتها في منطقة الدراسة ما يأتي:

#### 1.4.1 التدفق أو الانسياب الركامي (Debris flow):

يحدث عندما تجرف مياه الأمطار الناتجة عن العواصف الرعدية كميات هائلة من الصخور المفككة إلى أسفل المنحدرات الجبلية عن طريق المجاري المائية (الأودية المائية الموسمية) الموجودة بها. وتم رصد ظاهرة تدفق الركام على المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة، التي تتميز باختوائها على مختلف الترسبات التي تتراوح أحجامها ما بين كتل صخرية كبيرة إلى حبيبات التربة، فضلاً عن مخلفات بقايا الأعشاب والأشجار، إذ بلغ عدد الحالات المرصودة حوالي (19) حالة، مشكلة ما نسبته (9%)، ويأتي بالمركز الرابع من حيث عدد الحالات المرصودة، الجدول (3).

#### 1.5 الانهيار الانقلابي:

انهيار الكتل الصخرية (Rock Block Topple) بحركة دورانية باتجاه أسفل المنحدر، بسبب وجود الانقطاعات (الفواصل والشقوق) في المكاشف الصخرية (Amini, et al., 2012, pp 519-520). وفي منطقة الدراسة تم رصد انقلاب للصخور بواقع (7) حالات، بنسبة (3.3%) وكانت محصلة الانهيار الانقلابي في بعض المواقع الوصول إلى الخندق الموازي لطريق نقيل سُمارة وفي بعض المواقع المرتفعة والبعيدة عن الطريق ظلت في مكانها.

وتتعرض الطبقات الصخرية في منطقة الدراسة إلى احتمالية الانهيار بظاهرة الانقلاب، لاسيما في المنطقتين الثالثة الوسطى والرابعة الشمالية فقط من منطقة الدراسة، كما هو موضح بالجدول (3) الذي يوضح ظاهرة الصخور المعرضة لخطر الانقلاب بواقع (7) حالات ما نسبته (3.3%)؛ أي بالترتيب الخامس على الانهيارات الأرضية المرصودة بمنطقة الدراسة.

#### 1.6 الانتشار الجانبي (الانهيار الجانبي):



يحدث عند وجود طبقة صخرية متماسكة تحت سطحية، تعلوها طبقة صخرية أقل تماسكاً، وعندما تتعرض المنطقة لحركات أرضية كالزلازل؛ فتنهار الطبقة العليا جانبياً ( Highland, 1-48 pp, 2003). وتتميز المنحدرات التي تحدث عليها حركة الانتشار الجانبي بأنها خفيفة الميل. وقد رصدت ظاهرة الانتشار الجانبي في منطقة الدراسة في المنطقة الثالثة الوسطى فقط بواقع حالتين مشكلة ما نسبته (0.9%).

## 2. التوزيع المكاني لأنواع حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات الجبلية في مناطق

الدراسة الرئيسية:

اعتماداً على الجدول (1) والذي يوضح الأقسام (المناطق) الرئيسية الأربع لمنطقة الدراسة تم إجراء دراسة تفصيلية للتوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية ومخاطرها الجيومورفولوجية وأهم المواد المكونة لها في تلك المناطق كما يأتي:

### 2.1 المنطقة الأولى الجنوبية (كسارة العنسي- قرية جن عرين):

طريق نقيل شُمارة الجبلي، يبدأ من الجنوب من (جسر الدليل) بالقرب من (كسارة العنسي) للأحجار وصولاً إلى مشارف مدينة (كتاب) شمال منطقة الدراسة؛ إذ يبدأ الطريق من ارتفاع 1600م فوق مستوى سطح البحر؛ آخذاً بالصعود تدريجياً بشكل حلزوني ليصل إلى قرية (جن عرين) عند ارتفاع 2000م (طول الطريق في المنطقة الأولى-الجنوبية 3.54 كم).

من خلال الجدول (4) تبين أن طريق نقيل شُمارة المار عبر المنطقة الأولى الجنوبية أقل تعرضاً لمخاطر الانهيارات الأرضية والانزلاقات الجبلية والناجمة عن حركة المواد الأرضية من أسطح السفوح والمنحدرات، حيث بلغ عدد الحالات المرصودة والمشاهدة في تلك المنطقة حوالي (10) حالات، ما نسبته (4.72%) من إجمالي عدد الحالات المرصودة بمنطقة الدراسة كلها، وأهم مخاطرها الجيومورفولوجية ظاهرة السقوط الصخري الذي يشمل السقوط (مواد الحطام والصخور)، الحر

والدرجة والقفز، ويشكل ما نسبته (50%) من عدد حالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية والمحتملة الوقوع في المنطقة الأولى الجنوبية، اللوحة (1)، يليه ظاهرة تدفق الركام بنسبة (40%)، ويحدث في المجاري المائية الموسمية، ترسبات مختلفة من كتل صخرية إلى حبيبات التربة اللوحة (2)، والانزلاق المستوي للصخور بنسبة (10%)، اللوحة (3).

جدول (4): التوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات على جانبي طريق تقيل شمارة في المنطقة الأولى الجنوبية (كسارة العنسي-قرية جن عرين)

| النسبة المئوية | عدد المواقع<br>(عدد الحالات<br>المشاهدة) | المواد المكونة للحركة                           | الموقع والإحداثيات<br>(كسارة العنسي-قرية جن عرين)          | نوع حركة المواد الأرضية        |
|----------------|--|---|--|--------------------------------|
| 50%            | 5  | الحطام + كتل صخرية                              | 14° 12' 49" N-44° 22' 22" E                                | السقوط Falls                   |
| 10%            | 1  | صخور  | 14° 11' 11" N-44° 21' 39" E                                | الانزلاق المسنوي Plane Sliding |
| 40%            | 4  | ترسبات مختلفة من كتل<br>صخرية إلى حبيبات التربة | 14° 11' 13" N-44° 21' 29" E<br>14° 12' 00" N-44° 23' 10" E | تدفق الركام Debris Flow        |
| 100%           | 10                                       |   |  | المجموع                        |

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2021-8-12م.



لوحة (1): نماذج لحالات سقوط الصخور والحطام وإسهام الأشجار والنباتات الموسمية في استقرار المواد الأرضية على منحدرات الجانب الأيمن لطريق نقييل شمارة في المنطقة الأولى. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2021-8-12م.



لوحة (2): نماذج لظاهرة تدفق الركام في المجاري المائية الموسمية على الجانب الأيمن لطريق نقييل سُمارة في المنطقة الأولى. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.



لوحة (3): الانزلاق المستوي للصخور نتيجة للشقوق والفواصل (الانقطاعات) على صخور منحدرات على الجانب الأيمن لطريق نقييل سُمارة في المنطقة الأولى. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

## 2.2 المنطقة الثانية (قرية جن عرين- قرية دار حبة):

في هذه المنطقة يأخذ طريق نقييل سُمارة بالارتفاع بشكل شبه حلزوني ليصل إلى قرية (دار حبة) عند ارتفاع 2400م (طول الطريق في المنطقة الثانية- قرية دار حبة 4.73 كم)، إذ بلغ عدد حالات حركة المواد الأرضية المرصودة في هذه المنطقة حوالي (8) حالات، بنسبة (3.77%) من إجمالي حالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية في منطقة الدراسة، أهم المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عن حركة المواد الأرضية من المنحدرات المطلة والموازية للطريق، ظاهرة السقوط، والانزلاق المستوي (للصخور والحطام) بنسبة (50%) لكل منهما من عدد حالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية في المنطقة الثانية الجنوبية، الجدول (5) واللوحه (4).



جدول (5): التوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات على جانبي طريق نفيل شمارة في المنطقة الثانية (قرية جن عرين-قرية دار حبة).

| النسبة المئوية | عدد المواقع (عدد الحالات المشاهدة) | المواد المكونة للحركة | الموقع والإحداثيات (قرية جن عرين-قرية دار حبة)             | نوع حركة المواد الأرضية        |
|----------------|------------------------------------|-----------------------|--|--------------------------------|
| 50%            | 4                                  | الحطام + كتل صخرية    | 14° 12' 55" N-44° 23' 21" E                                | السقوط Falls                   |
| 50%            | 4                                  | الحطام + كتل صخرية    | 14° 12' 50" N-44° 23' 15" E<br>14° 13' 10" N-44° 24' 43" E | الانزلاق المنسوي Plane Sliding |
| 100%           | 8                                  |                       |  | المجموع                        |

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2021-8-12م.



لوحة (4): الانزلاق المستوي وسقوط الصخور والحطام نتيجة للشقوق والفواصل (الانقطاعات) على صخور منحدرات جانبي طريق نقييل شمارة في المنطقة الثانية. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

### 2.3 المنطقة الثالثة الوسطى (قرية دار حبة-قرية رباط هيوه):

طريق نقييل شمارة في المنطقة الثالثة الوسطى يأخذ مساراً تكثرت فيه الانعطافات والالتفافات على الجانب الغربي لجبل شمارة، ماراً ببعض الأودية الموسمية الصغيرة والقرى، وماراً بمناطق خطرة شديدة الانحدار ليصل إلى ارتفاع 2600م بالقرب من قرية (رباط هيوه)، (طول الطريق في المنطقة الثالثة-الوسطى 7.79 كم)، وقد بلغ عدد الحالات المرصودة والمشاهدة في تلك المنطقة حوالي (88) حالة، ممثلة ما نسبته (41.51%) من إجمالي عدد حالات حركة المواد الأرضية المرصودة بمنطقة الدراسة، جدول (6)، ومن المخاطر الجيومورفولوجية المنتشرة بكثرة في هذه المنطقة ظاهرة السقوط التي تشكل ما نسبته (46%)، وأهم موادها الأرضية الصخور والحطام اللوحة (5)، ثم الانزلاق المستوي بنسبة (16%) معظمه انزلاق للحطام اللوحة (6)، أما ظاهرة زحف الصخور وزحف الحطام فشكلتا ما نسبته (14%) اللوحة (7) و اللوحة (8)، ويشكل الانزلاق الدوراني للحطام ما نسبته (9%) اللوحة (9)، أما ظاهرة تدفق الركام عبر المجاري المائية الموسمية فيشكل ما نسبته (8%) من عدد حالات الانهيارات والانزلاقات الأرضية المرصودة والمحتملة الوقوع في المنطقة الثالثة الوسطى، اللوحة (10).

جدول (6): التوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات على جانبي طريق نقييل شمارة في المنطقة الثالثة الوسطى (قرية دار حبة-قرية رباط هيوه).

| النسبة المئوية | عدد المواقع<br>(عدد الحالات<br>المشاهدة) | المواد المكونة للحركة                           | الموقع والإحداثيات<br>(قرية دار حبة-قرية رباط هبوه)  | نوع حركة المواد الأرضية              |
|----------------|--|---|--|--------------------------------------|
| 46%            | 15<br>10<br>15                           | صخور<br>حطام<br>صخور+حطام                       | 14° 14' 57" N-44° 25' 09" E<br>14° 14' 64" N-44° 24' 98" E   | السقوط Falls                         |
| 16%            | 2<br>5<br>7                              | العظام +كتل صخرية<br>كتل صخرية<br>حطام          | 14° 16' 00" N-44° 24' 28" E  | الانزلاق المسنوي Plane Sliding       |
| 9%             | 8  | العظام  |  | الانزلاق الدوراني Rotational Sliding |
| 2%             | 2  | صخور  |  | الانزلاق الأسفنجي Wedge Sliding      |
| 3%             | 3  | كتل صخور  | 14° 16' 33" N-44° 25' 04" E<br>14° 16' 37" N-44° 25' 20" E   | الانهيار الانقلابي Toppling          |
| 8%             | 7  | ترسبات مختلفة من كتل<br>صخرية إلى حبيبات التربة | 14° 14' 41" N-44° 24' 66" E<br>14° 15' 08" N-44° 24' 56" E<br>14° 15' 58" N-44° 24' 75" E<br>14° 16' 59" N-44° 25' 25" E | ندفك التراكام Debris Flow            |
| 14%            | 6<br>6                                   | صخور<br>حطام                                    | 14° 14' 57" N-44° 25' 09" E<br>14° 17' 61" N-44° 24' 28" E   | الزحف Creep                          |
| 2%             | 2  | صخور  | 14° 17' 66" N-44° 24' 49" E<br>14° 17' 80" N-44° 24' 60" E   | الانتشار الجانبي Lateral             |
| 100%           | 88                                       |   |  | المجموع                              |

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.



لوحة (5): نماذج لظاهرة سقوط وتدرج الصخور والحطام على الجانب الأيمن لطريق تقيل شمارة في المنطقة الثالثة.

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.





لوحة (6): نماذج لحالات الانزلاق المستوي للصخور نتيجة لكثرة الشقوق والفواصل (الانقطاعات) في صخور المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقييل شمارة في المنطقة الثالثة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2021-8-12م.





لوحة (7): نماذج للانزلاق المستوي ولسقوط الحطام على الجانب الأيمن لطريق نقييل شمارة في المنطقة الثالثة.

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.



لوحة (8): نماذج لحالات سقوط وزحف الصخور والحطام من على المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقييل شمارة في المنطقة الثالثة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 8-2021م.



نماذج لظاهرة الانزلاق الدوراني للحطام الصخري



نماذج لظاهرة الانزلاق الانقلابي للصخور



نموذج لظاهرة الانزلاق الاسفيني للصخور

لوحة (9): نماذج لحالات الانزلاق الدوراني والانقلابي والإسفيني للصخور والحطام من على المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقييل شمارة في المنطقة الثالثة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2021-8-12م.





لوحة (10): نماذج لحالات تدفق الركام الصخري عبر المجاري المائية الموسمية على الجانب الأيمن لطريق نقييل شمارة في المنطقة الثالثة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م  
2.4 المنطقة الرابعة الشمالية (قرية رباط هيوه-قرية بيت هديان):

طريق نقييل شمارة في المنطقة الرابعة الشمالية يستمر بالارتفاع إلى حوالي 2800 متر قطعاً منحدرات شديدة الانحدار، ليصل إلى مشارف مدينة (كتاب)، (طول الطريق في المنطقة الرابعة-الشمالية 6.26 كم)، ومن خلال الجدول (7) الخاص بالتوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات المطلة والموازية للطريق في المنطقة الرابعة الشمالية، تبين أن أكثر المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عن حركة المواد الأرضية تتركز معظمها في الجانب الأيمن للطريق، وأن توزيعها المكاني أغلبه يتركز عند قرية رباط هيوه وصولاً لقرية بيت هديان (مشارف مدينة كتاب)، ومن خلال النزول الميداني للمنطقة تم تسجيل أكثر حالات الانزلاق والانهيئات الأرضية التي حدثت والمحتملة الحدوث في هذه المنطقة وإذ بلغ إجمالي عدد الحالات المشاهدة حوالي (106) حالات؛ أي ما نسبته (50%) من إجمالي (212) حالة مسجلة في المناطق الأربع جدول(3).

ومن أهم المخاطر الجيومورفولوجية في المنطقة الرابعة الشمالية ظاهرة السقوط (صخور وحطام)، إذ شكل ما نسبته (29.25%) من عدد حالات الانزلاقات والانهيئات الأرضية المرصودة في هذه المنطقة لوحة (11)، ثم يليه الانزلاق المستوي بنسبة (26.42%) وأهم مواده (التربة والصخور والحطام) لوحة (12)، وشكل زحف الصخور وزحف الحطام ما نسبته (25.47%) لوحة (13)، أما ظاهرة تدفق الركام (7.55%) لوحة (14)، والانزلاق المستوي والدوراني والإسفيني فشكل كل منها ما نسبته (3.77%) لوحة (15) ولوحة (16).



جدول (7): التوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات على جانبي طريق نقييل شمارة في المنطقة الرابعة الشمالية (قرية رباط هيوه-قرية بيت هديان).

| النسبة المئوية | عدد المواقع (عدد المشاهدات) | المواد المكونة للحركة                        | الموقع والإحداثيات (قرية رباط هيوه-قرية بيت هديان)  | نوع حركة المواد الأرضية            |
|----------------|-----------------------------|--|---|------------------------------------|
| 29.25%         | 15                          | صخور   | 14° 18' 12" N-44° 24' 75" E   | الانزلاق Falls                     |
|                | 4                           | حطام   |   |                                    |
|                | 12                          | صخور+حطام                                    | 14° 19' 49" N-44° 27' 43" E   |                                    |
| 26.42%         | 4                           | تراب   | 14° 18' 50" N-44° 24' 88" E   | الانزلاق المنسوي Plane Sliding     |
|                | 4                           | صخور   |   |                                    |
|                | 5                           | حطام   |   |                                    |
|                | 15                          | صخور+حطام                                    |   |                                    |
| 3.77%          | 4                           | صخور+حطام                                    |   | الانزلاق الدوري Rotational Sliding |
| 3.77%          | 4                           | صخور   |   | الانزلاق الأسفنجي Wedge Sliding    |
| 3.77%          | 4                           | صخور   | 14° 19' 70" N-44° 27' 90" E<br>14° 17' 64" N-44° 24' 32" E<br>14° 17' 83" N-44° 24' 51" E | الانهيار الانقلابي Toppling        |
| 7.55%          | 8                           | نرسبات مختلفة من كتل صخرية إلى حبيبات التربة | 14° 18' 29" N-44° 26' 03" E<br>14° 18' 50" N-44° 26' 60" E                                | ندفك التراكم Debris Flow           |
| 25.47%         | 10                          | صخور   | 14° 18' 30" N-44° 24' 75" E   | الزحف Creep                        |
|                | 12                          | حطام   |   |                                    |
|                | 5                           | صخور+حطام                                    | 14° 19' 71" N-44° 27' 95" E   |                                    |
| 100%           | 106                         |  |   | المجموع                            |

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (11): نماذج لحالات سقوط الجلاميد الصخرية من على المنحدرات المطلة على جانبي طريق نقييل شمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.





لوحة (12): نماذج لحالات الانزلاق المستوي للصخور والحطام الصخري والترتبة في المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقييل شمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2021-8-12م.



لوحة (13): نماذج لحالات زحف الصخور والحطام من على المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقييل شمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2021-8-12م.





لوحة (14): نماذج لشواهد تدفق الركام في المجاري المائية الموسمية على الجانب الأيمن لطريق نقيب سُمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.



لوحة (15): نماذج لحالات الانهيار الانقلابي والانزلاق المستوي والانزلاق الإسفيني نتيجة لكثرة الشقوق والفواصل (الانقطاعات) في صخور المنحدرات المطللة على الجانب الأيمن لطريق نقيب سُمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.



لوحة (16): الاختيار الانقلابي للكتل الصخرية نتيجة الشقوق والفواصل (الانقطاعات) في الطبقة الصخرية على الجانب الأيمن لطريق نقييل شمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

3. العوامل المؤثرة في حركة المواد الأرضية المكونة للمنحدرات والمواد المستقرة عليها والمطللة على طريق نقييل شمارة:

تتنوع العوامل المؤثرة في المنحدرات فمنها ما يكون عوامل إضعاف، ومنها ما يكون محفزاً لحركة المواد الأرضية وزيادة نشاطها، وفيما يأتي تأثير لأهم تلك العوامل في منطقة الدراسة:

### 3.1 الوضع الجيولوجي والتراكيب الجيولوجية لمنطقة الدراسة:

إن صخور المنحدرات الجبلية لمنطقة الدراسة التي تشهد ظاهرة الانزلاقات والانهيارات الأرضية تأثرت بالعديد من الصدوع والفواصل والشقوق (الانقطاعات) في أثناء تكون هذه الصخور من النشاط البركاني الثلاثي، فضلاً عن إلى تأثرها بالحركات التكتونية القديمة المصاحبة لانفتاح خليج عدن والبحر الأحمر في العصر الثلاثي، التي أدت إلى رفع أو خفض التكوينات الجيولوجية في المناطق؛ ما جعل بعض الصدوع والفواصل والشقوق تأخذ اتجاهات مختلفة لوحة (16 & 4) ومن ثم فهي غير مستقرة جيولوجياً؛ وجعل تلك المناطق المرتفعة شديدة الانحدار؛ ما سهل عملية التعرية الطبيعية التي تساعد على حدوث الانهيار والتساقط للكتل الصخرية. لذلك فالوضع الجيولوجي لمنطقة الدراسة

غير مستقر؛ إذ تكثر الصدوع والفواصل والشقوق في أغلب منحدرات نظراً لسعة المسافة بين الفواصل والشقوق، وهذا ما تم ملاحظته من خلال النزول الميداني لمنطقة الدراسة، وتم ملاحظة زيادة في كثافة التكرسات والفواصل والشقوق في صخور بركانيات العصر الثلاثي والمتمثلة بالصخور البازلتية التي تأخذ الشكل العمداني لوحدة (6 & 4 & 3).

### 3.2 الهزات الأرضية والزلازل:

تسهم الهزات الأرضية في إحداث حالة ضعف في الصخور ومكونات المنحدرات في حال لم تعمل على انهيارها، وتعمل الهزات الأرضية على كسر حاجز التوازن للمواد الأرضية على أسطح المنحدرات (الأخضر، 2019، ص 56). ويمثل وجود الصدوع والفواصل والشقوق في منطقة الدراسة مؤشراً مهماً لتعرض المنطقة لهزات أرضية. وكما ذكر في المقدمة عن ظهور التشققات الأرضية في دمار الواقعة شمال منطقة الدراسة، إذ لوحظ في 2021/8/8م انشقاق كبير ومفاجئ وعميق، في منطقة مديرية رضوان آنس التابعة لمحافظة دمار، ويعزى سبب التشققات إلى الاجهادات والضغوط الأرضية التي تتحرر بشكل دوري على شكل تشققات، وقام المركز الوطني لرصد ودراسة الزلازل بدراسة منطقة الشقوق الأرضية في قاع جهران الواقع شمال منطقة الدراسة (طريق نقيل شمارة)، حيث تبلغ المساحة الكلية لمنطقة الشقوق الأرضية بحدود (72 كم<sup>2</sup>)، بطول (9 كم) وعرض (8 كم)، وقد شملت الشقوق الأرضية بداية من الشمال الغربي من مدينة معبر (قرية بني سرحان) وحتى الشمال الشرقي من معبر (قرية بني قوس)، وتضم (11) شقاً (جمعان، 2021)، كل هذا يدل على أن المنطقة معرضة لنشاط زلزالي مستمر، وبهذا فاحتمالية وقوع الانزلاقات والانهيارات الأرضية كبيرة في منطقة الدراسة.

### 3.3 عناصر المناخ والفترة الزمنية:

وتعد الأمطار أحد الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى حدوث الانزلاقات والانهيارات الأرضية في اليمن إذ تؤثر في الصخور بالعديد من الفواصل والشقوق، وفي منطقة الدراسة تُعد المياه أبرز محفزات



تحرك المواد الأرضية المكونة للمنحدرات الجبلية المطلة والموازية لطريق شُمارَة؛ إذ إن معظم حركة المواد الأرضية تحدث في فصل الصيف خاصة الأشهر (يوليو وأغسطس وسبتمبر) وذلك بفعل أمطار غزيرة وفي بعض الأوقات تحدث عواصف مطرية شديدة فتعمل على سرعة النفاذ السطحي للماء خلال الترسبات الصخرية الهشة والمتمثلة بالتربة والحطام الصخري، فتعمل على سرعة انزلاقها وانجرافها إلى وسط الطريق. وتعد مياه الساقط المطري (المياه السطحية) عاملاً مهماً للتعرية المائية؛ إذ يُزيل نواتج التجوية الميكانيكية، وحدوث زحف للحطام الصخري وللتربة أو تدفق وانسياب الطين. ومع مرور الوقت تتشبع فراغات الصخور بالمياه، ما يؤدي إلى تفككها وتصبح تحت تأثير كتلتها وقوة الجاذبية الأرضية ويحصل الانهيار الأرضي.

وفي منطقة الدراسة لوحظ وجود عيون مائية موسمية في جوانب المنحدرات الجبلية نتيجة الأمطار الغزيرة؛ ما يسهم في حركة المواد الأرضية لوحدة (17). أما درجة الحرارة فمنطقة الدراسة من المناطق الجبلية المرتفعة التي تتباين فيها درجة الحرارة ليلاً ونهاراً، ففي فصل الصيف تتراوح فيها درجة الحرارة العظمى ما بين ( $25^{\circ}$ - $35^{\circ}$ )، وتنخفض في الليل فتتراوح درجة الحرارة الصغرى ما بين ( $15^{\circ}$ - $20^{\circ}$ )، أما في فصل الشتاء فتتراوح درجة الحرارة العظمى ما بين ( $24^{\circ}$ - $26^{\circ}$ )، وتنخفض في أثناء الليل لتصل إلى تحت الصفر مع حدوث موجة صقيع (ناجي، 2021، ص 446). نتيجة لاختلاف درجة الحرارة في أثناء الليل والنهار وهو ما يؤدي إلى استمرار تمدد الصخور وانكماشها ما يؤدي إلى خلخلة أجزائها وتفتتها؛ كما أن التغير في درجة الحرارة يؤدي إلى تولد ضغط وجهود متباينة في الصخور وفي اتجاهات مختلفة يكون نتيجتها بمرور الوقت حدوث التشققات في الاتجاهات المختلفة مما يساعد على تكسر الصخور وتفتتها.



لوحة (17): شواهد لعيون مائية وتأثير المياه وسقوط الصخور وتدفق الركام نتيجة لغزارة الأمطار على الجانب الأيمن لطريق نقيب سُمارة في المنطقة الثالثة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2021-8-12م.

#### 3.4 الغطاء النباتي:

بشكل عام تُعد النباتات عاملاً مؤثراً في استقرار المنحدرات الجبلية؛ إذ يعمل الغطاء النباتي بوصفه عاملاً مثبتاً للمنحدرات ومن ثم فهو يزيد من متانة التربة من خلال قيام جذور النباتات بتثبيت التربة ويعمل على امتصاص المحتوى المائي الموجود أسفل طبقة التربة وبهذا يقلل من أهمية الماء

بوصفه عاملاً محفزاً للاختيارات الأرضية وبخاصة إذا كان الغطاء النباتي كثيفاً إلا أنه يمكن أن تحدث للمنحدرات اختيارات على الرغم من وجود غطاء نباتي كثيف نتيجة لحدوث تشبع بالمياه للطبقة السطحية (Rickli and Graf, 2009, p 33-34). ولكن في حالة أن يكون لدى الأشجار تأثير قليل على منسوب المياه فإن جذور هذه الأشجار يمكن أن تعمل على زحزحة ورفع للكتل الصخرية مسببة زيادة مخاطر حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات الجبلية.

يتوزع الغطاء النباتي خاصة النباتات الموسمية وبعض الأشجار في معظم أجزاء منطقة الدراسة في المناطق المستوية وفوق المنحدرات الخفيفة والمتوسطة الميل؛ حيث تعمل هذه النباتات الموسمية على تثبيت التربة والحطام والتقليل من عملية انجرافها وكذلك عملت دعائم للكتل الصخرية بمختلف أحجامها لوحة (18). ويقل الغطاء النباتي وينعدم في السفوح الصخرية الجرداء الخالية من التربة ذات الصخور الصلبة التي لا تساعد على نمو الغطاء النباتي.



لوحة (18): نماذج لاستقرار المواد الأرضية بفعل تواجد الأشجار والنباتات الموسمية فوق المنحدرات على الجانب الأيمن لطريق نقييل سُمارة في المنطقة الثالثة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2021-8-12م.

### 3.5 المنحدرات الجبلية:

تختلف المنحدرات الجبلية من حيث زاوية ميلها، ويسهم هذا الاختلاف في تحديد حركة المواد الأرضية على أسطحها؛ فإذا كان المنحدر بسيطاً أو خفيفاً فليس بالإمكان أن يكون الانهيار

سقوطاً، وإنما الحركة الأكثر احتمالية للحدوث تكون زحفاً أو انزلاقاً مستويًا. إذا تُعد المنحدرات الأرضية من بين أهم العوامل التي تسهم في نشاط الانزلاقات والانحيارات الأرضية في مناطق السفوح الجبلية التي تُعد من المناطق ذات الانحدارات المختلفة الميل. وتتصف منطقة الدراسة بسيادة الأراضي شديدة الانحدار مع التضرس الشديد في معظم أجزاء منطقة الدراسة، وسيادة المنحدرات التي تزيد درجة انحدارها عن 18 درجة وأكثر على ما نسبته (41.75%) من مجموعة المساحة الكلية للمنطقة، وأن معظم الامتداد الطولي لطريق نقييل سُمارَة يقع ضمن فئة المناطق شديدة الخطورة (ناجي، 2021، ص 449).

#### 4. مخاطر الانحيارات والانزلاقات الجبلية الناجمة عن حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات المطلة والموازية لطريق نقييل سُمارَة:

تُعد منطقة الدراسة وبالأخص طريق نقييل سُمارَة من المناطق التي تتعرض باستمرار لمخاطر الانحيارات الأرضية والانزلاقات الجبلية والناجمة عن حركة المواد الأرضية من أسطح السفوح والمنحدرات المطلة والموازية للطريق، ومن البيانات الموجودة في الجدول (3) تبين أن أكثر المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عن حركة المواد الأرضية تتركز معظمها في الجانب الأيمن لطريق نقييل سُمارَة، وأن توزيعها المكاني أغلبه يتمركز في المنطقة الثالثة الوسطى (قرية دار حبة-قرية رباط هيوه)، طول الطريق فيها (7.79 كم)، وفي المنطقة الرابعة الشمالية (قرية رباط هيوه-قرية بيت هديان) بطول (6.26 كم)؛ ففي هذه المناطق تكثر فيها حالات الانزلاق والانحيار الأرضي التي حدثت والمحتملة الحدوث يعود ذلك إلى عدة أسباب أهمها ما يأتي:

4.1- جيولوجية المنطقة (البنائية والتركيبية)، وصخورها التي تكثر فيها الصدوع والفواصل والشقوق والتكسرات، كذلك قرب منطقة الدراسة من المناطق التي شهدت أحداثاً زلزالية أبرزها زلزال دمار عام 1982م؛ ما جعلها غير مستقرة معرضة لحدوث الانزلاقات والانحيارات الأرضية.

4.2- جيومورفولوجية منحدرات جبل سُمارة؛ إذ عملت الانحدارات شديدة الميل إلى تعرض طريق نقييل سُمارة لمخاطر الانزلاقات والانهيارات الصخرية؛ لأن معظم الامتداد الطولي للطريق يقع ضمن فئة الانحدارات شديدة الميل تقع ضمن (أكثر من  $18^{\circ}$ ) (ناجي، 2021، ص 449) وهي المنحدرات التي يمر بها الطريق.

4.3- غزارة الأمطار في منطقة الدراسة خاصة في فصل الصيف موسم سقوط الأمطار؛ إذ تعمل المياه الجارية على سفوح المنحدرات الجبلية على جرف التربة والحطام تساقط الصخور حيث تشكل قوة جريان المياه ضغطاً على الصخور التي تتكسر مع مرور الوقت وتسقط على طريق نقييل سُمارة، كذلك تسهم الأمطار الغزيرة في تغذية الينابيع المنتشرة في المنطقة؛ ما يؤدي إلى انبثاق العيون المائية في المنحدرات المطلة على طريق نقييل سُمارة مما يسهم في حركة المواد الأرضية.

4.4- تسهم درجات الحرارة المتباينة خلال أشهر السنة وخلال ساعات الليل والنهار في إضعاف وتفكك الصخور وزيادة في حدوث ظاهرة الانهيارات الأرضية، وكذلك تتعرض منطقة الدراسة إلى موجة صقيع شديدة في الساعات المتأخرة من الليل خاصة في فصل الشتاء، حيث تنخفض درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر؛ ما يؤدي إلى تجمد المياه في الشقوق والفواصل الموجودة بالصخور وهو ما يؤدي إلى زيادة الضغط الداخلي مسببة قوة دفع تؤدي إلى حدوث ظاهرة الانزلاق الصخري علماً بأن الصخور البازلتية العمداية الشكل منتشرة بكثرة على جانبي طريق نقييل سُمارة.

4.5- قرب المسافة ما بين الطريق والمنحدرات، وضخامة الكتل الصخرية المهارة والمحتملة الانهيار، وعدم توافر أعمال الحماية المطلوبة لتفادي مخاطر الانزلاقات والانهيارات الأرضية.

5. طرق الحماية من مخاطر حركة المواد الأرضية من على أسطح المنحدرات المطلة

والموازية لطريق نقييل سُمارة:

- للتقليل أو للحد من انزلاق وانهيار المواد الأرضية المكونة للمنحدرات المطلة والموازية لطريق نقييل سُمارة هناك طرق ووسائل وإجراءات وقائية مهمة، منها ما يأتي كما هو موضح في الوحة (19):
- 5.1- استخدام وسائل وطرق مناسبة لتثبيت الصخور غير المستقرة مثل عمل الرشة الخرسانية أو الشبك السلكي أو الحواجز الخرسانية أو حواجز السلال الحجرية أو جدران استنادية أو خوابير ومراسي التثبيت.
- 5.2- توسيع المسافات بين حافة الطريق خاصة الجانب الأيمن للطريق، وأسفل المنحدر المقطوع لاستقبال أي مواد أرضية متساقطة ووصولها إلى سطح الطريق.
- 5.3- تفتيت وتكسير الكتل الصخرية المعلقة والمعرضة للسقوط أو الانقلاب إلى وسط طريق نقييل سُمارة أو التي تهدد القرى الموجودة أسفل المنحدرات التي توازي الطريق أو العمل على تثبيت الكتل الصخرية الكبيرة باستخدام أعمدة خرسانية أو معدنية تخصص لهذا الغرض، أو العمل على إسقاط الصخور الأكبر ببطء إلى جانب الطريق إذا كان هناك أرض مستوية صغيرة كافية لاستقرار الصخور عليها.
- 5.4- في منطقة الدراسة وعلى الجانب الأيمن لطريق نقييل سُمارة هناك العديد من الجدران الحجرية بعض السلال الحجرية تبعد مسافة متر واحد عن الطريق ولكن ارتفاعها صغير يتراوح ما بين (2-3) متر لا يكفي لتفادي وصول الصخور الساقطة أو الانهيار الأرضي إلى وسط الطريق؛ لذلك على مصلحة الطرق العمل على زيادة ارتفاع الجدران الحجرية أو مد شبكة معدنية فوق تلك الجدران وتثبيتها بإحكام وذلك للحد من أي حركة للمواد الأرضية فوق الجدران.
- 5.5- تنظيف المجاري المائية على الجانب الأيمن لطريق نقييل سُمارة من مخلفات السيول الموسمية (مكونات تدفق الركام) لكي لا تعمل على سد القنوات المائية الموجودة أسفل الطريق.





لوحة (19): نماذج لاستخدام الشبوك السلكية والسلال الحجرية وخوابير ومراسي التثبيت للحد من انزلاق وانحيار المواد الأرضية المكونة للمنحدرات.

## 6. النتائج:

1- تتصف تكتونية اليمن بأنها تكتونية بنائية توسعية ممثلة بخليج عدن جنوباً والبحر الأحمر غرباً، انعكس ذلك على جعل الوضع الزلزالي والبركاني لليمن نشطاً ما أدى إلى تكون تراكم جيولوجية متنوعة (كالصدوع والفواصل والشقوق)، كذلك حدوث النشاط البركاني خلال العصر الثلاثي وبداية الرباعي أدى إلى تكون سلسلة من المرتفعات الجبلية العالية، والمعقدة التضاريس، كما هي الحال في منطقة الدراسة (جبل سُمارة) التي تكثرت في صخورها الفواصل والشقوق والتكسرات؛ ما جعل الصخور غير مستقرة ومعرضة لحدوث الانزلاقات والانحيارات الأرضية، وجعل طريق نقيب سُمارة المار فيها يتعرض للعديد من المخاطر الجيومورفولوجية التي تؤثر سلبياً على الطريق وعلى حركة المارة ومستخدمي الطريق.

2- لعبت العمليات الجيولوجية والحركات التكتونية دوراً بارزاً في تشكيل جيومورفولوجية المنحدرات الجبلية لمنطقة الدراسة، وهذا انعكس بدوره على استقرارية ونشاط حركة المواد الأرضية المكونة لأسطح تلك المنحدرات، ومن ثم زيادة في مخاطرها الجيومورفولوجية وتركزها على المنحدرات الشرقية لجبل سُمارة؛ أي المنحدرات المطلة والموازية للجانب الأيمن لطريق نقيب سُمارة.

3- عملت الانحدارات الشديدة لأسطح منحدرات جبل سُمارة على تعرض طريق نقيب سُمارة للعديد من المخاطر الانزلاقية والانهيارية الأرضية بسبب أن معظم الامتداد الطولي للطريق يقع ضمن فئة الانحدارات شديدة الميل، وكذلك لقرب مسافة المنحدرات من الطريق.

4- تلعب عناصر المناخ دوراً مهماً في زيادة تعرض طريق نقيب سُمارة للمخاطر الجيومورفولوجية؛ إذ إنها تعمل على إضعاف الصخور وتفككها وتفتتها، إذ تتباين وتتفاوت درجات الحرارة خلال أشهر السنة، وكذلك خلال ساعات الليل والنهار؛ فضلاً عن غزارة الأمطار وارتفاع كمية الساقط المطري السنوي في منطقة الدراسة اسهام كبير في زيادة انتشار ظاهرة الانزلاقات والانهيارات الأرضية فيها وفي طريق نقيب سُمارة خاصة.

5- تتعرض المنحدرات الجبلية في منطقة الدراسة والمطلة والموازية لطريق نقيب سُمارة إلى نشاط حركة المواد الأرضية وأهم المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عنها: ظاهرة السقوط بعدد حوالي (80) حالة تم رصدها مشكلة ما نسبته (37.7%) من إجمالي عدد حالات حركة المواد الأرضية المشاهدة والمرصودة في منطقة الدراسة، ثم يليه ظاهرة الانزلاق المتضمن (الانزلاق المستوي، الدوراني، الإسفيني)، بحوالي (65) حالة مشاهدة ما نسبته (30.7%)، ظاهرة الزحف بواقع حوالي (39) حالة ما نسبته (18.4%)، ظاهرة تدفق الركام عبر المجاري المائية الموسمية بعدد (19) حالة مشاهدة بنسبة (9%)، أما الانهيار الانقلابي الصخري فقد رصد بواقع (7) حالات بنسبة (3.3%)، وأخيراً جاء الانتشار الجانبي للصخور بواقع حالتين بنسبة (0.9%).

6- أهم المواد الأرضية الرئيسية المكونة للحالات المشاهدة والمرصودة لظاهرة الانزلاق (المستوي، الدوراني، الإسفيني) في منطقة الدراسة فهي الكتل الصخرية، والحطام، والتربة، أما ظاهرة السقوط



فهي من أكثر الحركات الأرضية المرصودة والمحتملة الوقوع من المنحدرات المطلة لطريق نقييل سُمارة فموادها تتمثل في الصخور المنكشفة (جلاميد صخرية مختلفة الأحجام)، والمواد المكونة لظاهرة الزحف فهي الصخور والحطام، أما المواد المكونة لظاهرة تدفق الركام عبر المجاري المائية عبارة عن ترسبات تتراوح أحجامها ما بين كتل صخرية كبيرة إلى حبيبات التربة؛ فضلاً عن بقايا الأشجار، الانهيار الانقلابي مواد كتل صخرية كبيرة الحجم.

7- ومن خلال هذه الدراسة تم التوصل إلى أن أكثر المخاطر الجيومورفولوجية للانزلاقات والانهيارات الأرضية تتركز معظمها في الجانب الأيمن لطريق نقييل سُمارة، وأكثر توزيعها المكاني يتركز في المنطقة الثالثة الوسطى، والمنطقة الرابعة الشمالية (من بعد قرية دار حبة وصولاً لمشارف مدينة كتاب عند قرية بيت هديان)، مشكلة ما نسبته (41.51%)، (50%) على التوالي من إجمالي عدد الحالات المشاهدة والمرصودة في منطقة الدراسة البالغة (212) حالة، فهاتان المنطقتان من أكثر المناطق خطورة لحدوث الانزلاقات والانهيارات الأرضية، بسبب الميل الشديد للمنحدرات، ولقرب المسافة من الطريق، ولضخامة الكتل الصخرية المنهارة والمحتملة الانهيار، وكذلك بسبب عدم توفر أعمال الحماية المطلوبة لتفادي هذه المخاطر.

### المصادر والمراجع:

1-الأخضر، أبو القاسم، (2019)، المخاطر الجيومورفولوجية لحركة الكتل الصخرية على منحدرات الطريق الجبلي أبو غيلان بمنطقة غريان، أطروحة دكتوراه، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا،

<https://www.researchgate.net/publication/344392808>.

2-جمعان، عبد الغني، (2021)، ظهور التشققات الأرضية في ذمار، مقال في صفحة فيسبوك عبد الغني جمعان، يوم 2021/8/8م.

- 3- كاظم، عبدالحسين، (2017)، تحليل مخاطر جيومورفولوجية في منطقة بنجوين، أطروحة دكتوراه، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، بغداد، العراق.
- 4- ناجي، عادل، (2021): دراسة جيومورفولوجية تطبيقية لأشكال المنحدرات الجبلية على جانبي طريق نقيب سُمارة إب-اليمن، مجلة الآداب جامعة ذمار، ذمار، اليمن، العدد (20).
- 5-Amini, L., Majdi, A. and Veshadi, M.A, (2012), Stability Analysis of Rock Slope Against Block-Flexure Toppling Failure. Rock Mechanics and Rock Engineering, Published online by Springer-Verlag, 45(4).
- 6-Arthur, L.B, (1978), Geomorphology (A systematic Analysis of Late Cenozoic Landforms). Journal of Geography(Chigaku Zasshi), 87(5).
- 7-Dorren, L.K, (2003), A review of Rock Fall Mechanics and Modeling Approaches. Progress in Physical, Arnold Mathematical Journal, 27(1).
- 8-Goodman, R.E., Watts, C.F., Gillian, D.R. and Hang, H, (2003), Rock Slope Stability Computerized Analysis Package. WWW. Radford, earlt-cwatts.
- 9-Highland, L, (2003), An account of Preliminary Landslide Damage and Losses Resulting from the February 28, 2001. Nisqually, Washington, Earthquake, US Department of the Interior, US Geological Survey.
- 10-Rickli, C, and Graf, (2009), Effects of Forests on Shallow Landslides-Case Studies in Switzerland. Forest Snow and Landscape Research, 82(1).

- 11-Singh, B, and Goel, R.K, (1999): Rock Mass Classification. A practical Approach in Civil Engineering, Elsevier, 46.
- 12-Varnes, D.J, (1978), Slope Movement Types and Processes. In: Schuster, R.L, and Krizek, R.J., Eds, Landslides, Analysis and Control, Transportation Research Board, Special Report (176), National Academy of Sciences.



**Hadhramout  
University**



ISSN; 2707-8655  
EISSN; 2707-8663

# **AL-MAHRAH**

## **Journal of Humanities**

**Binnual Peer - reviewed  
Scientific Scholarly Journal  
issued by the Faculty of  
Education, Al- Mahrah**

- ▶ **The Poetry of Mornings According to Ibn Zamrak Al-Gharnati Formation and Connotation.**
- ▶ **The Wisdom in Kalila and Dimna (The King's Son and his Companions) A Pedagogical Textual Study.**
- ▶ **Ahmad Fares Al-Shidyaaq's Approach of Morphological Authorship in his book 'Ghuniat At-taleb wa Muniat Ar-ragheb.**
- ▶ **The Image of Disability and the Disabled in the Folksy Publications of Salem Marzouq Abu-Jaber Balhaaf.**
- ▶ **The Prosodical Structure in the Poetry of Ahmad Bin Alwan.**
- ▶ **The Choices of the Scholar Abdullah Bin Mahfouz Al-Haddaad in the Chapter on Fasting.**
- ▶ **The Civil Society... Functions and Stakes.**
- ▶ **The Degree of Students' Involvement in the Social Studies Textbooks of the Fifth Grade in the Republic of Yemen.**
- ▶ **Pedagogical Organizations in the Abbasid Era and their Role in Spreading Knowledge (Libraries as a Case Study)**
- ▶ **The Legal Regulation for the Acceptance of the Intervention of the Bill of Exchange.**
- ▶ **The Movement of Ground Materials and their Geo-morphological Risks on**